بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا

جامعة أم القرى - مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية - مكة المكرمة
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٥١٤٣

أبها في الشعر السعودي المعاصر

((دراسة موضوعية فنية))

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها تخصص أدب

إعداد الطالب

منصور بن فازع بن أحمد آل ناصر القرني

الرقم الجامعي (٤٢٢٨٠٢٦٤)

إشراف سعادة الدكتور

عبد الله بن إبراهيم الزهراني

أستاذ الأدب بجامعة أم القرى

(١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م)

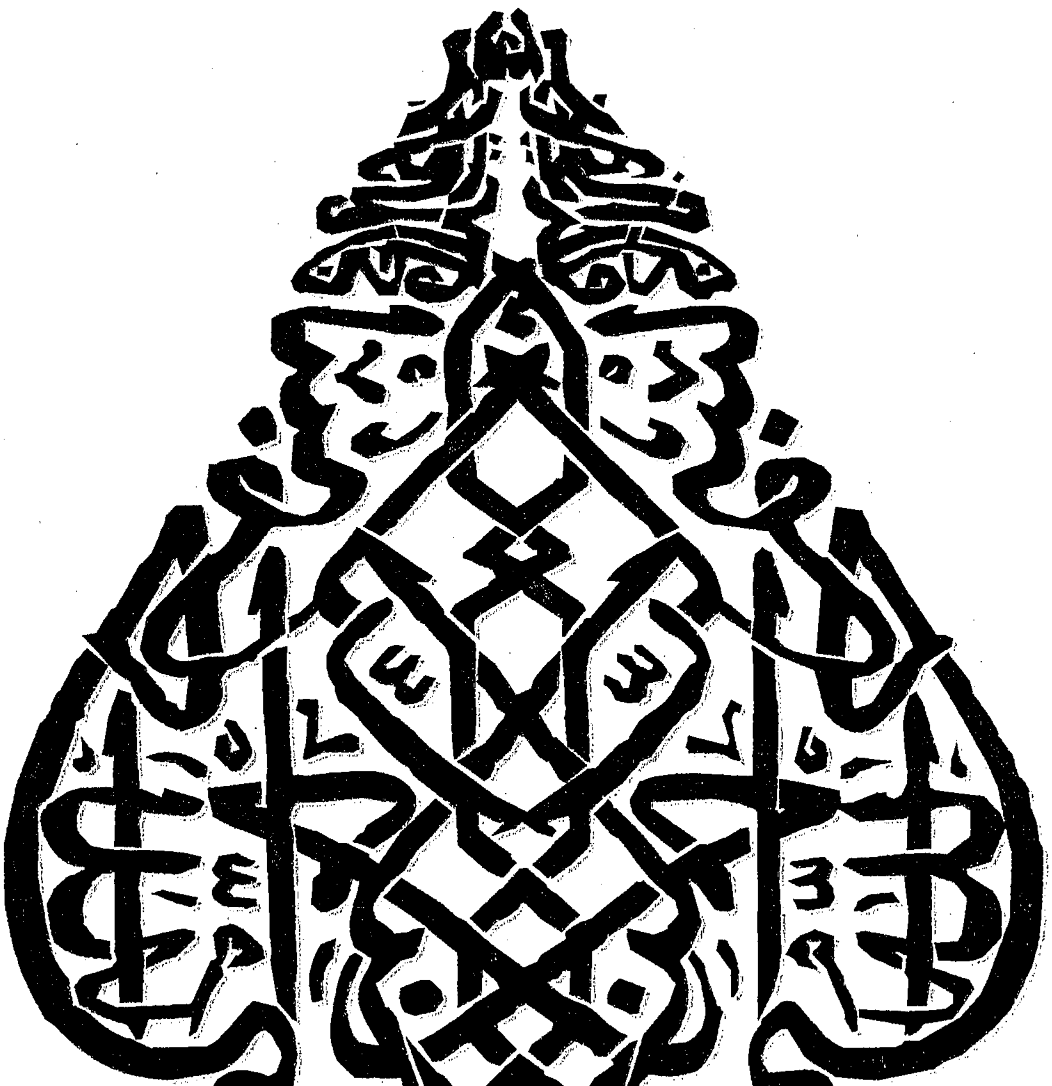

ملخص الرسالة

يبرز المكان على المشهد الجغرافي بوصفه مكاناً جميلاً ، إلى جانب أوصاف أخر ينماز بها ، تتعالق مع الميزة الأولى صفة الجمال ، وهذا يدفع به ليمتلك بعداً شعرياً ينتقل به من فضاء الكون إلى فضاء النص ، ليبرز مرة أخرى على المشهد الشعري ، كعامل فاعل في تشكيل النص ، يعمل الشعراء على استغلاله ، لترتسم صورته داخل إطار النص واقعاً وخيالاً ، وهو في الحالين مرتبط - ولا شك - بالواقع النفسي ، المتصل بنوعية العلاقة ، وكل واحد منهما (الواقع النفسي والمكان) يعمل في تشكيل صورة الآخر .

وقد تناولت هذه الدراسة نموذجاً مكانياً تعددت عوامل حضوره المكاني والزمني ، لتتعدد معها فواعل حضوره الشعري ، وهو (أبها المدينة والطبيعة) ، حيث عُنِيَت - أولاً - برصد العلاقة بين الشعر والمكان ، من خلال تجلية أبرز العوامل التي ساهمت في خلق هذه العلاقة ، ثم اتجهت إلى استظهار صورة (أبها) الموضوع الشعري لنُصوص الدراسة في جوانب مختلفة ، لتنتقل إلى النظر في أوصاف أشياء المكان في النصوص المدروسة ، وتمليها من خلال وصف الشعراء لها وتأملهم في قسماتها ، مقلدين تارات ومجددين تارة ، ثم تأخذ - بعد ذلك - في الحديث عن حضور الوجدان الإيماني داخل النص ، نتيجة التأمل في مكونات المكان الجمالية والطبيعية ، وإقامة رابط بينها وبين مبدعها - تعالى وتقدس - وهذا يحقق بدوره فرصة إقامة شعيرة عبادة التفكر ، في محراب الشعر ، لتنتقل إلى قضية (التعادل الموضوعي) بين (المكان) وبين (المرأة) في نصوص الشعراء ، ويتمثل ذلك في استقراض جماليات المرأة المستملحة ، وكذلك توازي المكان والمرأة في الشعور الوجداني والخطاب الحبّيِ ، إلى جانب التداخل بين فن الغزل وفن الوصف في بعض النصوص المدروسة .

لتتناول بعد ذلك - مظاهر الاغتراب في نصوص الدراسة ، لتكشف عن أبرز هذه المظاهر كالاغتراب المكاني ، والاغتراب العاطفي ، والاغتراب النفسي ، المؤدي إلى ظاهرة الهروب إلى الطبيعة . ولم تقف هذه الدراسة عند حد الجوانب الموضوعية ، بل تجاوزتها لتتناول الجوانب الفنية في النص موضع الدرس ، كاللغة والأسلوب ، والصورة الشعرية ، والتشكيل الموسيقي ، الداخلي والخارجي ، وكل ذلك من جوانب مختلفة ، ليأتي في ذيل الدراسة ختامها ، فتراجم لشعرائها ، مشهورهم ومغمورهم .

(والله نسأل توفيقاً لما يرضيه)

الباحث : منصور فازع القرني

المشرف : د. عبدالله إبراهيم الزهراني

الإهداء

❁ إلى من أنارا لي سبل المثابرة والطلب بمصابيح الدعاء ، ومهدا لي دروب الحياة بالعون والمشورة إلى والديّ متع الله ببقائهما .

❁ إلى أبي فيصل شقيقي الذي شدّ أزري وشاركني همي .

❁ إلى أبها ...... المكان والإنسان

دِيارٌ عليها من بشاشة أهلها ... (تحايا) تسر النفس أنساً ومنظرا

ربوعٌ كساها المزن من خلع الحيا ... بروداً وحلاّها من النَّوْر جوهرا

يونس بن مغيث

قاضي قرطبة [ت ٤٢٩ هـ]

بلادٌ حباها الله بالخصب والبها ... وزينها بالأكرمين الأماجد

أحمد بن محمد الشامي

منصور بن فازع

١ / ١٢ / ١٤٢٥هـ

المقدمة

المقدمة :

الحمد لله موجب الحمد بنعمه ، مستحقه بتوفيقه ، حمداً يصعد ولا ينفد ، يزيد ولا يليد ، وذلك على ترادف تطوُّله ، وشمول حياطته ، وتواتر مننه ، وصلى الله أفضل صلواته ، وأدوم سلاماته ، على مبلغ رسالاته ، وحامل آياته ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله ومن والاه .

وبعد :

فقد تعددت الدراسات التي كان لها عنايةٌ بالنظر في حضور المكان - أياً كانت طبيعته ودلالته - داخل المتن الشعري ، وإن كانت قليلة - كما سيأتي في مهاد البحث - وذلك إذا ما لُزَّتْ في قرن واحد مع الدراسات التي نظرت إلى المكان داخل المتن النثري .

وعلى أي حال كان الأمر ، فإن هذه الدراسات المكانية - الشعرية والنثرية - قامت على سوقها ، واستوت على هرم الدراسات الأدبية الحديثة ، من منطلقٍ يرى في المكان عنصراً فاعلاً ، ومؤثراً بالغاً في بنائية النص ، يقوى فعله ، ويشتد أثره ، عندما يكون - وليس غيره - الدافع إلى ولادة النص ، أو العمل الأدبي .

وفي هذا البحث - والذي جاء ليكون متمماً من متممات درجة الماجستير - أردت أن أشارك من سبقني من الدارسين النظرَ في تأثير المكان في نتاج الشعراء السعوديين ، وحضوره الشاعري في تلافيف وبُنى قصائدهم ، فكان أن وقع اختياري على موضوع : (أبها في الشعر السعودي المعاصر) بعد أن جمعت النصوص الشعرية التي قيلت فيها ، وتأكد لي وقد نظرت في كمها وكيفها ، صلاحيتها للبحث والدراسة ، وقد زاد من انجذابي إلى هذا الموضوع وعلوقي به ، أني رأيت أنه يقع لي من خلاله الوقوف على موقف الشعراء السعوديين من الطبيعة واصفين ومتأملين ، متأثرين بسابقيهم ومبتكرين ، معتدلين ومغالين [1] وذلك إلى جانب تأثير المكان في صورته المكتملة .

كما أن توزع الشعراء الذين أنفذتهم ضمن بحثي على خارطة المملكة العربية السعودية ، وكذلك ما وجدته من حب عتيد لأبها في قلوب كثيرٍ منهم ، زاد من هذا الانجذاب وهذا العلوق .

وقد حاولت - وأنا أدير النظر ، وأجيل الفكر في نصوص الدراسة - أن أتخذ من المنهج التكاملي أداة مساعدة في تبصر وسبر هذه النصوص ، حيث استمديت واستفدت من المنهج الوصفي والتحليلي والفني والنفسي ، وهذا الأخير كان حاضراً بشدة وأنا استخرج مرادات الأبيات ودلالالتها من غيابات النفس الشاعرة ، وذلك في مبحث الاغتراب ، وفي بعض الوقفات التي لامست

---

(١) الطبيعة في الشعر السعودي من الموضوعات التي لم يولها الباحثون اهتماماً كافياً ودرساً وافياً .

بعض الظواهر اللغوية في النصوص الشعرية ، كما أني استضأت بمقولات وإشارات النقدة القدامى والمعاصرين في كثير من صفحات البحث •

أما بشأن الدراسات التي سبقت هذه الدراسة ، فقد سبقها في ميدان دراسة المكان ، والنظر في ملامح حضوره في الشعر السعودي المعاصر ، بحث تقدمت به الدكتوره / إنصاف بخاري لتنال به درجة دكتوراه الفلسفة والأدب وعنوانه (مكة المكرمة والمدينة المنورة في الشعرفي المملكة العربية السعودية) وأشرف عليها الأستاذ الدكتور / محمد صالح جمال بدوي ، وقد عنيت الباحثة فيه باستجلاء مظاهر حضور المكان المقدس في النص الشعري ، ونظير هذا - أيضا - ما تقدم به الباحث/ سليمان سالم الجهني لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، والموسوم بـ (صورة المدينة المنورة في الشعر السعودي الحديث) وأشرف عليه الأستاذ الدكتور / صالح بن سعيد الزهراني ، وفيه عني بحضور المدينة بقداستها ومكانتها الدينية ، ودورها التاريخي الخطير في النصوص التي أنفذها في بحثه - ولا أعلم - على حد معرفتي - دراساتٍ عُنيت بالمكان في الشعر السعودي غير هذين البحثين ، غير منكر ما جاء من الإشارات في بطون الكتب وصفحات الدراسات التي تناولت الشعر السعودي •

وأما في ميدان موضوع البحث ، فهناك كتاب (أبها في التاريخ والأدب) للأستاذ / علي آل عمر عسيري ، وقد ظهر عام (١٤٠٣ هـ) وفيه - إلى جانب الموضوعات التاريخية - نصوص ومقاطع شعرية لشعراء سعوديين ومقيمين عرب ، تولى المؤلف التعليق عليها وبسط مراداتها نثراً ، وهناك - أيضاً - مجموع شعري صغير صنعه الأستاذ / علي بن خضران القرني ، وسماه (أبها في مرآة الشعر المعاصر) وقد ظهر عام :(١٤١٠ هـ) ويحوي قصائد قالها شعراء سعوديون في (أبها) ، لم يكن من معدها نحوها إلا إيرادها والترجمة لقائليها ، وقريبٌ منه كتاب (شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي عسير) وهو - كما ترى من عنوانه - كتاب تراجم إلا أن مؤلفه الشيخ / هاشم بن سعيد النعمي كان يورد قصائد للمترجم لهم ، مؤثراً في كثيرٍ من الأحيان ما قيل في (أبها) ، وهذه الكتب الثلاثة مما أحلت عليه في أثناء هذه الدراسة . ولا أنسى بعض الإشارات التي أومأت إلى هذا الموضوع ، كتلك التي جاءت في كتاب (المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية) (١) وكذلك ما جاء في رسالة الماجستير التي أعدها الباحث / حزام بن سعد الغامدي عن (شعر أحمد بن يحيى البهكلي) وهو من أبرز

---

(١) تأليف الدكتور علي علي صبح ط / ١ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م مطبوعات تهامة - جدة -

شعراء قصيدة (أبها) وظهرت هذه الرسالة عام : ١٤٢٢ هـ وأشرف عليها الدكتور / حبيب بن حنش الزهراني ومثل ذلك ما كتب ونشر في المطبوعات من صحف ومجلات ٠

ليأتي هذا البحث بعد كل هذا ، وأرجو أن يشارك ولو بالنزر اليسير في سد ثغرة من ثغرات الأدب السعودي ٠

صورة البحث :

توزع بحثي هذا على تمهيد وفصلين بين مقدمة وخاتمة ، وقفت في التمهيد على أبرز ملامح حضور المكان في النص الشعري ، وتوظيفه من قبل الشعراء داخل هذا النص ، ثم عرّجت على دلالات المكان المتوزعة بين السلب والإيجاب ، تبعاً لتوجه الانفعالات الوجدانية داخل ذوات الشعراء أنفسهم ، ليجيء تلية ذلك المكان الشاعري واقعاً وخيالاً ، والشعر بوصفه معجماً مكانياً . كما يدخل ضمن التمهيد الحديث عن (أبها) المدينة من جوانب مختلفة ، تتمثل في الحد المكاني ، والحدث الزمني التاريخي ، والجمال الطبيعي والأثري ، والدور الحضاري والثقافي ،ليكون ختام التمهيد استظهار صورة (أبها) من شعر شعراء عرب أقاموا فيها أو زاروها ، وفي سياق هذه الإلماعات ،والإشارات، سيقت أبيات وشواهد تنهض بما جاء فيها من أراء وانطباعات ٠

أما الفصل الأول : فقد تبنى الموضوع الشعري للبحث بين الوصف والتأمل فكانت مادته دراسة موضوعية لجوانب الوصف في قصائد الشعراء ، حيث تناولت فيه موصوفات الشعراء ، متوزعة بين الطبيعة الطبيعية والطبيعة الصناعية ، ثم تناولت صورة (أبها) بأشيائها ومكوناتها في هذه القصائد ، ملمحاً في كل مرة إلى موقف الشعر بين التقليد والتجديد ٠

ومما تكفل به هذا الفصل في مبحثه الثاني النظر في تأملات الشعراء الإيمانية وموقفهم من الطبيعة التي بهروا بها ، وقد حاولت فيه أن أجليَّ موقف الشاعر السعودي - كمسلم تعمق في داخله معتقدٌ صحيحٌ صريح - من الطبيعة ، واتخذت من قصيدة (أبها) شاهداً ينهض بتجلية هذا الموقف وبيانه ، ويجلي - كذلك - تأثر الشعراء بلغة الوحيين في هذا المنوال ٠

ومن أعرض موضوعات هذا الفصل مبحثه الثالث ، وكان عن موضوع (التعادل الموضوعي) و (التبادل الجمالي) بين المرأة والطبيعة وقد عُنيت فيه بمهاد يقوي القول بهذا التعادل والتبادل ، على امتداد زمن الشعر العربي ، ثم دلفت إلى تبيّنه في شعر البحث من خلال مسارات ثلاث : **أولها :** مسار تقارض ملامح الجمال بين الأنثى والطبيعة ، **و الثاني :** مسار التوازي في الخطاب الموجه

للمكان ، مع الخطاب الحبّي أو الخطاب المباشر الموجه للمرأة ، **وثالث هذه المسارات :** تداخل فن الوصف مع فن الغزل في بعض من قصائد البحث ، وقد حاولت خلال أسطار هذا المبحث رصد بعض طرق الأداء ، والاستعمالات اللفظية المشتركة بين الشعراء ٠

ويجيء المبحث الرابع والأخير من هذا الفصل ليهتم بظاهرة الاغتراب داخل نصوص البحث ، وكسابقه بدأته بمهاد يكشف عن مفهوم الاغتراب ،ويكشف كذلك –عن حضوره في المنتج الأدبي بعامة ، ويبين أثر هذا الاغتراب في النصوص المدروسة ، مستهلا بالاغتراب المكاني ، فالاغتراب النفسي ، ومظهر الهروب إلى الطبيعة ٠

وقد حرصت جهدي على استنطاق النصوص بمرادات قائليها ، واستكناه ما انطوت عليه أنفسهم من خلال التأمل في استخداماتهم اللغوية والأسلوبية ٠

ولم أشأ أن أبرح هذا المبحث حتى وضعت بأَخَرَة منه بعض الإشارات التي تمايز بين الشاعر السعودي في (قصيدة أبها) ، وبين غيره من شعراء الاغتراب والطبيعة ، من حيث الاعتدال في النظرة والموقف ، ومن حيث ضبط إنفعال النفس فلا تجاوز المشروع ٠

ويأتي الفصل الثاني من فصول الدراسة ، مشتملاً على ثلاثة مباحث اقتضتها دراسة البنية الفنية للنصوص ، من ذلك دراسة المعجم الشعري ، والوقوف على حقوله اللفظية ، والنظر في لغة القصائد من جهة السهولة والغرابة ، ومن جهة الاستعمالات الفصيحة ،والاستعمالات العامية المحكية ، ومن جهة أبرز الظواهر الأسلوبية في استعمالات الشعراء اللغوية ، وهذه كلها موضوعات تناولتها في المبحث الأول ٠

أما المبحث الثاني : فقد تناولت فيه الصورة الشعرية من حيث أهميتها في الأداء التعبيري ، ومن حيث أنماطها ، ومقوماتها التي قامت عليها ، والروافد التي صدرت عنها ، والوظائف التي أدتها ، كما عرضت لمواضع عجزت الصورة فيها عن أداء دورها الفني والنفسي ٠

وفي المبحث الثالث : جاء اهتمامي بالتشكيل الموسيقي ، فدرستُ في إطاره التشكيل الوزني ، بعد أن بينت أهمية الإيقاع بالنسبة للعمل الشعري ، ثم نظرت في قوافي القصائد ، وأشرت إلى تنوعها وإلى العيوب التي لحقت بعض قوافي الشعراء ، لأنتقل بعد ذلك إلى الموسيقى الداخلية لأبين أبرز الأساليب التي وفّرت هذه الموسيقى داخل النص ٠

وقد حرصت بعد هذا كله أن أذيل البحث بتراجم للشعراء السعوديين الواردة أسماؤهم في أعطافه ٠

وأريد هنا - أن أنبه إلى أمور ثلاثة :

الأول : أنني - ورغم ما توافر بين يدي من النصوص - قصدت إلى أسلوب الأخذ والتخير منها ، بما يخدم مباحث الدراسة ٠

الثاني : أن حظ الدراسة الموضوعية كان أوفر من حظ الدراسة الفنية وذلك يعود إلى أن كشف المضامين الموضوعية التي توافرت عليها النصوص ، كان هم الدراسة وشغلها ، لأنّ في ذلك ما يعطي صورة واضحة للمكان ، الموضوع لشعري الذي أنشأ الشعراء قصائدهم لأجله ، وإن كنت أرجو أن تكون الدراسة الفنية وافية غير منقوصة ٠

الثالث : أن الإطار الزمني لنصوص الدراسة يتمثل في العقود الأربعة الأخيرة ، وقد يجاوزها بنيّفٍ من السنين ٠

بقي لي في هذه المقدمة أن أسدي الشكر لله - تعالى - فهو أقمن من شكر ، ثم لوالدي الكريمين ، ثم لكل من أعانني بمشورة ، أو نفعني بدعوة ، أو شاركني بإعارة كتاب ، أو المساعدة في الحصول على نص أو مرجع ٠

كما أضعف الشكر إضعافاً لأستاذي د / عبد الله بن إبراهيم الزهراني فقد تعلمتُ منه أدب النفس قبل أدب الدرس ، وكنت آتيه بين الفترة والفترة فيمنحني من وقته ، ولا يتعلل عليّ بشيء يدفعني به ، مما أتاح لي الإفادة من علمه وخبرته وتوجيهه وإرشاده ، أدام الله فوائده ومتع ببقائه ٠

ولوزارة التربية والتعليم حق الشكر ، لما أتاحته من فرصة مواصلة الدرس العالي في رحاب جامعة أم القرى التي تستحق هي الأخرى الشكر ممثلةً في كلية اللغة العربية وآدابها ٠

وأخيراً أقول ما قاله ابن بسام في ذخيرته : (لا أدعي أني اخترعتُ ولكن لعلي قد أحسنت) ولأن المتصفح لهذا البحث أبصر بمعايبه وزلاته من كاتبه ومنشئه ، فإن عذري بين يديه أني اجتهدتُ رغم وفرة أشغال ، وانشغال بال ٠

وأذكره بقول الأول :

لا ترجُ شيئاً كاملاً نفعـــــــه ... فالغيث وهو الغيث منه الغثاء

والله المسؤول بأخلص نية وآكدها أن يهبنا التوفيق ويمنحنا الرشد فهو المالك لذلك والقادر عليه ٠

كتبه : بمحافظة بلقرن

لليلة خلت من ذي الحجة المحرم ختام عام ١٤٢٥ هـ

التمهيد

أ- المكان والشعر

١. بواعث وملامح حضور المكان في النص الشعري ·

٢. المكان بين دلالة الإيجاب ودلالة السلب ·

٣. المكان بين الواقعية والتخيل ·

٤. الشعر معجم مكاني ·

ب- أبها في رحاب التاريخ والجمال والشعر

١. حد المكان ·

٢. أصل التسمية ·

٣. وقفة تاريخية ·

٤. جمال المكان وآثار الإنسان ·

٥. الدور الحضاري والثقافي ·

٦. أبها في عيون الشعراء العرب ·

تمهيد :

أ- المكان والشعر :

أولاً : بواعث وملامح حضور المكان في النص الشعري :

يشكل المكان ملمحاً له دوره المهم والبارز في بنية العمل الأدبي ، سواءٌ أكان ذلك العمل شعراً أم ، قصة أم ، رواية ، يبين ذلك من خلال ما يلقيه المكان من ظلالٍ لها أثرها الفاعل في نفسية المبدع ، وقد فطن لهذا الأثر بعض النقدة القدامى كابن رشيق والقرطاجني وغيرهما ، إذ جعلوا من البيئة - المكان والمجتمع والطبيعة - باعثاً ومؤثراً في إنتاج الشعراء وتوجههم .

ولأجل هذا الدور - كذلك - قامت بعض الدراسات حديثاً لتلقي الضوء على (المكان) وتقف على جوانب تشكله في الأعمال الأدبية ، وتُبرز جماليات هذا التشكل .

غير أن الملاحظ أن الدراسات التي عنيت بالمكان في النتاج الشعري قليلةٌ قياساً إلى تلك الدراسات التي كانت لها عنايةٌ بـ (المكان) في القصة والرواية ، ((وربما ترجع قلة هذه الدراسات إلى أن دراسة التشكيل المكاني ارتبطت بدراسة القصة القصيرة أو الرواية أكثر من غيرها من الأجناس الأدبية ، الأخرى [١])) ولذلك نجد انصرافاً من الدارسين إلى هذه الوجهة وأعني بها الدراسات التي اتجهت إلى المكان في القصة والرواية ، يجلي ذلك البحوث والأعمال التي تنشرها بعض المجلات والدوريات المتخصصة ، وكذلك الكتب التي تناولت الأعمال السردية ، إلى جانب بعض الأعمال المترجمة التي تناولت (المكان في النتاج الأدبي [٢]) بالدرس وهذا يفسر قلة الدراسات التي تعنى بالمكان والشعر في موجودات المكتبة الأدبية ونحن مع ذلك لا نعدم بعض الدراسات التي عنيت بـ (المكان) كظاهرة شعرية عامة ، أو (بالمكان) كظاهرة شعرية عند شاعرٍ من الشعراء [٣] .

---

(١) مراد عبد الرحمن مبروك : (جماليات التشكيل المكاني في البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) «علامات في النقد» ص ٣٨٠ ج / ٣٤ مج / ٩ / ١٤٢٠ هـ نادي جدة الأدبي .

(٢) انظر غاستون باشلار (جماليات المكان) ترجمة ، غالب هلسا . ط / ٣ / ١٩٨٧م المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت -

(٣) انظر على سبيل المثال : د / جريدي المنصوري (شاعرية المكان) ط / دار العلم للطباعة والنشر - جدة - و د / عبد الله باقازي (المكان في الشعر العربي بين الجمالية والتاريخ ط / نادي الطائف الأدبي د / مختار علي أبو غالي (المدينة في الشعر العربي المعاصر) ط / المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - = و د / منصور نصرة (القرية في الشعر العربي المعاصر) ت - مركز الإسكندرية - إلى جانب بعض الدراسات المنشورة في المجلات والدوريات الأدبية .

ونظراً لأهمية هذا الجانب من ناحية ، ولكونه من ناحية أخرى يدخل في جوانب كثيرة من البحث فقد رأيت أن أضع بين يدي هذا البحث بعض الإشارات والوقفات التي نقف من خلالها على أبرز وأظهر ملامح حضور المكان وتشكله في النتاج الشعري ، نتلمس في أثنائها بواعث هذا الحضور ، ونقرأ في صفحاتها تلك السطور التي تنبئ عن تلك اللحمة والعلاقة بين (المكان) في صوره المتعددة ، وبين الشاعر (الإنسان) ، وما يحمله من تصورات وذكريات إلى جانب تلك الدوافع والجواذب نحو هذا المكان ، الذي يعتبر ((لغة ثانية خفية في تضاعيف القصيدة)) [١] .

١- وفي طليعة هذه الملامح : يأتي الوطن [٢] (الأرض الأم) :

ليشكل الملمح الأول والبارز في الحضور المكاني ، إذ لا تكاد تجد نتاجاً خالياً من حضوره وترجيع اسمه ، وذلك في صورٍ مختلفة ، فمرة يكون هذا الحضور من خلال المفاخرة بالأوطان وامتداحها واشباع النص الشعري بمسميات بقاعها ، ومرة يبرز الوطن (المكان) في مشاعر الحنين والتوق التي تنبعث في نفس الشاعر وهو أسير أغلال الغربة والغيبة عن الوطن [٣] ومرة نراه في ذلك الاستحضار الذي يعمد إليه الشاعر عندما يفاتش (كتاب ذكرياته) فيستحضر أماكن حياته الأولى ، ومدارج صباه ، وملاعب طفولته ، ، وملتقى أقرانه ولداته ، ومسامر أحبابه وأصحابه ، وكلها أماكن لها مكانةٌ أثيرةٌ في قلب كل أحد .

يقول ابن الرومي يذكر بغداد وهو في غيبةٍ عنها :

بلدٌ صحبت به الشبيبة والصبا ... ولبستُ فيه العيش وهو جديدُ
فإذا تمثل في الضمير رأيتـــه ... وعليه أفنان الشباب تميـدُ [٤]

---

(١) علي أحمد سعيد (أدونيس) (ديوان الشعر العربي) ص ١٦ - ١٧ ط / ١ / ١٩٦٤م المكتبة العصرية - بيروت -

(٢) الوطن : ما استوطنه المرء . ويمثل البنية الكبرى على مستوى المكان ويأتي في معناه الشمولي أو في صورة البلد أو المدينة أو القرية أو البيت

(٣) لذلك شواهد كثيرة في ديوان الشعر العربي ويعود ذلك إلى كثرة أسباب الاغتراب ولم أسق بعض هذه الشواهد طلباً للاختصار وسيأتي الحديث عن ظاهرة الاغتراب في القصائد التي يتناولها البحث بإذن الله

(٤) ديوانه ص (٧٦٦) تح / حسين نصار ط / ١٩٧٤م دار الكتب العلمية .

ويقول وقد غصبت داره منه :

وحبَّب أوطانَ الرجال إليهـــم ... مآرب قضَّاها الشباب هنالكـــا

إذا ذكرو أوطانهم ذكّرتهـــم ... عهود الصِّبا فيها فحنوا لذلكا (١)

فالوطن تجلى هنا وألقى بظلاله من خلال تقليب ذاكرة الحياة الأولى ، حياة الصبا والشباب .
ويضل حضور الوطن ملحاً حتى يبلغ الشاعر معه حد المبالغة ، فهذا ابن الأبّار الأندلسي يقصر طرفه على بلدته بلنسية ، فلا ينصرف عنها ولو عنت له الحور العين يقول :

وطرفي ليس يعنيه سواهـــا ... ولو عنت له حور الجنان(٢)

ومثله شوقي الذي قال وقد اغترب عن وطنه إلى أسبانيا ((وهناك أخذت الكأس تمتلئ بالعاطفة الوطنية)) (٣)

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي (٤)

وكل ذلك يرجع إلى دور المكان الذي استوطنه المرء في بعث عاطفة الحب ، وامتلاك قلوب المحبين .

٢- **ومن الأماكن التي لها حضورها البارز والمؤثر في الشعر : (المكان المقدس) الذي اكتسب قداسة دينية تميزه عن غيره** ، وباعث هذا الحضور تلك العواطف والروحانيات الدينية التي يعكسها المكان ، إذ المكان هنا مرتبط بمعتقد الشاعر ، بمعنى أن البعد المكاني يمازج الحس الديني عنده .

ولعل أظهر مثالٍ على هذا الملمح تلك الأماكن التي أكسبها الله قداسةً ومكانةً عظيمة في الدين الإسلامي ، حتى غدت أمكنة لها مُكْنَة وحضور في وجدان كل مسلم على وجه المعمورة.وقد امتلأ ديوان الشعر العربي والإسلامي من لدن صدر الإسلام الأول إلى يوم الناس هذا بمسميات هذه الأماكن المقدسة ، التي أظلت بجلالها وعظيم مكانتها على مشاعر الشعراء فنقشوا ذلك في

---

(١) ديوانه ص (١٨٢٦)

(٢) ديوانه ص (٣٤٠) قراءة وتعليق / عبد السلام الهّراس ط / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف المغرب .

(٣) د / شوقي ضيف ((شوقي شاعر العصر الحديث)) ص ١٣٤ ط / ٦ / ١٩٧٥ م دار المعارف - مصر-

(٤) الشوقيات : ص ٠٤٥ ح / ٢ط / ١ د٠ ت دار الكتاب العربي بيروت – لبنان - وفي بيت ابن الأبّار وكذلك شوقي مبالغة . فليس شيئاً قرين الجنة يُطلب ويُرجى ولعل الشاعرين يعيا ذلك ولم يقصدا له إلا من باب بيان المكانة الكبيرة التي يمثلها موطنهما من قلبيهما خاصةً وأنهما انتزحا من بلديهما - بلنسية ومصر - كرها .

أشعارهم ، ورقموه في أسفارهم [١] ، وعبروا عن تلك المشاعر بأصدق تعبير ، وبعاطفة حارة صادقة ، فمكة بحرمها ، ومشاعرها ، وبطاحها ، وتأريخها ، والمدينة - مأوى رسول الله ﷺ حياً ومثواه ميتاً - بحرمها وآكامها وحرّاتها ، وتأريخها ، والقدس بمسجدها وصخرتها ومأساتها على مر العصور وواقعها الأليم ، أماكن حضرت عند الشعراء وكان لها تأثيرها البالغ ودلالاتها الواسعة - ولا ريب - فهي بقاع مقدسة لها ارتباط وثيق بالمعتقد والدين [٢]

وقد تنساب أماكن أخرى لها دلالات دينية في العمل الشعري ، يستدعيها غرضه ، كالمسجد والمحراب ، والمنبر والمئذنة ، والمصلى ، والمعتكف ، وغيرها من الرموز الدينية التي تأتي تبعاً لمعتقد الشاعر ومذهبه .

ومن هنا نقول : إن (المكان المقدس) يأتي فيمازج الحس الديني لدى الشاعر فيصبح بذلك في الطليعة بين الأماكن الأخرى [٣]

ومما يدخل في إطار اكتساب المكان منزلةً كبيرة من خلال بواعث كثيرة يبزها الباعث الديني **تلك الأمكنة التي كان لها سالف عهدٍ وقصة مجد في الإسلام** ، وكانت مدرجاً لقوم من المسلمين أحياءً وكفْتَةً لهم أمواتاً ، ثم دالت عليها الأيام فأصبحت نهباً في يد الأعداء ، ولم يبق لأهلها إلا شواهد المكان التي تحكي تاريخاً سلف ، ومجداً ضاع ، لتبعث بذلك شجىً وأسىً يخالطه إكبار لهذه الحضارة ، ولتلك الأيدي التي صنعتها .

---

(١) جمع سفر وهو الكتاب الكبير.

(٢) تناولت بعض الدراسات الشعر الذي قيل في (الأماكن المقدسة) ينظر مثلاً لذلك : د / إنصاف بخاري (مكة والمدينة في الشعر في المملكة العربية السعودية) (رسالة دكتوراه) مخطوطة . (١٤٢٠هـ) كلية التربية للبنات بمكة وبعض الإشارات في كتاب (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر) د / حسن الهويمل ، وكذلك سليمان سالم الجهني (صورة المدينة المنورة في الشعر السعودي الحديث) (رسالة ماجستير) مخطوطة - جامعة أم القرى -

(٣) من دلائل العلاقة المكينة بين (الشاعر) و (المكان المقدس) عشرات الدواوين والأعمال الشعرية التي تحمل عنواناتها اسم أحد هذه (المقدسات) وخاصة المسجد الأقصى .

وليس بعازب عن متعاطي الأدب تلك القصائد التي بكت الأندلس (المكان) ، ورثته كما يرثى الإنسان ، على امتداد العصور الأدبية التي تلت سقوطها ، أو تلك التي قيلت في أثناء الحدث [١] .

ولم تكن الأندلس لتظل في ذاكرة الشعر العربي إلى يوم الناس هذا ، لولا تلك العاطفة الدينية وذلك الباعث الشعوري ، بأنها جزء من جسد الأمة مسلوب .

ومثل الأندلس تلك الأماكن التي كانت في حوزة المسلمين ثم دالت إلى غيرهم ، فبكاها الشعراء من منطلق ديني ، وعبروا عن ذلك من خلال قصائد تمتلئ حسرة وألماً .

٣- **وإذا ما انتقلنا إلى باعث أو ملمح آخر ، للنظر في مظاهر الحضور المكاني من خلاله تبدي لنا (المكان) منزلاً للمحبوب ، ومأوىً له ، ومسرحاً لقصة الحب بكل أدوارها** ، وأول ما يواجهنا من ذلك تلك المقدمات الطللية التي ارتبط (الطلل) (المكان) فيها بالمحبوب ، وذكرياته وآثاره ، وشاهد ذلك التضايف بينهما في غرر شعر الجاهلية (دار عبلة) ، (دار مية) ومثل هذا كثير في الأدب العربي ، (فالمكان) يكتسب أهميةً ومكانةً لأنه دار الحبيب ومنزله بل إنه قريبٌ من النفس لائطٌ بالقلب ، ولو كان مقفراً ومجدباً بعيد الشقة ، يستحلي الشاعر ذكره ، ويكثر من ترجيع اسمه وتكراره في قصائده، وإن عذل العذّال ، ولام اللوّام . ومن هنا نجد (المكان) يكتسب مكانته ، وملاحته من مكانة وملاحة المحبوب ، الذي ينزل أو كان نازلاً بساحته ، فترى الشاعر يمنح المكان قدراً من الحب كالذي يمنحه لمحبوبه .

يقول ذو الرمة (غيلان ميّ) :

لقد كنت أهوى الأرض ما يستفزني ... لها لشوق إلا أنها من ديارك [٢]

---

(١) من أسير وأشهر القصائد في هذا الباب قصيدة أبي البقاء الرنُدي انظر : نفح الطيب ٦ / ٢٣٢ وكذلك قصيدة ابن الأبار الأندلسي انظر : نفح الطيب ٦ / ٢٠٠ وديوان الشعر الأندلسي يفيض بهذا الرثاء .

(٢) ديونه ص ١٧٢٥ ج / ٣ صنعة أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي تح / عبد القدوس أبو صالح ط / ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق -

فهو هنا ((يحب الأرض التي تنزل بها ، ولا يهزه الشوق إليها إلا لأنها بها)) [١]

ولعمرو بن قعاس المرادي :

ألا يا بيت بالعليـــــــاء بيتُ ولولا حب أهلك مَا أتيت [٢]

ويقول ابن الدمينة :

وإن الكثيب الفرد من أيمن الحمى إليّ وإن لم آتــــــه لحبيب [٣]

ويقول سوّارُ بن المُضرَّب :

ألم ترني وإن أنبأت أنـــــــي طويت الكَشْحَ عن طلب الغواني
أحب عُمـــان ، من حُبّي سُليمى وما طبي بحب قرى عمــــان ؟
علاقةَ عاشق وهوىً متاحــــاً فما أنا والهوى متدانيــان [٤]

ومن ذلك البيت الذي ساقه الراغب الأصفهاني في (محاضرات الأدباء) لأعرابي :

وإن تدعي نجداً أدعه ومن به وإن تسكني نجداً فيا حبذا نجدُ [٥]

ولقيس بن الملوح المدله بحب ليلى :

وما بوسي التراب لحب أرض ولكن حب من وطيء الترابا [٦]

فتأمل في الأبيات السابقة لتبين لك معادلة الارتباط بين (المكان) وبين (المحبوب) تلك المعادلة التي تبعث الشوق ، والحب ، وتلقي بأسباب التعلق بـ (المكان) في نفس الشاعر فينصرف إليه ، يناجيه ويناغيه ، ويمنحه الدعوات الخالصات بالسقيا والإمراع •

---

(١) د / يوسف خليف ((ذو الرمة شاعر الحب والصحراء)) ص ١٣٤ ط / ٢ / ١٩٧٧م دار المعارف - مصر -

(٢) الأخفش الأصغر (الاختيارين) تح / فخر الدين قباوة ص ٢١١ ط / ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م مؤسسة الرسالة - بيروت -

(٣) ديوانه ص ١١٨ صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب تح / أحمد راتب النفاخ ط / ١٣٧٩هـ مطبعة المدني — القاهرة -

(٤) الأخفش الأصغر (الاختيارين) ص ١٠٥ •

(٥) الراغب الأصفهاني (محاضرات الأدباء) تح / عمر الصباغ ص ٣٩ ج /٢ط /١ / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م دار الأرقم بن الأرقم •(ونجد) من أوفر الأماكن حظاً ونصيباً من جهة معادلة الارتباط بين المكان والحبيب •

(٦) ديوانه ص ٤٤ ط / ٢ / ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م شرح / يوسف فرحات دار الكتاب العربي بيروت •

كما في قول جرير :

ألا حييا الأعراف من منبت الغضا   وحيث حبا حول الصريف الأجارع
سلمت وجادتك الغيوث الروابع   فإنك وادٍ للأحبة جامع [١]

ومثله في ذلك ذو الرمة إذ يقول :

ألا فآسلمي يا دار ميٍّ على البلى   ولا زال مُنهلاً بجرعائك القطر [٢]

وقد تنبه أبو تمام إلى هذه المعادلة ، فساق ذلك دليلاً منطقياً في بيتين مشهورين له يقول فيهما :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى   ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى   وحنينه أبداً لأول منزل [٣]

والمطالع لأشعار العرب ، قديمها وحديثها ، يرى (المكان) يأخذ صورة (المرأة) الحبيبة أحياناً ويخاطب بخطابها ، بل يجد تبادلاً بين (صورة المرأة) وبين طبيعة المكان في تركيبة الصورة الشعرية عند كثير من الشعراء [٤] .

((ولعلنا نستطيع أن نقول : إن المكان قد سرت فيه الشاعرية ، حين امتزج بالمرأة فأصبحت توصف به مثلما يوصف بها ، في عدد من السياقات الشعرية)) [٥] .

٤- وقد يبرز المكان ويصبح ظاهرة في تشكيل النص الشعري ، لا نستطيع تجاوزها ، وذلك حينما يلج بوابة النص ، وينبث في أثنائه **بجمال طبيعته وبديع خلقه** . تلك الطبيعة التي تكاملت مظاهرها في عين الشاعر ، فانسابت في نفسه فوقف عندها ، واستحضر جمالها ، ورسمه بريشة شعره وأفاض عليه من كوامن وخوالج نفسه ، تلك النفس التي لا تنفك بين سرور وحزن .

---

(١) ديوانه بشرح محمد بن حبيب ص ٩٢١ م / ٢ ج / ٣ ط / ٢ / ١٩٧٦ م تح / د / نعمان محمد طه دار المعارف - مصر -

(٢) ديوانه ص ٥٥٩ ح / ١

(٣) ديوانه ص ٤٦٣ ضبطه وشرحه شاهين عطية د . ت دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

(٤) سيأتي النظر في هذا بتوسع في الفصل الأول المبحث الثاني .

(٥) د / جريدي المنصوري (شاعرية المكان) ص ١١٩ ط / ١ / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م دار العلم للطباعة والنشر - جدة - .

وفي إشارة عجلى تقتضيها طبيعة هذا التمهيد ، نأتي على أبرز مظاهر حضور (المكان) بطبيعته البديعة في النص الشعري ، لنجد أن أثر الطبيعة لا يقف عند حد تأثير الجمال ووصف مظاهره ، وإنما يتعدى ذلك إلى إنعام النظر في عالم الطبيعة الساحر ، والتأمل في عجيب تركيبها ، وبديع صنعها ، واستحضار عظمة وقدرة مركبها وصانعها ، لنظفر في النص بوقفاتٍ إيمانية ، تمجد الله تعالى الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه ، ولا يعزب عن الألباء أثر ذلك في بعث نور اليقين في النفس ، ثم هو قبل ذلك استجابة لدعوة القرآن في غير ما آية ، للنظر والتأمل في الكون.

وقد تصبح الطبيعة مهرباً ، وملجأً ، ووجهة للشاعر ، يبثها ألمه وحزنه ، وضجره مما حوله ويبحث في جنباتها عن البديل ، ((فإن لنفس الشاعر الحزين من الطبيعة دواعي كثيرة ، لقرض الشعر ، فإنها تناجيه فيكلمها ، ويبثها أحزانه فتسمعه ، صاغية إلى شكواه ، لما بين نفسه وجمال الطبيعة من ارتباطات))[١] ٠

وبعيداً عن تعامل الشعراء مع الطبيعة ، بين شاعرٍ وصّاف ، وآخر متأمل ، وثالث هارب أسوق بين يدي هذا الملمح أو الباعث من بواعث حضور المكان ، مثالاً أجلي من خلاله أثر طبيعة (المكان) - التي تأسر بجمالها ، وتفتن برياضها ، في نفس الشاعر من خلال هذا الجمال وهذه الرياض ، وبعيداً عن أي مؤثر آخر ٠

ذلكم المثال هو قصيدة المتنبي في (شعب بوان) ، التي تعد من جياد القصائد ، فقد وقف المتنبي في ناحية من هذا الشعب ، يرجع بصره في جماله كرةً بعد كرة ، فلا تسأل عن أثر جمالٍ كجمال (شعب بوان)[٢] ، في ذاتٍ شاعرةٍ كذات أبي الطيب . رغم انعدام العلاقة بين الشاعر والمكان ، والذي ألمح إليه المتنبي بقوله :

ولكن الفتى العربي فيهـــا غريب الوجه واليد واللسان[٣]

إلا أن المكان يتشكل تشكلاً بديعاً ، في الثمانية عشر بيتاً الأولى من القصيدة ٠ نسوق منها قول أبي الطيب :

---

(١) د / محمد حسن علي مجيد (فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث ص ٧٣ ط / ١٩٨٨ م دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام - بغداد -

(٢) من مدهشات الجمال في العالم قال عنه العكبري صاحب التبيان في شرح الديوان (موضعٌ كثير الشجر والمياه يعد من جنان الدنيا كنهر الأبله وسغد سمر قند وغوطة دمشق) ص ٢٥١ ج / ٤ وانظر كذلك ياقوت الحموي (معجم البلدان) ص (٥٠٣) ج (١) ٠

(٣) ديوانه بشرح العكبري ص ٢٥١ ج / ٤ تح مصطفى السقا وآخرون ، دار المعرفة - بيروت -

مغاني الشعب طيباً في المغاني | بمنزلة الربيع من الزمـــان
ولكن الفتى العربي فيهـــا | غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جِنَّة لو سار فيهـــا | سليمان لسار بترجمـــان (١)

ويبلغ أثر (المكان) والإحساس به في نفس المتنبي مبلغه لـ ((يخلع هذا الإحساس الرائع على ما حوله؛ على حصانه ، وإذا الحصان يرى الحياة وقد ارتدت هذا الثوب المغري تستحق العناية وتستحق الحرص)) (٢) :

يقـــول بشعب بوان حصاني | أعن هذا يسار إلى الطعـــان
أبو كم آدم سنّ المعاصـــــي | وعلمكم مفارقة الجنان (٣)

وإذا ما امتد بنا النظر إلى جانب آخر ، وجدنا أن الشعراء استمدوا من مظاهر الطبيعة صوراً كثيرة ، ورمزوا بها إلى كثيرٍ من الأوضاع النفسية التي يعيشونها ، بل عمدوا إلى تلك المظاهر ووظفوها في بنية النص وفق غرضه من مدح وفخر وغزل وهجاء .

وسأكتفي هنا بالجبل كمظهر من مظاهر الطبيعة ، استمد الشعراء منه كثيراً من الصور والرموز ووقفوا أمامه ليمنحوه ((إحساساً ويضفوا عليه شعوراً من الإنسانية))(٤) كالرزانة ، والهيبة والقوة ، والثبات ، والخلود ، يقول الفرزدق :

أحلامنا تزن الجبال رزانـــــةً | وتخالنا جناً إذا ما نجهـــلُ (٥)

فأحلامهم موازنة لرزانة الجبال ، وثباتها ، ونجد مثل هذاالتوظيف للجبل (المكان) عند ذي الرمة ، عندما نعت ممدوحه بالحلم ، الذي وازن أقله الجبال الراسية :

فتى السن كَهْل الحلم تسمعُ قوله | يوازن أدناه الجبال الرواسيا (٦)

وهذا ذو الرمة مرة أخرى يستحضر (الجبل) ، ويوظفه دلالة على الخلود :

---

(١) السابق : ٤ / ٢٥١ - ٢٥٢

(٢) محمد شرارة (نظرات في تراثنا القومي) تح د / حياة شرارة ص ١٤٥ ط / ١ / ١٩٨٢ م المؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان -

(٣) ديوانه : ٤ / ٢٥٥ - ٢٥٦

(٤) نوري حمودي القيسي (الطبيعة في الشعر الجاهلي) ص ٢٤٢ ط / ١ / ١٩٧٠ م دار الإرشاد – بيروت -

(٥) ديوانه : ص ١٥٧ ج / ٢ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م دار بيروت للطباعة والنشر

(٦) ديوانه : ص ١٣١٦ ج / ٢

بني لكم المكارم أوّلوكـــم فقد خلدت كما خلد الجبال [١]

ويأتي الفرزدق أيضاً (بالجبل) دلالةً على القوة والثبات :

فادفع بكفك إن أردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل [٢]

وقد يعمد الشاعر إلى (الجبل) (المكان) من خلال (التشخيص) فيسرد على لسانه أحداثاً وصوراً من الماضي ، تعاقبت تعاقب الليل والنهار ، وامتلأت بالمتضادات والعجائب ، كل ذلك والجبل شاهد عدلٍ عليها •

وممن عمد لذلك فأجاد ابن خفاجة الأندلسي في قصيدة مشهورة له مطلعها :

بعيشك هل تدري أهوج الجنائب تخب برحلي أم ظهور النجائب ؟

ومنها : وأرعن طماح الذؤابـــة باذخٍ يطاول أعنان السماء بغارب [٣]

ولعل الشاعر نظر إلى قصيدة سبقته في هذا المضمار لها شهرة قصيدته ، وهي قصيدة قيس العامري (مجنون ليلى) في جبل التوباد [٤] •

ومثل الجبل في الحضور غيره من مظاهر الطبيعة ، كالكثبان ، والأنهار ، والبحار ، والأزهار والأشجار ، ونحوها من المظاهر •

٥- **<u>ومما يبعث على حضور (المكان) مكانته في التاريخ والتراث</u>** وكونه أُسّيَر ذكراً من غيره وما يصاحب هذا الذكر من دلالات تراثية حضارية وحوداث تاريخية ، تجعل منه مورداً يمتّح منه الشعراء كثيراً من الصور ، والإيحاءات ، ويختلف الشعراء هنا في تناولهم (للمكان) الذي يمثل تاريخاً وأثراً من الآثار ، فمنهم من يتعلق بالعبرة دون الصورة ، أو العكس ، ومنهم من يتعلق بالعبرة والصورة معاً •

ومن وقف على أثرٍ تاريخي وقوف مصورٍ معتبر ، أبو عبادة البحتري ، فقد نزل باحة إيوان كسرى ، ونقل لنا صورته عبر وصف بياني بليغ ،حتى كأنه رأي العين وذلك في قصيدة عصماء هي (السينية) [٥]

---

(١) ديوانه : ص ٥٦٠ ١ ج / ٣

(٢) ديوانه ص ١٥٧ ج / ٢

(٣) ديوانه ٤٢ ، ٤٣ ط / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت -

(٤) ديوانه : ص ١٩٢

(٥) ديوانه : ص ١١٥٢ ط / ٢ د.ت تح / حسن كامل الصيرفي دار المعارف - مصر -

و لا ينسى البحتري وهو يصف إيوان كسرى ، التعلق بالعِبرة بعدما أخذته العَبرة وهو يدير النظر ، ويجيل الفكر ، في أطراف وجنبات إيوان كسرى ، لتتضافر بذلك دلالات (المكان) وإيحاءاته ، مع نفس البحتري المغتربة المضطربة على أن يظهر لنا ذلك الإبداع الشعري ٠

ولأن الشيء بالشيء يذكر ، فإن سينية شوقي (١) ، التي عارض بها سينية البحتري ، والذي كان عامل الأثر المكاني أول الروابط بينهما ، استحضرت (المكان) من خلال تاريخه وآثاره فالإيوان كان متكئاً لقصيدة البحتري ، تشكل في القصيدة تشكيلاً ظاهراً ، والأندلس حضرت في قصيدة شوقي ، من خلال تاريخها وآثارها ، إلى جانب غيرها من الأماكن التي لها حضور في التاريخ ، كونها حضارة قومٍ قضوا وبقيت هي شاهدةٌ على عظمتهم ، وجمال صنعتهم ولكونها - كذلك - شواهد وآثاراً نابتةً في أرض الشاعر ، ويمثل ذلك استحضار شوقي لأبي الهول (٢) ، والأهرام ، وغيرها من الآثار المصرية العريقة ، يصحب ذلك الاستحضار شعور العظمة والاعتبار ، وهو شعور نفسي بعثه المكان

ولعل في هذا الذي ذكرته غُنْيةً ، تعرفنا من خلاله على الباعث التاريخي ، والحضاري لاستحضار المكان في النص ، واكتفينا بمثالين ، استدعى أحدهما الآخر ، ويشترك معهما في هذا الباعث الكثير من نتاج الشعراء ٠

أما دلالة المكان التراثية فنجدها في ذلك الاستحضار الذي يعمد إليه الشعراء تقليداً للمورث الأدبي في الشعر العربي ، فتجدهم يذكرون العقيق ونجداً ، وثهلان وسلمى ، وأحداً وأجا وسلعاً ، ووجا ، وغيرها من الأماكن دون أن يكون لهذه الأماكن عندهم دلالة غير الدلالة التراثية ، التي وقفوا عليها عند أسلافهم الشعراء ، أو التمسوها من التاريخ المروي أو المكتوب ٠

---

(١) الشوقيات ص ٤٥ ج / ٢

(٢) لشوقي قصيدة كلها تساؤلات وحوار مع أبي الهول ينظر : الشوقيات ص ١٣٢ ج / ١ ٠

٦- من خلال هذا الملمح نقف عند **(المدينة والقرية)** والدلالة المكانية لهذا الثنائي المتضاد في جوانب كثيرة ، ورغم أن هذا (الثنائي) يدخل ضمن (الوطن) الأرض الأم ، والذي سبقت الإشارة إليه [١] ، وإلى حضوره الملح عند الشعراء ، إلا أني رأيت إفراده بالإشارة هنا ، لكون حضور (المدينة والقرية) يكاد يكون ظاهرة يختص بها الشعر الحديث ، وتبرز عند كثير من شعرائه [٢] ، وأعني بالحضور التقابل بينهما في النص الشعري ٠

وإذا ما أردنا الوقوف عند هذه الظاهرة ، فإننا واجدون اختلافاً بين مواقف وعواطف هؤلاء الشعراء ، تجاه هذا الثنائي (المدينة والقرية) ٠

فهناك من الشعراء من امتلأ قلبه حنيناً إلى قريته التي يرى فيها مهرباً من ضجيج وصخب المدينة فتراه دائم الاستدعاء لكثير من مظاهر الحياة في (القرية) لتتوافد عليه ذكرياته ، وسني عمره الأولى في جنبات هذه المظاهر ، وقد يمتلىء النص الشعري عند بعض الشعراء بالكثير من الرموز التي ترمز إلى حنينه للحياة الهادئة في القرية ، وموقفه المعادي من حياة المدينة ، تلك الحياة التي تتسم بالسرعة فلا مجال فيها للراحة ولا للتلاقي بين الأحباب ، بل يغيب فيها وجه التكافل ومظهر السؤال عن الحال ، وتتسع هذه النظرة السالبة عند بعض الشعراء لتأخذ المدينة عندهم صورة امرأة متعهرة [٣] تبذها النفس ٠

وهناك من الشعراء من كان مغايراً لهذه الوجهة ، قد ارتضى الحياة المدنّية وامتدح كثيراً من مظاهرها التي تتفوق بها على (القرية) دون أن ينسى بعض الجوانب السالبة التي تخدش

---

(١) انظر ص ١٣ ، ١٤ من هذا التمهيد ٠

(٢) هناك دراسات عنيت بهذا الجانب الذي له علاقة بالشعر المعاصر فإلى جانب الدراسات التي تمثل فصلاً من فصول بعض الكتب يبرز لنا عملان تناول كل عمل واحداً من هذا الثنائي (المدينة والقرية) في الشعر المعاصر وهما :

د / مختار علي أبو غالي (المدينة في الشعر العربي المعاصر) ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ط – المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب - الكويت - ٠

د / منصور نصرة (القرية في الشعر العربي المعاصر) (١٩٩٦ م) ت / مركز الاسكندرية للكتاب – الأسكندرية -

(٣) انظر في ذلك : إحسان عباس (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) ط / ٢ / ١٩٩٢ م دار الشروق بيروت ٠ ولتقف على بعض النماذج انظر : ص ٩١ ، ١٠١ من الكتاب ٠

جمال المدينة ، ليعرض لها عرض الناقد الذي يريد التصحيح .

إلا أننا قد نفجأ ونحن نطالع هذه المواقف ، بموقفٍ متناقض من هذه الثنائية (ثنائية المدينة والقرية) فالمدينة تمثل عند الشاعر (المكان المعادي) لما توافرت عليه من صخب وغربة وغياب لمظهر التكافل ، والتآلف ، والتعاون ، الذي يعم الحياة القروية ، ويمثل عنصراً من عناصر استمرارها ، ويتم ذلك للشاعر عن طريق المقارنة بين المكانين ، ثم لا نعدم أن نرى (المدينة) في صورة أخرى ، تعكس رضا الشاعر وقبوله للحياة المدنّية لكونها عنده أفضل من الحياة القروية المتخلفة عن مسار الحياة المعاصرة ، وإن كان لا يقف عند حد القبول المطلق ، بل تراه يستشرف (مدينة المستقبل) أو (المدينة الحلم) وهي ما يسمى عند بعض الدارسين (يوتوبيا utopia)[1]. أي مدن الأحلام التي يبتنيها الشعراء في خيالهم .

وتظل هذه المواقف المتباينة والصراع بين المدينة والقرية في فكر الشعراء المحدثين - ولا ريب - تبعاً للجانب النفسي عند الشاعر فهو يبين عما حوله ، بلسان نفسه ومن خلال طبيعتها .

٧- وقد يتنازع (المكان) **عواطف وبواعث مختلفة** (وليس كل الأماكن يستطيع المرء أن يجد له في الفكر الشعري صورة واحدة ، أو يجده يثير عاطفة واحدة لأن هذا يخضع لأمور تتعلق بطبيعة المكان ، والشعراء ، والمواقف ، وحركة التاريخ ، حتى جاز أن نجد (المكان) تتنازعه النقائض من العواطف)[2] .

وقد عرضنا - باختصار - لتلك العواطف والبواعث فيما سبق من الصفحات ، ولا شك أن اجتماع هذه المؤثرات ، والبواعث (للمكان) في آن واحد ، له أثره البالغ وحضوره البارز .

---

(١) كلمة إغريقية وتعني المدينة الفاضلة أنظر ماريالويزا (Journey throu ghutopia) ترجمة د . عطيات أبو السعود ط / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م سلسلة عالم المعرفة ع (٢٢٥) - الكويت - .

(٢) د / جريدي المنصوري (شاعرية المكان) ص ٢٣

ثانياً : المكان بين دلالة الإيجاب ودلالة السلب [١] :

((يرتبط المكان بالشعر فيفيض عليه الشعر من الخيال وظلال الفن ما يترامى به إلى آفاق الخيال فيبث فيه روحاً جديدة ، ويهبه شاعرية ، تمنحه قبولاً لدى المتلقي ، أو كراهية من خلال ما يرتبط به من معانٍ نفسية ، وانفعالات وجدانية ، ومواقف إنسانية)) [٢] ليصبح المكان بذلك ذا دلالات مختلفة عندما نمايز بينها نجد أنها تأتي على صورتين :

صورة موجبة ، ويقابلها صورة أخرى سالبة ، ونعني بالصورة هنا تلك التي يلقي بظلالها المكان فترتسم في بنية النص الشعري ، لتحكي مرةً رضا الشاعر واغتباطه وإعجابه وما يتبع ذلك من الدلالات التي تعكس إيجابية المكان •

ومرة تحكي كون المكان باعثاً للكآبة ، والتشاؤم ، والضيق ، إلى غير ذلك من الدلالات التي تتآصر لتعكس سلبية المكان ، ومن ثم ترتسم صورتهما في أثناء النص الشعري ، وهاتان الصورتان تأتيان - ولا ريب - تبعاً لموقف الشاعر ونظرته للمكان ، تلك النظرة التي تقوم على بواعث وأسباب مختلفة •

فالمكان قد يكون عند الشاعر ، (الوطن) بكل ما يرمز إليه من قرارٍ وأمان ، واجتماع أهل وقرب أحباب ، وقد يكون مخزناً لذكرياتٍ حلَى ذكرها في صدر الشاعر ، أو منزلَ محبوب أو هو مكان أسباب الرزق فيه ميسورة ، وقد يطيب المكان للشاعر بأهله ونازليه ، وقد يلج إلى نفس الشاعر بجمال طبيعته وحسن هوائه ، إلى ما هنالك من الجواذب الماتعة ، وكلها مدعاة إلى أن يتشكل المكان في النص الشعري ، في صورةٍ لها دلالات إيجابية ، تعبر عن رضا الشاعر ومكانة المكان في نفسه ، ومن يُنَقِّر في مكتبة الشعر العربي ، يقع نظره على كثيرٍ من هذا القبيل [٣] •

---

(١) يعبر بعض دارسي المكان عن هذا الجانب بـ (المكان المألوف والمكان المعادي) أنظر (جماليات المكان) لغاستون باشلار •

(٢) صالح بن سعيد الزهراني (اللغة الكونية في جماليات الفكر الشعري في بائية ذي الرمة) ص ٨٤ ط / ١ / ١٤٢٣٠هـ - ٢٠٠٢ م معهد البحوث العلمية - جامعة أم القرى •

(٣) لم أسق شواهد هنا اكتفاءً بما سبق إيراده في الصفحات السابقة ولو فرة مثل هذه الشواهد في ديوان الشعر القديم والحديث • ويكاد كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي أن يمتليء بهذا النوع من الشعر الذي يحكي إيجابية المكان أو سلبيته • وقد قام جورج خليل مارون بجمع هذه الأشعار في كتابه (شعراء الأمكنة وأشعارهم في معجم البلدان) ط / ١ / ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م المكتبة العصرية - بيروت -

وفي المقابل قد يكون (المكان) عند الشاعر موطن نحسٍ ، ومصدر إثقال على النفس نتيجة فوات مرغوب ، أو حصول مكروب ، أو غياب محبوب ، وقد يكون أهل المكان ونازلوه ممن ساءت عشرتهم ، لا يقدرون المرء قدره ، ولا ينزلونه منزله ، وقد ينظر الشاعر إلى المكان نظرة ضجرٍ ، بسبب طبيعته الجغرافية ، والمناخية ، وبسبب كثرة هوامّه ودوابّه [١] وتبين هذه النظرة خاصةً عند أولئك الذين ينزلون المكان من غير أهله ، وذلك لغياب فطرة حب الوطن التي تدفع - كثيراً - هذا الشعور [٢] .

كل هذه الأشياء - ولا ريب - أمورٌ تصنع سلبية (المكان) ودونك - في ذلك - بعض الشواهد : يقول أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري المعروف بالسميسر في ذم غرناطة :

قالوا أتسكن بلـــدةً ... نفس العزيز بها تهـــون
فأجبتهم بتــــأوه ... كيف الخلاص بما يكـــون
غرناطة مثوى الجـــــ ... ـين يلـــذ ظلمته الجنين [٣]

فغرناطة عند الشاعر ، بلدة تهون بها نفس العزيز ، فتضيق به الحياة فيها أو يكون بقاؤه بها اضطراراً ، لا اختياراً ، وهذه أسباب تتضافر لتصنع سلبية (المكان) .

وممن دفعت به الحوادث ، والظواهر الاجتماعية غير المستقيمة ، إلى أن ينظر إلى المكان نظرةً

---

(١) انظر قصيدة علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى ، يشكو داره ويذمها لكثرة دوابها وهوامها ، وفيها طرافة أوردها الأبشيهي في مستطرفه ص ٩ ج ٢١ ط / ١ / ١٤١٦هـ تح / درويش الجويدي المكتبة العصرية بيروت .

(٢) تأمل قول الشاعر وفيه ما ينهض بالذي قلته :

بلادٌ ألفناها على كل حالـــة ... وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
ونستعذب الأرض التي لا هوا بها ... ولا مـــاؤها عذبٌ ولكنها وطن

المستطرف للأبشيهي : ص ٨٠ ج ٢

(٣) د / مصطفى الشكعة (الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه) ص ٢٧ ط / ٩ نقلها من كتاب (الذخيرة) لابن بسام ق / ١ مج ٢ ص ٣٧٦ تح / جامعة القاهرة نشر / لجنة التأليف والنشر . ومثل غرناطة قرطبة فقد نالها من الذم أقذع مما نال غرناطة وذلك في أبيات لابن شهيد وردت في ديوانه ص (١٣٨) ط / ١ / ١٩٩٧ م تح محي الدين ديب المكتبة العصرية - بيروت - فلتطالع هناك .

سلبية ، شاعر النيل حافظ إبراهيم ، الذي ذم وطنه مصر في بعض أبيات [١] متأثراً بما يراه وما يسمعه ، من الأحوال والأقوال ، التي لا تقبلها نفس كل حرٍ أبي ، يقول حافظ :

ومــا مصــر دار الأديب ولا هي بالبلــــد الطيب

(وكم ذا بمصر من المضحكات) كما قال فيها (أبو الطيب) [٢]

وقد تأتي سلبية المكان كما ذكرنا من قبل بسبب طبيعته ومناخه ، الذي لا يطاق وله أثره السيئ على عافية البدن ، ونرى مثل ذلك عند معروف الرصافي في ذمه لمدينة البصرة :

إياك والبصرة المضني توطنهـا فلا تمرّن فيهـا غير مضطعن

لا تعجبنك بالأشجار خضرتهـا حسناً فما هي إلا خضرة الدمن

ما إن أقام صحيحٌ في مساكنهـا إلا وسافر عنه صحة البـدن

ماءٌ زعاقٌ وجو قاتمٌ وهــواً نتن وشدة حـر غير مؤتمن[٣]

ونلمس - أيضاً - مثل هذا في تعامل الشعراء مع الطبيعة ، بعناصرها المختلفة ، حيث الهدوء والجمال ، فالشاعر يأتي إليها باحثاً في أحضانها عن البديل ، إلا أن مشاعر الحزن والكآبة تظل قابعة في نفس الشاعر ، ((لذا يقبل الشاعر على الطبيعة وقد وطن نفسه على الاستمتاع بما فيها من صفاء وجمال ، فإذا بتلك الكآبة الدائمة تنبثق من وجدانه في اللحظة التالية ، فتحيل ما كان يفترض أنه مصدر للمتعة والسعادة ، مثاراً للهواجس ، والتشاؤم ، والشكوى))[٤]

---

(١) هذا شعورٌ عارض نتيجة أسباب عارضة ألهجت الشاعر بهذه الأبيات وأدته إلى هذا المعنى ولكن هذا لا يزاحم الحب الذي كان يحمله الشاعر لمصر أليس القائل ؟ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر كثيرة العشـاق

إني لأحمل في هواك صبابـة يا مصر قد خرجت عن الأطواق

(ديوانه : ٢٧٩ ج / ١)

(٢) ديوانه ص ٢٥٦ ج /١ ط / ١٩٦٩م ضبط وشرح أحمد أمين وآخرين الناشر محمد أمين د حج - بيروت
- وفي البيت الثاني يشير إلى بيت أبي الطيب من قصيدة طويلة يقول فيه :

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

ديوانه بشرح العكبري ص ٤٣ ج / ١

(٣) ديوانه : ص ٦٣٢ ط / ١٩٧٢ م دار العودة - بيروت -

(٤) د / عبد القادر القط (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر) ص ٣٠٣ ط / ٢ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م دار النهضة العربية للطباعات والنشر - بيروت - ٠

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن الحالة التي عليها نفس الشاعر ، هي الريشة التي ترسم المكان لتشكل شخصية (المكان) في النفس ، وهي ذات دلالة موجبة ، أو ذات دلالة سالبة ، دون إغفالٍ لطبيعة المكان ، التي تفرض هذا الشعور ، أو تساعد عليه [١] .

ثالثاً : المكان بين الواقعية والتخيل :

عرفنا من قبل ، أن هناك علاقة - بشكل أو بآخر - بين الشاعر والمكان ، تقوم على أسباب وبواعث مختلفة ، ((وعلاقة الشاعر بالمكان ذات أبعادٍ متعددة ، تستحضر الواقعي والخيالي والوهمي ، ويكفي أن الشاعر يعيش في المكان على مستوى الوجود الحقيقي ويسبح في عالمه الشعري ، فيستحضر المكان من المعرفة الثقافية ، ويقيم لنفسه وجوداً فيه ، أو يعدل من صورة المكان الحقيقي ، كما يخترع المكان في الفن ويحتله في الوجود)) [٢] .

إذاً فتشكيل (المكان) في الصورة الشعرية يكون من خلال الواقع ، وقد يقوم بنسج تشكيله خيال الشاعر ، دون أن يكون له حقيقة ، أو مثال واقعي .

ويراد **بالمكان الواقعي** ، ذلك المكان الذي له حقيقة في الوجود ، كونه مكاناً معاشاً ومحسوساً يرتبط الشاعر به من خلال علائق مختلفة ، فهو : الوطن بمعناه الشمولي أو المدينة ، أو القرية أو البيت ، أو قد يكون شكلاً من أشكال الطبيعة المختلفة ، أما **المكان (المتخيل)** فهو : ذلك المكان الذي ليس له وجودٌ في الحقيقة ، وإنما صنعه واستحضره خيال الشاعر ، لتقوم عليه صورته الشعرية ، ويلجأ الشاعر - أحياناً - إلى الاستعانة بالثقافة العربية في جلب بعض الصور الخيالية ، التي لها دلالات مختلفة وإلى تلك (الأساطير المكانية) التي تدور حولها كثيرٌ من القصص والخرافات .

ومن البدهي أن أثر (المكان) المحسوس الذي له وجودٌ في حياة الشاعر ، أبلغ وأقوى منه لو كان ضرباً من الخيال ، أو حلماً من أحلام اليقظة .

---

(١) من الأماكن التي رأى دارسوا شعرية المكان انضواءها تحت مسمى المكان المألوف (المسجد ، البيت المكان الجميل بطبيعته) كما رأوا انضواء : (السجن ، الصحراء ، البحر ، القبر ، الأماكن المخوفة والمهجورة) تحت مسمى المكان المعادي .

(٢) د / جريدي المنصوري (شاعرية المكان) ص ١٠ ، ١١ .

غير أن هذا لا يعني وقوف الشاعر في تعامله مع (المكان الواقع) عند حد الواقعية المكانية دون أن يكون للخيال حضورٌ في بعض زوايا المكان •

ولكن الشعراء يختلفون هنا ، فمنهم من يقف عند حد (الواقعية) ومنهم من يسمح لخياله أن يتعامل مع المكان ، لنظفر ببعض الخطوط والجماليات ، التي أبدعها خيال الشاعر ، وذلك لمكانة المكان من نفسه ، وقد ينتهي توظيف الخيال عند بعض الشعراء إلى حد المبالغة في نعت المكان ، وبيان مكانه من النفس •

رابعاً : الشعر معجم مكاني :

يكثر ورود المواقع والمسميات المكانية ، عند بعض الشعراء مما يجعل القصيدة أو مجموع القصائد معجماً مكانياً ، يلجأ إليه المعنيون بدراسة تقويم البلدان ، وجغرافيتها وكذلك المعنيون بالضبط الصحيح لاسم المكان ، خاصة تلك المسميات التي يحصل معها لُبْسَةٌ وخلطٌ مع غيرها من الأسماء ، لا تفاقها في صورة الحروف واختلافها في شكل الضبط •

كما أن القَوَمَة على تاريخ البلدان ، يجدون في الشعر بعض الإشارات إلى أماكن كثيرة ، لهم عنايةٌ بها من حيث الموقع ، والدور الحضاري ، بل قد يصل الأمر إلى أن يكون الشعر هو المرجع الأول في سَوْقِ أحداثها التاريخية (١) •

وقد يعمد بعض الدارسين إلى البيت من الشعر ، فيجعله بيِّنة قاطعة على حد مكان ما وكذلك على ارتباطه بالحدث الذي يدير الكلام حوله •

وقد يعلل لهذه الظاهرة - وأعني بها تعدد الأمكنة في الشعر - طبيعة الشاعر نفسه ، فقد يكون رجلاً رُحَلَة - كما يقال - بمعنى كثير الرحلة ، والتنقل ، وهذا سبيل إلى أن تقع عينه على أماكن كثيرة ، أثّرت بشكل أو بآخر عليه فارتصفت في بُنية قصيدته وألفت بذلك جغرافية شعرية •

وقد يتأتى ذلك عن طريق التجزؤ المكاني (للمكان الأم) بمعنى أن الشاعر يحرص أن يسمي

---

(١) أشار إلى هذا الجانب د • شوقي ضيف وهو يدير الكلام حول دور الشعر في تدوين التاريخ - مقيماً من ابن المقرب شاعر الدولة - العيونية (أنموذجاً) انظر كتاب (في التراث والشعر واللغة) ص ١٥٣ - ١٧٠ د - ت ط / ١ دار المعارف - القاهرة -

أجزاء المكان (الأم) فيأتي على مواقع ، ومسميات كثيرة •

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نرى ظاهرة الأسماء المكانية ، بارزة عند الشعراء الصعاليك ، (إذ يطفح شعرهم بأسماء الأماكن البدوية الصحراوية حتى لقد تمثل ياقوت الحموي في معجم البلدان بكثير من أبياتهم ، ومقطوعاتهم على المواضع التي ذكرها ، وضبط شكلها ، وحدد مواقعها)[1] •

وقد ألمعت إلى هذا الجانب رغم أنه لا يدخل ضمن الأثر النفسي للمكان ، لقصد استيفاء العلاقة بين الشعر والمكان ، حتى ولو كان هذا الكلام أدخل في الجانب العلمي والتاريخي منه إلى الجانب الشعوري والوجداني •

وجلية الأمر : أن المكان شكلٌ من أشكال الحضور في بُنى القصائد ، ومظهرٌ من مظاهر التأثير له أثرٌ فاعلٌ في نتاج الشعراء ، وذلك - ولا ريب - تبعٌ لتلك البواعث ، والأسباب التي تستدعي حضوره ، لتتداعى ملامحه في تركيبة الصورة الشعرية ، موحية بدلالات مختلفة ، قد تبين لقارىء النص ، وقد تبقى خبيئة في نفس الشاعر •

كما أن المكان - بأشكاله ومظاهره المتعددة - منجمٌ غنيٌ ، وخصبٌ ، يقف عليه الشعراء ليجتلبوا كثيراً من هذه الأشكال ، والمظاهر ، ويوظفوها في صورهم الشعرية عن طريق التشبيه والاستعارة ، والكناية ، وأنواع المجاز الأخرى ، وقد يدفعوا بتلك المظاهر والأشكال ، لتكون أدلةً منطقية على أحكامهم وحِكَمِهم • ومن الشعراء من يعمد إلى تشخيص (المظهر المكاني) لينقله بذلك من صفة (الجماد) إلى صفة (الحيوان) من خلال إسباغ كثيرٍ من صور الحياة عليه ، فترى في أثناء النص حواراً وتشاكياً ، وتجاوباً ، ومواساةً ، بين المكان والشاعر ، وكل هذا يكفي ليكون دليلاً ، ينهض بوجود علاقة قوية بين (المكان والشعر) ، أدتني إلى رقم هذا الكلام وجعله تمهيداً لما سيأتي من النظر في النتاج الشعري موضع الدراسة . غير أن من اللازم أن يأتي ضمن هذا التمهيد وفي درجه ما يسبق النظر في هذا النتاج الشعري ، وهي إضاءات كاشفة ، وعبارات واصفة لأبها (المكان والجمال) وهي التي نفثت بفتنتها في أفئدة الشعراء ، وألقت بعصا سحرها أمام أعينهم ، فأستهوتهم بجمالها وراعتهم بروعتها ، فانفجرت قرائحهم عيوناً تفيض شعراً •

---

(١) محمد رضا مروة (الصعاليك في العصر الأموي : أخبارهم وأشعارهم) ص ١٣٧ ط / ١ ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م دار الكتب العلمية • بيروت – لبنان -

ب- أبها في رحاب التاريخ والجمال والشعر :

ليس من شأن البحث التوسع في الحديث عن مدينة (أبها) في جانب حدها وموقعها المكاني ومسميات أشكال الطبيعة فيها ، ولا في أطوار تأريخها ، وأدوار حضارتها ، ولا أن يقدم وصفاً مفصلاً لمناخها ، ومظاهر جمالها ، وطبيعتها وعمرانها ، إذ هذا كله ليس من بابة ما نحن فيه ولا هو من السبل التي يجري فيها البحث •

غير أن من تمام الإفادة أن أضع إضاءات كاشفة ، تصف (أبها) المدينة والطبيعة في بعض جوانبها ومناحيها كونها الموضوع الشعري الذي من أجله تولدت القصائد موضع الدرس، مؤثراً وأنا أعمد إلى ذلك الاختصار والاعتصار ، مكتفياً بالإلماع والإشارة ، ومن كانت هذه الأمور بُغيته وجد ذلك في مظانه [١] وفيها غُنْية - بإذن الله -

١. حد المكان :

أبها حاضرة وقصبة إقليم عسير وإحدى مدن وحواضر المملكة العربية السعودية ، وتقع في جزئها الجنوبي ، وعلى طرف من جبال (السراة) [٢] وتحديداً ((في متوسط الجزء الجنوبي من سراة

---

(١) من تلك المظان : هاشم سعيد النعمي (تاريخ عسير في الماضي والحاضر) ط / ٢ ١٤١٩ هـ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة . وغيثان بن علي بن جريس (أبها حاضرة عسير دراسة وثائقية) ط / ١ ١٤١٧ هـ مطابع الفرزدق - الرياض - وعلي أحمد عمر عسيري (أبها في التاريخ والأدب) ط / ١ ١٤٠٣ هـ نادي أبها الأدبي . ومحمود شاكر سعيد (شبه جزيرة العرب - عسير -) ط / ٣ ١٤٠١ هـ المكتب الإسلامي - دمشق - ومحمد بن عبد الله آل زلفه (دراسات من تاريخ عسير الحديث) ط / ١ ١٤١٢ هـ مطابع الشريف - الرياض - وعبد الفتاح إمام حزين (أبها قصبة إقليم عسير) ط / ١ ١٩٩٨ م المنظمة العربية . ويحى إبراهيم الألمعي (رحلات في عسير) ط / ١٣٨٦هـ مطابع دار الأصفهاني - جدة - وعبد المنعم إبراهيم الجميعي (ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية) ط / ١ د.ت - دار جرش للنشر والتوزيع - خميس مشيط -

(٢) ((جبال تمتد من اليمن حتى أطراف بوادي الشام)) ياقوت الحموي - معجم البلدان - ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ م / ٣ ط / ١٤٠٠هـ دار بيروت للطباعة والنشر وقد وصفها عرام ابن الأصبغ السلمي بقوله : ((هي جبال متقاودة بينها فتوق)) انظر : (أسماء جبال تهامة وسكانها) وهو ضمن المخطوطات النادرة التي عني بها الأستاذ / عبد السلام هارون - رحمه الله - في كتابه نوادر المخطوطات ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ ج / ٢ ط / ١ ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م دار الجيل - بيروت - •

عسير))[١] ((على وادي أبها المنحدر شرقاً ثم إلى الشمال الشرقي))[٢] .

٢. أصل التسمية :

ليس هناك دليل قاطع ولا مستند قوي يعتمد عليه في تعليل مسمى المدينة ، ولا في تحديد امتداده في التاريخ الغابر . غير أن هناك من المؤرخين من يرى أن المكان والمسمى قديمان ومعروفان في التاريخ وإن حجب الاسم بغيره من الأسماء ، وذلك لتعدد الأسماء على المكان الواحد ، والبعض الآخر يرى أن (أبها) اسم لوادي انتشرت على ضفافه قرى كثيرة أخذت في التوسع حتى تلاقت أطرافها ، واتصلت ببعضها على طرف هذا الوادي فأطلق على كلها اسم (أبها) ، من باب إطلاق العام على الخاص أو العكس[٣] . وممن وقف عند هذا المسمى - أيضاً - شيخ المؤرخين حمد الجاسر - رحمه الله - وعلل له بأنه ((مأخوذ من مادة (بَهَوَ) وأنها جمع لذلك ، فالإنسان يشاهد المدينة منتشرة على ضفاف الجبال وفي سفوح الأودية في أَبْهَاء واسعة من الأرض))[٤] ولغيره ميل إلى أن الاسم من (البهاء) بمعنى حسن المنظر ، لصفات الحسن التي تتمتع بها هذه المدينة[٥] وكلا الرأيين يقوم على المعنى المعجمي للكلمة وما يشتق منها .

وحقيق بالذكر هنا القول : إن أقدم نص جاء اسم (أبها) في أثنائه نص الهمداني أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (عاش في القرن الرابع الهجري) والذي ساقه في كتابه (صفة جزيرة العرب) ومما جاء في النص : ((فأوطان عسير إلى تيه وهي عقبة من أشراف تهامة وهي أبها وبها قبر ذي القرنين فيما يقال))[٦] .

ويدفع بنا الإعجاب أن نقول : إن الاسم وافق المسمى ، فالمكان آية في الحسن يأخذ بالألباب

---

(١) هاشم سعيد النعمي (تاريخ عسير في الماضي والحاضر) ص ٢٢ .

(٢) (الموسوعة العربية) ص ١١٩ م / ١ ط / ١ ١٩٩٨ م الجمهورية العربية السورية .

(٣) هاشم سعيد النعمي (تاريخ عسير في الماضي والحاضر) ص ١٨ .

(٤) علي أحمد عسيري (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٩ .

(٥) المصدر السابق ص ١٨

(٦) الحسن بن أحمد الهمداني (صفة جزيرة العرب) ص ٥٧ ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة - الرياض -

وتستريح إليه النفوس ، فهو بذلك أبهى الأمكنة والمنازل وقد فطن لهذا الاشتقاق ودلالته أحد الشعراء ليقول :

أفعل التفضيل أصل في اسمها | فهي أبهى من عقود المبدعين [١]

٣. وقفة تاريخية :

عندما نقرأ (أبها) تأريخياً نجد أنها كغيرها من أنحاء الجزيرة ، عاشت التاريخ بأطواره المختلفة حلوها ومرها ، وكان لها في مسرحه قصة [٢]

إلا أن عناية المؤرخين بهذه القصة كانت دون المطلوب ، بل إنها لا تلتفت إلى كثير من أدوارها وذلك لدوافع وحواجب خلقت انصراف المعنيين بالتاريخ عنها ، مما جعل وجود مصدر أو فى على الغاية يصدر عنه الباحثون وقد ارتووا من أخبار وأحداث هذه البقعة على امتداد العصور في حكم المعدوم الذي لا يتأتى لأحد ، وذلك إذا ما استثنينا أطوار التاريخ الحديث [٣] .

---

(١) محمد سعد الدبل (خواطر شاعر) ص ١٠٤ ط / ٢ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م مكتبة العبيكان - الرياض - .

(٢) جاء في الموسوعة العربية ما نصه : ((أما تاريخ أبها فلا يكاد يعرف شيء منه قبل أوائل القرن التاسع عشر ، ويرجح أنها كانت موجودة في مملكة سبأ قبل الميلاد بنحو ستمائة سنة ، ويعتقد أنها كانت تسمى (هيفا) أو(إيفا) وأن العمالقة قد عمروها ، وعاش فيها بنو ثابر حتى جاءتهم الأزد ، ووصلها الإسلام في بداية انتشاره في عسير واليمن)) الموسوعة العربية ص ١٢٠ م / ١ ونحوه أو قريبٌ منه ما جاء في الموسوعة العربية العالمية : ((ويعتقد بعض الباحثين أن مدينة أبها كانت تعرف في القديم باسم (أبقا) وهو المكان الذي كانت إبل بلقيس تحمل الهدايا منه إلى النبي سليمان - عليه السلام -)) الموسوعة العربية العالمية ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ط / ٢ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية .

(٣) ويتمثل ذلك في الأحداث التي جرت بأُخَرَه من عهد (الدولة العثمانية) وكذلك تاريخ (الإمارات المحلية) إلى جانب (العهد السعودي) بأطواره الثلاثة . فإن كثيراً من هذه الأحداث مدون ومرقوم في مؤلفات عنيت بهذا الطور من التاريخ ، وذلك لقرب زمانه ووثوق مصادره .

ومع ذلك فنحن لا نعدم ذكراً لبعض الجوانب التاريخية التي تنتشر في بعض المصادر والمراجع هنا وهناك [١] ، والتي تشير إلى هذه الديار وإلى دورها التاريخي ، وشكل الحياة فيها ، وكذلك إلى أشكال الأطماع ، وميدان الصراع الذي شهد معتركاً وصراعاً ، ونمت فيه اتجاهات مختلفة من لدن العصر الجاهلي ومروراً بالعهد المبارك الظافر عهد رسول الله - ﷺ - وعهد خلفائه الراشدين - رضوان الله تعالى عليهم — وكذلك الدولة الأموية والدولة العباسية وما جاء بعدها من دويلات وانتهاءً بالدولة العثمانية في بداية عهدها [٢] •

وعلى أي حال كان الأمر فإن (أبها) لأهميتها واستراتجيه موقعها ، لكونها محطة من محطات الطريق اليمني الحجازي ، كانت مطمعاً لكثير من الولاة والحكام والساسة على اختلاف توجهاتهم ومقاصدهم ، وتباعد أزمانهم •

ووفقاً للسنن الإلهية التي لا تبديل لها ، تمتد إليها يد أحدهم حقبة من الدهر ثم ترتفع عنها لتدول إلى غيرها ، - وهكذا - إلى أن استقرت عصمتها في يد الدولة السعودية المعاصرة ، فارتمت - كغيرها من الحواضر والمدن - في أحضان الأمن والرخاء ، وطالتها يد الحضارة والنماء •

٤. جمال المكان وآثار الإنسان :

النازل أبها يرى مدينة ظاهرة [٣] تعلو ربوات من الأرض في كنف أجبل تحيط بها من بعض جهاتها وتنتشر بيوتاتها في كل وجهة على طراز حديث حاكى القديم في كثير من أشكاله المعمارية وهذه المحاكاة شامة حسن على خد هذه الحُسّانة •

كما يلقى هذا النازل نسيماً معطاراً ، وروضاً ممطوراً زينه الله - تبارك وتقدس — بكل

---

(١) الإشارة إلى (عسير) فيما بين أيدينا من المراجع والمصادر - في الغالب - إشارة إلى (أبها) فهي القصبة والرأس كونها مقر الحكم لكل من تعاقب على إمارة عسير •

(٢) لعل القارىء أن يطالع - في هذا — بعض الإشارات والنقولات التي وردت في المراجع التالية : د • سيد أحمد يونس (لمحات من تاريخ عسير القديم) ط / ١ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م نادي أبها الأدبي . ومحمود شاكر سعيد (شبه الجزيرة العربية - عسير -) . وعبد الله بن علي بن مسفر (أخبار عسير) ط / ١ ١٣٩٨هـ المكتب الإسلامي - بيروت -

(٣) ظاهرة لأعين الآتين لها من كل جهة •

جميل من حلل الطبيعة ، فحيثما ولى ببصره وقع على جمال وإبداع ، فإن درج في أنحائها درج على بساط سندسي مطرز بالأعشاب الخضراء ، ومنمنم بالأزهار والورود ، يتفيأ وهو يجول ظلال غابات صنعتها قامات الشجر المتحاذية ، ويرتفع به البصر في تجواله ، ليرى منظراً بديعاً رائعاً لجبال رواس تتعمم بعمائم بيضاء من السحاب والضباب ، وتتشح بشجر (العرعر)[١] و(العتم)[٢] ، وتزين سفوحها وجنباتها بصخور وأحجار تشكلت بأشكال بديعة غدت عليها كالحلي على صدور الحسان ، إلى جانب تلك الغدران والينابيع ، التي تتدفق عندما يتوافر المطر وتجود السماء بإذن ربها ، أو ذلك الضباب الذي يفجأ الجبال والوهاد ، وكأنه كتيبة جيش تكر ثم سرعان ما تفر وترجع القهقرى[٣] ، وهو منظر بديع يعرفه أهل السراة ، ويمتع ويعجب كل من أبصره لأول وهله ٠

وقد بهر هذا الجمال ألباب الكثيرين ممن وقفوا عليه وتملوا مناظره وعاشوها ، لنظفر عند بعضهم بوصف بديع لأبها[٤] ٠

---

(١) العرعر : شجر عظام من شجر الجبال تشتهر به أرض وجبال السراة وهو دائم الخضرة . انظر كلاماً حوله : في د . غيثان علي جريس (صفحات من تاريخ عسير) ص ٣٨ ج ١ / ط ١ / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م مطابع البلاد - جدة -

(٢) العتم : شجر الزيتون ينبت بالسراة غير أنه لا ثمر له . انظر كلاماً حوله : في المصدر السابق ص ٣٨ ٠

(٣) يحدث هذا في بعض أيام فصل (الصيف) أما في فصل (الشتاء) فإن مقامه يطول وإمتاعه يحول ٠

(٤) ممن وصفها أميرها خالد الفيصل : سئل عنها مرة فقال : ((أبها أجمل قصيدة)) أبها في التاريخ والأدب ص ٩٥ . وقال عنها وعن عسير : ((وطالما كنت أطالع هذه الطبيعة الخلابة ، وأتفكر في ذلك الجمال الآسر مردداً الآية الكريمة ((ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك)) المجلة العربية ص ٧٥ ع ٢٧٨ / ربيع الأول ١٤٢١هـ - ولا غرو - فقد غري الأمير الشاعر بـ (أبها) وغريت به فهو عاشقها ومعشوقها ((ولهذا كله نجد لمنطقة عسير وأبها بشكل خاص مكانة متميزة في شعر خالد الفيصل تعكس مكانتها في قلبه وأثرها على مسيرة حياته أرضاً وطبيعة وإنساناً)) خالد بن محمد القاسمي (عالم الأمير خالد الفيصل الشعري) ص ١٠١ ط ١ / ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م دار الثقافة العربية الشارقة . وانظر وصفاً لجمالها وهوائها في : (تاريخ عسير في الماضي والحاضر) ص ٢٣ . وأبها في التاريخ والأدب ص ٨١ . ود. زاهر بن عواض الألمعي (رحلة الثلاثين عاماً) ص ١٦٤ د.ت مطابع الفرزدق - الرياض - ٠ ود. محمد علي الهاشمي (ومضات الخاطر) ص ٢٣٣ ط ١ / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م دار البشائر الإسلامية للطباعة النشر والتوزيع بيروت - لبنان - ٠

ومن أبدع اللوحات الجمالية التي تحويها أبها : (السودة ، والفرعاء ، ودلغان ، وتهلل ، والجبل الأخضر ، والحبلة ، والسد)[١] .

وهكذا توجت (أبها) بتاج الجمال ، وتبوأت عرشه في هذه البلاد المباركة - حرسها الله - وأصبحت بقعة فاتنة افتتحت مغاليق النفوس ، واستباحت حمى القلوب ، وأثارت مكتمن الشعور ، وأذابت مهج الشعراء في روعة جمالها .

أما الوجه التراثي لهذه الفاتنة فإنه يبين للجائل بنظره في أوساطها وحواشيها ، إذ يرى مبانيَ وقلاعاً وقصوراً وثكنات عسكرية ، وميادين حربية قديمة ، شيدها أناس قضوا وبقيت الآثار لتكون شاهد عدل على عمق التاريخ ودور المكان ، ولتكون - كذلك - أسفاراً يقلب النشء صفحاتها ، ويطالع فيها تاريخ دهر مضى ، وجيل قضى ، وليتأمل فيها بديع الصنعة وقوة الإرادة . وهي بعد ذلك كله إيحاءات ودلالات جمالية تداعب عشاق التراث ، إلى جانب كونها أثراً ورمزاً وشائجياً ينمي عاطفة العلاقة والارتباط بين إنسان الحاضر وإنسان الماضي .

٥. الدور الحضاري والثقافي :

كانت (أبها) بلدة صغيرة يقع الحصر بالعين على بيوتاتها ومعالمها لقلتها وتقاربها ، وهي مع ذلك مقر الساسة ، ومرجع شئون القبائل التابعة لها وقت ذاك . وكان بها بعض شعاع من علم ، غير أن هناك ما يبز ذلك كله في شد الانتباه وبعث الإعجاب ، وهي تلك الحصون والقلاع والمواقع الأثرية المنتشرة في أطراف البلدة وعلى سفوح جبالها ، والتي بنيت على طراز بديع ، وتصميم هندسي يناسب ظروف السلم والحرب ، ويحكي حضارة لا يستهان بها .

---

(١) متنزهات بديعات في وسط (أبها) وحواشيها ، مأهول بعضها بالسكان ، وقد حذفت (قاف) الثاني منها وأبدلت (فاء) ليصبح (الفرعاء) قصداً للمناسبة بين الاسم والمسمى إذ دلالة الاسم الأول مخالفة لطبيعة المكان . وقد وافق هذا الإبدال مقترحاً للشيخ / محمد بن راشد آل مكتوم . بقلب اسم (القرعاء) إلى (الفرعة) . انظر هذا الاقتراح في كتاب (عالم الأمير خالد الفيصل الشعري) ص ١٠٧ . وفيه دلالة على كره الشعراء لمعنى اليباس حتى ولو كان معنى تحمله الكلمة دون الواقع والاسم دون المسمى .

ثم أخذت يد التطور والنماء تعمل على نواحيها يوماً بعد آخر في العهد السعودي الميمون ، حتى غدت (أبها) في العلياء مع مثيلاتها من مدن وحواضر البلاد ، وانفردت بكونها المدينة الأولى من حيث السياحة ، يؤمها جم غفير من السواح الذين يسبحون في أرجائها ، ويقلبون أنظارهم في جمالها •

وليس هذا فحسب ، بل أضحت (أبها) مصدر إشعاع ثقافي ، وإلهام شعري - ولا غرو - فهي - من قبل ومن بعد - رحم ولود ، تنجب الكثير من العلماء والأدباء والشعراء والأعلام في شتى التخصصات [١] إلى جانب توافر الأسباب [٢] التي خلقت جواً ثقافياً مميزاً ، وجعلت من (أبها) محضناً لكثير من الملتقيات الثقافية والأدبية ، والعلمية والتربوية ، ومنطلقاً لأفكار ومشروعات جادة تصب في باحة الهم العربي والإسلامي ، يستوي في ذلك الجانب الفكري والسياسي والاقتصادي •

ومما لا يغفل ذكره في هذا المقام تلك المناشط الثقافية والأدبية ، وما يعقد لها من الجوائز والحوافز ، تكرمة للجهود المميزة والمخلصة في المجالات المختلفة ، وبعثاً للهمم والقدرات الكامنة والخبيئة في نفوس الكثيرين ، وإنماء لروح التنافس الحميد [٣] •

والحق أن هذا الوجه الحضاري والثقافي [٤] الذي ألمعنا إليه في هذه العجالة - والذي كان

---

(١) لتقف على بعض من هؤلاء الأعلام والعلماء والشعراء والأدباء انظر : هاشم سعيد النعمي (شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير) ط / ١ ١٤١٥هـ نادي أبها الأدبي . وانظر كذلك : د . عبد الله بن محمد أبو داهش (الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية) ط / ٢ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م نادي أبها الأدبي •

(٢) لعل أهم هذه الأسباب كون أمير المنطقة من أبرز المهتمين بالفكر والثقافة على المستوى المحلي والعربي والعالمي ، وهو اهتمام يذكر فيشكر ، وقد لاقى ذلك صدىً عالمياً يترجمه ذلك التكريم من عدد من المؤسسات العالمية منها والأدبية ، يضاف إلى ذلك غريزةحب الأدب والثقافة التي تميز أهل المدينة وما جاورها •

(٣) قامت فكرة (جائزة أبها) عام ١٣٩٣ هـ وتوسعت حتى شملت مجالات كثيرة . انظر : ((جائزة أبها ٢٥ عاماً من العطاء المتجدد)) ملف تسجيلي ١٤١٩هـ أمانة الجائزة . مطابع مازن - أبها -

(٤) تزود في هذا الجانب بالنظر في : (مجلة المملكة) الإصدار السادس ١٤٢٥ هـ الخاص بمدينة (أبها) الناشر شركة زووم المتحدة للإعلام المتخصص . وكذلك : (عسير ومضات على الدرب) ملف صدر عن إدارة التطوير السياحي بإمارة منطقة عسير عام ١٤٢٠هـ مطابع دار العلم - جدة -

من وراءه أيد وفهوم - مكان التَجِلَة والإعجاب عند النَصَفَة من الناس ، بل إنه يوجب إضعاف الشكر لِلْقَوَمَة على شأن هذه المدينة .

٦. أبها في عيون الشعراء العرب :

وجدت وأنا أنقر في أضابير المكتبات على اختلاف مواقعها ، وأفاتش صفحات الكتب والدواوين ، والدوريات والمجلات الأدبية المتخصصة ، لجمع مادة بحثي المعني بشعر الشعراء السعوديين في مدينة (أبها) قصائد رائعة ماتعة لنفر من الشعراء العرب من غير السعوديين الذين نزلوا (أبها) ، وحلوا بأرضها ، إما للعمل في مؤسساتها العلمية والحكومية ، أو للمشاركة في المناشط الثقافية المقامة في منتدياتها الأدبية ، أو لغرض آخر لا ندريه .

وسواء طال المقام بهؤلاء الشعراء أو قصر ، فإن فتنة الجمال الذي وقعت عليه أعينهم ، وبديع الهواء والنسيم الذي ارتاحت إليه أنفسهم ، إلى جانب النماء الحضاري والحضور التاريخي الذي دهشوا له - بله - طَيِّبْ الخلال وطيْب المقال اللذان يميزان أهل (أبها) ، كل ذلك قاد هؤلاء الشعراء من إخواننا العرب إلى الافتتان بهذا الجمال ، والإعجاب بتلك الرموز التراثية والمعالم الحضارية ، والاحتفال بتلك الطباع والخلال الكريمة ، ليتخذوا القصيد مطية للتعبير عن هذه المشاعر وتلك الانطباعات ، وتجاه كل هذه الأشياء والمؤثرات .

وقد شئت أن أجعل ضمن جزئيات هذا (التمهيد) ما يشير إلى بعض أولئك الشعراء ، وإلى بعض أبيات قصائدهم التي قيلت في مدينة (أبها) ، لنقرأ - ومن خلالها - صورة هذه المدينة في أعين هؤلاء الشعراء وكيف رأوها وما الذي أثارته فيهم ؟ .

وإذا سلكنا سبيل الاختيار والتمثيل لا الحصر والاستقصاء ، فإن من هؤلاء الشعراء نديم الرافعي وهو شاعر لبناني لبث (بأبها) بضع سنين من عمره يغدو ويروح في جنباتها ، يقلب نظره يمنة ويسرة فلا يقع إلا على جمال ، ولا يرجع إلا عن جمال ، ليتبع القلبُ النظرَ فيقعان معاً في أسر الجمال ،

ليكون نتاج ذلك قصائد كثيرة [١] احتفلت في مجموعها بالمليحة وبجمالها .

يقول نديم الرافعي في إحداها :

ما لأبها قد زهت وازدهرت ؟ ... وغدت مالكة كل جمـــــال
قد حباها الله حسناً رائعـــاً ... فاق حسن الغيد ربات الحجال
فبدت تختال في ثوب البهـــاء ... وتجر الذيل تيهـــاً بدلال
يالهـــا قد أسرت قلب الورى ... سحرت لب المعنّى بالحـــلال

ومنها :

إن أبها بلدة باهـــــرة ... لا تضاهيها سهول أو تـــــلال
إن أبها زهرة ناضـــــرة ... في رياض الحسن تكسوها الظـــلال
لا ترى فيها عبوساً أينمـــا ... سرت شاهدت جمالاً في جـــلال [٢]

وهناك شاعر آخر - ومن لبنان محضن الجمال وموطنه - يستوي على راحة (أبها) لينهل من نعيم جمالها ، ويكرع بكأس خيرها ، فينبت هواها في بؤبؤ [٣] قلبه ، يبثها إياه في الإصباح والإمساء ، ويتلوه في كل معنى من معاني حسنها . **يقول سعيد الهندي** :

أهواك يا أبها البهيـــــة ... أهوى الخيالات النقيـــة
أهواك في شدو الصبـــاح ... وفي ترانيـــم العشيـــة
في كل معنى من معاني الحسن ... أهـــــــواك
تيهي مع الحسن الفريـــد ... في الروض في الحقل البعيد
في الظل يحلـــم بالورود ... فيرتمي فـــوق الورود
في كل ما تشتاقه الأزهـــار

من ألق جديـــــــد

بين الظلال الشاعريـــة ... أهواك ياأبها البهيـــة

أهــــــــواك [٤]

وتسمو (أبها) عند حسن الجوهري - وهو شاعر مصري - إلى الذروة من المكانة

---

(١) علي أحمد عمر عسيري (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٥٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٦ ، ١٥٧

(٣) بؤبؤ الشيء : أصله ووسطه .

(٤) (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٦٢ وهي من القصائد التي صدح بها الشداة .

والتفرد بالهوى وكيف لا تكون كذلك ؟! وهي :

بلاد كل ما فيها جميـــــل ... بها سحر ولا سحر الحســـان
يمر بها النسيم له حنـــان ... ولطف جل ذلك من حنـــان
شـذاه شذى يعمر كل قلب ... كأن نسيمها أرج الجنـــان
كأن تراهـــا طيب وتبر ... كأن أديمهـــا من زعفران

ولا غرو - بعد ذلك - وهذه صفات المكان وكأنه مثال من الجنة ، أن يعشق الشاعر هذه المدينة ، ليصدح في طالع قصيدته بقوله :

دعاني نحو أبها ما دعاني ... فليس لغيرها في القلب ثاني [(١)]

أما عبد القدوس أبو صالح فقد عمد إلى (الموروث الديني) ليلمح إلى قصة خروج أبينا (أدم) - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - من الجنة ، وإغواء إبليس الرجيم له ، والتي ذكرها القرآن الكريم في مواضع عدة من سوره المباركة [(٢)] ليجعل الشاعر من نفسه - وهو يركب كارهاً مطية الرحيل عن (أبها) - آدماً ثانياً يغادر جنة من جنان الدنيا ، وهو يأمل العودة إليها والقرار بها . نجتزء من قصيدته قوله :

أهذي جنـــــة المأوى ... فأين الحـــور والملهى ؟
وما لي لا أرى الشيطــــان ... يغوينا بما أدهـــــى ؟
فقالوا نزّهت عنـــــــه ... فما أغوى ولا أهـــوى
كأني آدم ثــــــــان ... فقد غادرتها كرهـــا
فهل عَوْد إلى أبهـــا ؟ ... ولم أعرف لها شبهـــا
ومن ذاق الهوى ثنـــى ... فهل من عـــاذل ينهى ؟

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٢) وردت القصة في سورة البقرة آية ٣٥ ، ٣٧ . والأعراف آية ١٩ ، ٢٧ . وطه آية ١١٥ ، ١٢١ وكثيراً ما يستحضر الشعراء هذه القصة . ولعل أشهرهم أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي وصف بها (شعب بوان) يقول المتنبي في بيتين منها حكاية على لسان حصانه :

يقـــــول بشعب بوان حصاني ... أعن هذا يسار إلى الطعان ؟
أبو كم آدم سن المعاصـــــي ... وعلمكم مفارقة الجنـــان

(الديوان بشرح العكبري ج / ص ٢٥٥ ، ١٥٦) . ، وقد سقنا بعض أبياتها فيما انقلب من الصفحات انظر ص ١٩ - ٢٠ من البحث

وتلكم جنة الدنيا لذلك سميت أبها (١)

وممن فتن بأبها وصاغ ذلك الافتتان شعراً يناغي به المكان ويستحلي المقام به بعد طول تشتت وفرقه ، الشاعر السوري عبد الهادي حرب ، ، ذلك الشاعر الذي وجد في هذه المدينة مبتغاه وهواه ، فأخذ يرتل في مناحيها وجنباتها القصيد الذي طاب له بها وبمغانيها وأفنانها . استمع إلى الشاعر وهو يردد نشيده :-

أبها وما أحلى العيش في روضهـا غب القطار المستديم وأروعـه
أبها وما أندى الصباح بظلهـا والصيف أقبل والربيع أتى معـه
إن شئت لهواً فالجمـال مساعف أو شئت نسكاً فالروابي صومعـة
أبها أتيتك بعد طـول تشتت والحب قد فَرَقَ الفؤاد وجمعـه
الشعر أنت جنونه وفنونـه أحببت فيك قصيده ومقطعـه(٢)

ونظفر - ونحن نأخذ في هذا الطريق - بقصيدة للشاعر اليمني أحمد بن محمد الشامي أوحت بها إلى خاطره مشاهداته وجولان نظراته في رياض (أبها) وأرياضها ، ورغم أن الشاعر قد حبس قصيده ونشيده على (صنعاء اليمن) وجعله حصراً عليها ، إلا أن أبها فتحت مغاليق هذا الحبس وولجت من بابه لتكون ضرة (لصنعاء) في قلب الشاعر ، وقرينتها في الحسن والجمال (٣) . يقول الشامي :

لصنعاء قد حبست دهراً خرائدي وما في بياني من طريف وتالـد
وشرقت في الدنيا وغربت سائحـاً وصنعاء لحني إن تغنت قصائـدي
وفيها خيالاتي بأشـواق غربتي وأطياف أحلامي العطاش السواهـد
تطوف على أحيائها كل ليلـة تقبل آثار المنى والمواعـد

---

(١) (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٤٠ .

(٢) (بيادر) ص ١٧٥ ع / ٥ رجب ١٤١١ هـ وقد ضمنها الشاعر أحد مؤلفاته وهو (كشكول يهدف إلى تعليم الكتابة العربية السليمة وترقية الذوق الأدبي) ص ٩٣ ط / ١ ١٤١٤هـ مازن للطباعة - أبها -

(٣) كلا المدينتين تقعان على امتداد من جبال السراة ، وتلتقيان في كثير من أشكال الطبيعة والجمال . وانظر وصفاً بديعاً لصنعاء اليمن عند القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الكوكباني في كتاب (عطر نسيم الصَّبا) ص ١٣٧ ط / الجديدة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م الدار اليمنية للنشر .

ولم يسب عيني بعدها غير ما رأت   بأبها عسير من جميل المشاهد [1]

ويتضافر جمال المكان مع كرم وشهامة الإنسان ، ليخلقا الأنس في نفس الشاعر المغترب ويستجلبا أسباب الطمأنينة إلى قلبه ، لتقر عينه بأبها وليلقي بها عصا الترحال :

أنست بأبها أنس صب متيـــم   يراود أحلام الغريب المطـــارد
أنست لأني نصف قـــرن كطائر   يصارع أنواع الرياح النواكـــد
ولما رأت عيني مغاني رياضيهـــا   وأرباضها تزهو زهيَّ الفراقـــد
خلصت إلى حدسي نجياً محـــاورا   وحدس الفتى للخير أصدق رائـــد
فقال بأبها الحسن والشعر خيمـــا   فألقي عصا الترحال في ظل خالد [2]

ولأن (أبها) ملهمة الشعراء ، تبعث مشاعر وأحاسيس مكتمنة في دواخلهم ، لتنساب - بعد ذلك - على ألسنتهم شعراً ، فقد استطاعت أن تبعث الهوى - والذي أتت عليه أيام وليال عجاف ، وأطفأ جذوته جرح نزّاف - من رقدته عند الشاعر الفلسطيني راضي صدوق ليتجدد إيقاع ألحانه وأنغامه في الآفاق ، وليبرد في جوانحه شجى الغربة وحرارة الفراق . يقول :

هذا أنا في المـــدى الأبهي والهفي   أعود من بعدما أزرى بي العمـــر
تركت قلبي أشـــلاء مبعثرة   في كل ناحيـــة في الأرض تنتشر
وكنت أحسب أن الشعر غادرنـــي   وخان عهـــد الوفى واجتاحني الخور
حتى نزلت بأبها أي ملحمـــة   أحسها في رمـــاد الروح تستعر
هنا يفيق الهوى من ذل رقدتـــه   وتستفيق على ألحانه العصـــر
هنا الجمال رحيق في مراشفهـــا   كأنه خمرة الفردوس تعتصـــر
هنا الطبيعة بكر في طفولتهـــا   قرأت من سرها ما يكتم الخفـــر
تأودت غضة عذراء مائســـة   كأنها زهـــرة بالنَّوْرِ تأتزر [3]

---

(١) (ديوان الشامي) ص ١٣٩٧ ج / ٣ ط / ٢ ١٤١٣ هـ الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة - جدة - وهي بتمامها في (بيادر) ص ٤٤ ، ٤٥ ع / ٤ ١٤١٠ هـ .

(٢) المصدرين السابقين ص ١٣٩٧ ، ص ٤٤ ، ٤٥ . والمقصود في البيت الأخير الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز عقد له والده الملك الشهيد فيصل - رحمه الله - على إمارة عسير عام ١٣٩٢هـ وما زال أميرها إلى اليوم .

(٣) (بيادر) ص ١٥٦ ، ١٥٧ ع / ١١ رجب ١٤١٤ هـ .

وتظل هذه الساحرة تنفث بنسائمها المعطارة ، لتكون دواء يتطبب به شعراء الغربة ، يمرونه على أجسادهم المتألمة بسياط التشرد فيبرد هذا الألم . فهذا ابن دجلة الشاعر المغترب عن وطنه العراق ، - والذي لا ينفك بين نزول وارتحال - لا يقر له قرار وهو بعيد عن وطنه وأرضه الأم ، التي ارتضع بكيانها وتفيأ ظلالها ، بعد أن دفعت به يد ظالمة خارج أدواحها ، هذا الشاعر طوحت به الأسباب لتطأ قدمه ثرى (أبها) ، ليرى بعين فؤاده الأبهى من كل شيء ، ذلك البهاء الذي أحال المدينة في نظر الشاعر إلى قصيدة إيقاعها الجمال والحسن ، فلا يملك إلا أن يقلدها قلادة تنتظم بديع النثر والشعر ، ولا بدع فمن الكلام قلائد لا يبلى نفيسها على مر الدهور وكرها . يقول يحى السماوي : ((سأسمي الكرة الأرضية امرأة ، والمملكة خدها الذي لم يصعر ، وأسمي (أبها) خالاً أخضرا ، أو قنديلاً يشع ندى ومسرة ....))[1] ويقول شعراً :

أبها لكل الباحثين عن الشـذا — وعن اختلاج الياسمين مسـار
للعاشقين ربابة بدويـــة — والعاشقات قلادة وســوار
نام الربيع على حدائق خدهـا — خالاً فجنَّ بسحرها السمار[2]

ويجد السماوي وهو في رحاب هذه المدينة طِلْبَته من راحة البال وسلوى الخاطر ، ليعمد إليها فيجعلها في منظومة أغانيه ، يتغنى بها ويطرب لها ويخطب جمالها ، ويستحلي المقام بأرضها ، ويأذن لروحه أن تموج في أرجائها وفوق سفوحها :

يدعونها أبها وأدعوهـــا التي — بعث الزمان لها الربيع سفيرا
يدعونها أبها وأدعوهـــا التي — وقف الجمال أمامها مبهـورا
فتموجي يا روح فوق سفوحهـا — طابت أحياءً وطـاب غديرا
وأقم عليها يا شريد مرتلاً — حيناً وحيناً ساجداً وشكورا[3]

وهكذا - وبعد هذا التطوف الماتع - نجد صورة رائعة لهذه المدينة في شعر شعراء

---

(١) (المجلة العربية) ص ٣٠ ع / ٢٣٣ جمادى الآخر ١٤١٧ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٠ .

(٣) يحى السماوي (من أغاني المشرد) ص ١٩ ط / ١ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م نادي أبها الأدبي وأنظرها بتمامها في مجلة الفيصل ص ١٠٧ ع / ٢٤٠ جمادى الآخرة ١٤١٧ هـ .

عرب نزلوا بساحاتها ، وهي صورة رسمها يراع الشعر ، فجاءت في إطارات شعرية مصبوغة بألوان الطبيعة التي وقف عليها الشعراء ومالوا إليها متأثرين بها [١] ليجدّ بنا المسير بعد ذلك في جدد النصوص الشعرية السعودية ، وهناك يجتمع لنا مزيجٌ من العواطف ، وأمشاج من العلاقات .

---

(١) هناك شعراء آخرون من إخواننا العرب قالوا في أبها شعراً ، وقد وقفت على قصائدهم ولم أقتطف منها شيئاً لإيراده في هذه الإلماعة بغية الاختصار الذي يطلبه هذا التمهيد وهؤلاء الشعراء هم :

محمود سمارة	فلسطيني	(أبها في التاريخ والأدب) ص ٤٩
محمد علي الحريري	سوري	(==============) ص ١٦٠
عبد العزيز أبو غوش	فلسطيني	(==============) ص ١٥٥
علي رضا النحوي	فلسطيني	(عبر وعبرات) ص ٤٣ ، ٤٤ ط / ١ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م دار النحوي للنشر والتوزيع - الرياض -
محمد علي الصابوني	سوري	(بيادر) ص ١٨٠ ع / ٥ رجب ١٤١١هـ
محمود مفلح	فلسطيني	(بيادر) ص ٦٢ ع / ٢ ١٤٠٩ هـ
حسن منصور	فلسطيني	ديوان (لمن أغني) ص ٥٦ ط / ١ ١٤٠٨هـ دار جرش - خميس مشيط -
مصطفى سند	سوداني	(بيادر) ص ١١٥ ع / ٣٥ محرم ١٤٢٣ هـ
سعيد قندجي	سوري	(بيادر) ص ١٥١ ع / ٧ رجب ١٤١٢هـ
محمد سعد دياب	سوداني	(المجلة العربية) ص ٣٧ ع / ٢٦٥ صفر ١٤٢٠هـ
دية زياد شمساء	سورية	(المجلة العربية) ص ٣٧ ع / ٢٦٥ صفر ١٤٢٠هـ
رضا أبو النجا		(المجلة العربية) ص ٢٧ ع / ١٨١ صفر ١٤١٣هـ
بولس سلامة	لبناني	(ملحمة عيد الرياض) ص ٤١٢ وما بعدها ط / ٣ د . ت

مطابع بيبولس الحديثة – بيروت - . وهذا الأخير أبدع في وصف جمال أبها في بعض أبيات من ملحمته عنيت بمنطقة عسير رغم أنه تملى هذا الجمال سماعاً ، ولم يقف عليه عياناً . ومن وصفه ذلك قوله :

فوق وادي شهران ترفل أبها ... لبست من شموخها جلبابا
كعروس مجلـــوة وحواليها ... بنات الأشراف قامت هضابا
وقلاع رواســـخ راصدات ... ساكبات على العدو شهابا

ولله درُّ الملك فيصل عندما قال في نعت الملحمة وقائلها : ((إن الذين شهدوا الوقائع لم يدركوها بأبصارهم كما أدركها بولس سلامة بخياله)) ومقالة الملك هذه تنهض بمقالة الناقد المعروف مارون عبود عندما قال : ((قال أحد العلماء : من يشأ أن يؤلف بعد سيبويه فليستح أجل فليستح أولئك الذين سيؤلفون الملاحم بعد بولس سلامة)) انظر ص ٧ ، ٥٥٧ من الملحمة .

الفصل الأول

البنية الموضوعية

- المبحث الأول : بين الوصف والتأمل
- المبحث الثاني : التأمل الوجداني والإيماني
- المبحث الثالث : التبادل بين الطبيعة والمرأة
- المبحث الرابع : مظاهر الاغتراب

المبحث الأول

بين الوصف والتأمل

مدخل :

يشير الكثير من دارسي الأدب العربي - وهم يتناولون الأغراض والفنون الشعرية بالدرس - إلى أن (الوصف) يأتي في الطليعة من بين الأغراض الشعرية التي قال فيها الشعراء .

ومن أول من جزم بهذا صاحب العمدة إذ يقول : ((إن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ولا سبيل إلى حصره واستقصائه))[١] ولعل التميز في الكثرة يعود إلى أن ((الوصف باب من الشعر قلما تجد شاعراً لا يحسن منه شيئاً أو أشياء))[٢] ثم لكونه فنّاً يمازج الأغراض والفنون الشعرية ويأتي فيها عرضاً[٣] ، وهو بذلك ((روح الفنون الشعرية كلها))[٤] .

وقد ذهب بعض الدارسين المعاصرين إلى أن (الوصف) استقل بذاته في مرحلة من مراحل الأدب العربي ولم يعد يدخل في أثناء الأغراض الأخرى من مدح وهجاء وغزل ورثاء وفخر ، فله قصائده وأشعاره[٥] .

أما إذا ما نظرنا إلى (الشعر الواصف) في جانب موضوعاته ، فإنا واجدون موصوفات شتى إلا أن وصف الطبيعة يكثر عند الشعراء ويفوق غيره من الموصوفات ، وذلك راجع إلى اهتمام

---

(١) ابن رشيق القيرواني (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) ص ٢٩٤ ج /٢ ط / ٥ ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م تح / محمد محي الدين عبد الحميد دار الجيل - بيروت -

(٢) مصطفى صادق الرافعي (تاريخ آداب العرب) ص ١١٢ ج / ٣ ط / ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م المكتبة العصرية - بيروت -

(٣) هذا على امتداد العصور الأدبية لكنه يتجلى في الأدب الأندلسي أكثر من غيره حيث إنا نجد الوصف يمازج الأغراض كلها بما فيها الرثاء انظر في ذلك : مصطفى الشكعة (الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه) ص ٣٤١ وما بعدها .

(٤) د . عبد الرحمن رأفت الباشا (شعر علي بن الجهم) ص ١٥١ ط / ١٩٧٩م مطابع الشروق القاهرة

(٥) د . شوقي ضيف (العصر العباسي الثاني) ص ٢٣٣ ط / ٢ د . ت دار المعارف - مصر -

العربي بما حوله من مظاهر الكون وأشكال الطبيعة [١] ٠

ويراد بالطبيعة ((العالم المرئي فإن أردنا تفصيلاً أكثر قلنا إنها ما خرج عن ذات الإنسان ووقع تحت متناول حواسه ، فأدرك أشكاله وألوانه وحركاته ببصره ، ورائحته بأنفه ، وأصواته بسمعه)) [٢] ٠

ويظل وصف الطبيعة محط اهتمام وباباً يكثر القول فيه على امتداد عصور الأدب [٣] ، ليصبح بعد ذلك وجهة لكثير من الشعراء وخاصة في العصر الحديث ٠

ويأتي ضمن وصف الطبيعة وصف الشاعر لطبيعة بلده ووطنه لنراه يتغنى - غير ملوم - بجمال طبيعة وطنه على اختلاف مظاهرها وكذلك مظاهر الطبيعة الصناعية التي يعيشها هذا الوطن وشعراء العصر الحديث في هذا امتداد لسلفهم من الشعراء القدامى ((وقد فطن لهذا النوع من الوصف شعراء الغرب وأدباؤهم . وقلما تجد شاعراً غربياً ليس له في مناظر بلاده ، وفي غيرها من مواطن الجمال في أوربا أكثر من قصيدة)) [٤] ٠

ونريد هنا أن نضع أيدينا على مظاهر الوصف في القصائد التي أقامها الشعراء السعوديون في وصف مدينة (أبها) ، ووصف مظاهر الطبيعة الأرضية والسماوية فيها ، ليبين لنا - ومن خلال ذلك - مكان القوم في هذا السبيل ، ولنعرف الوجهة التي ولوها وهم يقفون أمام هذه الطبيعة واصفين ومتأملين ، ولنقف كذلك على مدى التفاعل الشاعري مع هذه المظاهر ٠

---

(١) انعكس اهتمام الشعراء بالطبيعة في شعرهم على دارسي الأدب العربي ، لنرى من قبلهم اهتماماً بهذا الجانب المهم في نتاج الشعراء ومن أبرز الدراسات التي تناولت هذا الجانب : د . سيد نوفل (شعر الطبيعة في الأدب العربي) ط / ٢ دار المعارف - مصر - . السباعي بيومي وآخرون (وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي) د . ت . د . نوري حمودي القيسي (الطبيعة في الشعر الجاهلي) ط / ١ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م مؤسسة الرسالة - بيروت - د. رشدي علي حسن (شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني) د . ت مؤسسة الرسالة . د جودت الركابي (الطبيعة في الشعر الأندلسي) ط / ٢ مكتبة الترقي - دمشق - . د . أنور عليان أبو سليم (الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول) ط / ١ ١٤٠٣ هـ دار العلوم - الرياض - وغيرها ٠

(٢) د . حسين نصار (في الشعر العربي ص ٢٢٥) ط / ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد - مصر

(٣) انظر في مراحل تطور الطبيعة في الشعر العربي : د . كمال اليازجي (حول الأدب العربي) ص ٨٣ وما بعدها ط / ١ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م دار الجيل - بيروت - . ود . حسين نصار (في الشعر العربي) ص ٢٢٥ وما بعدها ٠

(٤) عمر الدسوقي (في الأدب الحديث) ص ١٦٤ ج / ٢ط / ٨ ١٩٧٣ م دار الفكر ٠

١- وصف السحاب والبرق والرعد والمطر :

السحاب عند العربي وعاء مملوء بالخير [١] إذا ما انسكب في أرض خرجت بركاتها ، وازيَّنت ربواتها ، وتفجرت عيونها ، وفي ذلك كله منافع للناس ، كما أنه شكل من أشكال الجمال ٠

ومن ثَّم حظي بالاهتمام من لدن كثير من الشعراء على امتداد زمن الأدب العربي ، فأقاموا له صوراً بارعة ، ونعتوه بأوصاف تكاد تكون من معين واحد ، وإن تأثرت عند بعض الشعراء بالحضارة التي يعيشها ، فأتت صورة السحاب - عنده — في ثوب جديد ، مستلهم في تصويره مكونات البيئة التي تحيط به ٠

ولأن جبال السروات وسفوحها - وهي الجبال التي تقع أبها على امتداد منها - لا يكاد السحاب يغرب عنها ، ولا ينقشع عن سمائها ، فقد وقف الشعراء أمامه وهم يصفون هذه المدينة ليجعلوه ضمن صور الطبيعة وأشكالها المختلفة ، التي حفلت بها قصائدهم ، يسترفد بعضهم في ذلك (التراث الشعري) والقليل منهم من يعمد إلى رسم صورة جديدة قوامها ومنهلها مظاهر الحياة التي يراها من حوله ٠

وإذا ما بدأنا **بحركة (السحاب) وسيره** [٢] - كجزئية التفت إليها الشعراء وهم يرسمون صورة السحاب - سنجد أنها أتت في صور مختلفة تحكي كلها البطاءة والثقل في الحركة ، فمحمد بن سعد بن حسين أعطى للسحاب وهو يسير صفة الحبو ، وهي صفة حركية أكثر ما تلازم الصغير من جنس الإنسان . يقول وهو يصف أبها :

---

(١) هذا مقرر فيما أُثر عنهم من أخبار وأشعار ٠

(٢) مما استحسن في وصف حركة السحاب قول الحكم الخضري :

يا صاحبي ألم تشيما عارضـــــاً	نضح الصراد به فهضب المنخر
ركب البلاد وظل ينهض مصعداً	نهض المقيـــد في الدهاس الموقر

((شبه السحاب بحركة البعير المقيد أثقلته حمولته وأخذت أقدامه تغوص في الرمل)) انظر : أحمد أحمد بدوي (أسس النقد الأدبي عند العرب) ص ٢٨٠ ط / ١٩٩٦م دار نهضة مصر . وهو ينقل هذا الاستحسان عن المرزباني في كتابه (الموشح) ٠

نسجت بنـــــول سحابة مقرورة   سودا يدعدعها المـــلاك فتبرق
شربت بمـــــاء البحر ثم ترفعت   حبواً على الآفــاق حيث توفق (١)

أما أحمد بيهان فقد استحضر في خياله - وهو يرقب حركة السحاب - سير الخاشع الذي يمشي على الأرض هوناً ، وسير الثمل الذي يترنح نشوة ، ليسقط الصورتين على حركة السحاب :

تخطر السحب تحتها خاشعات   ثملات بعاطر الأنسام (٢)

وقد يتهادى السحاب في سيره حتى يضم الروابي ويعانق الآفاق عناق مشتاق لها ، وهذه صورة انقدحت في ذهن الشاعر عبد الله بن سالم الحميد وهو يرمق السحاب :

وسرى الركب إلى حضن الشذى   يرمق السحب تهادى في اشتياق
ضم روضات الروابي لهفــــــة   يلثم الأفق عناقاً في عنـــاق (٣)

وقد يندفع السحاب وينساق أمام الرياح والأنسام ، وكأنه سابح تدفعه الأمواج من خلفه على نحو ما نرى عند الشاعر على آل عمر عسيري وهو يصف أبها :

يسبح الغيم إليها دفعاً   فإذا جللها الغيث همى (٤)

وكل هذه الصور تشترك في صفة الحركة ، فهي حركة تأخذ صورة المتمهل والمترنح يمنة ويسرة لنقول معها : إن لمثل هذه الصور صوراً تقاربها عند الشعراء القدامى كابن الرومي وابن المعتز مثلاً (٥) .

أما بكاء السحاب - كصفة جاءت ضمن صفات السحاب التي نظر إليها الشعراء في قصيدة أبها - فهي صورة يتقارضها الشعراء على تباعد أزمانهم ، حتى غدت واحدة من الصور التي أبلاها الشعراء استعمالاً ، لنجدها عند طاهر زمخشري وهو يصف مشهد سحاب (أبها) يعلو التلال فيمطرها ، وهو مشهد من مشاهد الجمال التي علق بها الشاعر :

---

(١) (بيادر) ص ٤٠ ع / ٤ ١٤١٠ هـ . يدعدع : يدفع بشدة .

(٢) (ملتقى أبها الثاني) ١٤١٢هـ ص ١٠١ نادي أبها الأدبي .

(٣) عبد الله سالم الحميد (السفر في ذاكرة الوطن) ص ٢٨ ط / ١ ١٤٢٠هـ دار طويق للنشر والتوزيع - الرياض -

(٤) هاشم النعمي (شذا العبير) ص ٢٣٩ .

(٥) أنظر مبحث الصورة الشعرية .

تعلق بالمفاتن في هضـــاب   بأبها ما لروعتها مثيـــل
ففوق تلالها يبكي سحاب   وأدمعه بواديها سيول(١)

فالسحاب - هنا - يأخذ عن طريق (التشخيص) صفة البكائية ، وما القطر المنهمر منه إلا دموعه .

ويحرص الشعراء - كما عند سلفهم - أن يقابل بكاءَ السحب ، ضحكُ الأرض ، فالضحك نتيجة البكاء ، وهذه المقابلة تعتمد الشكل في قطر السماء والاهتزاز والبهجة في صورة الأرض يقول حسين أحمد النجمي :

بكت السحب فوقها بزلال   ملأ الأرض بهجة وابتساماً (٢)

وقد يسبق الضحك البكاء بمعنى أن نشوة الوادي وطرب أغصانه مظاهر تستدعي بكاء السحب ، وهي صورة مقلوبة عن الصورة السابقة . يقول عبد الرحمن السويداء :

فعمت النشوة الوادي وساكنه   وهاده سابحات في روابيه
وخلته طاف بالألحان يمليها
ما بال ضحكته أبكت سحائبه   فأسبل الدمع يسقي ما ئس العود(٣)

غير أن الشاعر صالح عون الغامدي يأتي طريقاً مخالفاً للشعراء ، ليجعل انسكاب ماء السحاب ضحكاً لا بكاء :

فالبحر يضحك إذ يقبل كفها   برضا به والموج في الأحضان (٤)

لكنها صورة دون صورة البكاء التي اتخذها غيره من الشعراء ، لقربها من الذهن وذلك لقيام بعض الاتفاقات بين طبيعة المطر والدمع .

وهنا نقول - وقد سبقت الإشارة لمثل ذلك - : إن بكاء السحب وضحك الأرض

---

(١) طاهر زمخشري (رباعيات صبا نجد) ص ٣٨ ط / ٢ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م الشركة التونسية للتوزيع

(٢) حسين أحمد النجمي (عيناك في وقت الرحيل) ص ٥٥ ط / ٢ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م دار البلاد - جدة -

(٣) عبد الرحمن زيد السويداء (رؤى مسافر) ص ٩ ط / ١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م دار السويداء - الرياض -

(٤) (بيادر) ص ١٦٠ ع / ٧ رجب ١٤١٢ هـ - . والمراد بالبحر هنا السحاب .

صورة موروثة جاءت في أثناء السوالف من القصائد التي تعرّض فيها الشعراء للسحاب [١] .
ونحن مع ذلك لا نعدم أن نجد صوراً في وشاح جديد ، كتلك الصورة التي أبدعها خيال الشاعر أحمد الصالح ، والذي جعل للغيوم أثداءً ترتضع المليحة (أبها) من معينها الجمال دون أن تمل أو تفطم ، كما يفعل بالرضيع . يقول الشاعر :

مليحة ومعين الغيم أرضعهـــا   هذا الجمال فما ملت وما فطما
تفتقت أرضها عن سر فتنتها   مرابعاً أتعبت في عشقها أمما[٢]

وفي صورة أخرى تتسم بالجدة والجمال استُحضرت كسابقتها من عالم الطفولة الماتع ، نجد - وفي القصيدة نفسها - السحاب تحركه نفحات الصَّبا [٣] ، لتستحلب ماءه وتعصره في إناء الأرض ، وكأنه - وهي تحركه وتسوقه - سريرٌ يأخذ أحدهم في هدهدته ذات اليمين وذات الشمال . يقول أحمد الصالح :

أبها لها في مدار السحب منزلة   سرير هدهده نفح الصَّبا فهمـــــا
أبها وهذا ثراء الحسن أبدعه   من أبدع الكون أرضاً أخصبت وسما[٤]

---

(١) من أبدع ما وقفت عليه في ذلك قول أحد المتقدمين :

أما ترى الأرض قد أعطتك عذرتها   مخضرة واكتسى بالنَّور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبهـــــا   وللربيع إبتسام في نواحيهـــا

(مجموعة المعاني : ص ٩٠٦ ج / ٢ إعداد : عبد السلام هارون)

(٢) (بيادر) ص ٨٧ ع / ٣٧ رمضان ١٤٢٣هـ .

(٣) رياح مهبها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار .

(٤) (بيادر) ص ٨٧ ع / ٣٧ رمضان ١٤٢٣هـ . ورغم الجدة والجمال في هذه الأبيات نجد لهذه الصورة ما يقاربها في شعر الحادرة - وهو شاعر جاهلي - وذلك في قوله :

كغريض سارية أدرته الصَّبا   من ماء أسحر طيب المستنقع

والتماثل هنا ماثل في دور ريح الصَّبا التي تدر وتستحلب السحاب .

(انظر البيت : عند الأخفش الصغير في كتاب (الاختيارين) ص ٦٣ . ومثله قول ابن الجهم :

أتتنا بها ريح الصَّبا وكأنهـــا   فتاة ترجيها عجوزٌ تقودها
إذا فارقتها ساعة ولهت بها   كأم وليد غاب عنها وليدها

[ديوانه ص ٥٧ تح / خليل مردم بك ط / ٢ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م دار الآفاق - بيروت -]

ونبقى في طريق التجديد ومع جاسم الصحيح وهو يعمد - ومن خلال قلب إطار الصورة إلى العلو فيجعله سفلاً ، ليعطينا صورة جميلة لأبها وهي تنتعل السحاب :

أبها وألقاك في أحضان شاهقة خضراء تنتعلين الغيم والسحبـــا
وقد تدلت عناقيد النجوم لنا لا نقطف النجم حتى نُثني الركبا(١)

وهي صورة - كما ترى - تنبعث من أعماق الخيال البعيد •

وفي صورة ثالثة أحسب أن فيها شيئاً من التجديد ، يشبه شاعر آخر - وهو يخاطب أبها - السحاب بأسراب الحمام ، يلمح في ذلك تلاقي الأجنحة الذي ينعكس ظله على الأرض حتى يخيل للناظر قطعة من سحاب . يقول خالد الحليبي :

دعي السحاب كأسراب الحمام على خضر الأرائك يغفو بعد ما تعبا
هناك في قمة زرياب شادهـــــا والريح تغزل من أغصانها الطربا(٢)

وقد يرى الشعراء في السحاب رداءً تلتحفه وتتزيا به السفوح والهضاب ، وذلك في مثل قول أحمد مطاعن يصف مدينته الجميلة وهي تتهادى تيهاً وعلواً في رداء من السحاب :

كيف أسلو جميلة تتهـــادى في رداء السحاب تيهاً وتعلو
حيث للصادح المغرد شدو ولرشف الرحيق دندن نحل(٣)

وأيضاً نرى مثل ذلك في قول عبد الله بالخير ، وهو يصف رجالات عسير يخرجون أرسالاً في استعراض فني تراثي :

يتوالون كالسحاب تغشى ذروات الهضاب مثل السبال(٤)

---

(١) (أولمبياد الجسد) ص ١٧٧ ط / ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م مطابع الابتكار - الدمام -

(٢) ملف ملتقى أبها الثالث ص ١٠٣ ١٤١٣ هـ نادي أبها الأدبي . وصورة السحاب عند الحليبي - وإن رأينا فيها شيئاً من الجدة - تستدعي بيت الشاعر الأندلسي ابن خفاجة الذي يقول فيه :

وغمامة نشرت جناح حمامة والبرق قد نسج الظلام نماراً

(ديوانه : ص ١٤٠)

وإن كانت صورة الحليبي أقوى في المشابهة •

(٣) أحمد مطاعن (دورة الأيام) ص ٥١ د.ت نادي أبها الأدبي •

(٤) (بيادر) ص ١١٣ ع / ٤ ١٤١٠هـ •

وهـذا الـرداء الـذي يتغـشى المدينـة وقممهـا وهـضابها لايقاربـه في الجمـال شـيء عنـد عائض بن عبد الله القرني الذي يقول :

والتلال الخضر في عصر الصبا　　　تتهـــادى في لباس وحلي
توجتها سحب فضيــــــة　　　زِيَها عندي يعلو كل زي (١)

وهناك صورة حسية أخيرة بعثها الشعراء في طبيعة السحاب ، وهي صورة العناق والتي لمحوها في حركة السحاب في السماء يتلاقى ويتصل بعضه ببعض ، وكأنه يحكي قصة أهل الغرام والعشق . يقول زايد بن محمد الكناني بعد أن نزل في تلك الربى وأمتع عينه بهذا المنظر:

تلك الربى يا مكثر الملام　　　نسيمها من مثمل المدام
هناك يحكي قصــة الغرام　　　تعانق الغمام بالغمــام
حين يجلل الربى بالوبل (٢)

وتظل صورة العناق قائمة عند الشاعر عبد الله علي الحميد ، ولكنها هذه المرة بين الغمام والربى وبين الطل والشجر :

كلما عانق الغمام رباها　　　قبل الطل ضرمها والبشاما(٣)

وهو ذات العناق عند عبد الله بن سالم الحميد في قوله :

وسرى الركب إلى حضن الشذى　　　يرمق السحب تمادى في اشتياق
ضم روضات الروابي لهفــــة　　　يلثم الأفق عناقاً في عنــاق (٤)

ويستمر العشق بين الغيم والمكان ، لنرى في الغيم عاشقاً لا تنفك زيارته لمعشوقته التي تزداد تيهاً كلما جاءها يَتُتُها هتان الهوى . نرى ذلك عند صالح سعد العمري في قوله :

---

(١) د . عائض القرني (قصة الطموح) ص ١٠٦ ط / ١ ١٤٢٢ هـ دار بن حزم - بيروت -
(٢) زايد محمد الكناني (تقاسيم زامر الحي) ص ١٧ ط / ١ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م نادي أبها الأدبي ٠
(٣) (أديب من عسير) ص ١٠٤ ط / ١ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٩ م مطابع عسير - أبها - والكتاب عبارة عن نماذج من نثره وشعره جمعها ابنه الأستاذ / محمد عبد الله الحميد رئيس نادي أبها الأدبي ٠
(٤) (السفر في ذاكرة الوطن) ص ٢٨ ٠

غيم من العشق والأشواق يمطرها　　في خدها قبلاً من خفق رعَّـــــاد
يزورها كل يوم في مرابعهـــــا　　يبثها وجده في فجرها الهــــادي
تجر أذيالها في ورد شرفتهــــا　　معشوقة الغيم تيهي بعد وازدادي[1]

وينتقل بنا النظر - بداهة - **إلى نتاج السحاب (المطر)** ، لننظر صورته التي رسمها الشعراء لنجد أنه الدمع تذرفه السحب من أجفانها ، ولا يمسحه إلا ملاءة الصحو ، وهذه صورة تتبدى لنا في قول طاهر زمخشري :

ففوق تلالها يبكي سحاب　　وأدمعـــه بواديها سيول
ويمسح أدمع الغيمات صحو　　بأنسام يبعثره الخميل[2]

وهو دمع العاشق الذي أثقله الشوق وأرقه . يقول محمد بن سعد آل حسين :

سكبت عيون المزن أدمع وامق　　في خدها يرنو لهـــــا ويحملق
لعبت به الأشواق حتى لم يعد　　يسطيع حمل الشوق فهو مؤرق[3]

أما يعقوب علي عقيل فيحسبه دموع الحسان يبكين ترحاً أو فرحاً . يقول :

وإذا همى غيث حسبت رذاذه　　دمعاً تهاطل من جفون حسان[4]

وتشبيه المطر بالدمع والدمع بالمطر باب يكثر الشعراء من ولوجه في كل عصر ، فهو من الصور الموروثة المتجددة ، أو قل : من الصور التكرارية في الشعر العربي ٠

وإلى جانب هذا التشبيه نجد تشبيهات أخرى للمطر ماطرة بالجمال ، فرذاذه وهو يتساقط يحاكي عند أحمد إبراهيم مطاعن خيوط الفضة في بريقها وتلألئها :

كأن الرذاذ خلال الصفاء　　خيوط من الفضة المذهلة[5]

---

(١) صالح سعد العمري (ريش من لهب) ص ٦٠ د.ت ٠
(٢) (رباعيات صبا نجد) ص ٣٨ ٠
(٣) (بيادر) ص ٤٠ ع / ٤ - ١٤١٠هـ ٠
(٤) المصدر السابق ص ١٢٥ ع / ١٦ - ١٤١٦هـ ٠
(٥) (دورة الأيام) ص ٦٧ ٠

وهو - أي المطر - حائك بارع لعقد الزهر وأكمامه ، يزين بها أبسطة الرياض .
يقول هاشم سعيد النعمي :

وتنامت براعم الروض لما طرز الغيث زهره وكمامه (١)

وفي صورة غريبة يرى صالح سعد العمري في قطرات المطر تتدلى من السماء شَعَراً يكسو المليحة (أبها) :

خدودها الورد والأزهار معطفها وشَعْرها المزن يكسو حسنها البادي (٢)

ويسمع الشاعر إبراهيم صعابي في وقع المطر أنشودة تأخذ الأرض لأجلها النشوة ، فتزهو اخضراراً وجمالاً . يقول الشاعر وهو يرى في أبها الورد والشعر والحب :

((من بادي الوقت هذا طبع)) تربتنا تزهو اخضراراً على أنشودة المطر (٣)

ولأن العشق والغرام ألهب حشاشة السحاب ، فلابد له من رسائل وقصائد هوىً إلى معشوقته تتلوها عليها قطرات الهتّان ، التي يغدق بها كل رابية وسفح . يقول أحمد الصالح :

تفتقت أرضها عن سر فتنتهـا مرابعاً أتعبت في عشقها أممـا
ألقى لها المزن هتان الهوى غدقاً فكل وادي يباهي حسنه القمما (٤)

وهناك صورة أخيرة جميلة رسمها جمعان عبد الكريم عطية للمطر ، وقد استرفدها من خياله ليجعل المطر رحيقاً ترتشفه الأزهار :

ربيع الحضارة قد عمها وزينها قطرات المطر

---

(١) قصيدة وردت في مؤلفه (شذا العبير) ص ٣٨٥

(٢) (ريش من لهب) ص ٦١ . وليوسف ابن هارون الشاعر الأندلسي تشبيه يقارب هذا التشبيه ويفوقه في وصف قطر السحاب :

كأن انتثار القطر فيه ضفائر تدار على الغدران منه دوائر

(انظر : محمد الكتاني (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) ص ٣٨ تح / إحسان عباس ط / دار الثقافة بيروت - لبنان -) .

(٣) إبراهيم صعابي (وطني سيد البقاع) ص ٣٠ ط / ١ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م نادي أبها الأدبي .

(٤) (بيادر) ص ٨٧ ع / ٣٧ رمضان ١٤٢٣هـ .

تمامل فيها رحيق السماء   فكان شذا لرحيق الزهر (١)

ومن الظواهر التي أتى عليها الشعراء في وصفهم السحاب والمطر - ولها ارتباط بهما - **ظاهرة الرعد والبرق** ، وقد توقف تصويرهم لها عند وصف صوت الرعد بالقهقهة أو بلحن يطرب الزائرين ، وهاتف يهتف بالآتين ، وإضاءة البرق الممتدة بالابتسامة ٠

فهذا الرعد عند هاشم سعيد النعمي يتورك متن الغمام وهو يتابع بين قهقهته التي تضج لها الآفاق :

قهقه الرعد فوق متن الغمامة   وهما الصب واكفاً من لثامه (٢)

ويسمع أحمد علي عسيري في صدى الرعد ألحاناً ترحب بزائري المكان . يقول :

ويطربني رعد وبرق بأرضها   صدى الرعد للأشعاف لحن لزائر (٣)

ويقول العشماوي وقد سمع في الرعد ما يهتف به :

أبها وتسبح في سمائي غيمة   ويلوح لي برقٌ ويهتف راعد (٤)

أما ومضة البرق - تلك التي تمتد في عنان السماء فتجلي الظلام - فهي بسمة عريضة يتبعها دمع غزير تجود به السحب ، وهذه صورة قامت في خيال الشاعر عبد الله علي الحميد ٠ يقول :

والغيم إن لا مسها   جللها أحلى جـــلال
يبتسم البرق بـــه   فتدمع السحب الثقال (٥)

وتظل بسمة البرق عند شاعر آخر هو عبد الرحمن السويداء . وذلك في قوله :

---

(١) (بيادر) ص ١٦٣ ع / ٨ محرم ١٤١٣هـ ٠

(٢) قصيدة وردت في مؤلفه (شذا العبير) ص ٣٨٥ ٠

(٣) أحمد عل سعد عسيري (بقايا المتاهات) ص ٤٣ ط / ١ ١٤١٧ هـ مطابع سحر - جدة -

(٤) عبد الرحمن العشماوي (خارطة المدى) ص ٥٣ ط / ١ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مكتبة العبيكان - الرياض -

(٥) (أديب من عسير) ص ١١٥ ٠

تبسمت في ثنايا المزن بارقة ثم انبرى قزح كالسيف مجرود [(١)]

وقد سبق الشاعر ابن خفاجة الأندلسي - شاعر الطبيعة - إلى تخيل البسمة في ومضة البرق في إحدى قصائده ، وجعل بسمة البرق مقابلة لبكائه ، وهذه الصورة - صورة ابتسام البرق عند الشعراء - تأتي دون الصور التي جادت بها بعض أخيلة الشعراء القدامى ، من مثل ما نجده عند ابن المعتز حين صور وميض البرق بمصحف قارىء ينطبق مرة وينفتح أخرى ، أو بلمعة سيف صقيل ، وعند غيره بقلب يرجف ، أو حية تضطرب أحشاؤها .... إلى أخر تلك التشبيهات أو ما نجده عند بعض شعراء الأندلس من تشبيه للبرق بلسان يلحس حبراً ، أو شرر ترامى من زناد الغمام ، ومنهم من جعل الغمام صباً عميداً ، الرعد أنينه والبرق جوى ناره ، أما الرعد فهو عند ابن المعتز - كذلك - حنين ثكلى ، أو صوت أمير يعتلي المرتفع من الأرض ليخطب في الناس ·

ونعود إلى بيت السويداء السابق لنظفر بتشبيه **لقوس قزح** - المشهد الجمالي الذي يأتي أحياناً تلية المطر وذلك إذا تبدت الشمس من خصاصه الغيم - بالسيف المجرود ، وقد جاء هذا التشبيه لما لمحه الشاعر في قوس قزح من انحناءة تقارب انحناءة السيف ، وهذه هي الصورة الوحيدة التي ظفرت بها لهذا المشهد في مجموع القصائد التي بين يدي ، رغم تكرر هذا المشهد كثيراً في سماء أبها وما جاورها من ديار السراة ·

أما تلك الألوان المتناسقة لهذا القوس ، فقد تركها الشعراء للشاعر ابن الرومي ، الذي شبهها بأذيال شابة ناعمة في غلائل مختلفة الأصباغ . يقول :

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجود دكناً وهي خضر على الأرض

يطرزها قوس الغمام بأصفــــر على أحمر في أخضـــــر وسط مبيض

كأذيال خود أقبلت في غلائــــل مصبغة والبعض أقصر مــــن بعض [(٢)]

(١) (رؤى مسافر) ص ١٠ ·

(٢) ديوانه : ص ١٤١٩ ج / ٤ . وقد جعل ابن رشيق هذه الأبيات ضمن شواهده وهو يدير الكلام حول المعاني المحدثة . انظر : (العمدة) ص ٢٣٧ ج / ٢ ·

وهكذا - **ومن خلال الشواهد والاختيارات السابقة** - تجلت لنا صورة السحاب والمطر والرعد والبرق عند الشعراء ، فمنهم من نهل من صور الأقدمين ، ومنهم من قارب تلك الصور ، ومنهم من حاول التجديد فأتى بصورة لهذه الظواهر مستوحاة مما حوله من مظاهر الحياة والبيئة أو مما جاد به خياله الشاعري ، ويأخذ بنا السير في طريق الوصف إلى موصوف آخر .

٢- وصف الغدران والجداول والندى :

الماء هبة الله أنزله من السماء إلى الأرض ، يرسله إليها فينساب في أنحائها ، فيكون غديراً وينبوعاً ، وجدولاً ، وطلاً ، ومنه ما يكون غوراً في جوفها ، وقد جعله الله - تعالى وتقدس - سبب الحياة لكل حي (١) وأخرج به من الأرض نبات كل شيء (٢) .

والماء رمز الصفاء ، تنشرح النفس به ، وتمتد العين إليه ، بل هو ثالث ثلاثة يتوافر الجمال ويبلغ أوج الكمال باجتماعها (٣) . ولذلك فإن المطالع لديوان الشعر العربي على امتداد زمنه الطويل ، يجد صورة رائعة ورائقة للماء ، تحكي صفائه ، وتصف انسيابه ، كما يرى الشعراء وقد أقبلوا عليه يصفونه مطراً ونهراً ووابلاً وطلاً ، ويستحلونه جارياً وقاراً (٤) .

ويستمر هذا الاستحضار وهذا الإعجاب ، لنجده عند الشعراء السعوديين ، وقد فاضت قرائحهم في وصف وجلاء مشاهد الجمال ومظاهره في (أبها) ، فترى الشاعر يستعذب ماء (أبها) ، ونميره وخريره ، وانسيابه على خدود وصفحة الأرض ، وتراه يرقب قطرات الندى وهي تتوزع على أطراف أوراق الشجر وأكمام الزهر .

ولا بدع فكل هذه المشاهد الجمالية للماء حاضرة في طبيعة (أبها) في وديانها وشلالاتها وعيونها وسدودها ، يحف ذلك بساط سندسي أخضر من النباتات والشجيرات ، وقد نظر الشعراء في هذا التكامل الجمالي في لوحة الطبيعة ، فاستحسنوه ووجدوا فيه اجتماعاً لطيفاً يقول أحدهم :

أبها ومن في رباهـــا ... روض وقـــدٌ نحيف
مـــاء ونبتٌ وحُسن ... هذا اجتماع لطيف (٥)

---

(١) وهي حقيقة جاء بها القرآن . يقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ آية ٣٠ سورة الأنبياء .

(٢) ذكر الله ذلك في قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ آية ٩٩ سورة الأنعام .

(٣) الماء والخضرة والوجه الحسن . كما هو مشهور في عرف الناس .

(٤) نجد هذا عند بعض الشعراء كأبي تمام وابن المعتز والصنوبري . غير أن شعراء الأندلس فاقوا غيرهم في هذا .

(٥) محمد أحمد الشنقيطي (قلب يتنفس) ص ٤٤ ط / ١ ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

وهذا التوافر لأسباب الجمال ميزة آثر الله بها (أبها) ، حيث زين طبيعتها وبعث وأجرى في كل ناحية منها ما يحفظ هذا الزَيْن ، ويدفع عنه الشَيْن ، ماءً ثجاجاً وسيلاً رجراجاً ، وقد وقف أحد الشعراء وهو يجوب تلك النواحي على هذا التميز وهذه الأثرة ليقول :

حباك الذي أعطى الطبيعة سحرها ... وخصك يا أبهـا ومثلك يؤثر
وأجرى زلال الماء من كل شاهق ... على نبعه تنمو الدوالي وتثمر(١)

ونريد - هنا - أن نستجلي الصورة التي رسمها الشعراء لهذا **المشهد المائي** ، لنرى مكانها من المحاكاة والتجديد •

لنقف أولاً - ونحن بهذا الصدد - على وصف مشهد الجداول والغدران ، لنلقى في مقدمة أولئك الشعراء أحمد عبد الله بهكلي ، إذ تتوالى عنده صور انسياب المياه الجارية من عيون وجداول في إطارات شعرية يحاول الشاعر من خلالها التجديد في الصورة •

فهو ذا يحب (أبها) ويحب جداولها التي تنساب في المكان الذي دلهها حبه ، لتهمس له بهذا الحب :

يحبك جدولاً ينساب دَلْهاً ... يتمتم هامساً همساً رقيقاً(٢)

ويرى - مرة أخرى - في هذا الجدول العاشق آثار الأسى والانكسار ، وهو يفارق المكان المعشوق إلى غيره . يقول أحمد بهكلي :

وينساب - رقراقاً - نمير مدله ... كأن أساه من فراق ابنة السحب(٣)

وفي ذات الإطار يرى الشاعر في حباب الماء وتموجه ضرباً من السحر الفاتن ، الذي نفثت به كف ساحرة . يقول بهكلي وقد اعتلى شفا (الفرعاء) ، مرخياً لنظره العنان ليرتع في تلك المناحي ، فيرجع إليه وقد بهره الحسن :

---

(١) عبد العزيز محمد النقيدان (عواطف ومشاعر) ص ٣٥ ط / ١٤١٠ هـ دار الجسر - الرياض -

(٢) أحمد عبد الله بهكلي (طفيان على نقطة الصفر) ص ١٣١ ط / ٢ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م دار الهلال - الرياض -

(٣) أحمد عبد الله بهكلي (الأرض والحب) ص ٩ ط / ٢ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م نادي جازان الأدبي •

وكم في شفا القرعاء [١]سرحت ناظري ليرجع مبهوراً من المنظر العـــذب

كـــأن لكف السحر تمريرة على عيون المياه الجاريات على القرب [٢]

ويتحول هذا الانسياب الرقراق وهذا التماوج الساحر - في صورة مغايرة - إلى خطوات جارحة ، لها ندوب وكلوم على خد الأرض ، لكن صاحب هذه الخطوات سرعان ما يأسو هذه الجراح ، بما ينعم به من عطاء يداخل شرايين هذه الأرض ، لتنبض خضرة وجمالاً ، فهو بذلك يجرح ويأسو في آنٍ :

ونمير تكلم الأرض خطاه وهو يأسو - رائعاً - جرح الفضول [٣]

ويقف الشاعر في صورة أخيرة رسمها وهو يتأمل العتاد الجمالي الذي أعدته (أبها) لتكر به على القلوب العاشقة المولعة بالجمال ، لتقع في الأسر مختارة ، فيرى ضمن ذلك العتاد (الماء) وهو يتشلشل وينحط من عل يلثم الثرى وكأنه خيل اشتد بها التدافع نحو غارة . يقول بهكلي :

أمـــا السلاح قناة قد فارع أوسيف لحظ صارم فتاك

أو درع طود شامخ متوشح بزهورك النشوى ومن ريّاك

أو خيل شلال غدا متدافعاً يشتد ملتاعاً للثم ثراك [٤]

ويأخذ مسيل الماء وقد أترعه المزن بعطائه المدرار صورة أخرى مسترفدة من التراث ، وذلك على نحو ما نرى عند تركي بن صالح العصيمي الذي رأى في صفاء الماء وامتداد صفحته صرحاً ممرداً من زجاج ، وقد تشكلت هذه الصورة في خيال الشاعر من خلال المخزون التراثي الذي استحضر منه قصة (بلقيس) حين ولجت صرح سليمان فحسبته لجة ماء[٥] لتنقلب الصورة عند العصيمي ، فيرى في مجتمع الماء ومسيله صرحاً ممرداً من زجاج :

---

(١) أثبتها كما في الديوان ٠

(٢) (الأرض والحب) ص ٩ ٠

(٣) المصدر السابق ص ١٦ ٠

(٤) المصدر السابق ص ١٣ ٠

(٥) وردت قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام في سورة (النمل) آية ٤٤ ٠

وواد سقاه المزن حتى أفاضه فأضحى كصرح في زجاج ممرد [١]

وفي مشهد آخر يموج طرباً ، يرى الشاعر خالد بن محمود الحليبي في الغدران جوقة موسيقية تلامس بأناملها أوتار الصخور ، فينطلق النغم المائي ليردف هذا المشهد الطَرِبْ بموسيقى الخرير :

هناك في قمة زرياب شادنها والريح تغزل من أغصانها الطربا
وحولها جوقة الغدران في دعة تستل من صخرها ما يذهل العجبا [٢]

وفي صورة تقوم على (التشخيص) يخيل لجاسم الصحيّح - وهو ينظر سير الماء، ويسمع خريره وطبطبته - أنه أمام أغنية تمشي على قدم من ناحية إلى أخرى ، لتملأ المكان أنغاماً وترنماً ، ولتكون مسلاة له تدفع عنه رائد التعب . يقول :

أنّى رحلت أرى الغابات تسبقني إلى المكان وتكسو وجهه عُشُبَا
والماء أغنية تمشي على قدم حولي وتكنس من أوداجي التعبا [٣]

ويرتسم انسياب الماء في عين إبراهيم بن محمد الزيد ابتساماً :

هنا الجداول تجري وهي باسمة هنا خمائل ما عنت لإنسان [٤]

أما علي بن عبد الله بن مهدي فيعمد إلى صورة أبلاها الشعراء قبله ، ليرسمها في الشطر الأول من أحد أبياته ، وهي تحكي صفاء الماء وكأنه الفضة أزال الصائغ شوائبها :

مياهها فضة زالت شوائبها وهي الحكيمة للأدواء تشفيها [٥]

وفي الشطر الثاني يدفع الاعتقاد بدور بعض العيون في الاستشفاء الشاعر ليقيم من المياه آسياً يتطبب الناس عنده طلباً للشفاء ٠

ومن الشعراء من التمس في صفاء العيون الجارية ، صفاء عيون الحور من النساء . يقول أحمد مطاعن :

---

(١) تركي صالح العصيمي (قلب في أبها) ص ١٦٦ ط / ١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م نادي أبها الأدبي ٠

(٢) (ملتقى أبها الثالث) ١٤١٣ هـ ص ١٠٤ .زرياب : مغن مشهور عاش في العصر الأندلسي ٠

(٣) (أولمبياد الجسد) ص ١٨٣ ٠

(٤) إبراهيم محمد الزيد (جراح الليل) ص ١٠ ط / ١ ١٤٠٢هـ نادي الطائف الأدبي ٠

(٥) (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٣٩ ٠

وعيون جاريات حولنا   كعيون زانها سحر الحور [١]

وكما وقف الشعراء عند صورة الماء ، استوقفهم - كذلك - خريره وانصبابه ، لنقف عندهم على ظاهرة (**الصوت الموسق للماء**) حين سمعوا في هذا الخرير وهذا الانصباب أنغاماً وجرساً وغناءً يشنف الأسماع ٠

فهذا شلال (المُقَصَّي)[٢] يقف على مسرح الطرب يغني للحسان ، ليبعث من أفئدتهن دفين الهوى ومكتمنه . يقول أحمد الصالح ناقلاً صورة الشلال في إطار خيالي :

شلالها ((المُقَصَّي))

يغني للحسان

أغنيات ما تهامست بها شفاههن

إلا ضج في صدورهن للهوى دليل [٣]

ويسمع عبد الله بن محمد الحميد في خرير الماء وطرائق الحباب التي تتعطف على صفحته جرساً يشنف السمع :

وخرير الماء في جدوله   شنف الأسماع من جرس الحباب [٤]

ولا يقف إطراب انصباب الشلال على الشاعر ليجري في دمه أنغاماً بل يتعداه إلى كل ما حول الماء من الأحياء ، فهذه أضمومة الحبق - كمثال - تتثنى أعطافها طرباً في حضن هذا المشهد الموسيقي . يقول أحمد عبد الله عسيري وهو يقرأ الحسن على صفحات تلال (أبها) ليرى في أثنائها شلال الماء :

شلالها في دمي أنغام ساقية   ترتاح في حضنها أضمومة الحبق [٥]

ومع كل هذه الأنغام المنبعثة عن أوتار الماء وقد عبثت بها أنامل الرياح ، واستنطقتها طبيعة المكان إلا أن الشاعر أحمد عبد الله بهكلي يسمع ذلك - كله - همساً رقيقاً ، يهمس به الجدول في أذن المكان ، وهو همس يستحليه العشاق ، ويرون فيه نجوى لا يسترقها سمع الرقباء :

---

(١) (دورة الأيام) ص ٦٥ ٠

(٢) مصب للماء ومجتمع له على طريق الذاهب إلى (السودة) ٠يتوافر به الماء جارياً وقاراً إذا توافر المطر ٠

(٣) أحمد الصالح (انقضي أيتها المليحة) ص ٨٥ ط / ١ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م دار العلوم - الرياض -

(٤) (ملتقى أبها الثقافي الثالث) ص ٨٩ ٠

(٥) (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٧١ . ولدي نسخة مخطوطة لهذه القصيدة ٠

يحبك جدولاً ينساب دلهاً ... يتمتم هامساً همساً رقيقاً (١)

وإذا ما أتينا إلى **الماء طلاً** ، وجدنا له عند الشعراء حظوة وحضوراً ، ذلك أن (أبها) مكانٌ يتكرر فيه - عند تنفس كل صباح - مشهد قطرات الندى على صفحات أوراق الشجر ، وأطراف النباتات المنتشرة في كل ناحية . يقول محمد هاشم رشيد وقد رأى هذا المنظر :

معارج تمضي وتمضي بنا ... مضمخـــــة بعبير المطر
مجللة باخضرار أنيـــــق ... تألق فيه الندى وازدهر (٢)

وهو مشهد بديع يجبذه من أشقاهم الهوى وما على أولئك إلا أن يأتوه قبل أن تأذن الشمس برحيله . على نحو ما نرى عند محمد سعد الدبل :

قل لمن يشكو تباريح الهـــوى ... جمعت أبهـــا شكاوى المغرمين
إن شجاك الطل من رشح الندى ... فاسبق الشمس إلى الروض الجنين (٣)

ونحن عندما نقف على الصورة التي أبدعها الشعراء لهذا المشهد ، نجد أنهم سلكوا السبيل التي سار فيها الشعراء القدامى في تصويرهم له ، ليروا فيه - مرة - دمعاً مسكوباً ، ومرة لؤلؤاً وجماناً منثوراً ، وهاتان صورتان مقاربتان للندى من حيث الشكل ، إلا أن اختيار إحدى الصورتين من قبل الشاعر له دلالاته النفسية ، والتي بدورها أدت الشاعر إلى اختيار صورة دون أخرى ، فهذا شاعر يرى في سقوط قطرات الندى على الأزهار دموع يتامى إستقطرتها مرارة اليتم ، واستدرها ألم الفقد ، ولعل في حياة الشاعر أو مشاهداته ما دفع به إلى استدعاء هذه الصورة من الذاكرة وهو يصور مشهد الندى يتساقط على الزهر . يقول حسين أحمد النجمي :

وسقوط الندى على الزهر يحكي ... أدمع الحزن في عيون اليتامى (٤)

---

(١) (طيفان على نقطة الصفر) ص ١٣١ .
(٢) (بيادر) ص ٤٨ ع / ٤ ١٤١٠هـ .
(٣) (خواطر شاعر) ص ١٠٣ .
(٤) (عيناك في وقت الرحيل) ص ٥٦ .

وفي منظر ندي آخر يشبه محمد سعد آل حسين الطل ساعة الإصباح بدمع غانية تولاها الوجد والشوق إلى حبيب :

والطل في ساعة الإصبـاح منتشر تياره فوق هـام الزهر مجراه
كأنه أدمع في خد غانيـة غيداء في قلبها وجـد تولاه
شوق إلى ذي هوى يخفي عرامته حياءها وانبذار الدمع أفشـاه [(١)]

ويقاربه في هذه الصورة عائض القرني في قوله :

فانظر الطل على هام الربى كدموع الصب في خدٍ ندي [(٢)]

ويجعل زاهر بن عواض الألمعي من الطل ذاته (شخصاً) يكفكف دمعه على جنبات الأيك إلا أنه في هذه المرة دمع الفرح والنشوة . يقول زاهر الألمعي وقد اعتلى نشز (الفرعاء) :

فلله من ساعات أنس تتابعت على نشز القرعاء [(٣)] مزدهرات
ونشوة نفح النشر لما تضوعت به أيكة منظومـة الشذرات
يبيت بها طل يكفكف دمعـه ويهمي ندياً عاطر القطرات [(٤)]

ويأتي صفاء قطرات الندى وبريقها وتجاورها على صفحات الأوراق ليستدعي في الخيال الشاعري بريق اللؤلؤ ، ونضد الجمان ، ونثر الدر ليقوم التشابه بينهما عند الشعراء على نحو ما نرى عند علي بن إبراهيم التركي ، وعبد الله بلخير ، وأحمد مطاعن .

يقول التركي :

وانظر العشب كيف يختال حسناً وسنا الطل فوقه كاللآلي [(٥)]

---

(١) محمد بن سعد بن حسين (أصداء وأنداء) ص ٧٧ ط / ١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م مطابع الفرزدق - الرياض - ٠

(٢) (قصة الطموح) ص ١٠٦ ٠

(٣) أثبتها كما في الديوان ٠

(٤) زاهر الألمعي (الألمعيات) ص ٥٢ ، ٥٣ ط / ٣ ١٤٠٣ هـ مطابع الفرزدق - الرياض - ٠

(٥) علي خضران القرني (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص ٦٨ ط / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ٠

ويقول عبد الله بلخير وقد شاهد تلك القطرات على أغصان اللوز :

يهمي عليها الطل تحسبه على (م) الأوراق دراً جامداً ما ذابا (١)

ويماثلهما أحمد مطاعن بقوله :

وهدوء الطل ينساب على وجنة الورد كحبات الدرر (٢)

بقي أن الشعراء وهم يقيمون الشبه بين الطل والدمع ، والطل والدر ، يستحضرون في الشبه الأول دلالة الشكل دون دلالة الجمال المدفوعة بكون الدمع ظاهرة تحكي - في الغالب - نفساً حزينة ، بينما تتآصر الدلالتان في الشبه الثاني ٠

وجملة الرأي - وبعد النظر فيما سبق من معاني الشعراء - أن من هذه المعاني ما يمكن رده إلى مظانه في دواوين الشعراء السابقين ، وإن كانت دونها في قوة التصوير وجماله ، والقليل من تلك المعاني ما كان فيه معنىً جديداً أو صورة رسمها الشاعر دون مثال يحتذى ، من مثل ما نرى عند البهكلي والصحّيح والحليبي ٠

٣- **وصف النسيم والصيف والضباب :**

لأبها ميزة النسائم المعطارة ، والهواء العليل ، لا سيما فصل (الصيف) ، يحف ذلك تشكيلات وقطع متجاورات ومتناثرات من الضباب (٣) تتوزع على سفوح الجبال ومراقي التلال ، وبطون السهول والوهاد ، لتمنح - إلى جانب جمالها - لطافة الأجواء مما جعل المكان مرتاداً يرتاده الفارُّون من حمَّارَّة القيظ ولفح الهجير ٠

ولأن كل حسن معجب لا بد وأن تجد للشعراء فيه قولاً ، فإن هذه **النسائم الصيفية والمشاهد الضبابية** ، قد راقت للشعراء وظفرت بإعجابهم ، فقاموا إليها يحكونها ويصفونها شعراً ، ويرسمون لها لوحات متقاربة الأشكال والأصباغ ٠

فرقة النسيم - مثلاً - مدعاة لوقوف الشعراء ، ومنهم محمد بن سعد الدبل الذي تعرض لهذه النسائم فوجد فيها وفي أبها وقت الأصيل رقة تلك الهمسات الطيفية التي تأتي في الحلم :

---

(١) (بيادر) ص ٤٨ ع / ٤ ١٤١٠ هـ

(٢) (دورة الأيام) ص ٦٤ ٠

(٣) ظاهرة طبيعية ترتقي جبال السراة لتتخذ من ذراها مسرحاً لاستعراضاتها . انظر ص ٣٥ من البحث ٠

رق النسيم وأبها في أصائلهـــــا أرق من همسات الطيف في الحلم [١]

ومن الشعراء من وجد في هذا النسيم العليل كأس مدامة تذهب بالألباب ، يغدو ويروح كارعها نشواناً ، وقد اشترك في هذه الصورة بعض الشعراء ، لنجدها عند يحيى توفيق وكذلك أحمد بيهان وزايد الكناني . يقول يحيى توفيق :

هناك كم همت بالأنسام تسكرني والبدر والليل يشجيني ويشجيك [٢]

ويقول بيهان :

رق النسيم وفـــاح من نسماته عطر سكرت سكرت من خطراته [٣]

ويقول الكناني معتباً مكثر الملام في حب أبها والتغني بها :

تلك الربى يا مكثر المـــلام نسيمها من مثمل المــــدام [٤]

وهذه النسائم المثملة والعاطرة أنفاس تنبعث من ثغر (أبها) المليح ، محملة بأرج الأزهار ، لتتعطر به الأنحاء والأرباض . يقول أحمد مطاعن :

أما صفاء الروح من أبها فقـــد أوحى لخفاقي فجاش وغـــردا

لما أتت مثل العبير قصيـــدة أفضى بها عصر الرقي وأنشـــدا

إلى أن يقول :

من ثغرهــــا يسري النسيم معطراً والخد من لمس النسيم توردا [٥]

وهي أنفاس عطرة تبرد الأنفاس الحرى لدى كل من يأتيها . يقول محمد علي السنوسي :

فناجيتها وتأملتهـــــــا وأغرقتها بهوى العبـــاب

وبللت أنفاسي اللاهبــــات بأنفاسها العاطرات الرطاب [٦]

---

(١) محمد سعد الدبل (في رحاب الوطن) ص ١٦ ط / ١ ١٤١٧ هـ مكتبة العبيكان الرياض .

(٢) يحيى توفيق (شعري وحواء : المجموعة الشعرية الكاملة) ص ٥٧٧ ط / ١٤١٤ هـ مؤسسة المدينة للصحافة دار العلم - جدة - .

(٣) أحمد عبد الله بيهان (نزيف المشاعر) ص ١٨٣ ط / ١ ١٤٠٤ هـ نادي أبها الأدبي .

(٤) (تقاسيم زامر الحي) ص ١٧ .

(٥) أحمد إبراهيم مطاعن (بصمات خالدة) ص ١٩ ط / ١٤١٧ هـ مطابع مازن - أبها - .

(٦) محمد علي السنوسي (المجموعة الكاملة) ص ٥٢٥ ط / ٢ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م نادي جازان الأدبي .

وفي فن تشخيصي ممتع استحال النسيم عند بعض الشعراء ليكون ذا يد وخطى وبسمة . يقول البهكلي وقد جعل للنسيم أيدياً تعمل في أغصان العرعر :

وتحت ظلال الأيك في السودة انجلى ... لي الحسن ممدوداً على ربعها الخصب

وأيدي النسيم الغض تهصر غـــادة ... من العرعر المزدان ذي الفنن الرطب (١)

ويرى إبراهيم محمد الزيد للنسائم مباسم تبسم لكل من يلقاها . يقول وهو يتحدث عن نسائم أبها :

تلقاك بالبسمة الكبرى نسائمها ... ندية عطرهـــا بالورد يلقاني (٢)

ولا نزال في دائرة (التشخيص والتجسيم) ومع الشاعر جاسم الصحيح الذي رسم من خلالها صورته الفنية للنسيم ، فالريح عنده غزالة تمر نسائمها في مشية رشيقة الخطو ، لتهدي المكان السلام ، هذا المكان الأسطورة :

أسطورة بين أكتاف الذرى نقشت ... وشماً يخبىء من أسرارها عجبـــاً

غزالة الريح تهديها الســـلام إذا ... مر النسيم رشيق الخطو منسربا (٣)

ولأن النسائم تلك نسائم صيفية فإن للصيف في خيال الشعراء ولوحاتهم الشعرية نصيباً ، لنجد له صوراً متعددة ومتتالية عند الشاعر أحمد الصالح ، فهو عنده طعم المطر ، ولون الغمام ورائحة السفر ، وابتسامات الصبايا ، وضوء القمر ، وزغردات طفلة لعوب ، ووشوشات عاشق ، ونسمات محملة بأريج الأزهار ، وكلها صور انتظمت في خيال الشاعر ليسكبها في قالب شعري . يقول مبدعاً هذه الصورة المركبة للصيف :

يا شاعري ... !!

الصيف في .. أبها

له طعم المطر

لون الغيوم .. البيض

---

(١) (الأرض والحب) ص ٨

(٢) (جراح الليل) ص ١٠ .

(٣) (أولمبياد الجسد الجريح) ص ٧٨ .

رائحة السفر

كما ابتسامات الصبايا

مثـــــل أضواء القمر

ويستمر تدفق الصور عند الصالح وهو يعيش الصيف في أبها :

الصيف ...؟!

للإنسان في أبها عمر

الصيف ... فيها

زغردات ... طفلة

طرية لعوب

كوشوشات .. عاشق

كنسمة .. ندية

تضوعت طيوب [1]

والصيف - وفي نص أخر للشاعر - رجع أغنية بين يدي (أبها) وعاشق للمكان عشقاً أبدياً :

الصيف بين يديها رجع أغنية   وعاشق منذ فجر الدهر ما اغتلما[2]

ولا بد أن نشير - هنا - إلى أن المستجلي لصورة الصيف في الشعر العربي يجده فصلاً يرمي بشرر الحرارة ، ليذوي النبات وينحسر الماء ، مما يبعث على الألم والسآمة من أتون هذا اللهيب [3] لكنه في أبها بعض فتنتها ، وسر من أسرار تميزها [4] ، وهذا أحمد الصالح - مرة أخرى - يقفنا في شعره على تلك الميزة الفاتنة معللاً ارتياده للمكان :

---

(١) انتفضي أيتها الملحية) ص ٥٨ .

(٢) (بيادر) ص ٨٨ ع / ٣٧ رمضان ١٤٢٣ هـ .

(٣) انظر مثلاً لذلك ديوان ابن المعتز ص ٣٢٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٧ ج / ٢ وديوان الرصافي ص ٦٣٢ .

(٤) لم نقف في (قصيدة أبها) على وصف فصل غير فصل الصيف لأنه حسنة الفصول في أبها .

أحبابنا الصيف فيها بعض فتنتها فجئت أعشق فيها الصحو والديما [1]

وكما أعجب الشعراء بالصيف ونسائمه فإن **لظاهرة الضباب** - تلك الظاهرة التي تكاد جبال السراة تنفرد بها دون غيرها من الأماكن في جزيرة العرب - مكاناً في دائرة هذا الإعجاب فقد أخذ الشعراء يصفون هذه الظاهرة ، ويرون فيها صوراً شتى ، ومن هؤلاء الشعراء محمد هاشم رشيد الذي جلس على صخرة تعتلي ذروة جبل أخضر ، يرقب تصاعد الضباب وانتشاره وهو يعبق بالطيب في كل مكان ينزله :

هنا في الذرى الخضر في المنحنى على صخرة من صخور القمر
جلست وحولي الضباب الشفيف تصاعد بالطيب ثم انتشر [2]

وتدفع تلك الظاهرة الطبيعية بالشاعر أحمد بيهان ليركب مطية التشخيص ، فيرى في الجبال هامات شامخة تعتلي أَنَفة على من حولها ، ويرى في الضباب خاطب ود يُقْبِلُ على تقبيل أقدام هذه الجبال بعد أن عجز عن مس رؤوسها . يقول الشاعر :

فوق الخيال وفوق كل تصور
قمم تمس النجم في وجناته
عجز الضباب بأن يمس رؤوسها
فأفاض في أقدامها قبلاته [3]

أما حسين بن أحمد النجمي ، فيرى في هذا الانتشار للضباب على الروابي والوهاد عناقاً مع أزهارها ، وكأنه بذلك يحكي قصة عشق :

وعناق الضباب للزهر يروي قصة الأمس في عيون الندامى [4]

وتسري خوالج الحنين والشوق والتعلق بالمكان في نفس أحمد عبد الله التيهاني ليستحضر ضباب أبها الذي يسدل أستاره على معالم المكان ، ليرى فيه إشراقاً كإشراق القصيدة المترعة بالجمال ، لينساب إلى نفسه فيزيل عنها ضباب متاعب أيام خلت ، وهي

---

(١) (بيادر ٩ ص ٨٨ ع / ٣٧ رمضان ١٤٢٣هـ .

(٢) (بيادر) ص ٤٨ ع / ٤ ١٤١٠ هـ .

(٣) (نزيف المشاعر) ص ١٨٤ .

(٤) (عيناك في وقت الرحيل) ص ٥٥ .

صورة رائعة تقارب بين جمال المكان وجمال الحرف ، وهما جمالان لا يستذيقهما إلا ذائقة شاعرة :

أبعد تراشق الأيام زهــــو   يزيل ضباب أيـــــام خوالي
ليشرق في النفوس ضباب أبها   كإشراق القصيدة بالجمال (١)

ويأتي شعراء آخرون وفي صور تتفق في كونها مجتلبة من معين واحد ، ليجعلوا من الضباب خزانة مملوءة بفاخر الألبسة ، يتزيا ويتزين بها المكان لكل قادم وعاشق .

فهذه دارات أبها وبيوتها تبدو في عين إبراهيم بن محمد الزيد - والضباب يعتليها - وكأنها تتوج تيجاناً :

عجبت من دورها بين الضباب غدت   كأنما اعتمرت تاجاً بإمعان (٢)

وفي صورة رسمها الشاعر أحمد مطاعن ، يستحيل الضباب ثوباً شفيفاً ينسدل على قوام البهية أبها :

وثوب الضبـــــاب شفيف على   قوام البهيـــــة قد أسدله (٣)

وفي صورة أخرى مقاربة لهذه الصورة ، يتمثل الضباب ليعقوب بن علي عقيل كساءً فاتناً اتشحته شابة بضة بديعة الخلق . يقول :

فإذا الضباب يلفها فكأنمــــــا   خود قد اتشحت كسا الإفتان (٤)

ويخاطب منصور الحازمي (السودة) العروس يستظهر منها بعض جمالياتها ليقول :

وأطلي على السفوح عروساً   تلبس المرج والضباب لثاما (٥)

وهنا صورة أخيرة متحها الشاعر من تقليد اجتماعي يراه في محيطه ، وهو اتخاذ عقال على عمامة الرأس حتى لا تزايل مكانها ، ليرتسم الضباب في خيال الشاعر عقالاً شبيهاً

---

(١) أحمد عبد الله التيهاني (أماريق) ص ٨١ ط / ١ ١٤٢٠ هـ نادي أبها الأدبي .

(٢) (جراح الليل) ص ١١ .

(٣) (دورة الأيام) ص ٦٨ .

(٤) (بيادر) ص ١٢٥ ع / ١٦ شعبان ١٤١٦ هـ .

(٥) منصور الحازمي (أشواق وحكايات) ص ١١٩ ط / ١ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م دار العلوم للنشر والتوزيع - الرياض - .

بذلك العقال تلبسه قمم الجبال . يقول حسين أحمد النجمي ضمن لوحة شعرية رسمها الشاعر لتحكي العلاقة بين الأمير الشاعر خالد الفيصل وبين أبها ملهمة الشعراء :

وأصاخت القمم التي لبست له ثوب اخضرار والعقال ضباب (١)

وإذا أقمنا النظر في هذه الأوصاف وجدنا فيها التفاتاً إلى صورة السحاب عند بعض من الشعراء السابقين ، وفي الشواهد التي سيقت في وصف السحاب ما يبين عن ذلك (٢)

وهكذا - وعلى هذا النحو - وصف الشعراء النسيم ، والصيف ، والضباب ، في إطار يتنازعه التقليد والتجديد ، يصدرون في ذلك عن مورد الخيال ، أو عن واقع حسي منظور ، أو عن موروث شعري سابق لهم •

---

(١) (بيادر) ص ٧١ ع / ٢١ جمادى الأولى ١٤١٨ هـ . وهذه القصيدة ضمن ديوان (قبلة على جبين الوطن) وهو ديوان مجموع ولما يطبع ، وقد ملكني الشاعر نسخة منه •

(٢) انظر ص ٤٨ من هذه الدراسة •

٤- وصف الروابي والرياض والجبال :

تحتضن **روابي ورياض** (أبها) لوحات جمالية متعددة الألوان والأصباغ ، فما شئت من زهر وماء وخضرة ، لتكون بذلك اللوحة الأم التي يرسم الشاعر داخل إطارها صوراً متعددة للجمال •

يقول أحمد بهكلي بعد أن رأى تلك اللوحة ، وقد اكتملت فيها خطوط الإبداع ، ومكونات الجمال :

فيك ما فيك يا مرابع أبهـا — من جمال وفتنة وبهـــاء
قيل للحسن كن وفيك تجلى — روضة تزدهي وجدول ماء (١)

وتتكرر وقفة الشاعر على هذه الروابي ، ليستحيل إحساسه بها - هذه المرة - إلى كون من ذهول استمع إليه وهو يخاطب أبها :

حدثي عن ربوة لم تُربُ إلا — لتحيل الحس كوناً من ذهول (٢)

ولا ريب بعد ذلك أن تخلب هذه الربى الألباب ، وتجلو الأبصار الناظرة إليها ، بسبب جمالها وبديع ما فيها ، حتى كأنها لوحة تأنق راسم بارع في رسمها . يقول حجاب الحازمي وهو يحدث عن أبها :

نمنمت فيك يد الفن ربى — تخلب الألباب تجلو البصرا (٣)

وهنا صورة ماتعة ورائعة تتابع مع سائر الصور ، يقيم فيها طاهر زمخشري من الروابي شواعر تتلو سُوَر الحسن في كل مكان :

وراحت تسكب
الأنفاس شعراً •• يناغم
من لطافته الأصيل

---

(١) (الأرض والحب) ص ١٩ •

(٢) المصدر السابق ص ص ١٦ •

(٣) علي خضران (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص ٣٣ •

تقول :

الحسن في أبها ..

قصيد .. وناظمة الروابي والحقول ..! (١)

وتبقى الصورة شاعرية عند أحمد فرح عقيلان ، الذي رأى في الروض مكاناً شاعرياً يصقل الخيال الجمالي ، ويرتفع به إلى أعلى مستوياته في نفس الشاعر . ليقول :

في روض أبها كل شيء شاعر فالحسن يصقل في النفوس خيالها (٢)

وهذا الحسن عند محمد بن سعد الدبل ملاءات ومباسط ، ينشرها الروض على أطرافه يمنة ويسرة وفي كل ناحية من المكان :

والروض مد ملاءات منمقة على المشارف في عرض وتصعيد (٣)

ويقصد بعض الشعراء هذه الروابي ، ليجعل منها في خياله معرضاً يجتمع إليه جمهور المعجبين ليروا تشكيلات مختلفة من الاستعراضات الجمالية ، كتهادي الأنوار الذي افتتن به الشاعر أحمد بن سالم باعطب . يقول :

أبها جمالك سحري وفتان وثوب عرسك بالأطياب ريّان

على رباك تهادى النور مؤتلقاً فالأرض باسمة والأفق جذلان (٤)

أو كترقرق الهوى الذي أعجب محمد بن سعد بن حسين ، ليستفهم عنه في طالع قصيدته استفهام تعجب وإعجاب :

ألدى مراقيك السنا يتدفق وعلى روابيك الهوى يترقرق ؟! (٥)

ونعود إلى الشاعر أحمد بهكلي - وهو من أشد المولعين بأبها (٦) - لنجد عنده صوراً لا تخلو من الجدة والابتكار ، ينتهي فيها إلى أن يرى في الروابي مرفأ يسكن إليه من

---

(١) (رباعيات صبا نجد) ص ٣٧ .

(٢) أحمد فرح عقيلان (الأعمال الكاملة) ص ٨٧ د . ت بيت الأفكار الدولية - الرياض عمان -

(٣) (خواطر شاعر) ص ١٠٢ .

(٤) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص ١٧ .

(٥) (بيادر) ص ٤٠ ع / ٤ ، ١٤١٠ هـ وهي من القصائد التي لم يضمها ديوانه المطبوع (أصداء وأنداء) .

(٦) انظر : حزام بن سعد الغامدي (شعر أحمد بن يحيى البهكلي : دراسة تحليلية) ص ٣٦ وما بعدها . رسالة ماجستير مخطوطة جامعة أم القرى ١٤٢٢هـ .

تلاطمت به أمواج الحياة العصبية . يقول بهكلي :

نعم هذه أبها فكحل بها الطرفـــا فلله أبهـــــا ما أرق وما أصفى
ربي لا يلام الصب إن بات مدنفـــاً بها قد حوت دون الدنى الحسن واللطفا
تفتح زهر القلب فيهـــا وعرّشت أمانيّ فيها وانتجعت بها الحرفـــــا
وما كنت إلا زورقاً والمنى مـــدى فلما تعالى الموج كانت هي المرفـــا
سقتها الغوادي الوبل ما احمر وردها وما اخضر في أنحائها الجرع والطرفـــا[١]

ونرتفع - ونحن نفاتش الشعر الذي قيل في أبها - من الروابي والرياض إلى مرتقى أعلى لنصعد مع الشعراء تلك **القمم والذرى العالية** التي تملأ النفس هيبة ، وتمنح الخيال متسعاً يستلهم - من خلاله — دلالات مختلفة ، ويخلق صوراً رائعة ٠

ولكن لابد - قبل ذلك - من أن أشير إلى أن الجبل يحتل من الذاكرة العربية مكاناً مكيناً فالعربي يرى فيه دلالات لايراها في غيره ، كالثبات وطول المقام ، وشهود الأحداث[٢] ، وقبل ذلك كله تقوم الجبال من نفسه مقام الهيبة والقوة[٣] ، يعكس ذلك ما نراه عند الشعراء العرب فإن الجبل ((يمثل واحداً من أهم الألفاظ ذات الدلالة المكانية التي يعول عليها الشعراء ولعل شيئاً من ألفاظ المكان لم يبلغ مبلغ الجبال في بعض المعاني الشعرية))[٤] ومن الشعراء من يعمد إلى الجبل ليقيمه شاهد عدل ، يستنطقه ويستخبره عن أيام تعاقبت ، وأجيال تتابعت ٠

وقد عني الشعراء - وهم يصفون مجالي الطبيعة في أبها - **بالجبال** ، خاصة تلك التي لها ميزة على غيرها ، وليس غريباً أن نرى هذه العناية إذا ما علمنا أن المكان

---

(١) نتفة شعرية (مخطوطة) جاءت برفقة الدواوين التي تفضل الشاعر بإرسالها إليّ ٠

(٢) سبقت الإشارة إلى مثل هذا انظر : ص ٢٠ ، ٢١ من التمهيد ٠

(٣) يدل على ذلك السؤال عن مصيرها يوم القيامة حيث أكبر الناس زوالها واندثارها فسألوا النبي ﷺ عنها فنزل في ذلك قرآنٌ . يقول الله عز وجل : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ ، الآية ١٠٥ سورة طه . كما أن سَوْق الله - تعالى وتقدس - لها ضمن اياته التي استدعى النظر إليها - وذلك في سورة الغاشية آية ١٩ - يشير إلى ما تحمله من هذه الدلالات ٠

(٤) (شاعرية المكان) ص ١٤٦ ٠

يتصفُ بطبيعة جبلية ، كونه يقع على امتداد من جبال السروات ، التي تعد من أضخم السلاسل الجبلية في بلاد العرب[١] ٠

فكيف ارتسمت هذه الجبال في مخيلة الشعراء ؟ وكيف جاءت صورتها الشعرية في قصائدهم ؟ نقول بداية : إن الناظر لأول وهلة - ممن ثقف الشعر ونظر فيه - في هذه الصور ، وهذه التشبيهات ، وذلك التأمل والاستنطاق يجد أنها في غالبها صور ونعوت تقليدية ومكرورة ، وأن الذين عمدوا إلى التأمل والتشخيص مسبقون إلى ذلك في شعر العربية ٠

غير أن الشعراء يلتقون في كون هذه الجبال - إلى جانب عظمتها وبديع صنعتها وخلقتها - قامات جمالية رائعة ، تخفق بكل بديع وجميل . يقول جمعان عبد الكريم عطية وقد لمح هذه اللوحة الجبلية من بين لوحات الجمال الأبهي :

وتخفق فيها قلوب الجبال فتظهر أسمى بديع الصور [٢]

ومما استرعى نظر الشعراء العلو الشاهق لهذه الجبال ، ومن هؤلاء الشعراء أحمد سالم باعطب الذي اصطفت أمام ناظريه طبيعة السماء وطبيعة الأرض - وهو يرتقي مرتفع (السودة) - لتتولد من خلالها صورته الخيالية :

تلهو الكواكب في أحضان سودتها والفجر في حبها صب وهيمان [٣]

وفي صورة مقاربة ، تعلو هذه القمم حتى تداعب وجنات النجوم ، على نحو ما نرى عند أحمد بيهان :

فوق الخيال وفوق كل تصور

قمم تمس النجم في وجناته [٤]

وتلتقي جبال السراة حتى تكون من كواكب السماء قاب قوسين أو أدنى ، وهي - وكما أراد الله -

---

(١) تمتد هذه الجبال من الحجاز شمالاً إلى اليمن جنوباً وبذلك تأخذ امتداداً كبيراً من جزيرة العرب .

(٢) (بيادر) ص ١٦٣ ع / ٨ محرم ١٤١٣هـ ٠

(٣) (أبها في مرآة الشعرالمعاصر) ص ١٧ ٠

(٤) (نزيف المشاعر) ص ١٨٤ ٠

رواسي وأوتاد للأرض أن تميد بالناس [١] . يقول عبد الله بلخير واصفاً هذه الحقيقة :

نافت سلاسلهـا علواً شامخاً　　في الجو كان من الكواكب قابـا
فكأنها أثقـال ما ترسو به　　الدنيا رمى الأوتاد والأطنابـا
أرسى زواياها وثبت حملها　　حتى استقلت في الفضاء ركابا[٢]

والمعروف تضاريسياً أن هذه الجبال التي تكتنف (أبها المدينة) تعد أرقى وأعلى شوامخ الجزيرة العربية وهو ما ولد هذه الصور عند الشعراء ، بل هو ذاته الذي ولدَ الصورة الجميلة عند حسين النجمي في قوله :

(فمرحباً ألف في أبها) على سعةٍ　　فها هنا تحضن الأرضَ السماواتُ [٣]

وتتولد الدلالة ذاتها عند مقبل العيسى في قوله :

تبدو الذرى فيها .. معانقـةً　　للأفق في تيه .. وفي صيـد [٤]

ولا يجد صالح سعد العمري وهو يرى هذه الجبال إلا صورة الحراس اليقظين يحرسون الجميلة :

أرض من المسك أم جو من الكادي　　أم فارس الغيم يهوى غادة الوادي
البرق في قلبه قد لاح يطلبهـا　　وحفها حرس من ذات أوتـاد [٥]

أما اللون الجبلي الأخضر فليس إلا ثوباً أخضراً تلتحفه هذه الجبال ، خيوطه أوراق الشجر وأطراف أوراق النبات . يقول حسين أحمد النجمي وقد رأى السودة تتزين لعاشقها الأمير :

فالسودة الشماء قد لبست له　　خضر الثياب وفي الكفوف خضاب [٦]

---

(١) حقيقة ذكرها القرآن الكريم الآية ١٥ سورة النحل .

(٢) (بيادر) ص ٣٣ ع / ٤ ١٤١٠هـ .

(٣) هذا البيت من قصيدة ضمها ديوان (قبلة على جبين الوطن) وهو ديوان مخطوط سبقت الإشارة إليه .

(٤) مقبل عبد العزيز العيسى (الهروب من حاضر) ص ١١٦ ط / ١ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م شركة المدينة للطباعة والنشر - جدة - .

(٥) (ريش من لهب) ص ٦٠ .

(٦) (بيادر) ص ٧١ ع / ٢١ جمادى الأولى ١٤١٨ هـ .

وتزدهي هذه الجبال بعميم النبت ، وتبدو في عين عبد الله بن إدريس وكأنها تتحلل بحلل الجمال ، مختلفة الأشكال والألوان :

الشاهقات من الجبال تجللت　　حلل الجمال مطارفاً وبدائعا (١)

ويأخذ زاهر الألمعي على من عاب (أبها) ، واستهجن جمالها (٢) ، إذ لو رأى الجبال وقد اصطبغت وتعطرت بعاطر الورود والأزهار ، لما فاه بهذا المقال :

أما رأيت جبال السودة اصطبغت　　بعاطر الورد والأزهار تزدان

كم بلبل صادح يشدو برونقها　　يردد اللحن فيها وهو جذلان (٣)

وإذا ما انتقلنا إلى مشهد آخر ، لنقف على تصوير الشعراء له ، سنجد أمامنا **صورة السحاب والضباب وهما يعتليان هذه الجبال** ، وكأنها هامات وأجساد تتعمم وتتدثر بهما ، ولا بدع أن تقوم هذه الصورة عند الشعراء قديماً وحديثاً حيث إنها تمثل رمزاً وتقليداً عربياً يميز العرب عن غيرهم (٤) . يقول أحمد فرح عقيلان وقد جاء السودة في يوم غائم :

يا حبذا قمة السودا معممة　　بالغيم والسيل في جرعاتها زجل (٥)

ويقول حسين أحمد النجمي مستحضراً تلك الصورة :

وأضاخت القمم التي لبست له　　ثوب اخضرار والعقال ضباب (٦)

---

(١) عبد الله بن إدريس (في زورقي) ص ١٠٩ ط / ٢ ١٤١٣ – العبيكان للطباعة والنشر – الرياض – ٠

(٢) المقصود بذلك : الشاعر أحمد البدري الذي زار أبها فلم ترق له ، لينظر إليها نظرة سالبة في قصيدة له وقفت على الإشارة إليها في كتاب (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٦٦ وديوان (الألمعيات) ص ١٤٩ ولم أقف على نصها ٠

(٣) (الألمعيات) ص ١٥٢ والقصيدة مثال للتمادح بالأوطان ، الذي يكثر في شعر العربية وتتصل أيضاً بالحمية للوطن ، وهو لون من ألوان الأدب ٠

(٤) يؤسس لذلك قول العرب وفعلهم . فمن شهير قولهم : ((العمائم تيجان العرب)) انظر الجاحظ : (البيان والتبيين) ص ١٠٠ ج /٣ تح / عبد السلام هارون ط / ١٩٦٠ م – القاهرة – وانظر كذلك الثعالبي : (التمثيل والمحاضرة) ص ٢٨٣ ط / ٢ ١٩٨٣م تح / عبد الفتاح الحلو – الدار العربية للكتاب ٠

(٥) (الأعمال الكاملة) ص ١٣٦ ٠

(٦) (بيادر) ص ٧١ ع / ٢١ جمادى الأولى ١٤١٨ هـ ٠

وكما يستريح المرء حيناً من دثاره وعمامته ، فكذا جبال (أبها) التي تتوارى حيناً بدثارها وقناعها ، وحيناً تتبدى للناظر دونهما . يقول علي عبد الله مهدي :

جبالها تتوارى خلف أقنعة　　　بيض وإن شاء مولاها يجليها (١)

ويرغم أن الناظر في المكان لا يكاد يرجع نظره إلا عن جبالٍ وسفوحٍ متسلسلة ومتقاودة ومتباينة الارتفاع ، تاركة فيما بينها بعض الفجاج والسبل والسهول ، إلا أن جبل (تهلل)(٢) بز هذه الجبال وكان أسخى إيماءً وأبلغ أثراً ، لتكون له الحظوة عند الشعراء ، ينعتون مقامه وهيئته في قصائدهم ، ويجعلون منه عاشقاً مستهاماً بالمدينة الجميلة القريبة منه . يقول عبد الله بن خميس وقد أقام مثل تلك الصورة لهذا الجبل :

أستلهم العيد من هذا ووادعـــة　　　في حضن (تهلل) معطار الردى رودا
(أبها) بها هام هذا الطود مزدهياً　　　وظل بالكاعب الحسناء مجـــــدودا
يمد كفاً عليهـــــا علق لؤلؤة　　　تزين من سروات المنحنى جيـــدا (٣)

ولا يجد زايد الكناني إلا (تهللاً) ليحكي قصة العشق ، وينشد قصيدة المشتاق التي عاشها :

فسل إذا شئت جبال السودة　　　(وتهلل) الحب وسل وعوده
ينبئك عن أيامنا السعيـــدة　　　ويطرب الآذان بالقصيـــدة

قصيدة المشتاق حين يملي (٤)

ويتبدى (تهلل) في انفعال وكبرياء ، ليرمي بالعتب والملامة على (بُنَيَّته) (أبها) ، التي أخذت في تجاهله وهي تعيش الازدهار والنماء ، رغم إفضاله عليها بوافر من العطاء ، نرى ذلك في أثناء الحوار الطريف الذي أقامه بينهما عبد الله بن علي بن حميد .

---

(١) (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٣٩ .

(٢) أحد قمم السودة العالية الشامخة . انظر : عبد الله بن خميس (جبال الجزيرة) ص ١٤ ج / ٢ ط / ١٤١٠ هـ مطابع الفرزدق - الرياض - . ويقال له (ثهلل) وجبل (عسير) انظر ص ٨١ من نفس المصدر السابق . وانظر كذلك : (أديب من عسير) ص ٥٩ وما بعدها .

(٣) عبد الله خميس (على ربى اليمامة) ص ١٥٣ د . ت .

(٤) (تقاسيم زامر الحي) ص ٣٨ .

نجتزء منه هذه الأبيات :

يرنو إليهـــــا تهلل   طود سما فوق الجبـــــال

يرنو إليها من عـــــل   في كبرياء وانفعـــــال

يقول مـــــا لبنيتي   تجاهلتني كالمحـــــال

وصعرت لي خدهـــــا   تتيه زهواً واختيـــــال

أنا الذي غذيتهـــــا   عبر القرون على التـــوال

ومنحتها مـــــا تشتهي   من كل مرتخص وغـــــال

وأنا الذي زودتهـــــا   بالماء أنواع الغـــلال (١)

وتبلغ هيبة الجبل مبلغاً عظيماً ، لينفرد عن غيره من الجبال عند الشاعر ذاته ، فيجعله في طليعة جبال السراة ، التي لو كان لها إرادة ومقدرة لسارت إلى فيصل (٢) مبايعة :

لو أن للشم الطوال إرادة   لأتت إليك وفي الطليعة تهلل

جبل تحل الأزد في جنباته   إن هم دعوا فهم الرعيل الأول (٣)

وتتابع صورة (تهلل) عند الشعراء ، ليجعل أحمد إبراهيم مطاعن من قمته هامة للجميلة أبها :

لو تسآلت عن حبيبي لقالت   أنا أبها وهامتي تهللية (٤)

لكنها عند الشاعر أحمد بيهان قمة تبدو وهي تعانق الغمام كالحلم الجميل :

وتجلت كالحلم قمة تهلل   وهي أحلى من الجمال وأجمل (٥)

---

(١) (أديب من عسير) ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله – ثالث ملوك الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية) .

(٣) (أديب من عسير) ص٨٦ .

(٤) (دورة الأيام) ص٥٦ .

(٥) (ملتقى أبها الثقافي) ١٤١٢هـ ص١٠١ .

ليكون هذا الجمال باعثاً لغيرة الجبال الأخرى ، التي تسعى لتقارب هذا الجمال وهذا الشموخ كما نرى عند محمد حسن العمري :

وأرى نهران يزداد شموخاً   وإباءً غيرة من تهلل [١]

ولنا - هنا - أن نجعل (تهللاً) مع طليعة الجبال التي أخذت مكاناً في الفكر الشعري[٢] يدفعنا لذلك وينهض به ما سقناه من شواهد ، وما تجاوزناه منها كثير .

ونقف أخيراً على قصيدة (وقفة على شاهق الحبلة) لحبيب بن معلا اللويحق المطيري ، والتي تدفعنا - بعد قراءتها - للعودة إلى مخزون الذاكرة من الشعر العربي لنقلب في صفحاتها عن قصائد مشابهة لها ، كتلك التي قالها مجنون ليلى في جبل التو باد [٣] ، أو تلك القصيدة المستجادة لابن خفاجة وقد مر على جبل في فلاة [٤] لنجد أن الشاعر اللويحق استفاد منهما في إقامة بعض صوره ، فضلاً عن جانب (التشخيص) الخيالي الذي جاءت في إطاره قصيدة الشاعر . ففي وسط من الذهول والسكون يرى الشاعر في جبل (الحبلة) [٥] شيخاً مطرقاً يتأمل الدهر القُلَّبْ [٦] :

وتمر دهور ودهـــور   والجبل الشامخ منتصب

تلطمه السنوات ولكن   ترنح منــه وتضطرب

---

(١) (بيادر) ص٨٧ ع/ ٢١ جمادى الأولى ١٤١٨هـ . نهران : من جبال أبها

(٢) من تلك الجبال . أجا وسلمى ، ثهلان ، أحد ، سلع ، حراء ، ثبير ، رضوى ، الهدا وغيرها . وكلها رواسي في جزيرة العرب .، تفعمك هيبة ورهبة

(٣) ديوانه ص ١٩٢ ٠

(٤) ديوانه ص٤٢ ، ٤٣ ٠

(٥) أحد الجبال الوعرة بأبها بأسفله منتجع سياحي بديع ، تنحدر من على سفحه عربات كهربائية معلقة تهبط وتصعد بالسياح .ليتملوا بأسفله إبداعاً إلهياً ، ويقرأ و منجزاً أثرياً بشرياً ومن الطريف أن الشاعر معيض البخيتان - وهو أحد شعراء الدراسة - وجد في الأثر البشري بأسفل هذا الجبل الذي يدل على حياة كانت هناك ، ما يوظفه في بيت من قصيدته التي يشكو فيها من نقاد الشعر :

معلقين بنصف الفهم ما علموا   كالسَّاكنين بنصف الجوّ في (الحبلَةْ)

ديوانه (ثرى الشوق) ص ٢١١ ط / ١ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م مطابع الشرق الأوسط ٠

(٦) ينقلب من حال إلى حال ٠

ويظل بصمت محتسباً　　كالشيخ المطرق يرتقب

يتأمل حال الدهر المعجب كيف يجود ويستلب[(١)]

ولابد للشيخ - وهذه حاله - أن يكون حنيكاً قد امتلأ إهابه تجارباً وعبراً ، وهذا دافع قوي للشاعر أن يقترب منه يسآئله عن نبأه ، ويستمع إلى مواعظه . يقول اللويحق بعد أن امتلأ هيبة من الجبل ورأى فيه صورة الأسد الرابض :

إيه
يا جبل الصمت الغامض
يا قدراً يجثم كالأسد الرابض
من تحمل
في جسدك آلامٍ يكشفها البرق الوامض
حدثني
فلرب
حديث ذي عظة
يبعث في قلبي الأمل الناهض[(٢)]

ويأتي جواب الجبل ، لنسمع فيه صدى كلمات ومواعظ وتجارب جبل ابن خفاجة :

أجابني صوت عميق أثخنت فيـــه الفواقر
وصداه كالحلم البعيـــد يثير آلاف المشاعر
أنا يا بني على دروب مسالك الأيـــام سائر
مضت العصور ولم أزل في درب مأساتي مسافر
وغداً إلى ما قد يصير إليـــه كل الخلق صائر

---

(١) حبيب بن معلا المطيري (نوافذ الشمس) ص٤١ ط/١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م دار القاسم - الرياض -

(٢) المصدر السابق ص٤١ .

يأوي إلى كنفي السحاب وتحتمي فيّ الأزاهر
والناس يختلفون نحوي بين مطلوب وشاعر
تطويهم الأيام هل أبقت لي الأيام سامر ؟
والخالق الجبار يطوي الدهر كي يفنى الأواخر(١)

وينفرد الجبل الأبهي عن الجبلين (٢) بترنيماته الإيمانية :

إيه
يا ولدي
ها نحن اليوم نسافر في ملكوت الله
نسعى لرضاه
ويقيناً نسعد بلقاه
يا ولدي
سأظل أسبح للرحمن
أنتظر الأيام
وسيأتي الوعد(٣)

وليس لنا وقد قرأنا هذه الصور الماتعة ، إلا أن نُقِرَّ جبال (أبها) على زهوها وتطاولها تيهاً وعجباً على كل ما حولها ، ونرى فيها كذلك الهيبة والجلال ، لتكون رؤيتنا مشاركة لرؤية إبراهيم طالع الألمعي الذي جاب الجزيرة في إحدى قصائدة مفاخراً بكل أنحائها . ليقول :

إني شبعت قبيلـــــة وتنافراً حتى توحـــــــد لي شتاتك فالا
فإذا تهامة خصبنا ونشيدنـــــا وجبال أبها تستطيـــــل جلالا(٤)

---

(١) السابق ص٤٢ .

(٢) التو باد وجبل ابن خفاجة . ولم يرد مسمى الجبل الذي حاوره ابن خفاجة لا في ديوانه ولا في غيره من الدراسات التي تناولت شعره .

(٣) (نوافذ الشمس) ص٤٢ .

(٤) إبراهيم طالع الألمعي (سهيل اميماني) ص٣٤ ط/١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م نادي أبها الأدبي.

٥- وصف الأزهار والأشجار :

كان للوحة الجمالية - التي تتشكل صورتها من الغطاء النباتي الشجري والزهري بألوانه المتماوجة والمتناسقة - مكان في إبداع الشعراء على امتداد عصورهم [١] لنجد أن جمهور الشعر العربي يحفل بكثير من الصور المرسومة في إطارات شعرية بارعة ، مستوحاة من تلك اللوحة الجمالية (الأم) ، كما نجد أن بعضاً من هؤلاء الشعراء وجد في هذه المجالي الطبيعية - من نبات وزهر وشجر بأصباغها وألوانها - مثيراً للتأمل عنده ، ليقوده هذا التأمل إلى عمق شعوري وفكري ، ولازال الشعراء يأخذون في هذا السبيل إلى يومنا هذا .

لنرى مثل ذلك عند الشعراء السعوديين وهم يطالعون مشاهد الطبيعة في (أبها) ، حيث إنهم التفتوا إلتفاتة إعجاب إلى تلك الأزهار والأشجار والتي تنتشر في كل ناحية من المكان ، ليأتي ذكر هذه الأزهار والأشجار في أثناء قصائدهم ، عن طريق الرصف لأسمائها ، أو عن طريق الوصف والأخذ في رسم صورٍ مختلفة لها .

وإذا ما أتينا إلى الأزهار - وهي من المكونات الأساس لصورة الإبداع في الطبيعة - وجدنا لها في حديث هؤلاء الشعراء نصيباً ، وذلك لولع الشعراء - عادة - بالجمال ، وتعلقهم بكل ما يستهوي الشعور ويشي العواطف ((ولا شك أن الأزهار والرياحين والبقول والفاكهة ، من أجمل الأشياء الطبيعية التي داعبت ملكات الفنانين ، واستهوت مشاعرهم ، وأوحت إليهم بكثير من المعاني والعواطف والأفكار ، على اختلاف الفنون وتفاوت وسائلها)) [٢]

---

(١) يبين ذلك – بجلاء – بأخرة من العصر العباسي (القرن الرابع والخامس) ولكي تقف على شئ من الشعر الواصف للزهر وما يسمى بالزهريات في الشعر العربي فأنظر : في تآليف القدماء (مجموعة المعاني) لمؤلف مجهول إعداد العلامة عبد السلام هارون . والسري الرفاء في الجزء الثالث من كتابه (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب) الجزء الثالث (المشموم) تح / مصباح غلاونجي ١٩٨٦ - دمشق - ومحمد بن عامر بن حبيب الحميري (البديع في وصف الربيع) تح / د عبد الله عبد الرحيم عسيلان ط/١ ١٤٠٧ دار المدني جدة . وجنيد بن محمود بن محمد (جدائق الأنوار وبدائع الأشعار : ديوان الربيع والأزهار والثمار) تح / د هلال ناجي ط/١ ١٩٩٥ دار الغرب الإسلامي . وأنظر كذلك في كثير من تآليف المحدثين التي جاءت في أعطاف هذه الرسالة ولها علاقة بالطبيعة في أشيائها المختلفة والمتنوعة .

(٢) د. عبد الكريم اليافي (دراسات فنية في الأدب العربي) ص ٢٧١ ط/١ ١٤١٦هـ - ١٦٩٦م مكتبة لبنان ناشرون .

وقد سلك الشعراء في تصويرهم لهذا الإبداع النباتي - في الغالب - سبيلاً واحداً ، لنجد أن الأزهار والورود غدت في أعينهم ملاءات من الكساء الزاهي ، وعقوداً فاخرة يتزيا ويتحلى بها المكان ، ناظرين - ولا شك - وهم يعمدون إلى هذا النوع من التصوير - إلى السوالف من القصائد التي فيها حديث عن الأزهار ، سواء كانت قصائد من مجموع الشعر القديم ، أو كانت من مجموع الشعر الحديث .

فهذا عبد الله بن إدريس يقف على استواء من الأرض قد أخصب بالنبت ، ليرى في أزهاره المنتشرة والمتوزعة في أوساطه وحواشيه ، نقوشاً وزخارف تزين هذا الثوب العشبي ، وأطياباً تُنَثُ هنا وهناك . يقول :

والشاهقات من الجبال تجللت حلل الجمال مطارفاً وبدائعا

وتأتي الصورة التي نتلمسها في هذا الإطار :

والصحصح الممراع نمنم ثوبه وشي من الأزهار فاح وذعذعا(١)

ويظل هذا الكساء الزهري حاضراً بقوة في وسط هذا التكامل الجمالي على روابي وذرى هذه المدينة البديعة ، ليستثمره خيال الشاعر طاهر زمخشري وهو يرسم لوحة الجمال الأبهي :

أحب نعم .. !!
وناظرها الخجول .. تورّد
من تحركه الأسيل ..!!
وفي فلك
الثريا ناغمتني .. بجفنٍ
من يهامسه قتيل
عليها من
أزاهر روض أبها .. كساء
والفتون له ذيول ..!!(٢)

---

(١) عبد الله بن إدريس (في زورقي) ص ١٠٩ . الصحصح : الأرض الواسعة المستوية ج / صحاصح والممراع : الخصيب المكلئ والمنمنم : المزخرف والمرقش .

(٢) (رباعيات صبا نجد) ص ٤١ .

ويستمر تقارب الصورة عند الشعراء السعوديين وهم يصفون زهر (أبها) لتظل في إطار واحد لنجد أن أحدهم يراه برداً مخططاً يلتحفه المكان ، وأخر يصوره وشاحاً ملوناً تتوشح به الجبال المهيبة ، وذلك على نحو ما نرى عند زاهر الألمعي وهو يصف تلال أبها :

يكسو التلال سياج من خمائلهـــا والورس بردُ وزهر الروض ألوان[١]

أو عند أحمد بهكلي الذي جعل من الجبال المتوشحة بالزهور عتاداً من اعتدة الجمال ، التي أعدها المكان لوارديه :

أما السلاح قناة قدّ فـــارع أو سيف لحظ صارم فتّـــاك

أو درع طودٍ شامـــخ متوشحٍ بزهورك النشوى ومن ريّاك[٢]

ويذهب صالح سعد العمري ذات المذهب ، وهو يتحقق جمال الطبيعة من حوله ، ليرى فيها صورة امرأة حسناء ، محاولاً بعد ذلك تجزئة التكامل الجمالي لها ، ليجعل من الأزهار معطفاً يلف شخصها البديع وقامتها الفاتنة :

خدودها الورد والأزهار معطفها وشَعْرها المزن يكسو حسنها البادي[٣]

ويأخذ الإعجاب والإطراب لهذا الجمال الزهري ، الذي كاد أن يطغى على غيره من صور الجمال ، شاعراً أخر ، ليقيم من زهر المكان حلياً وألبسة فاخرة فريدة ، يحفل بها جيد الجميلة .يقول علي مفرح الثوابي :

فلله ما هذا الجمال ؟ فما نرى سوى الزهر حياً صادراً بعد وارد

وتحفل بالأزهار يزدان جيدهـــا وتكسى من الأزهار أحلى الفرائد[٤]

و قبل أن يرتفع النظر عن هذه الإطارات المتقاربة في شكلها وصوغها ، نقف عند أحمد فرح عقيلان ، وهو يعجب لبهاء (أبها) وهي ترتدي كسوة (إبريل)[٥] التي تحظى بها كل عام من هذا الشهر الزهري :

---

(١) (الألمعيات) ص١٥٢ ٠

(٢) (الأرض والحب) ص١٣ ٠

(٣) (ريش من لهب) ص٦١ ٠

(٤) أنظر ديوان (وميض الأفق) ص ٤ ط ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م نادي أبها الأدبي ٠

(٥) شهر ميلادي يعرف بكثرة أزهاره

يا حلوة المصطاف أنت حديقة فيك المفاتن زخرفت أشكالهـا
لله ما أبهى رباك وقد كسـا إبريل بالزهر الشذي تلالها[١]

وتتوافر هذه الصور التي نقلها لنا الشعراء في خيال عيسى جرابا ، ليعمد - وقد نظم أبها لؤلؤة في عقد الوطن الغالي - إلى استنطاقها لتباهي قريناتها من المدن بجمالها المثير ، وثوبها الزهري النضير، ولابدع فالمباهاة بالجمال ، وفاخر الثياب ، شأن وطبع في الحسان ، استمع إلى أبها - وحق لها - :

أنا أبها ذات الجمـال المثير ثوبي الزهر والسحاب سميري[٢]

ولا يبعد شعراء آخرون عن مسار هؤلاء الشعراء ، الذين سقنا شواهد من شعرهم فيما سبق ، غير أنهم رأوا في الأزهار عقوداً ، وتيجاناً فاخرة يتزين بها جسد هذه الحُسَّانة ، وذلك على النحو الذي نراه عند حسين أحمد النجمي وقد نظر إلى زهور الروض :

وزهور الرياض ترسم عقداً حول تلك الربى وتهدي وساما[٣]

ومثل ذلك نراه عند حجاب الحازمي ، وقد حان وداع المكان والجمال ، ذلك المكان والجمال الذي رأى فيه الشاعر عروساً تتوج الزهر ، وتتزين به :

فوداعاً يا عروساً تاجها نمنمات الزهر أو شم الذرا[٤]

وفي إطار تصويري آخر ، يعمد الشعراء إلى إسقاط بعض صفات الإنسان على هذه الأزهار من خلال (التشخيص) ، الذي يمنح الجمادات والأحياء من غير جنس الإنسان بعض صفاته وشيئاً من طباعه .

فها نحن مع زاهر الألمعي - وقد أشرك مظاهر الطبيعة من حوله في حكاية مشاعر الغبطة والابتهاج التي يعيشها الإنسان والمكان لمقدم زائر كريم - يستجدي خياله ليمنحه صورة تجعل من الأزهار ثغوراً باسمة ، وتعطي الورود صفة النائم الذي بات هانئاً تداعبه أحلام سعيدة فهو لأجلها بين رقدة ويقظة ، يرقب ذلك الطالع المنتظر :

---

(١) (الأعمال الكاملة) ص٨٦ .

(٢) عيسى علي جرابا (وطني والفجر الباسم) ص٤٧ ط/ ١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م نادي جازان الأدبي .

(٣) (عيناك في وقت الرحيل) ص٥٦ .

(٤) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص٣٣ .

فالأزاهير كلها باسمــــــــات في رياض ندية غنـــــــــاء
والورود المفتحــات استفاقـــــت من طيوف فسيحة الأفيـــــاء
داعبتها الأحلام في هدأة الليــــــل ومالت تمايل الشعـــــــراء [1]
ترقب الفجر كي ترى قسمــــــات من أسارير وجهك الوضـــاء[2]

وهذا شاعر آخر يستحضر - وقد وقعت عينه على أنواع من الزهور ، تأخذ بها الأنسام يمنة ويسرة - صورة مجمع راقص من الحور والولدان . يقول أحمد سالم با عطب وهو يوالي بين صور الجمال :

والفل يهتف والكادي يموج شذاً حور تَرَاقَصُ في الوادي وولدان [3]

وفي صورة مقاربة تحكي ذات المشهد الطرب ، يرقص الزهر عند علي حافظ على ألحان شجية ترسلها الأطيار المغردة ، وقد اتخذت من الأيك منابر لها :

خذني لأبها قد كلفت بحبها وبأهلها أشدو بكل لســــــــان
ما أجمل الوادي بها وجبالها والخضر ذات الدوح والريحـــان
الزهر يرقص في رباها كلما غنت طيور الأيك في الأغصان [4]

وكما يتباهى الحسان بجمالهن ، تتمايل زهرة الخزامى تيهاً بحسنها ونضارتها ، لتسترعي نظر وإعجاب علي خضران القرني ، ليرسمها شعراً يقول في زَوْرة قام بها لأبها :

كم تغنت على رباك طيوف ساجعات بكل لحن وفن
الخزامى تمايلت فيك حسناً والمهــا في دلال تغني [5]

وتتابع صفات الإنسان التي أسقطها الشعراء على الأزهار ، لنجد أنها تغار كلما رأت حظوة لغيرها ، أو خَلُصَ العشاق نجياً أمام عينها ، وهو طبع في الحسان يستملح منهن ، استمع إلى عائض بن عبد الله القرني يصور هذا المشهد ، وقد أرفده به خياله في لحظة تأمل لجماليات المكان :

---

(١) جاءت في (أبها في مرآة الشعر المعاصر) . ومالت تمايل النعساء . انظر : ص (٣٩) .

(٢) (الألمعيات) ص٢٧ .

(٣) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص ١٨ .

(٤) (نفحات من طيبة) ص١٣٥ ط/١ ١٤٠٤هـ مطبوعات تهامة - جدة - .

(٥) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص٧٧ . والبيت الثاني فيه انكسار عروضي .

والتلال الخضر في عصر الصبا　　تتهـــــادى في لباس وحلي
كلما ناجتك منها دوحــــة　　غارت الأزهار من ذاك النجي (١)

أما محمد سعد الدبل فقد راق له الكثير من أسباب السرور الروحي ، التي تعددت بتعدد مظاهر الجمال الحسي والمعنوي للمكان ، ليرى من ذلك الورود تبسم ضاحكة ، وكأنها تبادل الآتين الابتسام :

لكن للروح في أبها صبابتهـــا　　يضاحك الورد منها ثغر مبتسم (٢)

وقد أعطى الاستدراك بـ (لكن) هنا لأبها مكاناً وتميزاً بجمالها وحسنها ، إذا أن البيت يأتي تلية أبيات تتحدث عن جواذب وميزات لأماكن أخرى ، وهو في ذات الوقت تخلص موفق من الشاعر ، لأن القصيدة - عنده - نشأت في لحظة شعرية وشعورية قصدها وصف (أبها) المكان والإنسان نتيجة المثير الجمالي الذي توافر أمام نظر الشاعر .

وهذا محمد بن سعد بن حسين يصور مسرة الأرض بماء السماء ، ويجعل من جزئيات هذه الصورة فرح وابتهاج الأزهار ، الذي خلق على ثغورها ضحكاً وابتساماً ، كابتسام الغيد التي امتلأت قلوبهن عشقاً :

سكبت دموع المزن أدمع وامق　　في خدها يرنو لهـــا ويحملق
لعبت به الأشواق حتى لم يعــد　　يسطيع حمل الشوق فهو مؤرق
فتبسمت لبكائه ودموعـــــه　　تهتز من فرح بهـــا وتصفق
تربو وتنبت كـــل أخضر مورق　　حتى إذا رشف الدموع المورق
جلت الأزاهر فرحــــة موارة　　يرخي عليها الفجر مرطاً يبرق
يترقق الفوار في هاماتهـــا　　بسمـــات غيد للأحبة تعنق (٣)

ويجيء شاعر آخر هو بهاء حسين عزي ، ليصف روضاً زهرياً غدا للنحل مستراداً وموردا يعب من رحيقه مرة تلو أخرى ، فلا يكاد يرتوي ، حتى خيل للشاعر وهو يرى ذلك أن هذا

---

(١) (قصة الطموح) ص١٠٦ .
(٢) (في رحاب الوطن) ص١٦ .
(٣) (بيادر) ص٤٠ ع٤ ١٤١٠هـ .

الزهر باعث على الظمأ ، ليدفع به ذلك إلى سؤال أزهار الروض عن كنه سرها ، فلا يحظى إلا بمباسم تفتر عن بسمات ساحرات :

نادت فلبيت والأشواق تسبقني ... كالنحل يصدى فيلفي الروضة الأزهى
يعب منها فلا الأزهار مانعـــة ... وإن تروى حبته العبة الأشهـــــى
وإن غدا ارتد في دأب لمنهلهـــا ... فلا ترى الدأب من عزمانه أوهـــى

إلى أن يقول :

كأنما الري من أزهارها ظمـــأ ... يشتد ما أشتد رشف الظامئ الشّها
سألت عن سرها المكنون فابتسمت ... صغرى البراعم للكبرى بأن سلهـــا
فاشتد سؤلي كشأن الفيلسوف متى ... عناه أمر فلا يلهيه ما لهـــــى
وكلما جئت كبرى افتر مبسمهـــا ... كالسابقات وكانت في الدها أدهى
تغري بعذب رضاب ما للذتـــه ... مثل فآلفن نحلاً لم يفلسفهـــــا
وما أنا غير صاد فيه لوعتـــه ... شبت فهمهم أن يا زهر عللهـــا

ورغم أن الشاعر لم يمسك بمفاتيح مغاليق هذا السر الزهري ، إلا أنه لم يعدم أن يسمع دعوات زهرية هامسة تغريه بإمتاع روحه ، وإبراد جمرة شوقه بالإقامة في المكان :

فيا ظما الشوق قد جئنا مرابعهـــا ... فلتبق معنا لرضب منه لا ننهـــى
وانصت لهمس المناجي من براعمها ... أزهى فشقق من أكمامه البلهـــا
ما العب إلا الشفا فاقدم تقول لنا : ... تلك البراعيم واهنأ .. أنت في أبها [(1)]

ومع أن الصورة القائمة هنا للأزهار صورة كلها بهجة ونضارة ، إلا أن زايد الكناني أراد أن يبعث من داخل نفسه الحزينة لفراق عزيز لديه صفة البكائية ، ليلقي بها على الزهر ، فيستحلب دموعه ، ويشركه لوعة الفراق ، ويزف على لسانه التهنئة لرياض الخزامى بهذا المفارق له ، القادم عليها :

أيها المرهف الشعور ويا من ... يعزف الحرف للورى أنغامـــا
هذه نفحة البيان أريجـــاً ... منك يهدى على المدى أعواما

---

(١) بهاء حسين عزي (ذو العصف والريحان) ص١٩٦ ط/١ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م نادي الطائف الأدبي ٠

زهر أبها يبكيك وهو يهني بك في حسرة رياض الخزامى[١]

وكما أعطى الشعراء هذه الأزهار صفات حسية إنسانية ، فإن بعضاً منهم بعث فيها طبائع مكتسبة لدى الإنسان ، لنراها عند عبد الله الصيخان تأخذ بطبع إنسان المكان الذي تنتشر فيه فهي هاشة باشة ، تتابع له كلمات الضيافة والترحيب ، يقول الشاعر في طالع قصيدته محدثاً عن أبها وزهرها :

يا مرحباً ألف في أكمامهـــا يا مرحباً عطرها مخفي ومفضوح[٢]

ولا نعدم مع هذا الوصف ، أن نقف على ظاهرة شعورية في أثناء بعض القصائد ، تنبئ عن أن الشاعر علق بهذه المظاهر النباتية ، إن قرب منها خشي الفراق ، وإن غاب عنها تاق إلى التلاق ولعل ذلك يعود إلى العلاقة الحميمة بين الشاعر والجمال ، أو بين الشاعر والمكان ، وقد يتآصر المكان والجمال في خلق هذه العلاقة ، ولننظر لذلك مثالاً عند زاهر الألمعي ، وقد أتى وقت الرحيل عن المكان لينشد زهرة الربى :

على بركات الله يا زهرة الربى سأمضي وقلبي مفعم الحسرات
فما شئت من نفح فإن قلوبنا لترنوا لنحظى منك بالنفحات[٣]

وتمتد (ياء النداء) في البيت الأول امتداد الربى ، لتنبئ عن نفس مشحونة بألم الفراق لمكان علقت به ، ووجدت فيه انشراحاً ومستراحا .

ويبين ذلك الشعور - أيضاً - من خلال مفردات إحدى قصائد أحمد إبراهيم مطاعن ، وقد كان في منزح واغتراب[٤] عن مدينته ، ليجعل من أمانيه لثم الورود ، ورؤية الأزهار :

سهرت وفي القلب وخز الوله وهمت إلى الأفق كي أسألــه
أما آن للبعد أن ينتهـــــي بعود إلى موقع تقت لـــــه

إلى أن يقول :

---

(١) (تقاسيم زامر الحي) ص٣٣ .

(٢) بيادر ص٤٧ ع٤ ١٤١٠هـ .

(٣) (الألمعيات) ص٥٣ .

(٤) سيأتي الحديث عن ظاهرة الاغتراب في قصيدة أبها فيما أقبل من الصفحات (مبحث الاغتراب) .

لأنها الجمال الأصيل الذي بها خالق الحسن قد أنزلــه
للثم الورود على خدهـــا لضم لظى الشوق قد أشعله

وفيها :

أيا يارب عوداً حميداً بـــه أرى الزهر والماء والزاجلة [١]

وله من قصيدة أخرى ما يحكي ذلك الشعور ويجليه يقول :

وسئول ظل ملحاحـــاً بهل تطفئ النار شآبيب البـــــرد ؟
لست أدري أم سيبقى فيضه بين جزر يتولاني ومـــــــد ؟
أو سويعـــات التداني أزلفت كي أرى في الروض أزهار وورد[٢]

وبعد هذا التجوال مع الشعراء في حدائق الورد والزهر ، لابد من الإشارة إلى أن هؤلاء الشعراء افتتنوا بالزهر جميعه ، فوصفوا الأزهار دون إفراد لبعضها بالوصف ، أو إقامة فضل لنوع على آخر ، كالذي نجده عند بعض من الشعراء القدامى [٣] ولعل ذلك يعود إلى كون الشعراء السعوديين في سبيل وصف لكل مظاهر الجمال التي يحويها المكان بما فيها الأزهار ، فلا مجال للاستغراق في وصف نوع من الزهر دون نوع .

ولما كان هذا حال الشعراء مع الزهر الأبهي ، فقد وجدنا قلة في مسميات هذه الأزهار في أثناء قصائدهم ، ولم نحظ إلا ببعض من تلك المسميات من مثل : (الورس ، الريحان ، الكادي ، الفل ، الورد ، الخزامى) ويلاحظ أن بعض هذه الأزهار المسماة ليست مما تجود به طبيعة المكان ، إذ له أماكنه ومنابته [٤] غير أن الشعراء يعمدون إلى ذكره جرياً على عاداتهم في استحضار كل ما يقارب موصوفهم ، أو يناسبه في الشكل أو النوع ، وقد يعود ذلك إلى أن الشاعر يلجأ إلى مخزون المسميات الزهرية في معجم ذاكرته ، فيعطي النوع الذي أمام ناظره - والذي لا يعرف له اسماً - ما اشتهر من تلك المسميات المتراكمة في الذاكرة .

---

(١) (دورة الأيام) ص٦٧ .

(٢) المصدر السابق ص٤٤ .

(٣) كابن الرومي في تفضيل النرجس على الورد : ديوانه ص٦٤٣ ج٢ .

(٤) كالخزامى فإنها تنبت في منابت نجد وهي من شهير زهره .

وثمت ملحظٌ آخر وهو أنا نفتقد - ونحن نجول بالنظر في أوصاف الشعراء - ذلك التشكيل اللوني لهيكل الزهرة ، والذي يأخذ أصباغه من كريم الأحجار ، ونفيس المعادن ، على النحو الذي يراه المطالع لشعر شعراء العصر العباسي والأندلسي ، وهم يقيمون تشبيهاتهم للزهر ، والتي رأى فيها الدكتور مصطفى الشكعة تشبيهات ملوكية [(١)]

ولا شك أن إهمال الشعراء لهذا التشكيل اللوني - رغم دوره في براعة واكتمال الصورة الفنية - يتأتى من كون الشعراء مالوا إلى قالب (التشخيص) ، وهم يصورون الأزهار دون النظر إلى اللون كواحد من مكونات الجمال الزهري ، إلى جانب انصراف الشعراء عن النظر إلى الأزهار كل نوع على حدة ، حيث جاء وصف الأزهار مجملاً ، وقد أشرت إلى ذلك من قبل .

وقرين الأزهار في مكان المنشأ وأسباب الحياة ، وحتى في مظاهر الجمال وإيحاءاته تلك **الأشجار المورقة المونقة الباسقة عن وجه الأرض** ، فلا بدع - إذاً - أن تكون قريناً لها في نظر الشعراء وإعجابهم ، ليصفوها كما وصفوا تلك الأزهار .

ولنقف أولاً عند عبد الله بالخير ، لنجد أنه لم يجاوز الرصف لبعض الأشجار في بعض أبيات من قصيدته الطويلة . يقول فيها :

فزعت مشارفها بما احمرت به ... فترى بها الرمان والعنابا
والتين والزيتون ملء وهادها ... يمتص أنداء الصباح رضابا
واللوز في لون الزبرجد يانعاً ... مازال في طعم الحليب لبابا [(٢)]

ومثله أحمد علي عسيري في قوله :

أريج رباها عرعر حول عتمة ... وشيح وطباق ونفح أزاهر [(٣)]

كما نجد مثل هذا الرصف عند أحمد فرح عقيلان :

أبها تفتح في جناتك الأمل ... والشعر والفن والأشواق والغزل
ماجت سفوحك نواراً وفاغية ... أفياؤها بصنوف الطهر تغتسل

---

(١) (الأدب الأندلسي) ص٢٨٤ ولعل الدكتور الشكعة نظر إلى كون هذه المصوغات والمعادن النفيسة - في الغالب - من موجودات الملوك دون غيرهم فنعت هذه التشبيهات بهذه الصفة .

(٢) (بيادر) ص٣٣ عدد ٤ ١٤١٠ هـ .

(٣) (بقايا المتاهات) ص٤٣ .

على شماريخها الأعناب مشرقة   والتين واللوز والرمان والعسل[1]

أما غيرهم من الشعراء فقد قصدوا شطر التصوير ، ليرسموا لوحات شجرية ، يستلهم الشاعر مكوناتها من محيطه البيئي ، وقد يؤثر إعارتها شيئاً من شخصية الإنسان .

فهذا عبد الله بن علي الحميّد ، يرى الأشجار الخضراء تلتف حول المكان ، فيشبهها بحزام تمنطقته المدينة الحسناء ، وقد أهداه لها أميرها وفارسها ، ليكون لها كالخضاب في يد فتاة حسناء :

وتراهـــا تمنطقت بحزام   أخضر واكب الخضاب تماما

صاغه خالد فكان وشاحاً   فيصلياً لحسنها ووسامـــا [2]

وكما رأى الحميّد في الشجر حزاماً ادرعته الجميلة ، فقد رأى أحمد بيهان في شجر (العرعر) وهو يتوزع على سفوح الجبال حلة زاهية ، تبعث عند لابسها تيهاً وعُجْباً ، ولا يتوقف الشاعر عند هذه الصورة ، بل يمنح ذات الشجرة صورة أخرى ، فهي المعشوق الذي تيم الأنسام فلا تفتأ تراقصه ، واستدر دمع السحاب ليبكيه عشقاً :

وتجلت كالحلم قمة لهلــــــل   وهي أحلى من الجمال وأجمــل

تكتسي حلة من العرعر الزاهي   فتاهت على الفتون المدلــــل

عرعر تيم النسيم فهلــــــت   أدمع المستهام من طرف أكحل [3]

ويأخذ العرعر[4] مكاناً أرحب من غيره في مساحة الشعر الأبهي ، تشفع له تلك المساحة التي يكسوها من الأرض ، فهو أكثر أشجار السراة انتشاراً ، له ميزة الكثافة والخضرة الدائمة وذلك إذا لم تصبه آفة ، أو تصل إليه يد عابثة .

وقد عمد الشعراء إلى إعارة شجرة العرعر صورة المرأة ، فأحمد بهكلي يجعل منها — وهو يجول بنظره في أشكال الجمال — غادةً حسناء تنضم إلى أسباب تعلقه بالمكان وحبه له :

---

(١) (الأعمال الكاملة) ص١٣٦ .

(٢) (أديب من عسير) ص١٠٤ .

(٣) (ملتقى أبها الثقافي) ص١٠١   ١٤١٢هـ .

(٤) من أشهر شجر السراة . انظر ص (٣٥) من هذا البحث .

فتاك أتاك يا أبها مشوقـــا | تكاد خطاه تلتهم الطريقا

إلى أن يقول :

يحبك جدولاً ينساب دَلْهاً | يتمتم هامساً همساً رقيقا
وغادة عرعر وزهور ورد | وبلبل روضة يشدو طليقا(١)

ويرى الشاعر الشجرة ذاتها وهي تتمايل بفعل النسيم ، لتستمر عنده صورة الغادة وقد أخذت يد بخصرها تراقصها يمنة ويسرة :

وتحت ظلال الأيك في السودة انجلى | لي الحسن ممدوداً على ربعها الخصب
وأيدي النسيم الغض تهصر غـادة | من العرعر المزدان ذي الفنن الرطب(٢)

أما عند أحمد عبد الله عسيري ، فتستحيل أغصان شجرة العرعر وقد توزعت على جوانبها أوراقها الدقيقة أهداباً رائعة الجمال :

تراقصت قريتي والزهر يدفعهـــا | لتلتقي بعبير يسكر السحبـــــا
يشدو الغروب على أهداب عرعرها | ضوء المليحات في السحات ما غربا(٣)

ويستدعي تقارب الشكل الحرفي ، إلى جانب حب المكان ، عبد العزيز النقيدان - وهو يناظر شجر العرعر - ليستحضر عرار القصيم ونجد ،(٤) ليبث من شميمه وعطره على قامات أشجار عرعر المجد الباسقة :

إليكم نسيم من عرار قصيمنا | إلى عرعر الأمجاد في الأفق ينشر

---

(١) (طيفان على نقطة الصفر) ص١٣١ .

(٢) (الأرض والحب) ص٨ . ولأبيات البهكلي ما يماثلها في الموروث الشعري : يقول الصنوبري في وصف شجر السرو (ويقال إنه العرر) أو هو قريبٌ منه :

والسرو تحسبه العيون غوانيا | قد شمرت عن سوقها أثوابها
وكأن إحداهن من نفح الصبا | خود تلاعب موهناً أترابها

(٣) (أبها في التاريخ والأدب) ص١٧١ .

(٤) من أشهر شجر بلاد نجد له رائحة طيبة وقد حفل به الشعر كثيراً .

إليكم تحايا القمح والنخل سامق　　　إلى روض أبها وهو بالخير يثمرُ(١)

- ولا شك - أن الشاعر أقام من عرار نجد وعرر السراة ، مقام إنسان المكان لينقل عن طريقهما تحياته وأشواقه .

وننتقل إلى شجرة الطلح وهي من شجر المكان ، لنلتقط مع محمد سعد الدبل لهذا الشجر صورة المختال زهواً على ما حوله من شجر السدر والسَلَمْ :

هذي أفانين أبها صغتها درراً　　　غنى الهيام بها عذرية العلـــــم

وراق فيها ظلال الأيك متشحاً　　　والطلح يختال بين السدر والسلم(٢)

أما إبراهيم الزيد فقد استلهم دلالة السلام التي ارتبطت في عرف الناس بغصن الزيتون ، ليرى زيتون أبها ينفح بالسلام :

زيتونها المخضر ينفح بالسلام

من عاش بهجتها حرام أن يلام(٣)

ويأتي أحمد عبد الله عسيري - في لوحة أخرى - ليوزع أدوار الفتنة المكانية ، فيصور لنا مشهداً سحرياً صاخباً بالجمال ، جمال الشكل ، وجمال الصوت ، وجمال المذاق ، مؤثراً المكان بالحديث عن هذا الجمال ، ليكون حديثاً عن النفس تنهض به شهادة الحال :

أنا السودة فردوسي وغابـــي　　　وشذا العرعر بوحي في العشية

واخضرار اللوز في حلقي بديع　　　ومذاق التين أطباقي الشهيـــة

وابتهاج القمح أفراح العذارى　　　ونشيد الطلح ألحاني الخفيـــة

قممي الخضراء في حضني تغني　　　وعبير الشيح يكسو مقلتيـــه

---

(١) (عواطف ومشاعر) ص٣٥ ٠

(٢) (في رحاب الوطن) ص١٤٠ ٠

(٣) إبراهيم الزيد (أغنية الشمس) ص٥٦ ط/١ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م نادي الطائف الأدبي . والزيتون شجر بري ينبت في بعض أجزاء السراة وهو عقيم لا ثمر له ويعرف بـ (العتم)

طوقوني بحزام ثم قالـــــــــوا   أنتِ للمصطاف يا أبها هديـــــة
زرعوا صدري نجوماً في الليـــالي   نشروا عطري وأنغامي الشجية(١)

ونبقى مع الأشجار وحفيف أغصانها ، لنجد أن الشعراء يسمعون في هذا الحفيف غناءً ، ويرون في تمايل هذه الأغصان - وقد أرقصتها الريح - تصفيقَ أيدٍ ، واهتزاز قدود . يقول عائض القرني :

وإذا ما الريح ماست في الدجى   غنت الأغصان من صوت شجي(٢)

ويقول العشماوي ، وقد غاب خياله في جمال أبها :

وخيّل لي أنّ الحفيف قصائـــدٌ   بها شَفَةُ الغض الرطيب تَرنَّمُ (٣)

ويقول أحمد إبراهيم مطاعن :

وإذا الأفنان غنى طيرها   صفقت أوراقها واهتز قد (٤)

ومنهم من رأى في فيئها وبارد ظلها حناناً ، على نحو ما نرى عند أحمد الصالح :

أبها هي الشعر لا معنى ولا لغــة   تُطاول الحسن رياناً ومحتشما
إذا تفيأ منها المرء مورقـــــــة   حنت عليه غصون كلما سئما(٥)

ويحسن بنا أن نختم أخذنا من هذا المعين ، بصورتين متقاربتين ، الأولى لغازي القصيبي ، ابتدع فيها خياله الشعري للخضرة التي تشكلت من النبات والشجر والزهر صورة لجة يغرق فيها النظر ، لتنتشي الروح ، فتنتشي عاطفة الشعر :

غبت في لجـــة اخضرار طوتني
نشوة قبل يومها لم أذقهـــــا
ضحكت لي الشفاه ضجت ورود

(١) (المجلة العربية) ص١١٢ ع/ ٩٣ شوال ١٤٠٥هـ .

(٢) (قصة الطموح) ص١٠٦ .

(٣) عبد الرحمن العشماوي (خارطة المدى) ص ٧٥ .

(٤) (دورة الأيام)ص٤٥ .

(٥) (بيادر) ص٨٨ ع/٣٧ رمضان ١٤٢٣هـ .

من قواف فقلت يا شعر كنها[١]

ولعل الشاعر لحظ الظلمة التي تعكسها كثافة الأشجار وتشابكها ، ورأى فيها ظلمة لجة بعضها فوق بعض ، ومثله في ذلك مطلق محمد عسيري ، إلا أن هذا الأخير خالف الأول في المشبه به ليجعل ظلمة الأشجار الكثيفة وقد انساب نور الشمس في أثنائها ، كظلمة الليل استنار ببدره :

واخضرار الأشجار أهدى إليها ظلمة لا تشينها بـل تزين

تشرق الشمس حولها فهي ليل مستنير ببـدره مزيون [٢]

وقد نجح العسيري - هنا من خلال التشبيه - في البيت الثاني في استدعاء دلالة جمالية حملها إليه المشبه به ليدفع بها ثقل التشبيه الذي صنعه المشبه به في البيت الأول .

وحاصل القول - بعد هذا التتبع - أن في الشعراء - وقد وصفوا هذه المظاهر النباتية - من استوحى فكرته من رسومات القدامى ، ومنهم من حاول التجديد في الصورة دون أن يبعد عن ذات المعين الذي اغترف منه القدامى ، ومن استقرض صورهم من المحدثين .

وهناك من الشعراء - كزاهر الألمعي ، وزايد الكناني في بعض صورهم - من لم يعمد إلى وصف أزهار المكان لذاتها ، وإنما استجلبها وأسقط عليها بعض صفات ذاته ، لتشاركه الابتهاج بممدوحه ، أو البكاء على مفقوده ، ومثل ذلك كثير في الشعر العربي [٣] .

---

(١) غازي القصيبي (المجموعة الشعرية الكاملة) ص٥٥٤ ط/٢ ١٤٠٨ هـ تهامة - جدة - .

(٢) مطلق محمد عسيري (للإسلام تغريدي) ص٥١ ط/١ ١٤٢٤هـ نادي أبها الأدبي .

(٣) حول دخول شعر وصف الأزهار في أغراض شعرية أخرى . أنظر : د. مصطفى حلوة (حدائق الشعراء) ط/١ ١٤٠٩هـ دار القلم — الكويت - .

٦- وصف مظاهر الحضارة والعمران : (البيئة الصناعية)

تقوم الرموز الحضارية من الناس مقاماً كبيراً ، فإلى جانب منافعها المادية ، يرون فيها - كذلك - ما يحكي تطور إنسان المكان ، ومقدرته على الأخذ بأسباب الحياة التي يعيشها العالم المحيط به ، كما يرون فيها لساناً يعقبهم ليحكي للأجيال قصتهم ، ويروي كفاحهم ، بل وأثراً يحفظ تأريخ أمة [1].

ومن هؤلاء الناس الشعراء ، الذين شغفوا برموز ومظاهر الحضارة ، سواء أكانت رموزاً حضارية ماضوية قضى أهلها ، أم كانت رموزاً معاصرة تشاركهم الوجود الزمني ، لنرى في نتاجهم الشعري إحساساً بجمالها وجلالها ، وكونها دلالة رامزة لاقتدار حضاري ، ودور ريادي .

وحين نقلب شعر (أبها) ، نجد أن الشعراء السعوديين لم يغفلوا تلك المشاهد الحضارية ، التي وقعت عليها أعينهم ، - المادي منها والفكري - بل منحوها مكاناً في قصائدهم ، وأشادوا بها وبالقَوَمَة عليها ، ليجتمع لنا في شعرهم وصف الطبيعة الطبيعية ، ووصف الطبيعة الصناعية .

وقد أخذ الشعراء في ذلك طريقين ، فثلة منهم اعتمدوا النقل التقريري ، فصوروا تلك المعالم على حقيقتها المنظورة ، بعيداً عن الخيال والتصوير الفني ، وقليل من منح موصوفه صورة جاءت لابسة ثوباً تقليدياً لا جدة فيها ولا غرابة ، إذ أن وَكْد الشاعر وهمه إبراز هذا المنجز ، والإشادة به .

ولتكن البداية - ونحن نسوق شواهد في هذا المسار - مع الشاعر الكبير عبد الله بن خميس ، الذي شهد بداية النهضة في هذه المدينة ، ورأى براعم البناء تشق الأرض ، ليقرأ لها مستقبلاً باهراً ، تصبح معه مورداً ومسترادا :

---

(١) وقد أجمل ذلك أحد الشعراء بقوله :

وهم الشعوب إذا أرادوا ذكرهم ... من بعدهم فبألسن البنيـــــان

إن البناء إذا تعاظم شأنـــــــــه ... أضحى يدل على عظيم الشان

إني لأحسب أبها بعد مرحلة … تعيشها الآن تنظيماً وتشييـــدا
جمانة الشرق تغزوها جحافله … ومستراداً لأهل الأرض مورودا[١]

وما هي إلا مُدَيْدَةٌ حتى عاد الشاعر إلى المكان ، ليرى حسبانه صار حقيقة ، فلا يملك - والحالة هذه - إلا أن يتابع بين استفهاماته ، التي تحكي عجبه وإعجابه ، وكأنه أمام مستحيل مكنت منه معجزة ، أو أمام فتاة لا حيلة لها - بالأمس - في اقتناء الحلية ، لتصبح اليوم مثقلة بها استمع إلى الشاعر وهو يستفهم (أبها) عن سر ما بهره :

أأبها خبري عمـــــا أراه … بناءً أو رواءً أو دروبـــا
عهدتك من حلى الإصلاح عطلاً … فهل صادفت معجزة قريبا

ويأتي التشكيل الحضاري لمدينة أبها ضمن لوحة النهضة الحضارية الحديثة ، التي شهدتها وتشهدها بلادنا المملكة العربية السعودية – حرسها الله – وهي لوحة شعرية ، أبدع أبعادها محمد بن أحمد العقيلي ، نقف فيها على الأبيات التي جاءت الإشارة فيها إلى النمو والتطور الحضاري ، الذي تعيشه أبها :

ماذا أرى وعسير قد أضحت بها … أبها شأى لألاؤهـــا الجوزاء
أضفى عليها خالد من روحـــه … أمل العصور حضارة ونمـــاء
وشمائلاً رشف الربيع سلافهـــا … كعبير أنفاس الزهور شذاء[٢]

ومن الشعراء من أكبر هذه الحضارة ،دون أن يأتي على ذكر رموزها ، ووصف مظاهرها ، حيث يَقْصُرُ الحديث عنها ، ولا يقع الحصر عليها . يقول عبد الله بالخير معدداً ومشيداً بإنجازات الفيصل في أبها :

وأقام في هذي الجبال حضارة … يعيى البيان بوصفها استيعابا[٣]

ويقول علي آل عمر عسيري :

---

(١) (على ربى اليمامة) ص١٥٤ .

(٢) (ملتقى أبها الثقافي) ١٤١٢هـ ص١٤ . وقد أسقطت هذه الأبيات من ديوان الشاعر (المجموعة الكاملة) ص ٤٧١ ط / ١ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م الناشر شركة العقيلي وشركاه - جازان - .

(٣) (بيادر) ص٣٧ ع/٤ ١٤١٠هـ .

وما أعدد من آيات نهضتهـــا يكاد لا يرتضى من كثر باقيها(١)

غير أن شاعراً آخر هو أحمد بن محمد الفقيه ، يعمد في قصيدته إلى رصف بعض مظاهر هذه الحضارة :

رأيت بأرجائها نهضـــة بشتى النواحي بكل المحـال
بريق سناها يغشي العيـون وفيض نداها يفوق الخيـال
عمائرها سامقات الـذرا ميادينها في بهاء الكمـال
شوارع بالزهر مزدانـة قلائدها من عقـود اللآل
جسور على جانبيها الضباب وأنفاق شقت صدور الجبال(٢)

وعندما أنشئ سد أبها (٣) أخذ الشعراء يصفون هذا التجمع المائي في ذرى جبال السراة ، ليروا فيه منجزاً حضارياً ، وبشيراً بالخير والنماء ، وزينة يزدان بها المكان . فهذا علي أحمد النعمي يصف السد فيقول :

هذا هو السد صرح شامخ أبدا في الخالدية زاه عبر واديهـا
بشير يمن بعهد لا نظير لـه وكم صروح سواه لست محصيها
مازلت أذكر يوماً حينما أندفعت مياهه في الحقول الجرد ترويهـا(٤)

ويماثله في دلالة البشارة التي يحملها هذا المنجز، أحمد فرح عقيلان . يقول :

والسد يهدر غب الغيث سلسله مبشراً بربيع روضه جذل(٥)

ووصف علي حافظ السد ذاته ، ليجعله مظهراً حضارياً يعتلي بالمدينة على أقرانها ، ويتعدى ذلك إلى المقارنة بين إنسان المكان ، وهذا السد في المنعة والعطاء :

أبها تتيه على المدائن والقرى بجمالها وبسدها المزدان

---

(١) علي آل عمر عسيري (قصائد للوطن) ص٣٩ ط/١ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م نادي أبها الأدبي .

(٢) (بيادر) ص١١١ ع/١٢ محرم ١٤١٥هـ .

(٣) كان ذلك عام ١٣٩٤هـ وكان يوماً مشهوداً حضره جمع من المسئولين والمثقفين والشعراء .

(٤) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص٧٢ .

(٥) (المجموعة الكاملة) ص١٣٦ .

ما كان سداً واحداً لكنـــــه   سدان من ماء ومن إنسان [1]

ويصف في نفس القصيدة صفاء وجمال ماء هذا السد ، وتلاعب النسيم بأديمه :

أما البحيرة فهي في فيضانــهـا   بين الجبال الشم في الأحضان

إن هبت النسمات فوق أديمهـا   لعبت بماء هادي الجريـــان

مثل السماء صفاؤها وجمالــهـا   أكرم بمـــاء المزن في الخزان [2]

وكغيره من الشعراء ، يرى عبد الله بن علي الحميد في هذا السد وساماً على جبين هذه المدينة :

وعلى وجهها الجميـــل تجلت   روعة السد حيث أضحى وساما [3]

ويأتي زاهر الألمعي في قصيدته (سد أبها) ، ليعطي لهذا المنجز الحضاري صورتين تصل إحداهما إلى حد المبالغة ، فالسد بمائه كالمحيط الهائج ، وبقوته وسماكة بنائه كالجبل الصلد :

فوق طود من السراة أشـــم   وعرين لكـــل أغلب باني

حيث هذا العملاق أضحى مشيداً   زاخراً كالمحيط في الهيجـــان

سد أبها الكبير ما أجمل البشرى (م) لأهل السراة ، قاص ودانـــــي

أودعت فيك أنمـــل خيرات   ملكات الإبداع والاتقـــان

سوف تبقى على الدهور معينـــاً   راقص الموج فائض الشطآن

رابضاً فوق منكب الأرض صلداً   صامداً في نوازل الطوفـــان [4]

وممن شارك الشعراء في التغني والتباهي بهذا الصرح ، يحيى بن إبراهيم الألمعي في قصيدته (سد وادي أبها) ، وأكثر ما تحمله هذه القصيدة الابتهاج والغبطة بهذه المنشأة ، التي يرجى نفعها ، وهذا الابتهاج والشعور عكسه الشاعر من داخله ، واستثاره في إنسان المكان ، ليسقطه أخيراً على المكان نفسه الذي يحوي هذا الصرح :

يا رفيقاي صفقـــــا في سرور   واحملا الورد والزهور اغتنامــا

يا لسد مشيّدٍ في ربانـــــــا   صار حصناً وهيكلاً ومقامـــا

---

(١) (نفحات من طيبة) ص١٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص١٣٦ .

(٣) (أديب من عسير) ص١٠٤ .

(٤) زاهر الألمعي (على درب الجهاد) ص٢١٠ ط/٣   ١٤٠٤هـ مطابع الفرزدق - الرياض - .

سد أبها لمائها في تـــــــلال ... قد تسامى إلى العلا قد تسامى
حق للأزد أن يبـــاهي بصرح ... شيد بالعزم في رباها فدامـــا
فألبسي يا عروس الجنوب فخاراً ... إنها هالة تراها وسامـــا
هيمني يا عروس الجنوب وتيهي ... واطربي (أزد) وانشريها غراما
هو سد سيحجز الماء حقـــاً ... شامخ في البناء صرحاً سناما(١)

ولم يفت أحمد إبراهيم مطاعن – وهو يباهي بمعشوقته أبها – أن يجلي مظهراً أخر من مظاهر الحضارة ، موظفاً المقابلة بين المظهر القديم والمظهر الجديد ، وهو يقف عند العربات الناقلة في الهواء ، والتي أضحت بديلاً للحبال التي كانت وسيلة النزول إلى المكان ، والارتحال عنه في مرتفع الحبله (٢) ، ويرى في ذلك عجباً ، فكيف أصبح الصعب سهلاً ؟! ، والمحال ممكناً ؟! :

هذا السحيق الصلد أضحى نزهـــةً ... فيه العجاب مع الجمال توحدا
(عرباته) بالكهرباء مطيـــــــةً ... بعد الحبال وبعد أخطار المدى
انظر إلى العمل الجليل مباركـــــاً ... وانعم به لما أتاك مؤكّـــــدا
أن المحال تحطمت أصنامـــــــه ... والصعب أحنى هامه وتـــودّدا(٣)

والحسين النجمي أبيات ترسم مظهراً يماثل هذا المظهر الحضاري يحتضنه منتزه (السودة) يقول واصفاً استمتاع السائح بهذه المظاهر الحضارية :

على التلفريك يمضي دونما وجل ... لترتوي روحه العطشى لخضر ربا
إلى تهامة حينـــــاً نازلاً جذلاً ... وتارة يلمس الأقمار والشهبـــا

ومنها :

هاذي المشاريع في أبهـــا تبشرنا ... أنّ السياحة فيها قد غدت عجبا (٤)

---

(١) يحيى إبراهيم الألمعي (من روابي عسير) ص٨٥ ط/١ ١٤٠٦هـ .

(٢) أحد جبال أبها الوعرة بأسفله منتزه بديع . أنظر ص (٨١) من البحث .

(٣) (بصمات خالدة) ص٢٢ .

(٤) دايون (قبلة على جبين الوطن) مخطوط .

ويجلي عبد الله بن إدريس مظهراً جديداً من مظاهر الحضارة ، حينما يتحدث عن فرع جامعة الإمام في أبها [١] ، ويمنحه صورة نهرٍ ينبع من الجامعة الأم في الرياض ، ليصب في أبها ، فينهل منه الظامئون إلى المعرفة ، فتخصب قلوبهم ، وينبت فيها النور ، - ولا شك - أن الشاعر قد لحظ - وهو يوظف هذه الصورة - تلازم العلاقة النفعية بين العلم والماء ، في كونهما حياة العقل والجسد :

اليوم يوم للجنوب محجـــل … سيسجل التاريخ يوماً أرفعا
اليوم يزحف للجنوب برقـــة … نهر من العرفان يخصب بلقعا
نهر يثج من الرياض ينابعـــــاً … ليصب في أبها زلالاً ممتعـــــا
يا فرع جامعة الإمام محمـــــــد … حييت خصباً للقلوب ومرتعا[٢]

وهذه وقفة أخرى لزاهر الألمعي أمام منجز حضاري ، يفترق عن المنجزات السابقة في كونه يشكل منجزاً حضارياً فكرياً ، هو الأول من نوعه في أبها ، إنها جريدة الوطن التي رأى فيها الشاعر منارة ينطلق منها الخير ، وتشع الثقافة :

أرسيت [٣] للفكر القويم منارة … في قلب أبها بالأصالة تنصـــع
صرح يشاد على قواعد نهضـــة … كبرى وسر النجح فيها مودع
هو منبر جادت به عزماتكـــم … وجريدة بين الصحافـــة أروع
أسميتها الوطن الحبيب فألبست … تاجاً فريداً بالجمان يرصـــــع

ومما جاء في قصيدة الألمعي :

هي منبر للخير في أوطاننـــــا … هي للثقافة والبلاغة مرجـــع
نامت محصنة الجوانح برهـــة … والخاطبون تشوفوا وتجمعـــوا
لكنها في خدرها مكنونـــــــة … ولغير فارس حلمها لا تطلـــع

---

(١) جامعة الملك خالد في الوقت الحاضر .

(٢) (في زورقي) ص ١١٠ - ١١١ .

(٣) الخطاب لصاحب السمو الملكي الأمير / عبد الله بن عبد العزيز .

تمشي رويداً في خمائل دلهـا … لكنها يوم التنافس تسرع

سحناها عربية وطنيـــــة … ومحيطها بين العوالم أوسع[١]

و يلحظ في غير بيت من القصيدة كيف نزع الشاعر إلى ظاهرة التشخيص ، ليأخذ هذا المنجز - من خلالها - صفات خود حسناء عربية الملامح ، وقد أراد الشاعر بذلك تجلية موصوفه ، وهو باب مطروق في كثير من موصوفات الشاعر[٢] .

وثمت منجزات كثيرة جاءت صفتها والإشادة بها - كمنجز حضاري وأداة خدْمية - في أعطاف قصيدة أبها ، وكل ذلك يشير إلى حرص الشعراء على تسجيل هذه المنجزات في سجلات الشعر ودواوينه ، ليكون منجزاً موثقاً تتقراه الأجيال وتفاخر به ، وهذا التدوين الشعري يأخذ شكلاً تقريرياً في غالبه ،إلا ما ندر من الصور الفنية التي أخذت طابعاً تقليدياً[٣] كما أسلفنا من قبل .

وليكن أخر شاهد نسوقه - هنا - ليكون خاتمة الحديث حول هذا الجانب ، ذلك البيت الذي جاء خاتمة لإحدى قصائد محمد بن سعد آل حسين في (أبها) ، وقد أقام الشاعر من نفسه وهو يتحدث عن أبها مقام المذكر بالمنجز الحضاري ليس إلا ، فكل ما في المكان من معالم وشواهد تحدث بلسان الحال عن الإنجاز ، وليس من رأى كمن سمع :

أبها جديدك شاهد ومحدث … وأنا أذكر والمعالم تنطق[٤]

وهكذا - وعلى امتداد زمن الأدب العربي - تقوم الحضارات ، وتبنى السامقات ، لتبنى في الإشادة بها المفردات ، وتنتظم في وصفها العبارات ، ليستحيل المنجز الحضاري منجزاً شعرياً ولتصطف الصورة المقروءة إلى جانب الصورة المرئية ، وهذا يفسر كون الشعر - السفر الضخم في الفكر العربي - مكاناً تخلد فيه الآثار والمنجزات وإن أصابتها يد الفناء والخراب .

(١) زاهر الألمعي (أسمار الوطن) ص١٠٣ ، ١٠٤ ط/١ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م مطبعة النرجس .

(٢) يلحظ ذلك من يتقرى دواوينه .

(٣) أنظر ديوان (أسمار الوطن) ص٤١١ . وديوان (تقاسيم زامر الحي) ص٢٥ . وديوان (وطني والفجر الباسم) ص٤٧ . وكتاب (أديب من عسير) ص١٠٧ . ويمكن أن يضاف إلى هذه الموصوفات الحضارية . وصف الشاعر محمد علي السنوسي للطائرة في طالع قصيدته (تحية إلى أبها) ديوانه ص٥٢٤ .

(٤) (بيادر) ص٤٣ ع/٤ ١٤١٠هـ .

٧- صورة أبها :

(أبها) شخصية جمالية ، تختزنها الذاكرة الشعرية ، حتى إذا لاح لشاعر من الشعراء جمال أو تبدى له مثال لتلك الشخصية استحضرها ، نجد مثل ذلك عند الشاعر الكبير محمود عارف وهو يصف جبل ومنتزه الهدا ، فجمال المكان استدعى جمالين من ذاكرة الشاعر ، وهما جمال أبها وجمال لبنان :

(لبنان) (أبها) وما أندى جمالهما   وفي الهدا الحسن في الأعلى من النسق[1]

بل إنها تنفرد إذا ما جاءت في سياق أماكن أخرى ، يحتويها هذا الوطن الشامخ ، بصفة جمال الطبيعة الفاتن ، لتغدوا رمزاً يحمل هذه الدلالة ، وتأمل هذه الدلالة في بيت محمد العيد الخطراوي الذي جاء ضمن قصيدته (في ظلال البيعة) وهو يحمل اسم (أبها) بعد أن حملت الأبيات السابقة له أسماء أماكن لها دلالاتها الدينية ، والتاريخية والاقتصادية ، والحضارية ، يقول فيه :

وبأبها فتنة لـــــو أطلقت   من ذراها مات كل العاشقين[2]

ولا ريب أن الفتنة هنا ، فتنة جمال الطبيعة ، وقد تجاوز ذلك إلى فتنة جمال الطبع ، الذي يزيّن إنسان أبها ٠

وقد كنا فيما سبق من الصفحات نفاتش ونستقرئ وصف الشعراء وتصويرهم لبعض المكونات الجمالية للمكان ، وقد نظروا إليها تفاريق ، كل مكون على حدة ، بمعنى أن المشاهد الجمالية للطبيعة عرضت هناك جزءاً جزءا .

أما هنا فسنحاول أن نستجلي صورة أبها عند هؤلاء الشعراء ، وقد نظروا إليها في كل جوانبها أو بمعنى أخر وصفوها وقد استحضروا كل تلك المكونات الجمالية التي تجزأت ، لتجتمع هنا فترتسم من - خلالها - الصورة الأكمل .

وعند الوقوف على هذه الصورة نجد أن الشعراء اختلفوا في نسجها ، حيث آثر بعضهم أن تكون

---

(١) محمود عارف (في عيون الليل) ص٦٥ ط/١ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م مطابع الروضة - جدة -

(٢) الجزيرة ع / ١٠٦٤٢ رمضان ١٤٢٢ هـ . والقصيدة واحدة من القصائد التي نشرتها الصحيفة بمناسبة مرور عشرين عاماً على تقليد الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم ٠

صورته تقليدية ، لا تبرح ميدان الأوصاف التي تجري عادة على لسان من يتمالكه الإعجاب والحب تجاه شيء ما ، والتي طالما قال بها الشعراء والناثرون في أوصافهم وتشبيهاتهم ، بل إنها تأتي - لشيوع استعمالها - في معجم الكلام المحكي الذي تتخاطب به العامة .

وسنقف - ونحن نقلب شعر أبها - على نماذج شعرية جاءت في هذا السبيل ، فالشاعر محمد علي السنوسي يجعل من (أبها) درة تنتظم في عقد الوطن ، ليعكس بريقها صوراً شتى من الجمال :

(وأبهاء) مـــن وطني درة ... يفوق المدى قدرها والحساب
ترى الشمس في جوها لوحة ... وتحسبها صورة في كتـــاب
وتبدوا الكواكب في أفقهـــا ... على قاب قوسين من كل باب
تبرج فيها جمال السمـــاء ... فشف السنا وتجلى اللباب (١)

وتقوم الصورة ذاتها عند يحيى توفيق ليقول :

يا درة الحسن في تاج الجنوب لقـد ... صُوّرت في ألق يغري محبيـــك
إن همت فيك فمن ريّاك كم سكروا ... قبلي الكثير وباتوا من مريديك(٢)

ويدفع بمحمود عارف ما عاشه من جمال المكان ، وطيب المقام ، أن يشبه أبها بالسحاب الذي لا ينفك ينث بالخير ، وهو بهذا يوظف دلالة الخير والعطاء ، التي تأتي على رأس الدلالات المرتبطة بالسحاب ، ليستعملها في تصويره :

لك الله يا أبها إذا هزني الهوى ... أتاك خيـــالي في سوانح راغب
فأنت لنا مثل السحاب سخية ... تفيضين بالخيرات من نبع واهب
فكل الذي نلقـــاه فيك محبب ... ولا فرق ما بين الذرا والسباسب(٣)

ويشبه النقيدان المكان في عطاءه بعنقود شهي ، يجني الناس ثمره ومنه يعصرون ، ويشبهه في بهاءه - وقت الأصيل - بالدرة ، وبغيداء تورد خدها حياءً :

---

(١) محمد علي السنوسي (الأعمال الشعرية الكاملة) ص٥٢٦ ط/ ٢ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م نادي جازان الأدبي ٠

(٢) (المجموعة الشعرية الكاملة) ص٥٧٧ . وديوان (حبيبتي أنت) ص٣١ ٠

(٣) محمود عارف (ترانيم الليل : المجموعة الشعرية الكاملة)ص ٥٢٠ ج/٢ ط/١ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م نادي جدة الأدبي ٠ والسباسب : المفازة

ترابك يا أبها من الخصب أخضر ... وأرضك معطاء ووجهك نيـــــر
كأنك عنقود شهي مذاقـــــــه ... ومن كرمها المعسول نجني ونعصر
رأيتك في شمس الأصيل كـــدرة ... وخدك ورد من حيائك مزهر [١]

وتتقارب بعض النعوت الشعرية من مثل : (عروس الربى ، الغيداء ، عروس الحسن ، حورية السروات ، الواحة العذراء ، عروس الجنوب ، خريدة قصر ، الخود ، الملاك) عند الشعراء كونها من معين واحد يفيض من صورة المرأة [٢]

يقول القصيبي مخاطباً أبها :

يا عروس الربى الحبيبة أبهـــا
أنت أحلى من الخيال وأبهى [٣]

ويقول علي التركي :

يا عروس الجنوب تيهي دلالاً ... واغمري الكون بهجة بالدلال[٤]

ويقول عبد العزيز النقيدان :

إليك عروس الحسن قد أبحر الورى ... وكم عاشق نحو الحبيبة يبحر [٥]

ويصور إبراهيم الزيد أبها ، وقد سلمت رباها ومناحيها من أن تصل إليها يد العبث والتشويه ، بالواحة العذراء ، والمهاة الحسناء :

يا واحة عــــذراء ... قامت في السراة
فوق السنام تربعت ... مثل المهـــــاة
ما طاف في أنحائها ... بعض الجنـــاة
بعدت عن الأردان ... أو حقد الحياة[٦]

---

(١) (عواطف ومشاعر) ص٣٥ .

(٢) سيأتي الحديث مفصلاً عن مثل هذا في مبحث (التبادل بين الطبيعة والمرأة). فيما أقبل من الصفحات .

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة) ص٥٥٥ .

(٤) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص٦٩ .

(٥) (عواطف ومشاعر) ص٣٦ .

(٦) (أغنية الشمس) ص٥٥ .

وهي عند فهد علي العبودي كالغيداء ترفل في جديد الثياب :

أبها والمناظر تستبينـــــي　　　بأي مروجك الخضرا أشيد ؟

رأيتك مثل غيداء كساها　　　من الأثواب موفور جديد(١)

أما علي عبد الله مهدي فيرى فيها بكراً حيية لم تمس ، ولؤلؤاً لم يثقب :

أبها خريدة قصر جل بارئها　　　أبها قصيدة شعر تاه راويها(٢)

ويرى أحمد فرح عقيلان في هذه الحُسَّانة ، حورية اكتمل حسنها حتى غدت مثالاً ونموذجاً للحسان ، ولكل من يبحث عن الحسن :

أبها مصيف الطيبين يؤمهـــا　　　من كان ينشد طيبها وجمالها

حورية السروات أنت نموذج　　　للحسن ترسمه الحسان مثالها (٣)

ويستمر مجيء الصورة عند الشعراء في إطار تقليدي ، طالما ردد الشعراء صوره . فهذا محمد سعد الدبل يرى في أبها - وقد حسنت في عينه - ملاكاً تستدعي من النفس الشاعرة الإعجاب ، وتبعث في دواخلها مفردات الجمال ، ليتمخض عن ذلك قصيدة :

رأيت أبها ملاكاً في محاسنهـــــا　　　فاستلهمت كلماتي بعض تجريبي

حسبي من الفن عصماء مشذرة　　　تختال حسناً وتأتي بالأعاجيب (٤)

ويقيم عبد الله بن علي الحميد لأبها أكثر من صورة ، فهي كالربيع ، وكالروض وكالسراج المنير :

جددت عهدها وزارت لمامـــــا　　　وأماطت عن الجمال اللثاما

فبدت كالربيع كالروض حسناً　　　كالسراج المنير يمحو الظلاما(٥)

وفي مقطوعة صغيرة لعبد الرحمن العشماوي نجده يأخذ في ترجيع مسمى (أبها) المدينة ، التي تتوق إليها المشاعر ، وتنتعش نحوها الخطى ، ويروق المسير ، ويطيب حولها الحديث ، وفيها

---

(١) (المجلة العربية) ص٢٥ ع/ ٢٩١ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ .

(٢) (أبها في التاريخ والأدب) ص١٣٩ .

(٣) (الأعمال الكاملة) ص٨٦ .

(٤) (في رحاب الوطن) ص ٤٨ .

(٥) (أديب من عسير) ص١٠٣ .

المقام ، ليمنحها الشاعر - و قد زهت صورتها - صورة الربيع تتوق إليه الطبيعة بكل ما فيها :

أبها وينتفض الشعـــور وتهز منكبهـــا عسير
أبها وتنتعش الخطـــى ويروق للقـــدم المسير
أبها حكاياهـــا هوى يغري وملمسهـــا حرير
فكأنها وجـــه الربيع تحب طلعتـــه الزهور[١]

ويستثمر إبراهيم الزيد من ذاكرة الجمال التي خلدها الموروث الثقافي لكثير من الأماكن ، ليجعل من أبها قِرْناً لـ (شعب بوان) [٢] في جماله المدهش ، ولو زارها معشر الشعراء ، الذين عرفوا بميلهم إلى الطبيعة وجمالها ، لضجوا بهذه الحقيقة الجمالية ، التي خلد صورتها المتنبي :

لو أن إيليا أبو ماضي وشيعتـــه مروا بها زورة في بعض أحيـــان
وطوفوا بكرة والشمس مشرقة بين المروج مليئات بقطعـــــان
لأكبروا ما رأوا من فتنة عبقت فوق السفوح وضجوا .. شعب بوان[٣]

ويستمر استثمار ما تحمله الذاكرة في مخزونها من صور لجمال الطبيعة عند الشعراء ، سواء عاش الشاعر ذلك الجمال رأي العين ، أو كان مما سار ذكره ، واشتهر أمره ، وكان مقدماً في حديث الجمال :

وفي أرض المحالة سلسبيـــل كوادي النيـــل يروي الظامئينا
كأن (سويسرا) تلك المراعي و (لبنان) ترى أو (طور سينا)[٤]

وننتقل إلى إطار آخر ، نلمح في صوره جِدّةً ، أو استثماراً بديعاً لصور موروثة ، أو قائمة عند شعراء آخرين .

---

(١) مقطوعة صغيرة جعلها الشاعر كالتوقيع وقد زار أبها وناديها ولم أقف عليها في دواوينه انظر: (بيادر) ص ٥٩ ع/٢٩ محرم ١٤٢٠ هـ وزيارة العشما وي كانت عام ١٤٠٥ هـ .

(٢) انظر : ص١٩ من التمهيد . وقد توافر الحظ لشعب بوان ليكون ضمن من خلدهم شعر المتنبي .

(٣) (جراح الليل) ص١٠ .

(٤) (عبير من عسير) ص٦٧ .

فها هو ذا خالد الحليبي يمنح (ابنة الجبل) صوراً رائعة يمتحها من بيئته الساحلية [١] ، وبديع أن تتقارض الأماكن جمالياتها في أبيات الشعراء ، ولنستمع إلى الشاعر وهو يغني أبها ويمنحها هذه الصور الجمالية :

أبها على شفة الأحلام أمنيـــــة — عذراء تحتار في تقليدها لقبـــا
تخالها في الدجى محّارة رعشـــت — على مشارفها أنوار ما حجبـــا
حتى إذا الفجر رش النور وارتشفت — أزاهر الروض من أندائه حببـــا
تفتقت عن محار الليل لؤلـــؤة — وأسفر الصبح عن ما كان منتقبا [٢]

أما جاسم الصحيح فقد بهره الجمال في كنف الجبال يحتمي بها ، واستوقفه تاريخ الإنسان والمكان ، لتقوم في ذهنه تساؤلات يحار الشاعر أن يجد لها جواباً ، لينتهي إلى أبها الأسطورة واللغز المحتجب :

من أنت يا قامة تمتـــد في فلك — يخال للسدرة العصماء منتسبـــا
أسطورة بين أكناف الذرى نقشت — وشماً يخبئ من أسرارها عجبـــا

إلى أن يقول :

أبها وتنتفض العنقاء في جبـــل — ما زال بالطلسم الغيبي منتقبـــا
تعنبت شفة التاريخ حين نمـــا — عنقود إسمك فوق الدهر وانكتبا
عوذت لغزك من صحو يساوره — تعويذة ملئت من حيرة عِنَبَا [٣]

وينجح أحمد قران الزهراني في شد الانتباه ، وهو يعمد إلى فك وتجزئة الصفات التي تكونت منها صورة الموصوف ، وبمعنى آخر ينجح في إبراز تقاسيم هذه الشخصية المكانية ، ليفجأ السامع - بعد شد ترقبه - بالإفصاح عن الموصوف ، أو عن المكان الذي يحوي كل هذه الجماليات ، ويتشكل من خلالها ، وهي جماليات تتوزع بين اللون ، والشكل ، والإيقاع ، بل تتعدى ذلك إلى جمال الإحساس ، وروعة البراءة ، وأصالة التاريخ :

---

(١) الشاعر من أبناء الساحل الشرقي لهذه البلاد فسيحة الأرجاء .

(٢) (ملتقى أبها الثقافي) ١٤١٣هـ ص١٠٣ .

(٣) (أولمبياد الجسد) ص١٧٧ ، ١٧٨ .

من دفء بسمة طفلة غجرية ... من همس قلب عاشق متمــــــرد
من لحن عصفور وصوت ربابة ... من ريح زهر فائح متسرمــــــــد
من عين فاتنة وبوح قصيـــــدة ... وظلال فرحة تائه متشــــــــرد
من ضوء برق لامع من غيمـــة ... من عشبة خضراء مـــن قطر ندي
من شامخات المجد من عمق المدى ... من فجر تاريخ أصيل المشهـــــد
صاغ الإله جمالهــــا فتمازجت ... همم الرجال بنظرة المتجـــــــدد
أبها .. وقد خفق الفــؤاد وهزني ... وجد سماوي يروح ويغتــــــدي
أبها .. ونور الشمس لون جبينها ... والبدر ظل ضيائها المتفـــــــرد
أبها .. لها من رسمها ومكانهـــا ... ولها مع الأمجاد أبهى موعـــــــد
لله من حسناء فاق مقامهـــــا ... صوت القصيد وكل قول مُنْشَــد (١)

ونظفر عن أحمد سالم با عطب بأكثر من صورة ، نشم في أردانها رائحة القديم ، لكن الشاعر يستثمرها لتأتي في نظام بديع فيه روح الجديد :

أبها كتاب من الإخلاص جوهرة ... في جبهة النصر للأمجاد عنوان
أبها تطرز وجه المجد تضحيــــة ... أبها شموخ وإصرار وعرفان(٢)

ويجيء - أيضاً - هذا الاستثمار للموروث ، في إطار رائع عند إبراهيم صعابي ، وهو يرسم أرض الوطن في لوحة شعرية ، ليجعل من أبها وجنة في وجه تلك الأرض :

بأرض أبها تجلى شكل وجنتها(٣) ... حتى تشابه فيها الخد والعسل(٤)

ومما هو جدير بالملاحظة ذلك القران الذي أقامه الشعراء بين جمال المكان ، وجمال الحرف ، وذلك حين رأوا في المكان قصيدة أبياتها جمال الطبيعة ، ورافدها حكايا التاريخ ، وإيقاعها أصوات الطبيعة المموسقة •

---

(١) (بيادر) ص١١٨ ع/٢٨ رمضان ١٤٢٠ هـ . (مجلة المفتاحة) ص١٢ ع/١ مركز الملك فهد الثقافي - أبها -

(٢) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص ١٨ •

(٣) يعود الضمير إلى الوطن الكبير المملكة العربية السعودية •

(٤) إبراهيم صعابي (وطن في الأوردة) ص٢١ ط/ ١٤٢١هـ وزارة المعارف المملكة العربية السعودية •

والشعراء وهم يعمدون إلى هذا الربط بين أثر الشعر وأثر المكان ، يصدرون عما يجدونه لكليهما من دور في إحداث تأثير بالغ في النفس ، لتأخذها هزة الارتياح ، وكونهما مرة أخرى متنفساً لكل من أثقله الهم واعتلاه الغم ، وأغنية يترنم بها الشادي والراوي ، إلى جانب كون المكان باعثاً للإبداع الشعري ، وقد يكون ذلك الربط منطلقاً من فلسفة الجمال الشاعري ، فكل جميل ينعت جماله عند متذوقيه بأنه جمال شاعري ، فكأن الشعراء أرادوا استبطان المكان بحثاً عن الوجود الشعري داخله ٠

ولنستمع أولاً إلى ابن خميس ، وهو يقلب ديوان الجمال ، ليقرأ قصيدة أبها :

وفي قرارها الإبداع ما نسجت — يد الطبيعة – أربت فيه – أو شيدا
قصيدة من بديع الشعر نمقهـا — فكر صناع وغناها أغاريـــدا[١]

ونجد مثل ذلك عند أحمد الصالح وهو يقع على ذات القصيدة :

قد تيمتـــه وكانت في دفاتره — قصيدة تسكر الأوراق والقلمـا
أبياها لغة ما افتض أحرفهــا — إلا ليكتب عنه العشق ما نظما[٢]

ويمازج الشعراء بين أبها والشعر ، فالشعر هو أبها ، وأبها هي الشعر ، وكأنهما سران يتكشف أحدهما من خلال الآخر ، أو وجهان لتحفة جمالية ظاهرها كباطنها .

يقول الصالح في قصيدته التي منها البيتان السابقان :

أبها هي الشعر لا معنى ولا لغة — تطاول الحسن ريان ومحتشما[٣]

وتأمل هذا القران ، وتمثله في قول العشماوي :

هنا أبهـا ألست ترى القوافي — تسير – بلحنها الصافي – الركاب
أدر وجه القصيدة كي تراها — وفي أهدابهـــــا حلمٌ مذابُ[٤]

ويحس صالح سعد العمري بذلك الوشاج وتلك القرابة فينشد :

الشعر أبها وأبها الشعر قد مزجا — وأفرغا في قلوب نبض أجساد

---

(١) (على ربى اليمامة) ص١٥٣ ٠

(٢) (بيادر) ص٨٨ ع/٣٧ ٠

(٣) المصدر السابق ص ٨٨ ٠

(٤) (خارطة المدى) ص ١٠٣ ٠

أوتـــــار قيثارتي في ليلتي عزفت — لحن الأكاليل والريحان والكادي
أبها سأصمت في أحضان شاعرة — فوجهك الشعر والإسراء والحادي[١]

وتقوم هذه النظرة وذلك التقابل عند التيهاني ليقول في قصيدته (أبها القصيدة) :

أبها القصيدة والمعاني والسنا — والطيف فيها دائم اللمعان [٢]

أما إبراهيم صعابي فيجلي كنه الجميلة لمن ينشد عنه ، ليكون من وجوه جلائها أنها الشعر في آفاقه الرحبة ، وجمالياته العذبة :

أبها .. هي الورد في أزكى روائحـــــه
أبها .. هي الشعر في آفاقـــــه الغرر
أبها .. هي الحب في أنقى محاسنـــــه
أبها .. هي الطير يشدو لحظة السحر[٣]

وتنتهي هذه العلاقة إلى حد التلازم العميق الذي لا يقبل إنفكاكاً نقول ذلك ونحن نقرأ لصالح عون الغامدي قوله في إحدى قصائده :

أبها لعشاق الطبيعة موئـــــلٌ — والباحثين عن الهوى الوسنـــان
للشعر شعر فالقصيدة أختهـــا — همفوا إليها نغمة الألحـــان [٤]

ولعل من الحسن أن نقف — ونحن نفاتش هذه الصور ونتأملها — على جانب المبالغة التي بلغها الشعراء وهم يصفون أبها ، بدافع قوة الإعجاب حيناً ، أو لتوافر أسباب العلاقة بالمكان حيناً آخر ، أو لكليهما معاً ، ((ولا تثريب على من أحب أن يغلو ، ولا سيما الشعراء))[٥] .
وتأتي مفردة (الجنة) — والتي أخذت مكانها الأبرز ، وبزت كل دلالة جمالية غيرها ، من

---

(١) (ريش من لهب) ص ٦٢ .
(٢) (بيادر) ص ١٣٤ ع / ٩ رجب ١٤١٣ هـ . وهي من القصائد التي لم يضمنها ديوانه الأول (أماريق) .
(٣) (وطني سيد البقاع) ص ٣٠ .
(٤) (بيادر) ص ١٦٠ ع / ٧ رجب ١٤١٢ هـ .
(٥) محمود تيمور (اتجاهات الأدب العربي) ص ١٤٢ ط / ١٩٧٠ م مكتبة الآداب - مصر - القاهرة .

خلال ارتباطها بذلك النعيم الأبدي ، والجمال السرمدي ، الموصوف في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والذي لا يخطر على بال - تأتي هذه المفردة عند الشعراء [١] ، ليقيموا من خلالها صورة موصوفتهم التي يرون فيها مثالاً لجنة الخلد ، أو دونها وفوق غيرها في الجمال أو يرون فيها جنة سفلية تقابل تلك العلوية ، وهذه أوصاف تصل درجة المبالغة في إطراء الجمال ، إذ ليس لتلك مثيل ولا مقارب ، ولكنهم الشعراء ينظرون بعين الهوى [٢] ، يقول إبراهيم طالع الألمعي وهو يغني أبها :

جنة الخلد تعالى الله في عز وقـــــدس
ما علمنا أن في الأرض جمالاً دون بخس
فإذا أنت جمال الأرض يروي كل جنس [٣]

ويقول علي عبد الله مهدي مقارباً صورة الألمعي ، لكنه يبقى في إطار مقبول :

إني لأشهد دنيا جل ما فيهـــا ... ((والدار صاحبها أدرى بما فيها))
قد أودع الله فيها كل طيبـــة ... سبحانه وتعالى جل معطيهـــا
((آمنت بالله واستثنيت جنته)) ... لا شئ يسبق أبها أو يضاهيهـــا [٤]

---

(١) موازاة المكان لجنة الخلد أثيرة في الفكر الشعري ، وهي بجلاء في الأدب الأندلسي . انظر : ديوان ابن هانئ الأندلسي شرح الدكتور زاهد علي . المعروف (بتبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ) ص٨١٣ ط/١٣٥٢هـ دار المعارف - مصر - . و (ديوان ابن زيدون) ص٤٧ ق/ القصائد . د. ت الشركة اللبنانية للكتاب - لبنان - و (ديوان ابن خفاجة) ص١٥١ . ومن شهير ذلك قوله :

يا أهل أندلس لله دركـــــم ... ماء وظل وأنهار وأشجـــار
ما جنة الخلد إلا في دياركـــم ... ولو تخيرت هذا كنت أختـار
لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقراً ... فليس تدخل بعد الجنة النــار

(ديوانه : ص١١٧)

ونجد مثل ذلك عند كثير من شعراء العصر الحديث .

(٢) من أمثال العرب : (عين الهوى لا تصدق) .

(٣) إبراهيم طالع الالمعي (هجير) ص٤٨ ط/١ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م دار البلاد - جدة - ٠

(٤) (أبها في التاريخ والأدب) ص١٣٩ ٠

ومن ذلك – أيضاً – ما نجده عند أحمد بيهان وقد فتنه الجمال :

ما هذه الفردوس بل هي جنـــة
في الأرض يعشقها الجمال بذاتـــه
أبها وما في الكون أكثر فتنــــة
من نشرها الزاكي ومن خطراته[١]

ولا يصح هنا أن نغفل أبيات السنوسي التي جاءت في قصيدته (لوحة من عسير) وفيها يقول :

هذه الجنة التي وعد الله بها النـــاس   أم أنـــا في (عسير) ؟
ما تصورت أن في الأرض فردوساً   وحوراً كاللؤلؤ المنثـــور [٢]

ويجري في هذا السياق المبالغ فيه – أيضاً – ما نراه عند بعض الشعراء من إفراد لأبها بالجمال ، واطراح لغيرها من الأماكن ، رغم ما شهر عنها عبر التاريخ من الجمال والحضارة في شتى الجوانب ، وهم بذلك يجاوزون ما توقف عنده غيرهم من الشعراء ، الذين اكتفوا بإقامة الشبه بين المكانين والجمالين [٣] ويعتذر لهؤلاء بما ذكرته من قبل ، من أن توافر أسباب العلاقة بالمكان أدت الشاعر إلى هذا المعنى . يقول صالح عون هاشم الغامدي :

باريس غارت عندما سمعت بها   وتنهدت في جـــــة الأحزان
برلين تنشر دمعهـــا من حسرة   وسويسرا قد أصبحت بلا عنوان[٤]
ورأيت لندن ترتمي منهوكـــة   وأسيرة للعاشق الولهـــــــان
فجمالها زيف كزيف غرامهـــا   وهواؤها متشبع بدخـــــــان
بيروت أمتها الحروب فأحرقت   عنوانه ما عاد في لبنـــــان[٥]

---

(١) (نزيف المشاعر) ص١٨٤ .

(٢) مجلة الفيصل ص ٨٢ ع / ٥٣ وهي قصيدة لم يضمها ديوان الشاعر (المجموعة الكاملة) ولعلها من فائت شعره . وقد سمعت أن أحدهم قام على جمعه ولم أقف على هذا المجموع .

(٣) انظر ذلك : عند إبراهيم الزيد ، ويحيى إبراهيم الألمعي ص ١١٠ من البحث .

(٤) في البيت انكسار . ولعل الصواب : (وسويسرا أضحت بلا عنوان) .

(٥) (بيادر) ص١٦٠ ع/٧ .

ولا يبعد عنه عائض القرني ، وقد اطرح كل جمال سوى أبها :

دع بلاد الهند وأهجر ذكرهـا — عند أبها وتغافـــــل عن دبي
واطرح روما ومن فضلهـــا — وكذا مدريد ما تيكـــــم بشي
فهنا سحر حـــــلال وارف — ووداد بات يطوي الحب طي[١]

ونجد مثل ذلك عند زاهر الألمعي في قوله :

فإن يدنوا لموكبكم رحيل — لأبها حيث زهر طيبات
وجو ساحر ورياض نبت — مطرزة بوشي خيرات

إلى أن يقول :

فلا (لوزان) فاقتها جمالاً — ولا (سير) ولا وادي الفـرات
ولا (لبنان) يشفيني بهذا — ولا الدنيا بتلك المكرمـــات[٢]

ومن الطريف أن نسمع في أثناء هذه الشواهد ، ما ينادي على أصحابها أنهم من أهل أبها أصلاً ومنشأ ، وسكناً ومعاشا ، لتبرز عندهم النزعة الوطنية جلية من خلال هذا التعبير ، ولا غرو فحب الوطن ((طبيعة في كل نفس ، ولقد يطوف الإنسان ما يطوف ، ويغترب ما يغترب ويشهد ما يشهد ، من ضروب الجمال في غير وطنه ، ولكن نفسه دائماً تنازعه إلى مسقط رأسه ، وعواطفه تهوى إلى وكره الذي منه خرج ، وملاعبه التي فيها لهى ودرج))[٣] غير أن من المستحلى توظيف الصورة التشبيهية في إقامة العلاقة بين مكانين جماليين ، وهذا ما شهدناه عند كثير من الشعراء ٠

وهكذا طوفنا مع الشعراء في مركب تصويرهم لأبها ((حيث المدينة الأنثى ، والمدينة النهضة ، والمدينة المنارة ، والمدينة الجمال))[٤] لتبقى هذه المدينة معراجاً تصعَّد فيه ألباب الشعراء

---

(١) (قصة الطموح) ص١٠٦ ٠

(٢) (الألمعيات) ص ٥٦ ٠

(٣) د . أحمد محمد الحوفي (المرأة في الشعر الجاهلي) ص ٦٥٠ ط / ٢ د . ت دار الفكر العربي ٠

(٤) محمد صالح الشنطي (في الأدب العربي السعودي) ص ٢٦٢ ط/٢ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م دار الأندلس للنشر والتوزيع - حائل - ٠

فيسري بها إلى فضاء الخيال ، لنظفر برسومات وتصاوير ماتعة تحوي داخل إطاراتها صوراً متعددة للجمال ، ولتكون هذه المدينة - كذلك - شخصية شعرية ، تأخذ مكانها في ديوان الشعر العربي [1] ولتصبح - عند النَصَفة - خليقة بأن يقال لها : (بنت القصيد) .

---

(١) يعد المكان شخصية شعرية عندما يكثر تكراره وإيراده في النصوص الشعرية .

المبحث الثاني

التأمل الوجداني الإيماني

شعر التأمل في الإبداع الإلهي - المتشكل في المخلوقات - أس من أسس التصور الإسلامي في الشعر ، ذلك أنه قائم على إعمال الفكر ، والتدبر في بديع الصنعة ، وعظمة الصانع ، لينتهي الشاعر مع هذا الشعور إلى تمجيد الله وتوحيده ، وليلهج لسانه - وهو يستشعر تسبيح هذه المخلوقات - [١] بالثناء والتسبيح ، فيتحقق له بذلك ((التعبير الجميل عن الكون والطبيعة ، والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والطبيعة والحياة الإنسانية)) [٢] .

والشعراء - وهم يتملون هذا الإبداع الإلهي ، وهذا الاقتدار العلوي ، من سفر الطبيعة- يصدرون عن الفطرة المكنونة في دواخلهم تجاه الذات الإلهية المبدعة ، التي صنعت هذا الكون وهذا الجمال دون مثال ، ثم جعلت بينه وبين النفس البشرية تجاذباً وتقارباً ليكون نتاج هذه الجاذبية عند الشعراء فيضاً من التراتيل الإيمانية ، تتلى في محراب الشعر ، ويصدح بها على منبره ، ((وتصبح كائنات الطبيعة لبنات في مخيلة الشاعر يستخدمها في بناء تجاربه التأملية ، ويوظفها توظيفاً فنياً مباشراً لا رمز فيه ولا غموض ولا أبعاد علق بها في عوالم أخرى ، وكأن الشاعر يشعر أن مناجاته لربه واستجلاء معالم قدرته في كونه ، والسباحة في نهر الحب الإلهي أسمى من أي تفسير أو بعد يفصح عنه الرمز)) [٣] .

ويجدر هنا أن نقول : إن الشاعر المسلم الملتزم نظر إلى جمال الطبيعة - وهي جزء من هذا الكون - نظرة متزنة ، تصف صور الجمال إمتاعاً للذات والوجدان ، وتقرأ آيات القدرة الإلهية إنماءً لليقين والإيمان [٤] ليعيش الشاعر بذلك جمال الروح ، وجمال الطبيعة ، وذلك

---

(١) حقيقة تسبيح المخلوقات جاء بها القرآن يقول تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ سورة الإسراء آية (٤٤) .

(٢) محمد قطب (منهج الفن الإسلامي) ص ٦ ط / ١٩٧١ م دار القلم - مصر - .

(٣) (مجلة جامعة أم القرى) ص ٩٣ ، ٩٤ ع / ١٨ اللغة العربية وآدابها (١) ١٤١٩ هـ .

(٤) انظر ص ١٩ من التمهيد .

((لا يتأتى إلا بدافع إيماني يستحضر مع الجمال مبدع هذا الجمال))[١] و ((لا يرى في جمال الطبيعة إلا طريقاً إلى الله مبدع الكون وخالقه ، وكاسيه أثواب الجمال والروعة))[٢] فإن جاوز الشاعر ذلك إلى فضاء الخيال ، وآثر الامتزاج بالطبيعة ، حرص أن يبقى في منأىً عن الإغراق المسرف ، والغلو المجاوز للحد ، وأرتفع عن تلك التساؤلات الفلسفية التي تنتهي به إلى الحيرة والتيه [٣] وكان سبيله سبيل الموازنة بين الحقيقة والخيال ، وهو ينظر إلى ما حوله ((فيرى فيه الجانب المادي مثلما يُستشعر فيه الجانب الروحي ، ثم لا يفصل بين الجانبين ، بل يتوحدان في داخله عند مُفترقٍ واحد فيكون بهذا أقرب أنواع الواقع إلى الواقع))[٤] ٠

ويظهر هذا الحس الديني والإيماني على جليته عند الشاعر السعودي أكثر من غيره ، يقوده إلى ذلك عوامل كثيرة [٥] ، ونريد هنا أن نستظهر بعض النماذج - ونحن نعاود النظر في مجموع القصائد التي قيلت في (أبها) - والتي نلمس فيها حساً دينياً ونوراً إلهياً ، وتتراءى لنا أبياتها مسبحة بحمد الله تعالى مقدسة له ، متأملة في بديع صنعته وقدرته ٠

ولتكن البداية ونحن نأخذ في هذا السبيل الإيماني مع محمد بن سعد آل حسين - وهو شاعر معدود في زمرة شعراء التوجه الإسلامي [٦] - لنجده -

---

(١) حسن بن فهد الهويمل (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر) ص ٥٧٦ ط / ١٤١٩هـ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ٠

(٢) نجيب الكيلاني (الإسلامية والمذاهب الأدبية) ص ١٨٢ ط / ١٤٠٧ هـ - مؤسسة الرسالة - ٠

(٣) قامت مثل هذه التساؤلات وهذا الإغراق المبالغ فيه عند كثير من الشعراء العرب في عصور مختلفة ، وتبين بجلاء عند شعراء المهاجر الأمريكي وشعراء الحداثة المتأثرين بمسار الأدب الغربي ٠

(٤) أحمد بسام ساعي (الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد) ص ١٢٤ ط / ١ - ١٤٠٥هـ - دار المنارة - جدة - ٠

(٥) انظر شيئاً من هذه العوامل عند / حسن بن فهد الهويمل (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر) ص ٥ ، ١٠٣ وينظر في ذلك أيضاً (الاتجاه الإسلامي بالشعر السعودي الحديث) خليف سعد الخليف ط / ١ - ١٤٠٨ هـ وكذلك (التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث) .د. طلعت صبح السيد ص (٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٣٦٨) ط / ١ ١٤٢٠ هـ دار عبد العزيز آل حسين - الرياض - ٠

(٦) انظر : (الاتجاه الإسلامي بالشعر السعودي الحديث) ص ٩١ وكذلك : (ابن حسين بين التراث والمعاصرة) وهو سفر ضخم صنعه د. طلعت صبح السيد عن الشاعر ونتاجه الأدبي ط / ١ ١٤٢٢ هـ دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع - الرياض - ٠

وقد بهره الجمال [١] - يرتقي فضاء الخيال ليعيش الحقيقة في ظلاله ، ثم لا يصرفه ذلك أن يلتفت إلتفاته المؤمن ، ليرى في أثناء هذا الجمال صبغة الله المتقنة التي لا أحسن منها ، ليقر له - إقرار المؤمن - بالقدرة والخلق ، والعطاء والمنع :

واليوم يا (أبها) اتيتك شاعراً ... أصغي إلى همس الخيال وأطرق
أتفيأ السحب الغزار فأرتوي ... حيناً ، وحيناً أمتطي فأحلق
أخطو على هام السحاب كأنني ... طيف يُرى من فوقه يتسلق
(السودة) الشماء مقصده فقد ... تاهت ببرد نسائم تترقرق
يوم به عشت الحقيقة حلوة ... مثل الخيال إذا جلاه المنطق
يستوقف الأفهام ما يوحي به ... في حيرة فمكذب ومصدق
هي صبغة المولى وحسن صنيعه ... هو من يقدر في الوجود ويخلق
يعطي ويمنع عادلاً متفضلاً ... منن يفيض بخيرها ويطوق [٢]

ومثله إبراهيم صعابي الذي استلهم قدرة الله الخارقة ، وقد أغراه جمال السودة أحد تشكيلات الجمال في أبها :

أتيه بالسودة الخضراء في وله
فقدرة الله تغري كل ذي بصر [٣]

ويقاربهما صالح بن عون الغامدي ،الذي سرَّح نظره في قامة عروسته أبها - المدينة والجمال- ليقرأ جزيئات الجمال المتوزعة في أطراف هذه القامة ، ويتملى إيحاءاتها ، فلا يكون بعد ذلك

---

(١) المعروف عن الشاعر أنه كفيف البصر ، مما يعني أن صوره الشعرية تفتقد الإدراك البصري كغيره من الشعراء العميان ، لتعتمد على مقاييس أخرى . وقد عالج هذا الموضوع بجلاء د . عبد الله بن أحمد الفيفي في كتابه : (الصورة البصرية في شعر العميان : دراسة نقدية في (الإبداع والخيال) ط / ١ ١٤١٧ هـ النادي الأدبي - الرياض - وكذلك في بحثه (مقاييس الجمال في تجربة العميان الشعرية) كتيب المجلة العربية رقم ٦٤ ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ . وانظر للشاعر نفسه كتابه : (أصحاب البصائر : وقفات في أحوال المكفوفين . وآدابهم) ط / ١ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م مطبعة مرامر - الرياض - والعجيب أن الشاعر أشار إلى حاله وهو يحيا الجمال بشعوره الداخلي في قصيدته عن (أبها) (بيادر) ع / ٤ ص ٤١ .

(٢) (بيادر) ص ٤٢ ع / ٤ ١٤١٠ هـ .

(٣) (وطني سيد البقاع) ص ٢٧ .

إلا اليقين بأنها كلها هبة الله الجليل ، التي لا يقاربها هبة : -

من أنت يا ذات الكساء العسجدي ؟ شفتاك تندى بالهـــوى لتغردي
عيناي تطرب في ربوعك حلـــوتي والقلب تاق لعشقـــه المتجدد
كـــــم هزني شوقي إليك ليرتمي قلمي على كفيك تحملـــه يدي
عانقت طيفك في رؤى أحلامهـــا فأحلت إحساسي لظى المتوقـــد
ونشرت شعرك فـــوق شمس محبتي وسكبت أسهم لحظك المتمـــرد
أيقنت أن الله جـــــل جلاله وهب الجمال لخدك المتـــورد (١)

ويستفهم على مفرح الثوابي - وهو يرى جمال المكان - استفهام متعجب غير مريد للجواب ، إذ هو مقرر عنده ، ولكنها طريقة الشعراء أمام ما يبهر ويعجب ، لينتهي الشاعر إلى الحقيقة التي تنادي بها عوالم الخلق والجمال ، لتقر بها القلوب المؤمنة ، إنها صبغة الله وصنعته ، ومن أحسن من الله صبغة وصنعة ؟! :

من نمق الزهر البديع ومـــن سقى أرض الجنوب مهابة وجلالا ؟!
من وشح الصم المريعـــة عرعر وكسا رباها رونقاً وجمـــالا ؟!
من أنبت الزيتون فوق ربوعهـــا والقرمل الفواح طاب منـــالا ؟!
من ألفّ السحب الثقال فأمرعت وهمت تداعب مهمهاً وجبالا ؟!
وسقاك يا أبها كؤوس سعـــادة ورعاك مصطافاً لنا وظـــلالا ؟!
سبحانه الخلاق ذاك صنيعـــــه أسدى لنا من فضله وتعالى (٢)

و لا بدع أن يُلْهِجَ هذا الجمالُ الشعراءَ بالتسبيح والثناء ، وهم يتأملون هذه الإبداعات الجمالية ، التي وشتها يد الخالق - تبارك وتقدس - إذ هذا شأن المؤمن ومنطوقه ، وهو يدير النظر ، ويجيل الفكر في الإبداع المُتْقَن ، والمبدع المُتْقِنِ . يقول إبراهيم الزيد وقد أخذت منه فتنة الجمال مأخذا :

إني لأعجز عن تصوير فتنتها إني أرى لوحة صيغت بإتقـــان

---

(١) صالح عون هاشم الغامدي (آلام وآمال) ص ٦٩ ط / ١ ١٤٠٩ هـ دار البلاد - جدة - .

(٢) (بيادر) ص ٨٥ ع / ٢١ جمادى الأولى ١٤١٨ هـ ولم يضمها ديوانه الأول (وميض الأفق) .

سبحان مبدعها الله خالقهـــا   هيهات يدركها فن لإنسان [١]

ويستغرق خالد الحليبي - متأملاً - في جمال المكان ، وقد تبرج أمام ناظريه بكل فاتن ، لتحار أداة الخيال عنده في رسم صورته ، ولتعجز الحروف أن ترتصف في نعت هيئته فليس إلا نَفَسُ الإيمان يصعد ويهبط في قصبة الكلام ، يَنُثُ التسبيحات ليمتلىء الكون عبقاً وألقاً :

أبها على شفة الأحلام أمنيـــــة   عذراء تحتار في تقليدها لقبــــــا
تخالها في الدجى محـــارة رعشت   على مشارفها أنوار ما حجبــــا
حتى إذا الفجر رش النور وأرتشفت   أزاهر الروض من اندائه حببـــا
تفتقت عن محـــــار الليل لؤلؤة   وأسفر الصبح عما كان منتقبـــا
فغاب سمعي وإبصاري وما ملكت   شفاه شعري وحار الحس واختلبـــا
أحسست أن خيالي تـــاه مقوده   وأن حرفي من قاموسه سلبــــا
لم يبقَ في صدري ترنيم سوى نفس   يهوي ويصعد : سبحان الذي وهبا [٢]

ولا نزال في ركب الشعر المسبح ، يشق طريقاً تبدى على جانبيه رايات الإبداع والجمال ، ليقرأ الشعراء في إطاراتها آيات القدرة والكمال . يقول حسين النجمي :

بصيف أبها هنا تزهو المســـاءات   وفوق أهدابها تحلو اللقـــاءات
وفي جبال الجنوب الخضر منتجـــع   تطيب فيه مع الأحباب أوقـــات
تزورنا السحب شوقاً في أصائلهــــا   وليلها تتهادى فيه نجمـــات
سبحانه من بكل الحسن أبدعهــــا   وكم لقدرته في الكون آيـــات[٣]

وهذا علي عبد الله مهدي يجلو مظاهر الجمال في أبها ، مسبحاً باسم من أودعها كل ذلك :

---

(١) إبراهيم الزيد (أغنية الشمس) ص ٦٨ ط / ١ ١٣٩٩هـ نادي الطائف الأدبي .

(٢) (ملتقى أبها الثالث) ١٤١٣ هـ ص ١٠٤ .

(٣) (بيادر) ص ١١٦ ع / ٢٧ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ . وهي ضمن ديوانه المخطوط (قبلة على جبين الوطن)

أبها خريدة قصر جل بارئها ... أبها قصيدة شعر تاه راويها [١]

إلى أن يقول :

توزع الحسن منها كل ناحية ... فاض الجمال نميراً من مغانيهـــا
صنائع عز تاليها وأولهـــا ... وطيبات سرى في الروح ساريهـا
من لم يزرها فقد بارت تجارته ... وكل من زارها غنى بها تيهـــا
إني لأشهد دنيا جل ما فيهـا ... ((والدار صاحبها أدرى بما فيهـا))
قد أودع الله فيها كل طيبــة ... سبحانه وتعالى جل معطيهـــا
((آمنت بالله واستثنيت جنته)) ... لا شيء يسبق أبها أو يضاهيهـا[٢]

أما تركي بن صالح العصيمي فيجاوز بنظره الطبيعة البكر ، ليتأمل أثر الإنسان في المكان وعمارته له ، ليقف على بيوت الطين المرتفعة والمتشكلة بأشكال هندسية بديعة ، والتي أقامها أناس لم يتوافر لهم من المقومات شيء إلا ما سُخرَ لهم من الطبيعة وما جبلوا عليه من صبر وعزيمة ، وما فطروا عليه وقد علمهم الله صنعة مأوى يقيهم حر الليالي وبردها ، ويكنهم من قطر السماء وبَرَدها ، ليرى الشاعر - وهو يتأمل المادة وطرق استثمار الإنسان لها - صنعة الرحمن وتدبيره وتسخيره ، بل ربما قصد الشاعر كذلك الحسن البشري وملاحة ساكني هذه الدور :

لله كم تحوي بيوت الطين ... من حسن يمجد صنعة الرحمن [٣]

أجل إن ذلك كله صنع الله وإتقانه وأي مقارنة بين ما سوته يد الله و بين ما سوته يدُ غيره :

قد يُظهر الحسنَ في أعطاف دميته ... يد صناع بتشذيب وتنفيـــد
لكنما حسن أبها في بدائعهـــا ... من صنع ربك من بدء وتشييد [٤]

ويستحلي الشعراء الاعتكاف على بساط الطبيعة ، ليمارسوا عبادة التفكر في عظيم صنعها ويتملوا أشكالها وآثارها الجميلة والرائعة ، ليروا فيها شواهد على تفرد الله بالبقاء

---

(١) (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٣٩ .

(٢) (قلب في أبها) ص ١٦٩ .

(٣) (قلب في أبها) ص ١٦٩ .

(٤) محمد سعد الدبل (خواطر شاعر) ص ١٠١ .

ويتحسسوا في سكونها تسبيحها ، وتمجيدها لله الفرد الباقي ، وإن كانوا لا يفقهون هذا التسبيح . من ذلك ما نجده عند حبيب بن معلا اللويحق المطيري ، وهو يقف على شاهق الحبلة (١) لتتدحرج نظراته عبر انحداره الهائل ، فترى تشكيلات الطبيعة المختلفة ، من زهر وشجر وصخر ، لتنتهي - بعد ذلك - إلى ما تركه الإنسان في السهل من أثر قد عفا عليه الدهر ، لكنه ظل صامداً لينطق بحقيقة الفناء والبقاء ، فناء المخلوق وبقاء الخالق :

صمت وسكون
والهيبة بجلال تبدو
من هذا الجرف الهائـــل
تنشد أغنية الموت
صمت وسكون
وعويل الريح المذعورة
يتردد في تلك الأغوار
والبعد سحيق
تتدحرج فيه الأبصار
وتلامس
بعد عناء
أرض خضراء
يكنفها
مجرى الماء
تتناثر حول الغابة
أطلال صامتة تتحدى الأخطار
شاهدة

---

(١) انظر ص ٨١ من البحث .

ألاّ دائــــــــــــــــم
إلا القهــــــــــــــار(١)

والملاحظ أن الشاعر تعمد تكثيف رموز الطبيعة في هذا المقطع ، ليستنطقها في نهايته بقدرة الله وديمومته •

ويظل الدافع الإيماني حاضراً في قلب الشاعر ، ليدفع به إلى استنطاق هذا الشاهق الصلد الصموت كرة أخرى ، ليعيد تأكيد هذه الحقيقة العظيمة على لسانه ، فها هو ينتظر مصيره كسائر المخلوقات ويقضي وقته - وهو يَسْبَحُ في ملكوت الله - مسبحاً له منتظراً لوعده :

مضت العصور ولم أزل في درب مأساتي مسافراً
وغداً إلى ما قد يصير إليه كل الخلق صائر
يأوي إلى كنفي السحاب وتحتمي فيّ الأزاهر
والناس يختلفون نحوي بين مطلوب وشاعر
تطويهم الأيام هل أبقت لي الأيام سامر
والخالق الجبار يطوي الدهر كي يفنى الأواخر
إيهٍ
يا ولدي
ها نحن اليوم نسافر في ملكــوت الله
نسعى لرضاه
ويقيناً نسعد بلقاه
يا ولدي
سأظل أسبح للرحمن

(١) (نوافذ الشمس) ص ٤٠ ، ٤١ •

أنتظر الأيـــــــام
وسيأتي الوعـــــــد (١)

وقد نجح الشاعر عندما شخص الجبل ، وبعث فيه وقدة الحياة ، واصطنع من لسان الحال لسان مقال تكلم الناس ((أن الله على كل شيء قدير)) ، وتوقظ في دواخلهم حقيقة يجب ألا تغيب ٠

واللويحق وكذلك غيره من الشعراء ، الذين أجتزأنا من قصائدهم شواهد تسير في هذا الطريق الإيماني يصدرون - ولا ريب - عن منهل القرآن والسنة ، ليأخذوا بتوجيههما إلى إدامة الفكر في صنعة الكون ، وإقامة شعيرة العبادة بالتفكير ، كما أن غزارة الآيات والأحاديث التي تحكي قدرة الله وآلائه في الكون ، دفعت بهم ليصدروا في ألفاظهم وعباراتهم عن ذلك المعين الطاهر المقدس ، لنجد أنهم استمدوا وقبسوا وتأثروا بالألفاظ والمعاني القرآنية والحديثية (٢) فكانت ألفاظهم مفعمة بعبق الإيمان ٠

ولعلنا قد بان لنا - ونحن نتقرى هذه الشواهد - سبيلاً من سبل التأمل التي سار فيها الشعراء وهم يجلون مظاهر الطبيعة في أبها ، لندلف إلى سبيل آخر ، آثر أن يتأمل في الإنسان والمكان ليمزج في النهاية بينهما ٠

---

(١) المصدر السابق ص ٤٢ ٠

(٢) تأمل هذا الاستمداد وقف عليه في أثناء النصوص التي سقناها فيما سلف من صفحات هذا الجانب ٠

المبحث الثالث

التبادل بين الطبيعة والمرأة = (التلاقي بين دال الجمال الأنثوي ودال الجمال المكاني)

يتمكن الشيء وتمتد العين إليه ، كلما لابس ثوب الجمال واتصف به . ذلك أن الجمال [١] هو : ((تلك الصفة أو مجموعة الصفات في الشيء ، التي تبعث مسرة واضحة للحواس وخاصة حاسة الرؤية ، أو تسحر ملكة العقل)) [٢] ، ليظل - وهذا أثره - طِلْبَة في كل شيء ، وغاية تتغياها كل نفس ، توافرت على سلامة الذوق ، ورهافة الحس ، وسرعة التأثر والتفاعل ، وكان ذلك فيها فطرةً ، وطبعاً لا تطبعا ، حتى إذا ما وقعت على هذا الجميل ، أخذتها هزة الارتياح ، وانسابت في عروقها نشوة عارمة .

وقد شغف الإنسان بهذا الجمال وهذا الحسن ((يتبعه فوجده في الزهور ، ووجده في البحار والأنهار ، ووجده في الطبيعة على فطرتها ، ووجده في الإنسان نفسه)) [٣] ليختلف - بعد ذلك - الموقف من الجمال من إنسان إلى آخر ، فواحد يراه شهوة ، بمعنى أن موقفه من الجمال ينطلق من مبدأ التشهي والرغبة ، والمتعة الحسية والمعنوية ، وهو بهذا لم يجاوز سنة وفطرة مقررة في النوع البشري ، وقد زين له حب الشهوات [٤] ، وجعل له

---

(١) تعريفات الجمال ومقاييسه كثيرة بثيرة ، تتوزع بين الفلاسفة والحكماء ، والأدباء والشعراء والعشاق . تراها مبثوثة في كتبهم وما أثر عنهم ، أو في الكتب التي عنيت بالجمال أو بجزئية من جزئياته . ومن أبدع ما وصف به الجمال شعراً قصيدة الشاعر عزيز أباظة التي طالعها :

سألوني عن الجمال فقلت ... الحكم لأثنين فيلسوف وشاعر

وهو للشاعر المحلق كـون ... ساحر من شعائر ومشـاعر

لم أقف على ديوانه . وهي بتمامها في كتاب (همسات المحبين وآهات العاشقين) لمؤلفه / محمد إبراهيم الدسوقي فلتطالع هناك ص ١٠ ط / ١٩٨٨ دار ابن سينا - مصر - .

(٢) مجدي وهبة وكامل المهندس (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) ص ٨٧ ط / ١٩٧٩ م مكتبة لبنان - بيروت - .

(٣) أحمد أمين (فيض الخاطر) ص ١٦ ج / ٢ د . ت مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - .

(٤) يقول الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ ﴾ ١٤ سورة آل عمران .

في كثير من عناصر موجودات الحياة زينة [١] ويبقى له - بعد ذلك - الأخذ في طريق الاعتدال أو الابتذال ٠

وثان ينطلق من فلسفة خاصة ، تقف الجمال على المتعة الروحية دون غيرها ، وتجعل منه معتزلاً ومعتكفاً تمارس في ساحه طقوس الهروب عن صخب الحياة ، والبحث عن المثالية التي تجاوز - في أكثر الأحايين - الواقع والحقيقة . وفي هذا الإطار الفلسفي - أيضاً - نرى من يجعل الجمال متجهاً له يبثه لواعج أحزانه وأشجانه تارة ، ويسآئله عن خبيئه وغامضه تارة أخرى .

أما الثالث من هؤلاء فإنه ينحرف بالجمال إلى غير الغاية التي من أجلها أوجد ، ليجعل منه موضع تأليه وعبادة ، وهذه نظرة متجاوزة ممقوتة ، يدفعها ويردها النقل ، ولا يقبلها العقل ٠

لنصل مع هذه المواقف المتباينة ، إلى أن العدل قوام بين إمتاع الروح والفكر ، وإشباع غريزة الجسد بطريق مشروع غير ممنوع ، ثم النأي كل النأي عن تلك النظرة التي تقدس وتأله الأشياء ولها أصولها في فكر وأساطير بعض الأمم والمذاهب المتقدمة كاليونانية والحلولية [٢] وغيرها ، وكذلك البعد - ما أمكن - عن النظرة التي تعطل المنفعة - كلها أو بعضها - المحصلة من إيجاد هذا الشيء الذي حل فيه الجمال ، سواء أكان من موجودات الطبيعة ، أم كان من عالم الإنسان ، و سواء أكانت منفعة حسية أم معنوية ، دينية أم دنيوية ٠

والذي أداني إلى أن أجعل هذه السطور تقدمة لهذا الجانب الذي أعالجه ، هو تبين الموقف الصحيح من الجمال ، الذي نتذوقه ونتملاه ، لنظل في إطاره ونحن نصف الجمال ، ونشبع غاية النفس منه ، فلا يكون في موقفنا هذا شِيَة ولا تأثم ، كما أني أردت بهذه المقدمة - كذلك - أن تكون مفتتحاً ومدخلاً لي وأنا بصدد الوقوف على تبادل وتلاقي جماليات المرأة وجماليات المكان عند الشعراء ، وهم المقدمون في جماهير الناس ((تذوقاً للجمال

---

(١) يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ آية ٧ سورة الكهف
ويقول تعالى ذكره : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ آية ٨ سورة النحل .
ويقول عز وجل : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ ﴾ آية ٥ ، ٦ سورة النحل . وغيرها من الآيات الكريمات .

(٢) الحلولية : فرقة يقولون بحلول الله في الأشياء - تعالى الله عن قولهم وتقدس - ٠

وإحساساً به ، بحكم الفن الذي تتدفق به مشاعرهم ، وتنساب فيه نفوسهم ، فما تكاد تقع عينا شاعر موهوب على منظر جميل ، حتى تنفعل نفسه بهذا المنظر ، وينطلق لسانه مترجماً ما جاش في هذه النفس من معان ، وما تفاعل فيها من مشاعر)) [١] لنظفر عنده - وقد أطلق أعنةنظره ونفسه ، لتجري في هذه المجالي الجمالية البديعة تتملاها - بلون من التصوير المنظور والمتخيل ، وهذا التصوير - بداهة - يقودنا إلى تتبع المفهوم الجمالي عند هؤلاء الشعراء ٠

ومما لا ريب فيه أن دال الجمال يقع وصفاً لكثير من المدلولات ، والموجودات الحية والجامدة، فهناك جمال الإنسان ، وجمال الطبيعة ، وجمال الكلمة ، وجمال الصنعة والتشكيل ، وما إلى ذلك من الأشياء التي تستملح وتستحسن ، فتوصف بالجمال وتنعت به ٠ إلا أن هذا الوصف أكثر ارتباطاً وملازمة لموصوفَيْن من هذه الجماليات ، هما : المرأة والطبيعة لكونهما من جهة أسبق ارتباطاً بصفة الجمال في الفكر الإنساني ، ثم هما من جهة أخرى جمالان مشاعان ، يلتقي في تذوقهما البشر بكل فئاتهم وأطيافهم ، وذلك بدافع الغريزة والفطرة ، مع اختلاف - ولا ريب - في مستوى الذائقة ودرجات التذوق ٠

ولأن النظر في الشعر سبيل هذا البحث فإننا نقول - أيضاً - : إن جمال المرأة وجمال الطبيعة لهما مكان أثير في الفكر الشعري على امتداد زمنه وإن كان الأول أسبق وأحظى ، وكان له البداءة في خط سير الشعر ، ليتوالى بعد ذلك الاهتمام بالجمالين والمزج بينهما في نتاج الشعراء العرب فـ ((الشاعر العربي يعتقد أن في المرأة قوة سحرية طقوسية خيرة تؤثر في الروح والجسد معاً وهو دائماً يقرنها بالطبيعة ويراها من خلالها)) [٢] ، لنجد احتفاءً به عند بعض شعراء العصر العباسي [٣] ، وليصبح - بعد ذلك - ميزة ظاهرة

---

(١) محمد بن علي الهاشمي (ومضات الخاطر : بحوث ودراسات) ص ٢٥١ ط / ١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان - ٠

(٢) علي أحمد سعيد (أدونيس) (ديوان الشعر العربي) ص ٢٠ ٠

(٣) كابن الرومي مثلاً . وسنسوق شاهداً من شعره في ما أقبل من الكلام على تلاقي الطبيعة والمرأة عند الشعراء ٠

عند كثير من شعراء الأندلس ، ويستمر - كذلك - عند شعراء من العصر الحديث [١] .

والذي يهمنا - هنا - هو ذلك الالتفات نحو أحد الجمالين عند وصف الآخر ، فإذا وصف الشعراء المرأة التفتوا إلى الطبيعة ، وهكذا إذا وصفوا الطبيعة التفتوا إلى المرأة ((وبالغت طائفة في هذا المعنى حتى اشتقوا محاسن الطبيعة من محاسن الحبيب ، ، ولم يجدوا للأولى جمالاً بغير الثانية))[٢] ((فالجمال في الزهرة هو الجمال في المرأة ، والجمال في الشمس المشرقة ، والمساء الساكن ، والجدول الوديع)) [٣] .

يقول الدكتور جودة الركابي وهو يعالج شعر الطبيعة عند الأندلسيين : ((المرأة صورة من محاسن الطبيعة والطبيعة تجد في المرأة ظلها وجمالها ، ولذا كانت الحبيبة روضاً وجنة وشمساً، وقد قال المقريء عن شعراء الأندلس : ((إنهم إذا تغزلوا صاغوا من الورود خدوداً ، ومن النرجس عيوناً ، ومن الآس أصداغاً ، ومن السفر جل نهوداً ، ومن قصب السكر قدوداً ومن قلوب اللوز وسرر التفاح مباسم ، ومن ابنة العنب رضاباً)) وهكذا كانت العلاقة شديدة بين جمال المرأة وبين الطبيعة فلا تذكر المرأة إلا وتذكر معها الطبيعة)) [٤] والعكس صحيح .

---

(١) هذا الاقتران تقليدٌ أثيرٌ في شعر العربية لا يكاد يخلو منه شاعر سواء جاء توظيفه عن طريق الحقيقة أو المجاز أو الرمز .

(٢) سيد نوفل (شعر الطبيعة في الأدب العربي) ص ٢٨٨ ط / ٢ ١٩٧٨دار المعارف - مصر - .

(٣) د . أنس داود (التجديد في شعر المهجر) ص ٢٩٣ د.ت دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة - .

(٤) جودة الركابي (في الأدب الأندلسي) ص ١٣٢ ، ١٣٣ د.ت ط / دار المعارف - مصر - وكلام المقريء أخذاً عن كتابه (نفح الطيب من عصر الأندلس الرطيب) . ومن الشواهد التي قامت فيها بعض هذه التشبيهات قول ابن قلاقس :

حملت من الأزهار أشباه الربى ... فتساوت الأمثال والأشكال

فالآس صدغ والأقاحي مبسم ... والورد خد والبنفسج خال

(ديوانه : تح / سهام الفريح ص ٥٠٥ وانظر كذلك : معاهد التنصيص للعباسي ص ٩ ج ٣)

وقول الخالدي :

في وجهه كل ريحان تراح له ... منا قلوب وأبصار وتهواه

النرجس الغض عيناه وطرته ... بنفسج وجني الورد خداه

(معاهد التنصيص للعباسي ص ٩ ج ٣) .

ولقد يجاوز الشاعر ذلك الالتفات إلى المزج بين الجمالين ، لتلتقي عنده إيحاءاتهما ودلالاتهما فيصنع منهما جمالاً مركباً ، أو جمالاً واحداً لا نستطيع إدراك المقصود بنعوته ، آلمرأة أم الطبيعة ؟ إلا بقرينة نقف عليها في سبب إنشاء القصيدة ، أو في أثنائها وفي بيت من أبياتها ؛

وعندما نتطلب تعليلاً لهذه النظرة التي تعادل بين المرأة والطبيعة ، نجدنا بين علة جمالية ترى المرأة والطبيعة صنوان في صفة الجمال وجاذبيته ، وأخرى فلسفية تقيم اشتراكاً بينهما في الوضوح والغموض ، والسيطرة والخضوع ، واللذة والألم ، إلى جانب كونهما مثيران قويان للأحاسيس والعواطف . ولا ننسى - إلى جانب ذلك - كون المرأة والطبيعة مصدرا إلهام شعري لكل الشعراء .

غير أن جل الشعراء ينطلق من العلة الأولى ، حيث يُستَحضرُ عندهم الجمالين معاً كلما نُظِرَ في أحدهما ، والشواهد لذلك كثيرة [١] .

وهنا كلام رفيع للأديب العربي العَلَم [٢] مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله تعالى - يقفنا من خلاله على ذلك الاستحضار لجمال المرأة ، الذي يسارع إلى ذهن الشاعر كلما رأى في الطبيعة جميلاً . يقول : ((ألم تر إلى شعراء الدنيا وهم أنبياء الجمال الذي لا تتصل ملائكته بغيرهم ، ولا يفهم غيرهم ما يفهمون منها ، كيف يشبهون الحسن الرائع بكل ما في الخليقة من مظاهر الروعة ، فيتناولون من الآفاق والسحب والبروق والرعود ، ومن الشمس والقمر والنجوم والأفلاك ، ومن الخلد والجنة والنار ، ويأخذون من الجبال والأنهار ومن الرياض والأزهار ، ثم الطير والوحش ، ثم المعادن وأفلاذ الأرض ، ومن كل ما ختمت عليه يد الله بروعه ، أو طبعت عليه برهبة ، ويجمعون ذلك ثم يفيضونه في أوصاف الجميلة وجمالها ، حتى لكأنها ذلك السر الذي قام به حسن الخليقة ، وحتى كأن الله لم يخلقها إلا ليكون كل شيء فيها تفسيراً لشيء ما في آية من آياته . وما ذلك بمبالغة من الشعراء ولكن أرواحهم الجميلة قد أحيط بها من هذا الجمال النسائي ، فأينما أحسوا رأوا له صلة

---

(١) سنستأنس ببعض الشواهد فيما يأتي - بإذن الله - .

(٢) نعته بذلك د . مصطفى الشكعة انظر : (مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً) ص ٥ ط / ٢ ١٩٧٨م عالم الكتب - بيروت - مكتبة المتنبي - القاهرة - . والرافعي حقيق بذلك وفوقه ، ينهض بذلك نتاجه النثري والشعري ، وتآليفه البارعة الماتعة .

بإحساسهم وضرب في أفئدتهم عرق منه ، فانقدح له شعاع يطير إلى الفكر ، لأنه بعض القوة الموجهة إليه من الروح المفكر)) [١] .

ولأن الكلام هنا يدار حول موازاة المكان للمرأة في الفكر الشعري ، فلابد من الإشارة إلى أن المرأة تأتي - أيضاً - دلالة رامزة إلى الوطن بمعناه الشمولي ، أو في محيط دونه كالقرية والمدينة وما إلى ذلك ((و قد احتال الشعراء على أنفسهم أحياناً وعلى السلطة السياسية والدينية والاجتماعية أحياناً أخرى ، محاولين الخلط بين الوطن والمرأة وهي ظاهرة تتضح في ملامحها الحديثة مع السياب ، ووصلت ذروتها في منتصف السبعينيات حيث التبست علينا علاقة التماهي بين الوطن والمرأة (المرأة الوطن ، الوطن المرأة))) [٢] وقد يكون المكان من الأمكنة التي علق بها الشاعر وكان لها في وجدانه مُكْنة ، بغض النظر عن طبيعة المكان الجمالية أو الظروف السياسية والاجتماعية و هذا التعادل يكمن في عاطفة العشق والحب ، وغريزة العلاقة والارتباط ، وهذا قائم في ديوان الشعر العربي عامة ، ونراه كذلك في ديوان الشعر السعودي حيث ((يلجأ بعض الشعراء السعوديين إلى ظاهرة مزج حب المرأة بحب الأرض بحيث لو نظر في عيني المرأة تبدت له صورة الوطن والأرض فيهما ولو نظر في طبيعة بلده لكانت صورة الحبيبة بارزة شاخصة في جمال روابيها وصحرائها)) [٣].

ولعل من تمام الإيضاح - وقبل أن نقف على ذلك في قصيدة أبها - أن أقيم دليلاً ينهض بكون التبادل بين الطبيعة والمرأة ، والتعادل بين المرأة والمكان الوطن ، ظاهرة جلية في امتداد كبير من مساحة الشعر العربي [٤] ، وذلك عن طريق الاستئناس ببعض النصوص الشعرية المختارة من نتاج شعراء يلتقون - على اختلاف عصورهم وبيئاتهم - في

---

(١) (رسائل الأحزان) ص ٧٠ ، ٧١ ط / ١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م المكتبة العصرية - صيدا - بيروت -

(٢) خالد المحاميد (لماذا يبكي الشعراء في العيد ؟) الوطن ص ١٨ ع / (١٥٠٩) ٤ شوال ١٤٢٥ هـ .

(٣) محمود ردّاوي (الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر) ص ٢٠ / ١ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م - دار الوطن - الرياض - .

(٤) هناك من الدارسين من رأى أن التراث الشعري العربي ، خلو من الإشارات التي توحد بين جمال الطبيعة وجمال المرأة . انظر . أنس داود (التجديد في شعر المهجر) ص ٢٩٦ . ولعل فيما يأتي من النصوص وفي غيرها مما هو منتشرٌ في ديوان الشعر العربي ما ينقض هذا الرأي وينهض بضده .

المزج بين فتنة الأنثى وفتنة المكان ، وهم يتملون الجمالين بعين واحدة ، ويميلون إليهما بأفئدة عاشقة وهؤلاء الشعراء هم ابن الرومي ، وابن زيدون ، وحسن كامل الصيرفي[١] .

فابن الرومي من أظهر الشعراء الذين تبين عندهم هذه الظاهرة - ولا ريب في ذلك - فهو شاعر الطبيعة[٢] ، والشاعر الغَزِلُ المتيم بالحسان وكان أعجوبة في التمثيل والتشخيص بالكلمة بدلاً من الأزميل والريشة ، يندر أن نجد له مشابهاً في شعراء الدينا من هذا القبيل[٣] يوازي عشق الطبيعة عنده عشق المرأة ، لتأخذ إحداهما صورة الأخرى عندما يريد الشاعر إبراز فتنتها الجمالية ، فهذه الأرض تتبدى له - وقد ادرعت كسوة الربيع البديعة - أنثى تبرجت متزينة :

أصبحت الدنيا تسر من نظر
بمنظر فيه جلاء للبصر
واهاً لها مصطنعاً لقد شكر
أثنت على الله بآلاء المطر
فالأرض في روض كأفواف الحبر
نيرة النوار زهراء الزهر
تبرجت بعد حياء وخفر

---

(١) لا يعني هذا الاختيار قصر هذه الظاهرة على هؤلاء الشعراء ، فهي عند غيرهم ، لكن الذوق مال إلى أن يكون المتخير من شعرهم ، لكون ابن الرومي وابن زيدون معروفٌ عنهما أنهما يمزجان بين أوصاف الحبيبة والطبيعة في قصائدهم المتغزلة والعاتبة ، ومثلهما الصيرفي فكثيراً ما اصطفت المرأة مع الطبيعة في شعره ، أضف إلى ذلك - عند الثلاثة - اجتماع الحسنين : حسن الطبيعة وحسن المرأة ، في ديارهم ومحل إقامتهم . كما أني أردت بهذا الاختيار الاختلاف الزمني والتعدد المكاني ليكون ذلك أدل على امتداد هذه الظاهرة في الأدب العربي زماناً ومكاناً .

(٢) د . محمد الحجوي (شاعرية ابن الرومي بين النقد القديم والحديث) مجلة آفاق الثقافة والتراث . ص (٧٠) ع (٣٦) ١٤٢٢هـ - دبي - .

(٣) انظر : د . علي شلق (ابن الرومي في الصورة والوجود) ط / ١٩٦١ م دار النشر للجامعيين - بيروت -

تبرج الأنثى تصدت للذكر (١)

ويبقى التقاء المرأة والطبيعة ماثل عند الشاعر ، لكنه هذه المرة يتملى جماليات الطبيعة ليرسم محاسن الحبيبة يقول من قصيدة هي من لمع غزله :

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان ... فيهن نوعان تفاح ورمـــان
وفوق ذينك أعناب مهدلـــة ... سود لهن من الظلمـــاء ألوان
وتحت هاتيك عناب تلوح بـــه ... أطرافهن قلوب القوم قنـــوان
غصون بان عليها الدهر فاكهـة ... وما الفواكه مما يحمـــل البان
ونرجس بات سارى الطل يضربه ... وإقحوان منير النَّور ريـــان
تجاورت في غصون لسن من شجر ... لكن غصون لها وصـــل وهجران
ولا يدُ مْنَ على عهد لمعتهـــد ... أنى ؟ وهن كما شبهن بستان (٢)

ويستمر الشاعر في هذا التلاقي البديع ليقول :

واصلت منها فتاة في خلائقهـــا ... غدر وفي خَلْقها روض وغدران
جاءت تَثَنَّى وقد راح المراح بهـــا ... سكرى تغني لها حسن وإحسان
كأنها غُصُنٌ لَدْنٌ بمروحـــــة ... فيها حمائم هاجتهن أشجـــان
إذا تمايل في ريح تلاعبـــــه ... ظلت طراباً لها سجع وإرنـــان(٣)

فالمرأة في هذه الأبيات ((أغصان وكثبان ، جناهن تفاح ورمان ، وأعناب وعناب ونرجس وأقحوان .... وهكذا تختلط اللذائذ في حسه ونفسه ، وتتوحد الطبيعة الجميلة واللذائذ الشهية ، ويتعمق هذه وتلك على السواء)) (٤)

---

(١) ديوانه ص ٩٩٣ ج / ٣ ٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٤١٩ ، ٢٤٢٠ ج / ٦ وطبع هذا الجزء عام ١٩٨١م ٠

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٢١ ، ٢٤٢٢ ، ٢٤٢٣ ج / ٦ والأبيات متخيرة وليست مرتبة كما هي في الديوان ٠

(٤) سيد قطب (النقد الأدبي أصوله ومناهجه) ص ٢٣ د . ت دار الشروق - بيروت - ٠

ويقوم مثل هذا الالتفات وهذا التلاقي عند ابن زيدون الشاعر الأندلسي [1] الذي حرص أن يصطف جمال المكان الأندلسي مع جمال الإنسان ابنة المستكفي ، ليتفيأ ظلالهما في آنٍ . يبين ذلك في جياد قصائده [2] وله :

هي الشمس مغربها في الكلل ... ومطلعهـا من جيوب الحلـل
وغصن ترشف ماء الشبـاب ... ثراه الهوى وجناه الأمـل
بدت في لدات كزهر النجوم ... حسان التحلي ملاح العطـل
مشينـا يهادين روض الربى ... ويانعي روض الصبا مقتبـل
فمن قضب تتثنى بريـح ... ومن قضب تتثنى بـدل
ومن زهرات تندى بمسـك ... ومن زهرات تندى بطـل [3]

ولتقوى الدلالة على استمرار هذا التوازي في النتاج الشعري ، نقف عليه عند شاعر من العصر الحديث ، هو حسن كامل الصيرفي ، فالمرأة الحبيبة - عنده - صنو الطبيعة في ملاحتها ، وملامحها وسر جاذبيتها . يقول :

يا رقة في غـلالة ... ما أنت إلا ابتهاله
تصاعدت مـن فؤاد ... مبرء عن ضَلالـة

---

(١) لم يكن هذا وقفاً على ابن زيدون كواحد من شعراء الأندلس بل نراه عند غيره من الشعراء الأندلسيين ، وهاك مثالاً من شعر ابن خفاجة الأندلسي يقوم فيه الالتقاء بين الحبيبة والطبيعة :

ربما استضحك الحباب حبيب ... نفضت لونها عليه المـدام
كلما مر قاصر أمِن خطـاه ... يتهادى كما تهادى الغمـام
سلم الغصن والكثيب علينـا ... فعلى الغصن والكثيب السلام

(ديوانه : ص ٢٢٣)

وله قصيدة أخرى تأخذ الطبيعة فيها صورة الحبيبة طالعها في ديوانه : ص ٦٩ وللدكتور عمر الدقاق تعليق عليها في كتابه (ملامح الشعر الأندلسي) ص ١٩٨ ط / ١٩٧٣م دار الشروق - بيروت - وخص ابن زيدون بالإشارة كون ذلك يكثر عنده ولذلك عده بعض الدارسين رائداً في هذا الجانب ، الذي أصبح فيما بعد من الظواهر المائزة عند شعراء الرومانسية ، ومن هؤلاء من قال بأثر ابن زيدون على شعراء هذه المدرسة سواء في أوروبا أو عند الرومنسيين العرب .

(٢) ديوانه ص ٤٦ تح وشرح كرم البستاني د . ت دار صادر - بيروت - .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٠ .

أشعة الشمس كانت ... نسيج هذه الغلالة
والنجم وشى سداها ... والبدر ألقى ظلاله

إلى :

الشَّعْر ليـــــل رخي ... لما أطال انسدالـــــه
والوجه مشرق صبـــح ... له من الطهر هالـــــة
ومشرعـــــات جفون ... وراءها إطلالـــــــة
مـــــن البريق المصفى ... مثل البروق الخالـــــة
من كـــــل جفن تراءى ... حلم يزيد اكتحالـــــه
والثغر ينبـــــوع سحر ... تظما القلوب حيالـــــه
والجيد راووق عطـــــر ... قد رق حتى صفا لـــــه
يا رقة كنسيـــــم ... أوحت إليه اعتلالـــــه(١)

فهنا إيقاع جمال المرأة ، يتجلى من خلال إيقاع جمال الطبيعة ، ليمتزجا معاً في نغمٍ راقصٍ خفيف حمله هذا النص للصيرفي ٠

ولعل من الطريف – وقبل أن أشرع في النُقْلة إلى ما أنا بصدده - أن أستحضر هنا بعض أبيات من الشعر ، قام الشبه فيها بين المرأة والطبيعة ، والطرافة فيها تأتي من كون المرأة هي التي أقامت هذا الشبه ، وليس لنا القول : إن ذلك ضرب من الغرور ، ما دام أنه قائم عند الشعراء بجلاء . تقول ولادة عاتبة على حبيب استبدل جمال غيرها الأدنى بجمالها وحسنها الأسنى :

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا ... لم تهو جـــــاريتي ولم تتخير
وتركت غصناً مثمراً بجمالـــــه ... وجنحت للغصن الـــــذي لم يثمر

---

(١) حسن كامل الصيرفي (نوافذ الضياء) ص ٤٣ ، ٤٤ ط/١٩٨٠م دار المعارف – مصر – ٠

ولقد علمت بأني بدر السمـــــا   لكن ولعت – لشقوتي – بالمشتري[1]

ولأن الشيء بالشيء يذكر فإن الرجل قد يأخذ بعض صور الطبيعة في تغزل الشاعرات ولشواعر الأندلس النصيب الأوفر من ذلك ، يقف عليه من يطالع الكتب التي عنيت بالأدب الأندلسي .

وبعد هذا الاستظهار لبعض ملامح الاقتران بين الطبيعة والمرأة في الشعر بعامة ، نأتي إلى ما لنا به عناية في هذا البحث ، وهو محاولة استجلاء هذا الاقتران وهذه المعادلة في شعر الشعراء السعوديين الواصف لأبها المدينة [2] والطبيعة ، ويتم لنا ذلك - بحول الله وطوله - من خلال الوقوف على المسارات التالية :

المسار الأول : اقتراض الشعراء لجماليات (المرأة) ، وهم يحاولون رسم صورة الطبيعة ، لتأخذ الطبيعة بذلك أجزاء الجمال الأنثوي ، التي جرت العادة بامتداحها واستملاحها .

المسار الثاني : توازي المكان الوطن ، والمرأة الحبيبة في الشعور الوجداني لدى الشعراء من جهة ومحاولتهم من جهة أخرى تجلية مظاهر النمو ، أو الدعوة إلى زيادتها وتفعيلها ، من خلال الحديث عن (أبها الفتاة) .

المسار الثالث : مجيء فن الغزل داخل إطار الفن الواصف ، بحيث يعمد الشعراء – وهم يرسمون لوحة الطبيعة – إلى إنشاء أبيات غَزِلة ، يجعلونها داخل إطار هذه اللوحة الوصفية ، وسنقف ونحن نعالج هذا المسار على الدافع وراء هذه الغزليات ، وما إذا كانت واقعاً يعيشه الشاعر في لحظته ، أم أنها - فقط - مما يجود به خياله في مثل هذا المقام ، الذي ترق فيه القلوب رقة الأنسام ، وتلين ليونة الأغصان ، وتتثنى - من طرب - تثنيها .

---

(١) جلال الدين السيوطي (نزهة الجلساء في أشعار النساء) ص٨٨ تح / عبد اللطيف عاشور . د.ت مكتبة القرآن – القاهرة - . وانظر كذلك : محمد المنتصر الريسوني (الشعر النسوي في الأندلس) ص٨١ د.ت منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان . ورواية الشطر الأول من البيت الأول في الكتاب الثاني هكذا : (لو كنت تنصف في المودة بيننا) والشطر الثاني من البيت الثالث هكذا : (لكن دُهيتَ لشقوتي بالمشتري) .

(٢) ليست (أبها) المدينة بدعاً في ذلك ، فهناك مدنٌ كثيرة تجسدت على صورة امرأة يتغزل الشعراء بجمالها ، ويرغبون في وصلها ، بل إن صورة المدينة المرأة تبقى ماثلة حتى في القصائد التي رثت المدن ، والممالك في عصور الضعف التي توالت في تاريخ الأمة وما زالت .

ولتكن البداءة في هذا الاستجلاء مع المسار الأول لنقول : إن في المرأة أجزاء ومواطن للجمال تستملح منها وتمتدح بها ، وهذه الأجزاء والمواطن الجمالية الأنثوية مكرورة في معجم الجمال بعامة ، - بله - المعجم الشعري . لتكون بهذه الصفة التكرارية في الاستعمال مقاييس يقاس بها الجمال ، ومنازل يُنَزَّل معها الجميل تبعاً لقدر الجمال ودرجته فيها ، غير أن ذلك لا يعني وقف الجمال على هذه الأجزاء والمواطن دون غيرها ، لكنها تقام لتكون دلالة يشار بها إلى حسن هذه المرأة ، وبَزِّهَا لقريناتها في تنافس الجمال ، بسبب توافرها على صفات وملامح تميز هذه المواطن الجمالية عن غيرها .

وعند تقصي هذه الأجزاء والمواطن الأنثوية نجدها تتمثل في (الوجه ، العين ، الأنف ، الثغر المبسم ، الخد ، الشَعر ، الضفائر ، القد ، الجيد ، القوام ، الخصر ، الأرداف ، الأثداء) إلى ما هنالك من الأجزاء التي لا يرى الواصف في ذكرها حرج ولا قبح [١] .

والذي يعنينا هنا - بعد هذه اللمحة - هو ذلك الأخذ من معجم الجمال الأنثوي ، والذي يعمد إليه الشعراء عند وصف الطبيعة ، أو وصف مكان لهم به ارتباط وعلاقة ، بمعنى أن دلالة الجمال التي تعكسها تلك الأجزاء الأنثوية يتم اسقاطها على المكان والطبيعة ، لتحكي جمالهما وتعكس صورتهما[٢].

وقد وجدت مثل هذا الأخذ ، وهذا الاقتراض قائم في كثير من الشعر الواصف لأبها المكان والطبيعة .

ولا ريب أن الشعراء لا يعنون بذلك إلا حكاية الجمال وتصويره ، بما يرون أنه قائم ومستملح عند جماهير المتلقين ، ثم هم يرون في ذلك – أيضا – رمزاً دالاً يعكس قوة المثير المكاني والجمالي .

فالبهكلي يفزع إلى المثال الأنثوي - وهو يصور الطبيعة - ليأخذ بعض أجزائه ويقيمها في تصويره ، ومراد الشاعر من ذلك أن يصل إلى إبراز سر القوة الفاتنة ، التي تكتنزها الطبيعة الجميلة لتملك بها قلوب الناظرين ، فتفعل فيها فعل الفاتنات . استمع إليه يخاطب أبها :

أبها الجميلة خبري كم عاقل ... هومته ؟ كم مغرم ناجاك ؟

---

(١) استملاح هذه الأجزاء من المرأة كثير في نثر العرب وشعرهم ، يقف عليه من يفاتش نتاجهم الأدبي قديمه وحديثه ونعني هنا استملاح الملامح والصفات .

(٢) اقتراض دلالات الجمال قائم بين المرأة والمكان أياً كان المكان وقد أشرت إلى ذلك في بداية القول في هذا الجانب .

أحياك إلهاماً ووحي مشاعر ... تنداح مسبغة بنشر صبَاك

ومنها :

لو كنت خمراً كان عذرك واضحاً ... إن نحن رحنا في الهـــوى سكراك

أو كنت بحراً هائجاً متلاطمـــاً ... فلربما قمنا وصارَعْنـــــاك

لكن حشدت لنـــا جيوش الحسن ... (م) ثم دعوتنا – مغرورة – للقاك

أما السلاح قناة قـــد فارع ... أو سيف لحظ صارم فتـــاك[1]

ويتحدث عبد الله صالح العثيمين عن فتنة المكان ، من خلال التصدي لمواطن من مواطن الجمال الأنثوي ، ومنها الطرف الذي يرى فيه الشعراء كنانة ممتلئة بسهام الألحاظ الفاتنة ، ليتخذ منه دالاً على مبلغ هذه الفتنة المكانية :

عشقتهـــا حلوة نشوى ترف على ... ربى بأحضانها راق الهوى وحـــلا

مليحة تتثنى رقة وصبـــــا ... ومن نسيج المعالي تكتسي حلـــلا

ورمتها والهـــوى العذري في خلدي ... غمامة تحمل الأشواق ..والأمـــلا

أبها .. وأي فتى لم تهف مهجتـــه ... لطرف جازية بالفتنة اكتحـــلا[2]

ويظل هذا النسج لأجزاء الأنثى الجمالية على بساط المكان قائماً ، يختزل الشعراء من خلاله حكاية الفتنة ، فأحمد سالم با عطب يلتقط بعضاً من أجزاء المرأة المرئية وينقلها إلى (أبها) المكان ، مستمداً – بذلك – إيقاع الجمال الأنثوي المؤثر ، ليرى في الطبيعة ما يشاركه في التأثير:

الله أكبر أبها جنة خلـــــدت ... عطر وسحر وأحلام وألحـــــان

تلهو الكواكب في أحضان سودهـــا ... والفجر في حبها صب وهيمـــان

تقبل الشمس – في تيه – ضفائرها ... والبدر من ثغرها البدري نشـــوان

وترتدي الهضبات الغر فتنتهـــــا ... عين مكحلة نعسى وأجفـــــان

وتسكر الديمة العذراء من يدهـــــا ... وترتوي رقة والصبح وســـــان

---

(١) (الأرض والحب) ص١٣ ٠

(٢) عبـد الله الـصالح العثيمين (لا تـسلني) ص١٩ ط/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م دار العلـوم للطباعـة والنـشر - الرياض - ٠

ترف عاطرة الأذيال نادية   ما مسها قبلها إنس ولا جان[١]

ويستوحي مقبل العيسى طرائق الزينة التي تمارسها (أنثى المكان) في بعض أجزائها، من جدل للضفائر ، ونقش للأيدي ، وخضب لها ، وما يصحب ذلك من التحلي بنباتات المكان العطرية لينطلق خياله بهذه الإيحاءات إلى المكان ، فيمنحه صورة هذه الأنثى ، ليغدو - بذلك - أحلى الدنا وجها :

محبوبتي أبها .. ضفائرها   تزهو بريحان ..ونقش يد !!

في السودة الغنّاء.. أعرفها   مجدولة .. بل حلوة العقد !!

أحلى الدنا وجهاً ..وإن سفرت   فالحسن ..يا للحسن والغَيَد

هيهات أن ..أنسى مجدلة   تهفو لأعراس .. وحلم غد[٢]

وهذا الشاعر الكبير طاهر زمخشري ينطلق من بؤرة (الخيال الجمالي) الذي يغذيه جمال المرأة ، ليختار لإحدى لوحاته الأبهية بعض الجزئيات الفاتنة الأنثوية ، ليُظْهر — من خلالها - مفاتن المكان :

أحب نعم .. !!
وناظرها الخجول .. تورد
من تحركه الأسيل .. !!

وفي فلك
الثريا ناغمتني .. بجفن
من يهامسه قتيل .. !!
عليها من

أزاهر روض أبها ..كساء

---

(١) (أبها في مرآة الشعر) ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) (الهروب من حاضر) ص ١١٨ ، ١١٩ .

والفتون له ذيول ..!![1]

ويسعى جاسم الصحيح – وهو يقف على شاطئ الفتنة المكانية – إلى إقامة تقابل بين (المكان) وبين (الأنثى) ، لتستحيل عنده حركات الجمال رقصاً ، وقامات الجبال أردافاً ، ليستدعي - وهو يرسم هذه الصورة - العلاقة بين الذكر والأنثى ، وما يحدث بينهما من مجاذبة مغناطيسية ، تصحبها هزة فرح لا ترح ، ورغبة لا رهبة ، ولعل الشاعر يرمز بذلك إلى التلازم العشقي بين المكان وإنسان المكان :

أبها ..وما خان هذا الاسم روعته   منذ البهاء على أعضائك انسكبـــا

ومنها :

أين التجاعيد من خديك .. هل عجزت   أن ترتقي منك هذا المرتقى الصعبـا ؟
خرجت من غابة الإنسان يافعـــة   بيضاء لا تفقهين الصدق والكذبـــا
يزهو جبينك في أفراح كوكبـــة   من الحمائم لاقت نبعها العذبـــا
يقال ضواك في فجر الصبـــا غزل   عَفُّ الإزار .. تحدى الشهوة الجنبـــا
طارحتهِ صبوة العُشـــاق في حرم   من الإشارات يستعصي على الرقبـــا
في جسمك اختزنت (حواء) رقصتهـا   حتى نما جبل الأرداف وانتصبـــا
لعل لحناً ذكورياً يَهيم بـــه   أنثاك يطلقُ تلك الرقصة الذهبـــا[2]

ويكر الشاعر أخرى - وفي ذات النص - على المكان فينظره بذات المنظار ، ليرى في المكان صورة الحسان وما في عالمهن من آهات العشق ، وزفرات الحب بأنفاسها الملتهبة :

يا نبضة في جنوب القلب تدفعني   صوب الأعالي فاسمو عزةً وإبـــا
أرى الطبيعة تستجلي أساورهـــا   في معصميك متى عصفورها طربا
وأقتفي موكب الأشجار في سفر   ما بين زفرة سفـــح أو شهيق رُبى

---

(١) (رباعيات صبا نجد) ص٤١ .

(٢) (أولمبياد الجسد) ص ١٨١ ، ١٨٢ .

فأنثنى بين أنفاس مُراهقـــة كأنّما عتقت في صمتها حقبا[1]

وذا أحمد التيهاني يمتد نظره - وهو يرتحل مركب العودة إلى معشوقته أبها - إلى بعض الجماليات الأنثوية ، ليغذي بها تصويره للمكان وهو يتشوقه :

أتيت إليـــك يسكرني حنينٌ عسيريٌّ تَّعتق في القلـــوبِ
ففي ملهاك سيدتي جنـــونٌ ينادمُ عَقـــل أبهيٍّ غريب
وفي عينيك يا أبها ســـلامٌ وإصغـــاءٌ إلى همس الدروب
ومن ثدييك أمتص الصبايـــا جمالاً يثملُ الولـــه الجنوبي[2]

ولعل هذا النزوع من قبل الشاعر إلى هذه المواطن الجمالية في تصويره للمكان ، يخضع للموقف النفسي ، والإحساس الوجداني المتلهف للقاء ، فهو كما يتشوق المكان يتشوق أنثى المكان المتمثلة في المرأة ، والذي يجعلنا نقول بذلك ما نراه من تلازم في الحضور بين المكان والمرأة الحبيبة في كثير من قصائد الشاعر [3] ، فهو كثيراً ما يستحضر عالم المرأة وعالم المكان في خيالٍ واحد ، لتمتزج صورتهما ، فتصبح بذلك أبلغ في الكشف عن ذات الشاعر الذي عانى غربة المكان ، وغربة العاطفة ، وقد انتزح - برهة - عن مدينته وحبيبته [4] .

وإذا كان الشعراء - فيما سبق - وجدوا في ذواتهم تلاقياً بين المكان وبين المرأة ، ليستحضروا - وهم يصفون المكان — جماليات المرأة البادية في بعض أجزائها ، فإن شاعراً كصالح عون الغامدي وجد في المرأة أصلاً يتفرع منه الجمال ، ومن ذلك جمال المكان ، يبين ذلك من خلال حشده لأجزاء الأنثى في نص قصيدته (عروسة شاعر) ، ليمتلىء النص بها ، فتستند العناصر التصويرية فيه على المرأة في إبراز مفاتن المكان ، حتى أن ذهن القارئ للنص ينطلق إلى المرأة ذاتها فيظنها المعنية بوصف الشاعر ، فإذا ما انتهى إلى آخر النص تكشف له مراد الشاعر ، فليس إلا (أبها) الموصوفة :

---

(١) السابق ص ١٨٢ ، ١٨٣ ٠

(٢) أحمد عبد الله التيهاني (فاعلاتن) ص ٥٨ ، ٥٩ ديوان مخطوط وتحت الطبع ٠

(٣) تنظر قصائده التالية في ديوانه (أماريق) : كيف حالك ؟ ص١٣ هناك ص١٧ رمضان في الزمن الخصيب ص٣٠ وغيرها من محتوى الديوان المذكور ٠

(٤) سيأتي الحديث عن هذا الاغتراب فيما أقبل من الصفحات المتعلقة بمظاهر الاغتراب في قصيدة أبها .

من أنت يا ذات الكساء العسجدي
شفتاك تندى بالهـــــوى لتغردي
عيناي تطرب في ربوعـــــك حلوتي
والقلب تاق بعشقه المتجـــــــدد
كم هزني شوقي إليـــــك ليرتمي
قلمي على كفيك تحملـــــه يدي
عانقت طيفك في رؤى أحلامهـــــا
فأحلت إحساسي لظى المتوقـــــد
ونشرت شَعرك فـــوق شمس محبتي
وسكبتِ أسهم لحظـــك المتمرد

ومنها :

لو يعرف الشعراء مثل حبيبتي
لأحيل شاعرهـــم إلى متودد
ولكان أصبرهم إذا مـــا أُفْلِتَت
بيديه غر ليس من متجلـــد
كم عشت في أحضانها أتلوا لها
شعري لألقاها غداً في الموعـــد
أشتاق أسمع همسها إن هامست
فإذا نظرت فلونها من غرقـــد
في وجنتيها وردة باحيّـــــة
والخصر بان في قوام سرهـــد[1]

---

(١) (آمال وآلام) ص ٦٩ ، ٧٠ .

لا تسألوني من تكون فحسنهـــا
كالبدر شاع بنوره أو فرقـــد
أبها البهية يا عروســـة شاعر
حبي لكِ الحب الأبي السرمدي[1]

ولا يبعد عبد الرحمن السويداء عن هذه النظرة ، التي تجعل المرأة رمزاً للفنون الجميلة ، وتوظف مواطن جمالها في رسم صورة الجماليات الأخرى ، وذلك حين أفضى إلى لغة الجسد الأنثوي ليترجم من خلالها جمال المكان ، الذي جال فيه نظره ، ودرجت عليه قدمه ، حتى أن المتلقي لا يجاوز - مع هذه اللغة المصورة - صورة فتاة غاية في الحسن ، سلبت الشاعر لبه ، وذلك إذا ما اجتزءنا له من القصيدة :

لقد عذرتُكَ لما طّل مرآهـــا ... وأشرقت بسمة تعلو محياهـــا
سمراء هيفاء قد زانت بغرتهـــا ... ونقطت كفها من غضّ حناهـــا
ريانة العود تمشي وهي مائسة ... تكاد تثلج من سكر ثناياهـــا
وفي تمنطقها من دلها غنـــجُ ... فاحت رياحينه في نشر ريّاهـــا
تموجت في دلال لا يخالطـــه ... تَصَنّعُ ، وتحدّى الوردَ خداهـــا

* * *

رنت إليّ بحـــوراء إذا نعست ... منها يشع الصّبا في أبهج الصـــور
تدني محباً بأهـــداب إذا خفقت ... حتى تلامس أوتار الهوى الخطر[2]

وتبقى صورة الفتاة المليحة السمراء — من خلال الصور المكتظة في الأبيات السالفة - ما ثلة في ذهن المتلقي ، حتى يصرفه الشاعر إلى مقصوده وموصوفه الحقيقي بقوله :

إن لامني في هواك غير منتجع ... أرجاءك فهو مفتون بأوهام

---

(١) السابق ص ٧٠ .

(٢) (رُؤى مسافر) ص ١٠ ، ١١ .

وظل جسماً بلا روح تحركه   فلا يرى غادة تصغي لإعلامي

محبوبتي هذه أبها وواديها[1]

وتنساب هذه الأجزاء الأنثوية في قصائد شعراء آخرين ، جعلوا قامات الحسان مثالاً يطالعونه ويحاكونه ، وهم يصوغون صورة المكان ، كصالح سعد العمري ، الذي يقول في وصف أبها :

تجر أذيالها في ورد شرفتهـــــا   معشوقة الغيم تيهي بعـد وازدادي

خدودها الورد والأزهار معطفها   وشعرها المزن يكسو حسنها البادي[2]

ومثله محمد العامر الفتحي في وصفه للمدينة نفسها :

نسيت في وجهك الفتان وجه غدي   شقاء أمسي وظلم الليل للقدم

نسيت فيه جراحـــــاتي وأسئلتي   وأمسيات تسف السهد بالسأم

حضنت في ناظريك الفجر منسكباً   شلال نور على نافورة الدّيم[3]

ونرى مثل ذلك عند هاشم سعيد النعمي ، وهو يناظرها :

صاغها الله غادةً وجمـــــالاً   وحبـــاها قداً أسيلاً وقامه[4]

فكلهم - كما ترى - كأنما يحدثون عن حسناء من بني البشر ، أخذ جمالها بألبابهم ، فأمتدت إليها أعينهم ، وارتاحت لها أنفسهم .

---

(١) السابق ص ١٢ وفي البيت الأول انكسار يستقيم بتخفيف همز (أرجاء) بمعنى أنحاء .

(٢) (ريش من لهب) ص ٦٢ .

(٣) (المجلة العربية) ص ٦٦ ع/٢٤٣ ربيع الآخر ١٤١٨هـ أغسطس ١٩٩٧م ولم يضمنها ديوانه الأول (قبلة أولى على وجنة الليل) .

(٤) (شذا العبير) ص ٣٨٥ .

وإذا ما انتقلنا إلى المسار الثاني ، وجدنا المرأة تلقي بظلالها المؤثرة على المكان ، رغم غياب جزئياتها التي تعكس جمالها ، والتي وقفنا على طرفٍ منها في المسار الأول .

وحضور المرأة – هنا – يأتي من خلال (الخطاب) ، ذلك أن الشعراء درجوا في خطابهم للمكان مدرج خطاب الحبيبة في أسلوب اللغة ورقتها ، لنقرأ في معجمهم جماً غفيراً من الكلمات المستقاة من قاموس (الكلم العاطفي) ، الذي صنعته أفواه العاشقين والمحبين ، منذ أن كان الرجل والمرأة .

ومن هذه الكلمات السيارة : (المحبوب ، المعشوق ، المحب ، العاشق ، المتيم ، الفاتنة ، الجميلة العروس ، الحسناء ، الحورية ، العذراء ، الهوى ، الوصال ، اللقاء ، الفراق ، اللثم ، العناق أسر القلوب) إلى ما هنالك مما يضيق به هذا المعجم .

بل إن الناظر في استعمالات الشعراء، يجد مفردة يعجب لمجيئها في عالم المكان (كالغيرة) و(الخيانة) ، ولكنهم الشعراء يقلبون الألفاظ ، ويقولبونها كيف شاءوا، بعيداً عن عرف الكلام .

ويدخل ضمن هذا الشكل الخطابي – كذلك – ما يجتنيه الشعراء من مذخورهم التراثي المُختَزِن لحكايا العشق ، وطرائق العاشقين ، لنجد عندهم (قيس) كرمز للعاشق الموله ، و (ليلى) كرمز للمعشوقة التي من طبعها الهجر ، و (الأطلال) كرمز للمكان (المسرح) الذي دارت على ساحه حلقات ، وأدوار قصة العشق .

وعندما نتقرى هذا الخطاب عند الشعراء فيما نعالجه من القصائد ، أو في محتوى سفر الشعر الضخم ، يتكشف لنا أو يكاد الدافع الذي يدفع الشعراء ويستهويهم لهذا النوع من الخطاب لينزعوا إليه ، وهم في سبيل نعت المكان على اختلاف طبيعته ، وعوامل حضوره في النص الشعري وأعني بالخطاب – هنا – خطاب المكان الحبيب بخطاب المرأة الحبيبة .

فمنهم الذين يجدون في هذا النغم الخطابي مطيةً ، يتخذونها وسيلةً فاعلة لإيصال معاني العلاقة بهذا المكان من جانب ، والبوح بأثره الآسر للنفس الشاعرة من جانب آخر .

ومنهم الذين يعتقدون ذلك الوشاج القائم بين المكان والمرأة ، من حيث العلاقة غريزة كانت أم مكتسبة ، ومن حيث الأثر ، موجباً كان أم سالباً ، إلى جانب كون هذا الوشاج قائماً على أصوله في الفكر الإنساني ، لاسيما الجانب العاطفي منه •

وبهذا فلا بدع أن يأتي (خطاب المكان) عند الشعراء في نسق ونسغ واحد مع (خطاب المرأة) يستقي ألفاظه - في الغالب - من ذات المعين المعجمي ، ويوظف ويستوحي - كذلك - الدلالات والإيحاءات ذاتها ، لنكون بكل هذا الذي قلناه أمام إجابة — لعلها تكون وافية — لذلك التساؤل عن كنه التوازي بين المكان ، والمرأة في الوجدان الشاعري ، لتتحد لغة الخطاب الموجهة إليهما .

ونخلص - بعد ذلك - إلى تحسس هذا التوازي في (قصيدة أبها) ، لنرى في أثنائها كيف تراءى المكان الوطن ، والمكان بطبيعته الجميلة للشاعر ، مشاركاً المرأة في محاسنها ومفاتنها ملتقياً معها في كونهما السكن والأمن ، والكنف العطوف ، ولنرى كذلك كيف أن الشاعر صعّد المكان إلى المرأة ، ليغازله ويناغيه ، ويتناجى معه تناجي الإلفين الذكر والأنثى .

وأول ما يتبادى لنا هذا التلاقي عند القصيبي في قصيدته (أبها) ، حيث يمزج الشاعر بين المدينة والمرأة المحبوبة [١] ، في الملامح الجمالية ، وفي العلاقة الوجدانية ، فهو لا يلتفت إلى المدينة التفات الواصف للواقع المنظور ، وإنما عمد إلى استعمال ألفاظ وجدانية ، تمد النص بطاقات إيحائية ، تشي بارتباط وجداني بين الشاعر والمكان ، ليصبح المكان في خياله (عروساً) يتعطى ودها ، ويتشكى عشقها ، الذي غلب كل عشق :

يا عروس الربى ... الحبيبة أبهـــــا

أنتِ أحلى من الخيــــال .. وأبهى

كلما حرك النفوس جمـــــــال

كنت أزكى شذاً.. وأنظر وجها[٢]

وإذا ما ارتمى على الجفن حلـم

---

(١) هذا الامتزاج قائم في ذهن الشاعر قبل وأثناء صناعة النص الشعري ، نجد ذلك في قوله : ((ولأول مرة يعكس ديوان من دواويني صوراً من البيئة السعودية على نحو مباشر (أنت الرياض) القصيدة التي استعرت من اسمها اسم الديوان ، تصور كيف تمتزج الحبيبة والمدينة فيصبحان شيئاً واحداً ، تذكرك المدينة بالحبيبة ، والحبيبة بالمدينة ، والحب في النهاية هو نفس الحب . هناك قصيدة عن (أبها) هذه المدينة الحالمة الجميلة التي زرتها لأول مرة خلال هذه الفترة .)) غازي القصيبي (سيرة شعرية) ص ١٠٥ ط/٢ ١٤٠٨هـ تهامة - جدة - .

(٢) (المجموعة الكاملة) ص ٥٥٤ .

كنت في حلمنـــــا أرق وأشهى
أي أرض هذي التي شاقت الأرض
جميعاً.. فغارت الأرض منهـــــا
يحلم النجم أن يمس يديهـــــا
وهي تأبى .. لأنها منـــــه أزهى
ويود الربيع لو عاد طفـــــلاً
يتلقى سر المفاتن عنهـــــا

يا عروس الربى .. الحبيبة .. والعشق
فنون .. وجدت عشقـــك أدهى
حين مست عينـــاك بالحب قلبي
خلت أن الوجـــود للحب ملهى[1]

ويسمو المكان على الإنسان عند القصيبي - وفي ذات القصيدة - ، لينفرد بالعلاقة العاشقة الخالصة ، المتوجة بالديمومة ، فلا تقربها يد الخيانة العابثة، التي تعمل في غيرها من العلاقات . يقول :

لي قلب يخون كـــل غرام
غير أبها فإنه لم يخنهـــا[2]

ويقترب منه - في هذا المسار - محمد الدبل ، وهو يسبغ على (المكان) نعوتاً ترتقي به إلى فضاء الحسناوات الفاتنات، ملهمات الشعراء ، لنقف عنده في قصيدة (أبها)وقصيدة (مغاني أبها)

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥٥ .

(٢) هذا البيت أورده صاحب كتاب (أبها في التاريخ والأدب) ص ١٧١ ويلحظ أن الشاعر أسقطه من ديوانه (المجموعة الكاملة) ص ٥٥٥ ولعله لم يرتض معناه ، وقد شئت إيراده - هنا - كدليل على التشبث الذي يمارسه الشاعر مع المكان عندما يجد فيه ملاذاً أو مثيراً.

على مفردات تدور - عادة - في ذلك الفضاء ، انتقلت مع الشاعر إلى فضاء المكان ، من مثل (الخرَّد الغيد) و (التدلل) و (فتّانة) و (عروس) و(غادتي) و (عشقي) ، وتفسير هذا يتأتى لنا إذا أدركنا ميل الشعراء إلى أن يصطف الجمال الأنثوي والجمال المكاني معاً في الخيال الشاعري ، وهذا ما فعله الدبل عندما مازج بين الجمالين في خياله ، ليتولد منهما - في النهاية - إبداعه يقول في قصيدته (مغاني أبها) :

عشق الملاح وطبع الخرّد الغيـــــــد
والروض والطير في حوم وتغريـــــدي
هذي مغانيك (أبها) في تدللهـــــا
تغري بهجر الهوى في مرتــع البيـــــد
خلفت مغناي في ســـــوح الرياض وبي
إلى رؤاك هيام غير محـــــــدود
فتانة أنت هل بيت القصيـــــد يفي
إن قلت : (أبها) عروس في أناشيدي(١)

وله من قصيدة (أبها) :

غادتي رفقاً بقلب مفعـــــــم
لا يرى الحسن ســـوى مـــا تبدعين
أنت أحلى أنت أبهـــــا والرؤى
صور تملي عطـــــــاء الملهمين(٢)

ومثل الابتداء يكون الانتهاء في قصيدة (أبها) ليبقى إيحاء الأنثى ماثلاً :

غادتي أبها وعشقي والهـــوى

---

(١) (خواطر شاعر) ص ١٠١ .

(٢) السابق ص ١٠٣ .

كيف أهدي غادتي عقداً ثمين

أفعل التفضيل أصلّ في اسمها

فهي أبها من عقود المبدعين[(١)]

ويعج ديوان البهكلي (الأرض والحب) بنماذج لهذا اللون الذي يجيء فيه (المكان) متفيأ ظلال (الحبيبة) ينسج جمالياته من خيوط جمالها ، وينزل منزلها من قلوب العاشقين ، كما نقف في ذات الديوان على شكاية العشق ، وبث الوجد للمعشوقة (أبها) استمع إلى حكاية الهوى بين الشاعر وأبها :

صبوتُ وأضحى هائماً مغرماً قلبي ... وهمت ولي عذر فإدلالهـــا يصبي

كأني مجذوبٌ لها وهي جـــاذبٌ ... لحبل ودادي حيث قد أحكمت جذبي

أسير هواها ما أحيلاه أسرهـــا ... وحسبي أني صرت مأسورهـــا حسبي

خلاصة إلهام جليل وفتنـــــــة ... سماويـــــة الإبداع جلت عن النَّسْب

ويا لجمال قـــد حويت استمالني ... فصرت أسير الفكر والشعـــر واللب

وإن فؤاداً حل فيك ولم يهـــم ... لعمرك أقسى من مـــدى حجر صلب

حببتك حباً فوق جهدي وطاقتي ... وحبك يا أبها تغلغـــل في القلب[(٢)]

ولا أشك في أن تعاظم الشعور بالمكان - والذي يتجلى للمتأمل في النص - هو الذي استدعى هذا الأطناب في الخطاب الوجداني ، الذي امتلأ بشحنات إيحائية صنعت تفاعلاً وإحساساً بالمكان ٠

ويظل هذا التفيؤ لظلال الحبيبة — بالنسبة للمكان عند البهكلي — حتى في لغة الفراق والاعتذار له ، فهذا وجدانه يهتز وهو يرتحل عن أبها ، ليفجر ينابيع علاقته بها ، فتنساب من تلك الينابيع حكايا العشق والارتباط ، المتدثرة بالصدق والإخلاص ، وكأنها علاقة بين حبيبين ، يحاول الشاعر في أثناء ذلك التلذذ والتسلي بمسارات ذلك العشق الماضي ، الذي التصق بوجدانه لتظل (أبها) المدينة الحبيبة في الحضور والغيبة . يقول الشاعر في قصيدته (عفواً أبها) :

---

(١) السابق ص ١٠٤ ٠

(٢) (الأرض والحب) ص ٧ ، ٨ ٠

تحياتي ويا أبهـــا أعذريني | إذا جاوزت ربعــك في سكون
وما استنحيت في تلك المغــاني | مكاناً فيــه أنفذ من شجوني
وإني مذ عشقتك لم أجـــاوز | ربوعـــك قط فهي ذرى حنيني
أنا إن لم أعرج يـــا غرامي | وأنعم في ربـــاك ربى الفتون
وأقضي في جنانك بعض حين | فأنت مناط فكري كـــل حين
وبي من لوعـــة ولهيب شوق | كثير تستبد بـــــه ظنوني
فإني لحك الغافي هـــدوءاً | وإنك وجد خفـــاق الحنوني
ألست فتاك يا أبهـــا الذي لم | يكن في ذات يـــوم بالخؤون
ألست وأنت أيكة كل حسن | غُصَيناً بين هاتيك الغصـــون
ألست مدى الماضي وما قـــد | يجيء أسير سهـــلك والحزون
وأنت رؤاي .. إلهاماً دوامـــاً | ومغنى العمر في أحلى السنين(١)

ويلاحظ تتابع ضمير المتكلم وضمير الفاعل في النص ، وفيه ما يؤكد انتماء الشاعر إلى المكان ، الذي تجسد في هيئة إمرأة كان للشاعر معها قصة عشق •

ويستمر الشاعر مع هذا الاعتذار المشوب بصور العلاقة الحميمة بينه وبين المكان ، لنصل معه في النهاية إلى الحقيقة التي لا يعتورها تبديل :

أحبك في حضوري أو غيابي | فأنت مناط فكري كل حين(٢)

ولحميمية العلاقة هذه - والتي يجدها الشاعر متغلغلة في ذاته - يستحضر قصة العشق الخالدة (لقيس بن الملوح) - والتي تمتلئ بمعاني الحب ومعطياته - ليختار منها الإخلاص ، والصدق في العلاقة ، فيجعل من نفسه قيساً لمعشوقته المدينة :

لك مني قيس يا (أبها) وإني | لي من ربعك إشجاء الطلول (٣)

---

(١) (الأرض والحب) ص ٢٤ •

(٢) السابق ص ٢٦ •

(٣) السابق ص ١٧ •

وينطلق مطلق بن محمد شايع عسيري إلى ذات المورد التراثي ، ليستقي منه صورة الطرف الثاني في القصة وهي (ليلى) ، رمز المعشوقات في غزليات الشعراء ، ليعمد - مستثمراً هذه الصورة - إلى أبها فيرى فيها دل ليلى ودلالها ، وضنتها بالوصل ، وفعلتها بالقلوب :

خلت أبها في ليلة العيد بـــدرا ... شع بالبرق سهلهـــا والحزون

ومنها :

ما أراها للعشق تبذل وجهـــا ... سافراً حين يستهان يهـــون
بل على العاشقين تبدي دلالاً ... فهي بالوصـــل للمحب ضنين
لفها الغيم والضباب فماست ... تختفي تـــارة وحيناً تبين
فعلت بالقلوب فعلـــة ليلى ... هام وجداً بعشقهـــا المجنون(١)

ويمارس الشاعر ذات الاستحضار وذات الصورة في قصيدته (بيني وبين مدينتي) (٢) وكأنه يكرر هذه الصورة ، لمّا وجد فيها ما يؤكد صدق هذا التعالق والحب •

وتسمو أبها في فضاء العشق ، وتنفرد بالإغراء ، لتصبح (المعشوق المتفرد) (للعاشق المتعدد) الإنسان ، والصيف ، والليل ، ليتشكل لنا هذا المشهد العاشق في رؤية الشاعر أحمد الصالح ليقول :

مليحة في عيون البـــدو والحضر ... وحلوة أنت في سمـــــع وفي بصر
إن الهوى فيك يدعـــوني فأتبعه ... ويستبـــــد بعقلي يحتوي فكري
أتيت أحمل هـــذا الشوق تأمرني ... نوازع الحب في حــــل وفي سفر
أتيت يلهث حر الصيف في بدني ... ولاهب الشمس يردي كل ذى ظفر
إليك ألقيت أحزاني ومـــا خفقت ... به الجوانح ما استوحيت من صـــور
أبها تلفت قلبي في مرابعهـــــا ... كما تلفت في أفيائهـــا .. بصري
أبها ارتمى الصيف في أحضانها ثملاً ... يهزه العشق بين الصحو والخـــدر

---

(١) (للإسلام تغريدي) ص٥٠ ، ٥١ •

(٢) المصدر السابق ص ١١٣ ، ١١٤ •

أبها اشتهتها عيون الناس مترفةً   وضمها الليل مثل الواله الحذر[١]

ويحاول الشاعر - بعد بث الوجد ، وإعلان الهوى في الأبيات السابقة - أن يغري المعشوق بالوصال :

يا طفلة منذ أن كانت مدللة   هذا حديث الهوى يدعوك فأتمري[٢]

ولكن أنّى له ولغيره ذلك ، فهي - وإن كانت تكن العشق - تتأبى على العشاق وتضن بالوصال . يقول الصالح من قصيدة أخرى :

أبها .. التي
عاشقة
معشوقة
حبيبها .. لا يملك الوصول[٣]

ويلتقي عبد الله بن علي الحميد مع أحمد الصالح في التشكيل الذي تأخذ أبها معه صورة الفاتنة يروم المعجبون وصالها ، إلا أنهما يفترقان في كون الوصال عند الحميد لا ملامة فيه في شرعة أبها ، يقول الشاعر في حديث عن أبها وأميرها :

نهضت والنفوس تهفو إليها   والأماني حولها تتسامى
وأطلت على الوجود بوجه   فاض سحراً ورقة وابتساما
فرنت نحوها العيون وكادت   في هواها القلوب تغدو حطاما
وتمنى وصالها كل صب   ألف الحسن والجمال فهاما
وهي في زهوها وفجر صباها   لا ترى في الوصال أي ملاما[٤]

ويجنح إلى هذا النمط من التعبير الوجداني - الذي تتشكل منه صورة (أبها) المعشوقة ، شاعر

(١) (عيناك يتجلى فيهما الوطن) ص ٧٠ ٠
(٢) المصدر السابق ص ٧١ ٠
(٣) (انتفضي أيتها المليحة) ص ٨٦ ٠
(٤) (أديب من عسير) ص ١٠٣ ٠

آخر هو زاهر الألمعي وهو من عرف عنه تعلقه الحميم بالمكان[١] ، لنجده - وقد آثر هذا التعبير ونحا هذا المنحى - يجعل المتلقي يحس أن الشاعر يتوجه بهذه اللغة الوجدانية نحو امرأة حبيبة ، ويبقى ذلك الإحساس لدى المتلقي إلى أن يستجلي مراد الشاعر الحقيقي ، وهو يتابع بقية النص ، فما هو إلا المكان :

لم يزل قلبي مغرماً بجمـــالك
والهوى العفُّ عاشق لوصـــالك
وحنـــايا الضلوع مهد رؤوم
حافظ للمعروف من إفضـــالك
إن حبي – وإن تنـاءت ديار–
فوق ما دار من عتـــابي ببالك
أنت (نون العيون) ما دار طرفي
في مجال إلا ارتمى في مجـــالك
كم يغار العشـــاق من فرط حبي
وحنيني المأسور حول رحـــالك
أنت لحن الخلـــود ملء كياني
ساطـع النور في الليالي الحوالك
ليس بعدي عن ناظريك جفـــاءً
طالما عشت ناهـــلاً من زلالك
ربما ازداد بالفراق هيـــــام
وسرى الحب في معاني خيالك[٢]

---

(١) يعكس هذه العلاقة محتوى دواوين الشاعر المطبوعة وهي : (على درب الجهاد) و(الألمعيات) و (أسمار الوطن) و (من نفحات الصبا) وكذلك مؤلفه (رحلة الثلاثين عاماً) فالشاعر دائم الاستحضار لأبها في قصائده التي يتلوها في المحافل والمناسبات .

(٢) (أسمار الوطن) ص ٦١ ، ٦٢ .

إن تكن عاذلي سبرت المعـــالي
واجتليت النضار عبر نضالك
فالنضار النضار في قلب أبهـــا
كيف يدنو مناله من منالك(١)

ولعل الشاعر - وهو يجعل فاتحة قصيدته من خلال هذا النمط التعبيري - استطاع استبقاء المتلقي في جو منتبه وجاذب إلى نهاية العمل الشعري .

وتسير في هذا الطريق أبيات حسين سهيل ، بما تحمله من صور اللقاء : اللقاء المتخيل واللقاء الواقع ، والمعروف أن الأول لا حدود لامتداد زمنه ، ولا يُحتاج معه إلى ضرب المواعيد ، أما اللقاء الواقع — ولو طال امتداده فهو عند المحبين ارتدادة طرف ، ولمحة بصر ، ولا يجيء كل ما اشتهته النفس :

جئت أبها .. معانقاً كلمـــاتي ... وبكفي معازف الأغنيـــات
جئت أبها .. وفي شعوري اخضرار ... مخملي يمتد في قنـــواتي
كنت ألقاك في خيالي ربيعـــاً ... باسم الثغر مزهر الخطـــوات
كنت ألقاك والمساءات تتلـــو ... صور الوجد ملء كل لهـــاة
كم تمنيت أن يطول لقانـــا ... وهوانا على الذرى الشامخـــات
ليت شعري .. ماذا أقول وأبهـــا ... فوق دفق النعوت فوق الصفات(٢)

وتوارد اللقائين - الخيالي والواقعي - في النص الشعري ، يعطي دلالة تمكن المكان في الذاكرة المكانية التي يختزنها الشاعر ، إلى جانب كون المكان يأخذ دور الحبيبة ، وصورتها ومكانتها .

ويستمر توازي المرأة والمكان على جانبي الأداء الشعري ، لنقف عليه عند منصور الحازمي وقد استمد المكان في قصيدته (على قمم السودة) عناصره من عناصر الحياة ، من خلال ما خلع ، الشاعر عليه من الصفات الأنثوية ، التي جاءت في قالب (صيغة الطلب) ، والتي تسربت

---

(١) المصدر السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) حسين سهيل (أشرعة الصمت) ص ٢٤ ط/١ ١٤١١هـ ١٩٩٠م منشورات نادي جازان الأدبي .

من خلالها دلالات رضا الشاعر وإعجابه بما يرى ، فكأنه من خلال هذه (الصيغ الطلبية) : (عانقي ، استثيري ، اصعدي ، أطلي ، أرقصي ، غني ، أرو ، أنسجي ، أمسحي) يقر ويستزيد من هذه الفعلات ، التي تحكي طبعاً وإيقاعاً أنثوياً ، يعشق ويصل ، ويباهي بالعشق ويحدث عنه إلى جانب تلك التعبيرات والمعاني المباشرة التي تعمدها الشاعر لتعطي بعداً وجدانياً وهي تدور في فلك الخطاب المتوجه إلى الأنثى :

عانقي الطل واستثيري الغمـــــام واصعدي للنجوم هاماً فهاما
وأطلي على السفوح عروســــاً تلبس المرج والضباب لثاما
وأريـــــج العطور في راحتيك وفي العطف ورده والخزامى
وطيور الغابـــــات حولك ولهى حائمات ترتل الأنغامـــــا
فارقصي يا ابنة السراة على اللحن وغني حزين قلب مقامـــــا
وارو للغيد ذكرياتك مذ كنــــــــت في الزمان احتلامـــــا

ومنها :

وانسجي سودة الجنوب على التل وصالاً ولا ترومي إنفصامـــــا
إنمـــا الحسن في انفرادك بالحسن حيياً وبالإبـــــاء تسامى[(١)]

ولا شك - أيضاً - أن المتلقي يستطيع أن يرصد حس التماهي بين الشاعر والمكان ، من خلال توسل الأول بهذا الاستخدام الطلبي ، الذي ينهض بحركة المكان ويبعث مكتنزه من الجمال ٠ وكما اشتهر في شرعة المحبين بأن الحب ليس جناية تستوجب النزع والمتاب ، ولا دناءة تستدعي العذل والعتاب ، فإن زائد الكناني ينتقل بذلك المفهوم المترسخ في الفكر الشعري إلى عالم العشق المكاني . ليقول :

فهذه أبها كحسناء طروب قد عرفت من قبل في أرض الجنوب
ريانة تسبي بذكراها القلوب عن حبها يا صاحي قلبي لن يتوب
فهل ترى في حبها من عذل[(٢)]

---

(١) (أشواق وحكايات) ص١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ٠

(٢) (تقاسيم زامر الحي) ص ٣٩ ٠

ويبرز التطابق بين صيغة الخطاب الموجه للأنثى الفاتنة ، وخطاب المكان - والذي أدى إليه توازي المكان مع المرأة في وجدان الشعراء - من خلال بوح الشاعر ، الذي يجمع بين استعطاف المعشوق ، وبث الوجد وشكاية العشق ، وما يلقاه العاشق ، حتى أن شاعراً مثل صالح سعيد الزهراني يناجي أبها مناجاة العاشق ، لتصطف في إطار هذه المناجاة مفردات اللغة التي يتخاطب بها سائر المحبين ، لنجد في النص (مفردة الحب) و (مفردة الشكوى) و (مفردة العتاب) وكلها مفردات تداعت تبعاً لمؤثر الجمال المكاني ، وموقف الشاعر النفسي ، ليتخذ الخطاب شكل لغة الحب الروحي الموجهة إلى الأنثى ، فتتشكل في داخله صورة (أميرة الهوى الغريب) [١] إلى جانب تجسيد ما يعتمل في ذات الشاعر :

أبها رسائل حبي ما لها عــــــــدد	ولم يجبني على أشواقها أحــــــــد
أبها أجيبي سؤالي واذكري سببـــاً	يغالب الشك إن القلب لا يجــــــد
أحببت والحب في شرع الورى ترف	وعاشق الحرف لا تدنو إليه يـــــد
فجئت أطلب من كفيـــك معجزة	فمن صببت لهم صافي الهوى جحدوا
أبها يصير المدى غيماً ووشوشــــة	وفي دمي يا نشيــــدي يغرق البلد
أبهــــا هواك غريب لن يفسره	شعر ولن يجتلي أسراره أمــــد[٢]

ويماثله في هذا الخطاب الذي تنبعث منه زخات العشق ويأخذ سمة الخطاب الأنثوي ، إبراهيم عبد الله مفتاح الذي أبان - من خلال البث الشعري - عن دفين الهوى الذي يحمله للمكان ، ذلك الهوى الذي يرتفع عن أن يكون هوى قُلَّبْ ، بل هو شعور صادق ، تنبت داخله أسئلة الحب ، التي يحتاج معها العشاق إلى فضاء التناجي :

ها أنا جئتك يا أبها فهــــل	تعرفين الآن من كنتُ أنا
إنني ذاك الذي أخفى الهوى	في حناياه وطاف الدّمنـــا
وارتدى من حبه أشرعــــة	نسجت بطء الثواني سفنا

---

(١) (رسالة إلى أميرة الغرابة) عنوان قصيدة الشاعر .

(٢) صالح سعيد الزهراني (تراتيل حارس الكلأ المباح) ص ٢٣ ط/١ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م منشورات نادي الباحة الأدبي .

لا تقولي عاشق في رحلـــه ... يحمل الشكوى ويطوي الوهنـا
حيثما ألقت به أسفـــاره ... زعم الحبّ ونادته الأنـــا
أنا يا أبها اشتعال قـــادم ... من خـــلايا الموج محّمر الضنى
من هياج البحر في روحي دم ... أخضر النبض فقاعي السنـــا
كلما جئتك يا أبهـــا الرؤى ... أنبت الحسن بعيني أعينـــا
ونمت في داخلي أسئلـــة ... لم أقلها في حديثي علنـــا
فسؤال الحب نجوى موعـــد ... تلتقي الأعين فيه بيننـــا [١]

وحاصل القول - بعد هذا الاستجلاء لكثير من النصوص - إن الشعراء وهم يتعاملون مع المكان بطبيعته الجميلة ، يجدون أخيلتهم منساقة وراء هذا النسغ من التصوير، الذي يلتفت إلى الجمال الأنثوي ، ليخلقوا للمكان كأعضاء الأنثى ، ويخلعوا عليه بعض صفاتها ، ويتوجهوا إليه بخطاب تتوافر في طياته مفردات الوجد والحب .

ولا ضير أن يقال - وقبل أن يرتفع النظر عن هذه المعادلة بين المرأة والمكان - : إنه لا يستبعد انطلاقاً من مصطلح (المكان الرمز) أن يكون في هذه القصائد - وعند بعض الشعراء - صورة رامزة لها دلالات وجدانية عند الشاعر ، والذي رأى في الرمز سبيلاً إلى أن يبث المحبوب تعشقه وتشوقه ، يدفعنا إلى هذا القول الطريف تعدد القصائد التي قيلت في أبها عند بعض الشعراء [٢] متخذة شكل الخطاب الوجداني الموجه للأنثى وإن كان الدافع •

---

(١) إبراهيم عبد الله مفتاح (رائحة التراب) ص ٨٢ ، ٨٣ ط/١ نادي جازان الأدبي .

(٢) تصل إلى أربع قصائد عند شاعر واحد وقد تزيد ، ومن الشعراء الذين تعددت قصائدهم في أبها : محمد بن سعد بن حسين ، عبد الله بن خميس ، يحيى توفيق ، أحمد الصالح ، زاهر الألمعي أحمد مطاعن ، أحمد بيهان ، أحمد التيهاني ، أحمد عبد الله عسيري ، علي آل عمر عسيري مطلق محمد عسيري حسين النجمي ، عبد الرحمن العشماوي وغيرهم .

للقصيدة ومباشرة اسم الجميلة (أبها) يصرفنا عن اعتقاد هذا ، والجزم به [١] ، فليس لنا إلا قراءة القصائد لا قراءة المقاصد .

ونتجاوز - بعد هذه الخطوات الفساح في مسار التوازي بين المرأة والمكان في الوجدان الشاعري - ، إلى جانب آخر جاء فيه المكان وهو يتشكل من خلال ذات الصورة ، ونعني بها صورة المرأة ، إلا أنها هذه المرّة (المرأة الفتاة) ، بإيحاءاتها العمرية ، والاحتياجية ، وليست (المرأة الحبيبة) بإيحاءاتها الجمالية ، والمغرية والمشُوقة .

وهذا يعني - ولأول وهلة - أن النصوص التي جاءت في هذا الإطار تحمل مفارقة للنصوص التي سقناها في الجانب الأول من هذا المسار ، كونها تخلو - ولا ريب - من الانفعالات الشاعرية ، التي جاءت - هناك - نتيجة المثير المكاني (الجمال والعلاقة) ، لتتسع معها دائرة

---

(١) قد يكون في العادات والمثل التي يدين بها مجتمع ما ، ما يصرف الشاعر الذي ينتمي إلى هذا المجتمع عن مباشرة محبوبه بالغزل ، ويجعل ذلك حمى مخوفاً ولكنه يجد في المكان وفي أشياء الطبيعة رمزاً يتوجه إليه ليبوح - من خلاله - بذات نفسه وما يغالبها من العشق والشوق - ولا غرو - ففي تراثنا مثال لذلك ففي العمدة لأبن رشيق جاء ذكر قصة الشاعر حميد بن ثور الهلالي الذي اضطر أن يتغزل بشجرة (شجرة السرحة) كرمز للمحبوبة بعد أن حرم الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الغزل بالنساء . انظر العمدة ص ٣١١ ج / ١ وقد أشار إلى هذه القصة وساق أبيات حميد بن ثور الدكتور حسين نصار في كتابه (في الشعر العربي) ص ٢٧٩ . ويذهب الدكتور بكري شيخ أمين إلى أن أبيات حميد بن ثور هذه ((من أقدم ما يمكن أن يستشهد به على الرمز)) ويعني أن الشاعر رمز للمرأة الحبيبة بالسرحة وهي نوع من الشجر . انظر : (مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني) ص ٢٥٨ط/٢ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م منشورات دار الأفاق الجديدة - بيروت - . ولتقف على القصيدة طالع (ديوان حميد ابن ثور الهلالي) صنعة الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني - رحمه الله - نشرة دار الكتب المصرية ط / ٢ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م في ص ٣٣ - ٤١ .

ونجد في بعض أبيات لأحمد شوقي – رحمه الله – ما يقوي القول بوجود هذا المذهب عند بعض الشعراء . يقول أمير الشعراء :

يا فتاة العراق أكتم من أنت ... وأكني عن حبكم بالعراق

حمليني في الحب ما شئت إلا ... حادث الصد أو بلاء الفراق

واسمحي بالعناق إن رضي الدل ... وسامحت فانياً في العناق

(الشوقيات) ج/٢ ص١٣٢

الوجدان والخيال ، أما هنا فهم الشاعر وَوَكْدُه أن يعكس واقع المكان بين الماضي والحاضر موظفاً لذلك رمز المرأة .

ويطالعنا في هذا الإطار نصان، أولهما لعلي أحمد النعمي ، الذي أراد أن يلتقط صورة لأبها تحوي داخل إطارها واقع المدينة في ماضيها وحاضرها الذي تعيشه ، فاعتمد لذلك رمز (الفتاة) التي كانت تعتسف الطريق بلا دليل ، و تتقلب على حصير الحياة بلا معيل ، رغم ما توافر لها من المقومات والأسباب التي ترتفع بشأنها ، غير أن ذلك لم يطل أمده ، لينبلج فجرها ، ويتنفس صبحها ، بعد أن طال ليلها ، لتصبح ربيبة العارفين بحقها ، القائمين على شأنها ، لتغدو متسنمة ذروة المجد متكئة على أريكة العز :

كانت فتاة بلا ثوب تسر بـــــه ... ولا وشاح ولا عقد يحليهـــــا
ترنو إلى الأنجم الزهرا لتمنحهـــا ... من ضوئها شمعة تجلو دياجيهـــا
وترسل الصوت تلو الصـوت ضارعة ... إلى رحيم يسليها ويفديهـــــا
يضمها ينثر الآمـــــال باسمـــة ... في وجهها أو يصب الشهد في فيها
وراحت البنت تنمـــو غير قـادرة ... على النمو وليل البؤس يطويهـــا
بنت السلالات لكن عضهـــا زمن ... وربة الحسن لكن من يربيهـــا
ومن سيحنو عليها من يكرّمهـــا ... ويسفح الحب نهراً في مآقيهـــا
غرثى إلى الزاد لكن من سيطعمهـــا ... عطشى إلى الماء لكن من سيسقيها
عطلى من الماس لكن من يجود بـــه ... على فتاة ، ومن يحيي أمانيهـــا
وشبت البنت واشتدت ترائبهـــا ... والحسن والدل يغنو في شفافيهـــا
لم تدر وهي الفتـــاة الخود حين نمت ... واستشرفت أن فجر السعد آتيهـــا
وأن ليل المآسي جد مرتحـــلٌ ... عنها فقد (أخذ الأقواس باريها)
أبهـــا لك الفخر بالفجر الذي انبثقت ... أضواؤه فارقصي في ظله تيهـــا
تسنمي ذروة الأمجـــاد واقتعدي ... أرائك العز يا أبها ووشيهـــا [١]

---

(١) (أبها في الشعر المعاصر) ص ٧١ ، ٧٢ .

ويستعمل عبّد الله بن علي بن حميّد لغة الحوار ، ليستنطق من خلالها جبل تهلل [١] ومدينة أبها ، مقيماً من الجبل أباً ومن المدينة فتاته ، ليصنع صنيع النعمي في المقابلة بين الحاضر والماضي في ظل رمز المرأة ، فينتهي بذلك إلى رسم الواقع الحضاري على إطار المكان بريشة الشعر في إيقاع راقص خفيف ، نجتزئ منه حديث المدينة ((الفتاة)) الذي جاء جواب على استفهام الجبل [٢] ((الأب)) وهو استفهام استنكاري عريض :

يقـــول ما لبنيتي	تجاهلتني كالمحـــال
وصعرت لي خدهـــا	تتيه زهواً واختيال [٣]

ليأتي الجواب :

قالت كفى يـــا أبت	فالدهر ميـــل واعتدال
أو مـــا علمت بأنني	قد كنت أحيا في اعتزال
أمـــا علمت بأنني	عوفيت من بعـــد الهزال
أعيش في بحبوحـــة	بين الحقيقة والخيـــال
فلقـــد دعاني خالد	وزاد في حسني كمـــال
أضفى علي مـــآثراً	تبقى لآمـــاد طوال
أضفى علي محاسنـــاً	ما قط تخطر لي ببـــال
وسعى لمـــا يجعلني	أباهي المـــدن الغوال
وتكون مني تحفـــة	منظرها ينفي المـــلال
تغار مني جلـــق	الفيحا وتحسدني أزال [٤]

بقي لنا - وقد استعرضنا المسارين - الأولين أن ندلف إلى **المسار الثالث والذي جاء فيه الغزل قرين وصف المكان**، أو منبثاً فيه ، وهي طريقة نكاد نرى لها مثالاً في كل عصور الأدب

---

(١) سقنا حديث الجبل ضمن شواهد وصف الجبال ص (٨٠) من البحث . فلينظر هناك .

(٢) السابق ص ٨٠ .

(٣) أديب من عسير ص (١١٥) .

(٤) أديب من عسير ص (١١٧) جلق : دمشق أزال : صنعاء .

العربي ، مما جعل بعض الدارسين يذهب إلى أن ظهور الغزل - كغرض من أغراض الشعر العربي - جاء مرتبطاً بالمكان [١] .

ويتجلى هذا أكثر عندما تجيء حظوة المكان بسبب جمال طبيعته ، ليمتزج عند الشاعر وصفه لطبيعته بغزله في محبوبه ، وهو ((أمر مقبولٌ بل هو تزاوج طريف بين فنين أليفين رقيقين)) [٢].

وقد شئت أن أجعل موضوع الغزل في ((قصيدة أبها)) يجيء في درج الكلام حول ((المرأة والطبيعة)) ويدخل ضمنه ، بعدما تحسست ذلك الشعور الذي يداخل الشاعر وينتابه وهو يجوب الطبيعة ، ويتابع بين نظراته في جمالها ، ليرى هذا الجمال في أنثى المكان ، وليدفعه هذا الشعور - مختاراً - إلى استدعاء المرأة - رمز الجمال - والتغزل بها سواء أكانت هذه المرأة حقيقة قائمة في حياة الشاعر أم كانت بطلة قصة اختزنتها ذاكرة الماضي ، وقد عاش معها الشاعر ميعة الصِّبا ، وميعة الحب [٣] .

ومن الشعراء من لا ينطلق - في غزله المصاحب لوصف المكان - من تجربة شعرية لها حظ من الواقع ، وإنما قصد إلى رسم صورة أنثى المكان ، واستنطاقها بجميل الحديث ، دون أن يرى لها رسماً ، أو يسمع لها همساً ، فلا صورة مرئية ، ولا صورة سمعية وما ذلك الغزل إلا احتذاءً واقتفاءً ، من الشاعر لسنَنَ الشعراء السابقين بعيداً عن أي مؤثر آخر ، ويغذي تصويره المتغزل ، ما يكتنزه ذهنه للمرأة من صفات مكرورة ومذكورة في الفكر الثقافي والشعري لدى العرب .

ولكي نتلمس هذا الذي ذهبت إليه فيما سبق ، نحاول أن نقف على جملة من النصوص التي يلتقي فيها الوصف والغزل .

---

(١) انظر : إنصاف بخاري ((مكة المكرمة والمدينة المنورة في الشعر في المملكة العربية السعودية)) ص (٣٥١).

(٢) مصطفى الشكعة ((الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه)) ص (٣٤٢ ، ٣٤٣)

(٣) يتبدى لنا هذا الإحساس دون حجاب عند الشاعر / أحمد الصالح (مسافر) في قصيدته (أبها) يقول :

حبيبتي في مداك الرحب أذكرهـا ... كأنها سحرُ مـا استودعت من دُرَرِ
رأيتها في السفوح الخضر لاهيـة ... كما احتفـال الخراف البيض بالمطر
وفي السنابل من كَفَّيَّ أرسلَهـا ... كشعرهـا .. بين ملفوف ومنتثر

ديوان : (عيناك يتجلى فيهما الوطن) ص (٧١) مرجع سابق .

وأول ما نقف عليه من تلك النصوص ، قصيدة عبّد الله بن خميس (من وحي عسير)، لنرى فيها كيف آثر الشاعر - وبعد أن استغرق في وصف طبيعة المكان في الأبيات التسعة الأولى - أن ينتقل بنا - تحت مؤثر جمال الطبيعة - إلى أنثى المكان وقد بهره حسنها، ومعسول لفظها ، ليلتفت إليها قلبه ، فيصمى بسهم من سهام لحظها لكنها مع هذا الجمال ، تبقى الحرة المؤتزرة بإزار العفة ، وتأبى السوء والخنا فهي عند الشاعر مطلوبة ممتنعة • وهذه الصفة - كما نعلم - كثيرة الدوران في شعر الغزل العربي [١] • يقول ابن خميس :

مسارح ربرب يُغْنِينَ حُسْناً ... فما يبغينه حسناً خضيبـــا

يفوِّقن السهام بذات هُدْبٍ ... على الغّرات يصمين القلوبـــا

من الغزلات أحلاهن لفظـــا ... على الهمسات يطمعن المريبـــا

وهن حرائرٌ يـــأبين سوءا ... جعلن العفة المثلى رقيبا [٢]

وتقوم مثل هذه المعاني الغزلية عند شاعر آخر ، هو أحمد فرح عقيلان ، لنجد صورة الجمال الفاتن تلابس ثوب العفاف والحياء :

سلّم على أبها وحيِّ جمالهـــا ... وأسأل عن السحر الحلال جبالهـــا

نفسي الفداء لها ربوع فضائـــل ... تتشرف الأرواح أن تهدى لهـــا

وانشُدُ عن الطهر العفيف نساءها ... واسأل عن الخلق الشريف رجالهـــا

الأسدُ فيهـــا والضباء سوانحٌ ... بأبي وأمّي ليثها وغزالهـــا

من كلّ طاهرة الذيول تنيلُنـــا ... أدبَ الحديث ولا تنيل وصالها

قد كنت أحسبني كبرت على الهوى ... وتركت أحلام الصِّبا ودلالهـــا

حتى رأيتُ ظباء أبها رُتَّعـــاً ... والحب يرتع والعفاف حيالهـــا [٣]

---

(١) تستحسن العرب وصف المرأة في الغزل بهذا ((انظر العمدة لابن رشيق)) ص (١٢٤) ج (٢) •

(٢) على ربى اليمامة ص (١٤٢) وفاق السهم : وضع فُوقَه في الوتر ليرمي به ، والربرب : القطيع من الضباء ، ويصمين القلوبا : أنفذت فيها السهام •

(٣) المجموعة الكاملة ص (٨٦) •

ويواجهنا هذا مرة أخرى عند يحيى توفيق - وهو شاعرٌ معروفٌ بكثرة غزلياته [١] - لنراه ينشغل بالغزل عن وصف المكان ، لكنه في غزله يختلف عن سابقيه من حيث أنه شاء أن تصطف في أبياته متعة الجمال ، ومتعة الحديث ، فبعد اللقطات التصويرية السريعة التي التقطها الشاعر لبعض ملامح الجمال - والتي تماثل ما لتقطه غيره من الشعراء - ينصرف إلى استنطاق الجميل متخفياً وراء سؤال التائه المسترشد ، لكن ذلك لم يطل فسرعان ما صدت عنه فاتنته صدود أدب وحياء ، لا صدود تعمد وجفاء :

حي البدور ((بأبها)) في مغانيهـــا ... وانعم بعطر الخزامى في روابيهـــا
من كل أغيد في لفتاتـــــه غَزَلٌ ... يبدي جفاه ونار الحُبِّ يخفيهـــا
يرنو إليك وفي أحداقـــــه حورٌ ... يغري القلوب لكي تدنو فيضنيهـــا
أو غادة من رحيق الورد نكهتهـــا ... تشجيك إن نطقت بالدر من فيهـــا
ساءلتها عن طريق (الصحن) فابتسمت ... وأرشدتني إليها وأنثنت تيهـــا
وساءلتني : غريبٌ أنت ؟ قلت لهـــا ... من أهل (جدة) ضيفٌ في أراضيها
فـــأرخت العين في سحرٍ وفي خفر ... وودعتني بلحظٍ من مآقيهـــا [٢]

وَيَتَمَثَّلُ ذلك الطريق وذلك الأسلوب التعبيري محمد هاشم رشيد ، وهو يرسم جماليات ((راعية من بنات الجبال)) فهو في أحد مقاطع النص يتابع ويجاور بين بعض الصفات الجمالية التي برزت له ، أو تخيلها من ملامح هذه الراعية ، ليفرغ في المقاطعِ الأخيرة إلى الحوار الشعري ، الذي أدخل في النص صوتاً غير صوته ، ذلك هو صوت الراعيه الذي استظهرنا من خلاله مكانها ، وطبيعة حياتها ، ومكنون أمنياتها . [٣] يقول :

---

(١) هذا ما يتبدى لكل مطالع لنتاج الشاعر في دواوينه المطبوعة أو فيما ينشره في الصحف والمجلات . كما أن أسماء دواوينه المطبوعة ومنها مجموعته الكاملة توحي بذلك .

(٢) يحيى توفيق ((شعري وحواء : المجموعة الشعرية الكاملة)) ص (١٦٩) ط / ١٤١٤ هـ مؤسسة المدينة للصحافة .(دار العلم) - جدة - .

(٣) قد يكون الشاعر متأثراً بجنس (الشعر الرعوي pastourelle) الذي ظهر في الأدب الأوروبي . وهو ((جنس شعري ثابت الغرض . وموضوعه عبارة عن فارس يحاول تعنيف راعية يلتقي بها في حقل . وتتميز القصيدة بتناوب المقاطع السردية والحوارية)) انظر كارل فييتور وآخرين (نظرية الأجناس الأدبية) ص ٢٥٠ ط / ١ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م تعريب عبد العزيز شبيل . مطبوعات نادي جدة الأدبي .

وراعية من بنات الجبـــال تلاقي الشموخ بهـــا والخفر
مهفهفة ، تستكين العصـــا على كفهـــا ، فتحس الخدر
مشت صعداً والقطيع السعيد تجمع من حولهـــا وانتشر
مشت غيمة ، برهمـــاً أخضراً مهاة ، ملاكاً ، تحدى البشر (١)

ونتجزئ من المقاطع الحوارية الأول منها :

(عسيرية) أنت ؟ قالت : أجل فقلت : ومن أين هـــذا القمر ؟
فأغفت وقـــالت : تمر البدور بآفاقنـــا .. فتطيل السمر
وتنسى مرابعهـــا السالفات وأشواقهـــا ، والرؤى والذكر
ونحيا بأبهـــا ، صداً خافتاً ترنحه ، أمنيـــات الظفر (٢)

أما محمد بن سعد بن حسين فيتفق مع هؤلاء الشعراء في توارد وتصاحب الغزل - عنده — مع وصف الطبيعة والمكان ، وذلك في قصائده التي ألهجه بها جمال (أبها) ، لكنه يخالفهم في أنه نزع إلى عهد الصبابة الآفل ، يستعيد شيئاً من قصة الحب والهوى ، بآلامها وآمالها ومسائتها ومسرتها ، فلا نحظى عنده بغزلٍ مباشر ، كل هذا وأبها - كما قلنا من قبل - هي الباعث - بجمالها - على العود إلى الماضي ، ليشكوه الشاعر ويتشوقه في آنٍ :

يوم بأبها له في الصدر منزلـــةٌ لا كالمنازل إجـــلالاً وتمجيداً
عادت لقلبي به أفراح سالفِـــه وانجاب بالصبح ليلٌ كـــان منكودا
وانقاد لي من مسراتي نوافرهُـــا إذ أقبل الأنس مسموعاً ومشهودا
لا لوم ياصاحب إن هزني فـــرحٌ فالقلب من حب أبها بات معمودا
سر الهوى في فؤادي لو أبـــوح به نمّت أحاديثـــه عطراً وتوريدا
آهاً لسر الهوى : أفراحـــه ألم والوصل نار تزيد الحب تعقيـــدا
والسالمون بمنجاة يطيب لهـــم أن الهوى لم ينـــل منهم مقاليدا
أما مقاليدنا - أواه - قد جعلت قيود حب وأهداها الهوى الغيدا

(١) (بيادر ع (٤) ص (٤٩) .
(٢) المصدر السابق ص (٤٩) .

والغيد لم يعرف الإنصاف متكئـــاً في طبعهن وإن أوْلَيْنَ تنهيـــدا
يا صاحبي ذكريات الأمس ما برحت تعتـــاد في الفكر موؤداً ومولودا
والشيب في مفرقي مشبوبـــه ثمِلَ يطوي السواد الذي قد بات معدودا
والقلب تهتاجه ريح الصَّبا وبـــه إلى الصبّا صبوةٌ يحدو لها القودا [١]

واستمع إليه مرة أخرى في قصيدته ((روضة الحسن)) ، يضرب على وتر صبوة الماضي الذي استدعته روضة الحسن (أبها) :

لكن أبها أعـادت صبوة سلفت في سالف من زمان مـا أحيلاه !
أيام كنـــا بأفياء الشباب وقد ولّى الشباب وغال الشيب رياه
ماذا أغنيـــك يا أبها وفي كبدي نار فما فات قـد أيقظت ذكراه
جودي ، فقد صردت أيام صبوتنا واغتالت الكتُب من حبي بقاياه [٢]

ويظل هذا الاستدعاء لحادثة العشق الماضي في قصائد ابن حسين الأخرى ، التي قالها في أبها[٣] ، ولعل في ذلك ما يقود إلى وجود معاناة ، وأزمة عاطفية في حياة الشاعر أنطوت أيامها ، ولم يبق له إلا رسيس من هوى ، يكفي ليبعث عنده وقدة الذكرى من حين لآخر ، وكل ذلك ليس هذا مكان تلمسه ، والتقصي عنه ٠

ومن هذا القبيل - الذي اصطف فيه المكان والغزل - نصان شعريان أردت أن أجعلهما يتتابعان بأَخَرَةَ من هذا المسار لأنني وجدتُ بينهما تلاقياً في صدق التجربة الشعرية من ناحية ، وحرارة العاطفة المتلهفة على لقاء الحبيب والاجتماع به من ناحية أخرى ، كما أنهما يشتركان في كون ((المرأة الحبيبة)) هي التي استدعت وصف المكان ، واستحضار بعض ملامحه الجمالية ، وليس العكس كالذي وقفنا عليه في الشواهد السابقة عند غير الشاعرين ٠

---

(١) أصداء وأنداء ص (٧٥) ٠

(٢) المصدر السابق ص (٧٧) ٠

(٣) انظر قصيدتي (مني إليك) ديوانه ص (٧٦) و (أبها) بيادر ص (٤٠ - ٤١) ع - (٤) . والثانية لم يتضمنها ديوان الشاعر ولعلها جاءت بعد طبعه . حيث طبع الديوان عام (١٤٠٨ هـ) ونشرتها بيادر في عددها الرابع عام (١٤١٠ هـ) ٠

أما النص الأول فهو لتركي بن صالح العصيمي ، فقد كان شأنه في أبياته بث أشواقه ونث معاناته ، مع التي أخذت بقياد قلبه ، حتى غدا أسير هواها ، لتجيء أبها في هذه الأجواء العاطفية من زاوية المكان الذي يحتوي ((المحبوب)) :

فديتُ التي يومَ الثلاثـــاء أعْرَضَت ... لأنّا تلاقينا على غير موعـــد
ألا حظُها في السوق حتّى إذا مَضَت ... مَضَيتُ أعـــاني حيرتي وتَردُّدي
رمتني التي أدمى فؤادي دلالهـــا ... فزادت تباريحي وقلَّ تجلـــدي
وقد زاد في وجدي اقترابي وبعدهـــا ... وزاد عذابي هجرهُـــا وتوددي
وقاسيت ما قاساه قيسٌ فليتهـــا ... ترِقّ فَقَدْ أذوى شبابي توجدي (١)

ومنها :

فيا ابنة أبها ربة الحسن والنهى ... لقد عُرفَتْ ذكرى لقاك فجـــددي
لئن كان إشقائي لديك سعادةً ... سأشقى وربي في سبيلك فاسعدي (٢)

ويخلص الشاعر بعد أن استوفى بوحه العاطفي إلى المكان مرة أخرى ، مدفوعاً إلى حبه بحب من نزله وسكنه ، ليعطينا بعض المرائي الجمالية التيَ تطوف بوجدانه ليزاحم حبُ المكان - عنده - حب الإنسان :

وولّيت قلبي شطر أبها وأهلهـــا ... وَوَليتُ شطر البيت وجهي ومسجدي
وإني لأهواها لحبي لأهلهـــا ... فصارت ترى عيني ثراها كعسجـــد
أراها كروض حين تبكي سماؤها ... على شامخـــات جُلّلَت بالزمُرُّدِ
ووادٍ سقاه المزن حتى أفاضـــه ... فأضحى كصرحٍ في زجـــاج ممرد
لقد خصها الباري بحسن طبيعـــة ... فليس عليها للحضارة من يـــد
ألا إن أبها منبعُ السّحر والهـــوى ... فغني ورائي يا قلـــوب ورَددِّي (٣)

أما النص الثاني فهو لعلي آل عمر عسيري ، وفي هذا النص تقوى لحظات التقابل الوجداني بين

---

(١) قلبٌ في أبها ص (١٦٤ ، ١٦٥) .
(٢) السابق ص (١٦٥) .
(٣) السابق ص (١٦٦) .

الحبيبة والمكان،- ولا غرو - فالشاعر ابن المكان يحاول - وهو يتشوق المحبوب ويغازله - توسيع حركة الوجدان لتحتضن أشياء المكان ، وذلك يعكس من داخل الشاعر تشبثه وتمسكه بالمكان ، كما التمسك بالحبيب . يقول الشاعر بعد أن عبس له الحبيب وتولى عنه :

قلت يا فاتنتي مهلا تعالي
لا تجوري
قاسميني بسمة الوجدان
في صمت الشعور
شاركيني نشوة الروح التي أحسستها
تذكي وتوري
في روابي الحسن ((أبها))
بين أفواف الزهور
لا تجوري

أنت من ((أبها))
ومن كانت له ((أبها)) بلادا
كرماً
تسكن القمة
تستشرفها الشمس وتستقي السما
يسبح الغيم إليها دفعا
فإذا جللها الغيث همى
يالها في باطن الروح هوى
لو سرى في باطن العشب نما
لا تلومني ولبي فتنتي
إنني استسقيت بالحب الظما

ما تقولين أتبقين معي ؟

أم ستمضين وأحسو الندما ؟ (١)

ويتكرر في آخر النص سؤال الشاعر الملح ، الذي يتلمس ويتعطى الوصال ، ولكن ليس إلا الصمت ، صمت الإنسان والمكان ، والعاشق والمعشوق ، لتحتجب وراء هذا الصمت إشراقات الأمل ، أو شرارات اليأس :

ما تقولين أتبقين معي ؟ — أم سألقـاك فأنّى ومتى ؟

شرد الظبي . وأبها صمتت — ولساني منهما قد صمتا (٢)

والملاحظ أن لغة الغزل في قصيدة أبها جاءت في أغلبها - من معجم الصفات الجمالية الأنثوية في الموروث الشعري للعرب ، لنجد أنها لغة مكرورة يكثر الشعراء من الدوران حولها من مثل : ((سهام الألحاظ والأهداب ، حلاوة المنطق ،صباحة الوجه ، الدلال ،التمنع ، التيه الجفوة ، العفة ، الظبية ، الغزالة ، المهاة ، الملاك ، الحور)) إلى آخر ما هنالك من الألفاظ الشائعة في هذا السبيل .

ويمتد - نظر هؤلاء الشعراء إلى التراث مرة أخرى ، وفي جانب الشكل - لنجد أن تغزلهم جاء في قالبٍ أوعى في مثله السابقون (٣) .

وهكذا يتبين لنا - وبعد هذا التطواف مع الشعراء - فيضان صورة المرأة على مخايل ومشاعر الشعراء ، وهم يقفون إزاء المكان ((الوطن والجمال)) ليكون توظيف هذه الصورة ميزة في تجاربهم الشعرية ، التي وقفنا عليها ، لتصبح العلاقة بين المرأة والمكان عندهم - وكما هي عليه في امتداد كبير من الشعر العربي - علاقة وشائجية تعَادلية لنصل في النهاية إلى قناعة بأن ((الإحساس بالذات وبالآخر وبالوطن لا يمكن أن يجُزَّأ ، ففي كل منهم يتجَذرَّ الآخر ويستمد منه ملامحه))(٤) و ليتحقق لدينا - كذلك - أن هذا التقابل بين المرأة

---

(١) شذا العبير ص (٢٣٩ ، ٢٤٠) .

(٢) السابق ص : (٢٤٠) .

(٣) سنقفك على مثل هذا في البنية الفنية - بإذن الله - .

(٤) لطيفة بنت عبد العزيز المخضوب ((المرأة في الشعر السعودي قبل النهضة وبعدها)) ص (٢٣٧) ط / ١ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

والمكان ، لا يجيء فقط من بابة أن الثاني لا تُستَظْهَرُ مكانته إلا حيث يقع موقع التوازي والتقابل مع الأول ، بل إن ذلك يمتد إلى الأحاسيس والمشاعر والتعالق الحبي والنفسي ، والتي تتلاقى جميعها عند الشاعر عندما يتصدى لأحد المثيرين : المرأة والمكان ، ومن طريف القول : ((إذا وضع الشاعر قصيدة جميلة فا بحث فيها عن المرأة)) [1] .

---

(١) د . نوره الشعلان (الشعر والمرأة) المجلة العربية ص ٩٥ ع / رمضان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

المبحث الرابع
مظاهر الاغتراب

الاغتراب - مفهوماً وظاهرةً - قائمٌ في حياة الإنسان منذ كان على هذه البسيطة ((حيث نجده بشكل أو بآخر في الكتابات الفلسفية و اللاهوتية القديمة ، وكذلك عند فلاسفة الإغريق القدامى ، - وأيضاً - يطالعنا هذا المعنى في سفر التكوين في الدراما الإنسانية المتعلقة بخلق وسقوط الإنسان وانفصاله عن جنة عدن ، ويتمتع هذا المفهوم بحيوية عالية في الفكر الديني المسيحي ، ثم استمر هذا المفهوم كموضوع يجذب إليه كثيرين من المفكرين في الحضارة الغربية)) [1] حتى اعتبر بعض الباحثين مصطلح الاغتراب مصطلحاً غربياً حديثاً لكثرة استخدامه ودورانه لدى الباحثين والنقاد والفلاسفة في العصر الحديث [2] .

ويأخذ هذا المفهوم امتداداً واسعاً في فضاء الحضارة العربية [3] ((فقد كان العرب منذ أقدم عصور الجاهلية يرحلون من مكان إلى مكان ويغتربون من أرض إلى أرض لأنهم أهل بداوة وارتحال لا أهل حضارة واستقرار ، ولا بد أن ذكرياتهم بأوطانهم الأولى تحملهم دائماً على الشوق والحنين إليها ما داموا مغتربين عنها)) [4] ويستمر ذلك في حياة العرب بعد جاهليتهم وبعد استقرارهم وتوطنهم الحواضر والمدائن ، إذ إن أسباب الغربة في حياة العرب أصبحت تتأتى من طرق شتى [5]

---

(١) د. قيس النوري (الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً) مجلة عالم الفكر ص (١٩) ع (١) م (١٠) ١٩٧٩ م الكويت .

(٢) د. بركات محمد مراد (أبو حيان التوحيدي .. مغترباً) ص (٦٧) - ١٤٢١ هـ - ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٠م - ٢٠٠١ م - الحولية الحادية والعشرون - ضمن حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية التي تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت - . واعتبار الباحثين هذا غير دقيق لأنّ الغربيين مسبقون بما نجده من معاني الاغتراب التي حفل بها الفكر العربي على امتداد عصوره ، وقد نبه لهذا الدكتور / بركات محمد في بحثه سالف الذكر انظر : ص (٧٠) (٧٢) .

(٣) لتتبع جذور الاغتراب في الشعر العربي انظر : د. ماهر حسن فهمي (الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث) ص (٧) وما بعدها ط / ٢ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م دار القلم - الكويت - .

(٤) محمد عبد الغني حسين (جوانب مضيئة من الشعر العربي) ص (١٩) د. ت مكتبة الإنجلو المصرية - القاهرة -

(٥) يأتي في طليعة هذه الأسباب : التكسب وطلب الرزق ، وطلب العلم ، والمشاركة في الفتوحات الإسلامية والمرابطة في الثغور ، والاستشفاء ، والنفي كرهاً لأسباب سياسية واجتماعية .

ولم تعد قاصرة على ارتحال وإقامة من تبدى منهم [١] ، وتظل هذه الأسباب قائمة في حياة الناس إلى يومهم هذا إلى جانب غيرها من الأسباب التي تفرضها وتجيء بها طبيعة وظروف الأيام والعصور ·

والاغتراب - كألم وسوط عذاب - مما لاينازع فيه وكيف يكون ذلك ؟! ، ونحن نجد في كتاب الله - تعالى ذكره - ما ينهض بذلك ويدل عليه ، ولنتأمل في قوله جل شأنه : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ﴾ الآية [٢] لنرى كيف جاور المولى الحق بين قتل النفس ، والخروج عن الوطن والدار في الآية الكريمة ، وفي ذلك ما يحمل دلالةً وافيةً بما للغربة والبعد عن الأوطان من أثرٍ معذبٍ ، ووقعٍ شاجٍ ·

ولنتأمل كذلك باب العقوبات والقصاص في الشريعة الإسلامية المطهرة ، لنجد في هذا الباب أن الشارع الحكيم - وهو العالم بمن خلق - علم أثر الاغتراب والابتعاد عن الوطن والأهل في النفس البشرية ، فجعل ذلك أداة عقابية يكون فيها مزدجر عن محارم الله وحقوق الناس [٣]·

ومن الدلالات - كذلك - على الأثر السالب للاغتراب ، أن من الأدواء التي سماها العرب (داء الأبابة) وهو ما يصيب المغترب الذي طال اغترابه واشتد حنينه إلى وطنه [٤]، ويأتي في سياق ذلك - أيضاً - ما استقر عند من عانى الغربة وعاين وقعها الممض ، من أن الإقتار مع القرار

---

(١) سكن البادية ·

(٢) سورة النساء آية (٦٦) ·

(٣) من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ سورة المائدة آية (٣٣) . ومن السنة المطهرة ما جاء في عقوبة الزاني غير المحصن ، حيث يجمع له بين الجلد والتغريب عن وطنه وأهله لتحصل له وحشة تردعه عن العود إلى هذه الكبيرة من كبائر الذنوب ·

(٤) إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط ص (١٠) باب الهمزة ط / ٢ - دار الفكر - مصر ·

خيرٌ من التوسع في نأي عن الديار ، وأن صفوة العيش في الاقتراب لا الاغتراب [١] .

وعندما نجاوز هذه الدلالات وهذه المفاهيم ، ونعدي النظر إلى عالم الأدب نجد أن الإحساس بالغربة يمثل ((وتراً أساسياً في قيثارة الإبداع الأدبي عامة والشعري خاصة تستوي في ذلك الآداب العالمية والأدب العربي)) [٢] ونجد أن كثيراً من المبدعين عكسوا من خلال صورة الاغتراب التي ارتسمت من داخل ذواتهم - وقد عاشوا الغربة في مرحلة من مراحل حياتهم - أو من داخل ذوات الآخرين ، الذين يشاركونهم المكان والزمان [٣] ، ليتشكل لنا من ذلك كله مجموعٌ من الإبداع الأدبي ، نستطيع أن نحتويه تحت سقف واحد ، وبمسمى واحد وهو أدب الاغتراب .

ولا يعزب عنا - كظاهرة جلية في هذا المنحى - شعر المهجر الأمريكي الذي ((صنع ديواناً ضخماً في شعر الحنين)) [٤] والاغتراب .

ومما لا يغفل - هنا - القول بأثر هذا الاغتراب على المنجز الأدبي في المبنى والمعنى ((فإن الغربة وما تثيره في النفس من حنين إلى الأوطان قد أمدت حصيلة الأدب العربي بفيض واضح من التعبير عن الحنين ووصفه، ووصف آثاره في النفس، وصفة مكابدة المغتربين له ، ومعاناتهم إياه ، إلى أن تزول أسباب الغربة ، أو يعود الشمل إلى الالتئام)) [٥] ، كل ذلك من خلال استعمالٍ منفعلٍ للغةٍ تحمل داخلها دلالات الحزن ، والوحشة والمكابدة ، ودلالات الشوق والحنين .

---

(١) تأمل هذه المعاني في قول المتقدم :

لقرب الدار في الإقتار خيرٌ ... من العيش الموسَّع في اغتراب

(الثعالبي - التمثيل والمحاضرة : ص (٤٠١) ط / ٢ ١٩٨٣ م تح . عبد الفتاح الحلو)

وفي قول المتأخر :

صفوة العيش أن يعود غريبٌ ... لحماه ولا يطول اغترابُ

(حسن كامل الصيرفي ديوان : (صلواتي أنا) ص (٣٤) ط ١٩٨٢ م دار المعارف) .

(٢) د. حسن فتح الباب (أشجان الغربة في ديوان الشعر العربي) المجلة العربية ص (٧٦) ع (٢٥٤) ربيع الأول - ١٤١٩ هـ يوليو ١٩٩٨هـ .

(٣) هناك من الشعراء والكتّاب من وظف إبداعه في التعبير عن مشاعر المغتربين من أبناء أمته والذين دفعت بهم يد الحاجة إلى الغيبة ومعانة إيحاش البعاد عن الوطن والأهل أو أولئك الذين أخرجوا كرهاً وشردوا عدواناً وظلماً عن ديارهم وأوطانهم .

(٤) أنس دواد (التجديد في شعر المهجر) ص (١٧٣) .

(٥) (جوانب مضيئة من الشعر العربي) ص (١٩ ، ٢٠) .

وننتهي من هذا كله إلى القول : إنه لا غرو - ونحن نتقرى قصائد لشعراء توجهوا بها نحو المكان الوطن والمكان الجمال - أن نجد للغة الاغتراب في هذا القصيد مكاناً ، ليتبدى لنا ذلك الاغتراب في بعض أنواعه [1] التي تتحدد تبعاً لموقف الشاعر من المكان ، وكذلك تبعاً للحالة التي عليها نفسه .

وعندما نستجلي هذه الأنواع من خلال (قصيدة أبها) ، يبرز لنا الاغتراب المكاني أولاً ، ويأتي ضمنه وفي سياقه اغتراب العاطفة ، ولا نعدم أن نجد نوعاً ثانياً تمثله بعض النصوص الشعرية وهو اغتراب الواقع ، أو الاغتراب النفسي وسيكون تناولنا لظاهرة الاغتراب - بحول الله وطوله - في إطار هذين النوعين وعلى النحو الآتي :

١. الاغتراب المكاني وينشطر إلى شطرين :

أ- الشوق إلى المكان منفرداً . (الاغتراب عن المكان) .

ب- الشوق إلى المكان المغيب وفي سياقه الشوق إلى إنسان المكان (الاغتراب عن المكان والإنسان) .

٢. الاغتراب النفسي (غربة الواقع) ونزع الهروب إلى الطبيعة .

١- الاغتراب المكاني :

ارتبط المعنى المعجمي والاصطلاحي للفظة الغربة بالبعد والغيبة عن الأوطان والديار [2] التي كان هواؤها أول ما تنسمه المغترب ، وترابها أول تراب مس جلده .

بل إن هذه اللفظة إذا ذكرت ، فإن أول ما يسارع إلى ذهن سامعها هو هذا المعنى الذي قرره

---

(١) من أبرز أنواع الاغتراب التي وقف عليها الدارسون : الاغتراب المكاني ، الاغتراب العاطفي ، الاغتراب السياسي ، الاغتراب الاجتماعي ، الاغتراب النفسي أو اغتراب الذات والروح ، الاغتراب الفكري .

(٢) انظر في ذلك : ❖ ابن منظور (لسان العرب) ص ٦٣٨ / ١ ط ١٩٩٠م دار صادر - بيروت -

❖ الجوهري (الصحاح) ص ١٩١ / ١ تح / أحمد عطارّ ط / ٤ ١٩٩٠ م دار العلم للملايين - بيروت -

❖ إبراهيم أنيس وآخرين (المعجم الوسيط) ص ٦٤٧ / ٢ (مرجع سابق)

وانظر تعريف الغربة في الإصطلاح الأدبي عند : جبور عبد النور (المعجم الأدبي) ص ١٨٦ ط / ٢ دار العلم للملايين - بيروت - .

المعجميون [١] ، ولا يكاد يجاوزه إلى غيره ·

وما دام أن الاغتراب يتولد من النزوح عن المكان ، فإن من شعراء هذه الدراسة من كانت له (أبها) داراً على عرصاتها حبا ، وفي كنفها ربى ، تؤويه عما يؤذيه وتحتوي حبيبه وذويه ، ثم تقضي الأسباب أن يضطعن ويرتحل عنها إلى غيرها يحدوه أمل العود والإياب القريب ، ولنا أن نتصور - والحالة هذه - لوعة الفراق لدارٍ هذه صفتها ، وشدة وطء البعاد عنها في نفس هذا النازح ، بل إن صورة هذا الالتياع تزيد إذ ما عرفنا أن هذا النازح يحمل ذاتاً شاعرة ، يسرع إليها الشوق والحنين ·

ومن خلال النصوص التي توافرت عليها وجدتُ أن الشعراء : أحمد بهكلي وأحمد بيهان ، وأحمد مطاعن ، وأحمد عبد الله عسيري ، وأحمد التيهاني ، وعلي عبد الله مهدي ، ومطلق محمد شايع عسيري ، وعبد الله عبد الرحمن الشهري [٢] ، يمثلون في بعض قصائدهم هذا المتجه الذي تتراءى لنا في أثنائه صورة الاغتراب المكاني ، وإن كان هؤلاء الأحمدون ، ومعهم علي عبد الله مهدي ، وعبد الله الشهري ، ومطلق العسيري ، يتفاوتون في بروز هذه الصورة ، وتكرر حضورها في أكثر من نص شعري ، وإصرارها على أن يكون لها صدى في كل القصائد التي توجه بها الشاعر إلى المكان المغيب ·

فأحمد بهكلي ، وأحمد مطاعن ، وأحمد التيهاني ، فوق البقية من الشعراء في هذا الشأن لكثرة شكوى الغربة وتشوق الأوبة في نتاجهم [٣] ، وهذا الأخير فوق سابقيه في هذا المنحى ، بل إنه

---

(١) أصحاب المعاجم وقد جاءت الإشارة إلى بعضهم في الهامش السابق ·

(٢) ذكرنا في صفحة سلفت هؤلاء الشعراء ضمن من تعدد عندهم القصيد في (أبها) انظر ص (١٠٩) من البحث ·

(٣) الشعراء الثلاثة من أشد المغرمين بـ (أبها) يبين ذلك للمجتلين من خلال طالع نتاجهم الشعري (الأرض والحب) ، (دورة الأيام) ، (أماريق) . ولا يعني هذا أن غيرهم من الشعراء لم يكن لأبها عندهم حظوة ، ولكن هذا الحكم جاء من خلال ما توافر لي من نصوص شعرية ·

ولعل من الطريف الإشارة إلى أن من الشعراء من يتلاقى في أشياء الاغتراب الثلاثة فأحمد بهكلي ، ومطلق العسيرى ، وأحمد التيهاني يتلاقون في المكان المغيب (أبها) والمكان البديل (الرياض) والسبب (مواصلة الدرس العالي) . وقد وقفنا عل هذا من خلال ما مهر به الشعراء قصائدهم وما ذيلوها به من ذكر للزمان والمكان ، وكذلك من خلال السيرة الذاتية لكل واحد منهم ·

يكـاد أن يكـون الـشاعر الوحيـد الـذي يتـساوق في نـصه الـشعري صـوت الاغـتراب المكاني ، وصوت الاغتراب العاطفي ٠

وأيـاً كـان الأمـر فلنـا مـع كـل واحـد مـن هـؤلاء الـشعراء الـسالف ذكـرهم ، وقفـة تطـول أو تقصر ، نتقرى خلالها أبياته ، ونسوقها في الإطار الذي يناسبها ٠

ولهذا نميل إلى شطر الاغتراب المكاني في (قصيدة أبها) إلى شطرين :

أ- الشوق إلى المكان منفرداً . (الاغتراب عن المكان) ٠

ب- الشوق إلى المكان المغيب وفي سياقه الشوق إلى إنسان المكان (الاغتراب عن المكان والإنسان) ٠

أ- الشوق إلى المكان منفرداً . (الاغتراب عن المكان) ٠

علوق الإنسان بالمكان فطرة تولد معه لحظة مولـده ، ليـصبح لـه المكـان منـذ لحظتـه تلـك كنفاً ينشأ به ، وقوتاً يقتات منه ، ومعيناً يغذي عروق الحياة فيه ، بل وكوناً صغيراً يـشهد حركاته وسكناته ، وعلاقاته وهواياته ، وعباداته وخلواته لا يبغي عنه حـولا ، ولا يجد في غيره بدلا ٠

وتظل هذه حال الإنسان مع المكان ، لتفجأه الأقدار ذات يوم بسبب يقضي بتحوله [1] مختـاراً أو مـضطراً . ولنـا أن نتحـسس - هنـا - شـدة نـزع مؤلمـة يجـدها الإنـسان وهـو ينفصل عن مكانٍ طالما أفاض بخيره ، ولم يظلـم منـه شـيء ، ليقـع في مـستقبل الأيـام في عنت الغربة ودوامتها ، وآثارها الممضة ، ولتعتمل في داخله مشاعر وأحاسيس الفقد ٠

ومما لا شك فيه أن هذه المشاعر والأحاسيس تأخذ - عند جمهور المغتربين - حالتين

---

(١) تتنوع أسباب هذا التحول ويأتي في الطليعة منها :

❖ السبب الاقتصادي ٠

❖ السبب الاجتماعي ٠

❖ السبب السياسي ٠

❖ السبب الصحي والبيئي ٠

❖ السبب الفكري ٠

: حالة الكتم ، وحالة البث ، وفي الحالة الأولى تظل هذه المشاعر خبيئة مكتمنة في النفس لا تجاوزها إلى غيرها ، وذلك كثيرٌ في عالم المغتربين الذين لا يملكون قدرة الأداء بلغة التعبير الأدبية ، التي تستطيع أن تستخرج هذا الشعور المكتمن من أعماق النفس ، فتصوغه موقفاً إنسانياً يجاوز الذات إلى الغير •

وهذا ما نجده في الحالة الثانية : حالة البث ، وأصدق من يمثل هذه الحالة الأدباء وأخص منهم الشعراء ، فإن لهم قدرة بالغة في حكاية هذه المشاعر وتصويرها ، واستجلاء أبعادها ليجد المتلقي نفسه متفاعلة معها ، متأثرةً بها •

والمغتربون من شعراء (أبها)[1] عانوا هذا الشعور وهذه الأحاسيس ، وتلظوا بحرها لتفيض صورتها على قصائدهم ، التي قالوها في مغتربهم متوجهين بها إلى المكان المغيب مع تفاوت ظاهرٍ نراه في حرارة العاطفة ، ولغة الأداء التي ارتسمت الصورة عن طريقها •

وهذا البهكلي في قصيدته (نجوى على البعد) وهي القصيدة الأولى التي ألهجه بها الشوق والحنين إل المكان المكين في النفس[2] ، يتوجه بها إليه يناجيه ويسأله عن مغانيه ، وأول ما يلفت في النص أسلوب النداء المتكرر في أثناء هذه المناجاة ، (يا أسطورة الوجد) (يا احتواء السحر) (يا انزراع الآس) (يا انسياب الماء) (يا انسراب الجهد) (يا أبها) • وهذا التكرار يعطي - إلى جانب دلالة البعد المكاني - امتداداً هائلاً لأحساس مغترب ، يتشوق تلك الفيوضات الشعورية ، والجماليات الطبيعية التي يتوافر عليها المكان المغيب •

ومما نشتمه في النص - أيضاً — أن الشاعر لم يشأ أن يتوقف عند استخدام (الياء) كأداة نداء وظفها أهل اللغة لنداء البعيد ، بل نراه يحاول أن يقارب ما بين حقيقة البعد المكاني وحقيقة القرب الوجداني[3] ، ليسبق - عنده - ضمير المخاطب (أنت) أسلوب

---

(١) تحسن الإشارة إلى أن غربة هؤلاء الشعراء غربةٌ وقتية عارضةٌ ، نعموا بعدها بالعود والقرار إلى وطنهم الصغير•

(٢) القصيدة في ديوانه (الأرض والحب) وقد ذيلت بالمكان والزمان : (الرياض) (١٣٩٤ هـ) •

(٣) يعمل الشوق على تنامي وديمومة هذا الشعور الوجداني لدى المغترب ، وتأمل هذا في قول العباس بن الأحنف :

يقرّب الشوق داراً وهيَ نازحة ... من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

(ديوانه : شرح وضبط /عمر فاروق الطباع ص (١٢٠) ط / ١ (١٤١٨هـ) (١٩٩٧م) دار الأرقم - بيروت -

النداء مرتين (أنت يا أسطورة الوجد) (أنت يا أبها) ويأتي الضمير - كذلك - منفرداً في البيت الخامس عشر من القصيدة ، ونلحظ - كذلك - أن الشاعر اعتمد أسلوب نداء القريب مرتين في النص مع استخدام الفعل (إيه أبها) ، وكلاهما أسلوبان أراد الشاعر من خلالهما تجلية هذه الحقيقة الوجدانية العارمة :

أنت يا أسطورة الوجد الجميـــــل ... يا احتواء السحر في ظل الخميل
يـــــا انزراع الآس في شُمّ الروابي ... يا انسياب الماء في زاهي السهول
يا انسراب الجهد في لحظـــة نجوى ... شقَّهـــــا هَمْسُ خليلٍ لخليـــل
أنت يا أبها ، وكم لا زمْت فكري ... حُلْمَ لقيا في مدى ليلي الطويـــل
كم تبعثرت وكـــــم لملمت شملي ... ومن الإلهـــــام تروين غليلي
إيـــــه (أبها) حدِّثي فالبعد مضنٍ ... والرؤى تَزوَرّ في طرف كليـــل
هل معـــاني اللهف لا زالت تنادي ... مدمن اللهّف نداء المستميـــل
تحتويـــــــه لَمضَ شوقٍ وحنينٍ ... وانثيالات هوى غير بخيـــل

ومما جاء في القصيدة :

إيه ((أبها)) رغم ما أوسعتُ نأياً ... عنك إني عائدٌ بعد قليـــــــل
مـــــا رحالي حين شُدَّت جَذُّ حبلٍ ... للتداني ما رحيلي برحيـــــــل
أنت في سوداء قلبي مثلمـــــا ... أنا في ((سوداك)) والمغنى الجميـــل
فوق صـــــدري باقةٌ وردٌ وكادي ... من (محالاتك) و(البيح) الخضيل [1]

واستحضار مسميات أجزاء المكان من مثل (سوداك) و (محالاتك) و(البيح) في النص السابق . وكما في قصيدة (منتدى الذكريات) [2] التي سنسوق بعض أبيات منها فيما أقبل من الكلام ، عادة جرى عليها الشعراء المغتربون ، يقيمون عن طريقها صورة المكان المحفورة

---

(١) الأرض والحب ص (١٥ ، ١٦ ، ١٧) جذٌّ : قطع ، السودة ، والمحالة ، والبيح : من مسميات الأماكن الجميلة في (أبها) .

(٢) القصيدة الثانية التي نقف فيها - إلى جانب قصيدة (نجوى على البعد) على ظاهرة الاغتراب في قصيدة (أبها) في شعر البهكلي .وهي في ديوانه الأول (الأرض والحب) ص (١٩) وقد ذيلها الشاعر بالمكان والزمان (الرياض) (١٣٩٥ هـ) .

في الوجدان والعقل ، مقام المكان المغيب واقعاً ، ولعلهم يجدون في ذلك سلوة وعزاء ، وهذا يدل على أن هذه الأسماء تجيء في النص لمعنى وليس لمجرد التحلية ونبقى مع البهكلي في قصيدته (منتدى الذكريات) سابق الذكر ، لنراه - وقد استحضر أجزاء المكان المغيب في سياق الحديث عن حالة الاغتراب التي تولدت من خلال البعد عن هذه الأماكن - يفرغ إلى المقابلة بين حالات النفس وهي في احتواء منها ، وحالاتها وهي في بعد عنها :

ما عرفتُ الحنين حتى تباعدت (م) … عن الأثل في شفا القَرْعــــاءِ
مــــا شكوت الخواء حتى تناءيتُ … فلم أدنُ من ربى حِجْـــلاءِ
مــــا تأسَّيتُ قبـــل بُعدي عن … نَعْمانَ مغنى الإثــارة الخضْراء
كنت والحبّ في مغانيك نحيــــا … أملاً راقياً وحلوَ رجــــاء
وأما سِّينــــا لقاءات نجوى … نثرت من يمينك المعطــــاء
صرت من بعدُ لا مســـاءَ يواتي … – بعد نأيي – بمأملٍ في لقاء
إن ليـــــلاً يَمُرّ لا أتغنى … بك فيه لموحش الأنــــاء
ونهــــاراً يجوز بي لا أزجي … حلماً فيك لهو كالأشـلاء (1)

أما علي عبد الله مهدي فإنه لم يجاوز - وهو يصور معاناة اغترابه عن أبها - المعاني التي طالما باح بها المغتربون والمعنون ، لنرى عنده (طول الليل) ، و(غلبة السهر) ، و(دنو الهم) ، و(حياة الكدر) ، و(حنين الفؤاد) ، و (غزارة الدمع) وكلها حالات تغزو النفس المغتربة فتعنيها ، فلا يملك معها الشاعر المغترب إلا أن يَسْري بعلقه وخياله إلى داره وأوطانه المغيبة ، ليُسَّري عن قلبه ووجدانه ، باستحضار أشيائها وتملي بدائعها :

طال ليلي وتولانيّ السهر … ودنا الهم وحياني الكدر
وفؤادي حَنّ في غربتــــه … فدموع العين بحر قد زخر

---

(١) الأرض والحب ص (٢٠ ، ٢١) القرعاء ، حجلاء ، نعمان مسميات لأماكن في (أبها) جميلة الطبيعة وهي متنزه إلى جانب كونها مؤهولة بالسكن ، وقد أشرنا من قبل إلى تغير (قاف) القرعاء إلى (فاء) وقد أثبتها في النص كماهي في الديوان ٠

وسرى عقلي إلى أبها التي زانها الله بوشي وثمـــــر
حليّت (أبها) بأبهى حلة زانها بالوشي تصميم الزهر

ومنها :

هاك يا أبها تباريح الجـوى يا عروس الروض يا مجلى الدّرر
لك من قلبي وفـاءً صادقاً وتحياتي وأنغامـــــاً أُخَر [١]

ويماثله في استجلاب المعاني القائمة في التراث الشعري - والتي تصور أثر البعاد - شاعرٌ آخر هو أحمد بيهان ، فقد اكتوى - كغيره - بنار البعاد ، ولم تجد نفسه ما تتلهى وتتسلى به عن حنينها إلى أبها ، البعيدة عن ناظره ، القريبة من وجدانه ، لتأخذ الشاعر حالة من الندم والحسرة على أيامه الماضيات ، وذكرياته الحاليات :

فؤادي بنار البعد محترق يكـــوى ونفسٌ أسليها ولم تعرف السلـــوى
أحن إلى أبها وأبهــــا بعيدةٌ على ناظري لكن قلبي لهـــا مأوى
ندمت على الماضي فأرسلت أدمعي على صفحتيَّ خدَّي راقصـــة نشوى
تذكرت أيامي بهـــا حين داعبت أكف الصبا خد الأقاح فما الفحوى ؟[٢]

وتأتي صورة (الثكلى) في النص - وهي صورة رادها كثيرٌ من الشعراء وهم يصورون واقع النفس الحزينة لتتلاءم مع المجرى النفسي الحزين الذي تحمله شخصية الشاعر - ليعكس الشاعر من خلالها مبلغ حنينه ، الذي جاوز حنين الثكلى فجعت بواحدها ، فلا يملك - وقد التاع وجداً - إلا الفزع والشكاية إلى الله مغيث الشاكين :

حنيني وقد ودعت (أبها) لغيرها أشدّ من الثكلى تحيط بهـــا البلوى
إلى الله أشكو لوعة الوجــد إنني أناجيه من قلبي وأمحضه الشكوى[٣]

ويتخذ أحمد إبراهيم مطاعن طريق سابقيه ، في حكاية إحساسه الذي يعاني وخز الاغتراب وتوقه العارم إلى المكان . راسماً الدلالة نفسها :

سهرتُ وفي القلب وخز الوله وهمت إلى الأفق كي أسألـــه

---

(١) علي أحمد عمر عسيري (أبها في التاريخ والأدب) ص (١٣٨) .
(٢) المصدر السابق ص (١٥٣) .
(٣) المصدر السابق ص (١٥٣) .

أمـــا آنَ للبعـــــد أن ينتهي ... بعَوْدٍ إلى موقع تقتُ لــــــه
فقــــد زاد شوقي إلى هملل ... إلى روضة الدحض والموحله

....

لأنها الجمـــال الأصيل الذي ... بها خالقي الحسن قد أنزلـــه

ومنها :

حنانيك يا طيف إنّ الجــوى ... على النفس والحس ما أثقلـــه
وهذا شراعي بجنـــح الدجى ... يسير إلى ساحل أجهلـــــــه
وطرفي شريد بأبعـــــــاده ... إلى أين ؟ والليل مـــا أطوله !
وإن غاب عني وجـــه السمير ... تـــأوه قلبي بمــــــا حُمَلَهْ
وتابع بالشوق مسرى النجوم ... وجدد بالشعر حبل الصلـــــة
وفي القلب هـــم النوى موغلٌ ... وفي الصدر روح الوفا موغله[1]

وتغمر اللوعة مطلق محمد شايع عسيري بعد أن طال اغترابه ، يتكشف لنا ذلك الالتياع من خلال الصوت (المستغيث الصارخ) الذي تحمله عبارة (أعيدوني) التي جاءت مفتتحاً لقصيدته (أبها) وتكررت في البيت الثاني معطية دلالة الإصرار :

أعيدوني فقد طال اغترابي ... وقد عانيت من مر العذاب
أعيدوني إلى (أبها) ففيها ... دوائي بعد سقمي واكتئابي

ويدرك الشاعر تساؤلاً لدى المتلقي عن هذا التلازم بين المعاناة الممضة والبعد عن المكان ليفضي به إلى السبب :

فأبها في الدنا كفتاة خـــــدر ... يهيم بحبها كل الشبـــــاب
فكم قد هام قلبي في رباهـــا ... وبين سهولها أو في الهضـــاب
وكم لمست يدي في وقت أنس ... أنامل زينتها بالخضـــاب [2]

---

(١) دورة الأيام ص (٦٧ ، ٦٨) .

(٢) للإسلام تغريدي ص (١١) .

لينتقل مباشرة إلى خطاب المكان المغيب الذي شغل فكره في أوقاته وحالاته :

أفكر فيك يا أبهـــا لأنيّ عشقتك مذ وطئت على التراب
أفكر فيك في أمسي ويومي وعند إقـــامتي أو في اغترابي
أفكر فيك في أثنـــاء درسي وأنسى أنّ في كفي كتـــابي [1]

وينتهي الشاعر إلى فلسفة عزائية تمارسها الذات المغتربة اغتراباً اكتسابياً له غاية ومقصد ، وذ من قديم الدهر ، ليصوغها بعضهم في قالبٍ كلامي ، غدا على توالي الأيام من مأثور الك وموروثه ، يتملاه ويسترفده كل من عاش هذا الحال ، ووقف هذا الموقف ، ومن مشهور يواجهنا في ذلك ما نادى به المغترب المتقدم : ((رضيت من الغنيمة بالإياب)) [2] وه عبارة - كما ترى - تعطي بعدين نفسيين أحدهما : اعتذاري يخفف من صدمة الع وقصور الهمة والآخر : تعويضي يقيم من هذا التعويض عزاءً للنفس ، فهي وإن فات م شيء قد غنمت الإياب ويكفيها :

وأدرس في الرياض وكيف أسلو وقد هاجرت عن أرض الضبـــاب
فإن وفقت كان بـــذا فلاحي وكانت فرحتي بين الصحـــاب
وإن عثرت خطا فرسي فـــإني ((رضيت من الغنيمة بالإياب)) [3]

وتأتي (أبها) منتظمة في سلك الأمكان الجنوبية التي فارقها عبد الله بن عبد الرحمن الشه ليكون لذلك في نفسه وقع الفجيعة الموجعة ، والأسى المر ، ونستطيع أن نتلمس ذلك الأس المتواري في النفس ، من خلال الأفعال الماضية التي جاءت في مطلع بعض الأبيات ، وه أفعالٌ تحمل شحنة متقدة بالأسى ، وتفضي بعتاب قاس لما فرط ، و تتبدى خلال هذه الأبي بعض صور وصفات المكان والتي لا بد - معها - أن يعشق الشاعر المكان ويحزن لفراقه :

أبكي الديار وليس يسلو المدمع أزف الرحيل عن الجنوب أودّ ع

---

(١) المصدر السابق ص (١١ ، ١٢) .

(٢) شطرُ بيت لامرىء القيس وتمامه :

وقد طوفت بالآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

ديوانه : ص ٧٣ ط / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م دار بيروت للطباعة والنشر (وأصله في الأمثال) .

(٣) للإسلام تغريدي ص (١٢) .

ودعت من أبها البهيّة والجوى في القلب من حرِّ الصبابة موجع
ونأت بي الأقدار نازحة فكم بتُّ الليالي ساهراً أتوجـــــع
غربت بي الأسفار عن دورٍ لها عز المكانة والمقام الأرفـــعُ
ورحلت عن طللٍ به متنفسي وجذوره في القلب مني ترضع
خلَّفت أرضاً تزدهي أطوادها وسماؤها غيمٌ بوبل همـــــعُ
وتركت جنات تفيض روافداً الشهد يهمي والزلال المنبعُ [1]

والمطالع لما سقناه من النصوص - بتمامها - في مظانها التي أحلنا إليها ، يلحظ تلاقياً - ورغم التباين في تشكيل الصورة ودرجة الانفعال - في حالة التفجع التي تبدت في أثناء تصوير الشعراء لحالات ذواتهم المغتربة ، كما أنه يلحظ تلاقياً آخر في مردود هذا الإحساس المغترب على لغة الشعراء وأدواتهم التعبيرية .

وثمت ملحظ أخير يأتي من توافق هذه النصوص في المزج ما بين الشوق إلى المكان المغيب ، وجماليات الطبيعة التي يحويها ، ليأتي في سياق ذلك إرتدادٌ إلى الماضي الذي يسبق زمن الاغتراب ، لاسترجاع الذكريات ، واستدعاء المواقف من الماضي إلى الحاضر ، وهذا الاستدعاء - ولا شك - ((ضربٌ من الاستجابات تثيره تنبيهاتٌ مختلفة)) [2] وهي هنا الشوق والحنين ، وقسوة الفراق ، وألم الوحدة والاغتراب وكلها ((انقلاب داخلي يرتبط أقوى ارتباط بظاهرة التذكر)) [3] أما وقفتنا الأخيرة في هذا الجانب فستكون مع نص تولد من حالة اغتراب [4] ، وهذه هي نقطة التوافق التي يلتقي فيها مع النصوص السابقة ، لكنه يفارقها في خفوت لوعة الفراق ولا عج البعاد ، حتى لا نكاد نرى لهما في النص مردوداً ولا أثراً ، حيث آثر

---

(١) عبد الله الشهري (زورق الأحلام) ص (٣٧ ، ٣٨) ط /١ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م مطابع الحميضي .

(٢) د . يوسف مراد ((مبادىء علم النفس العام)) ص (٢٢٣) ط / ٢ ١٩٥٤ م دار المعارف - مصر -

(٣) د . عبده بدوي . (الغربة المكانية في الشعر العربي) مجلة عالم الفكر ص ٣٤ م / ١٥ ع / ١ ١٩٨٤ م - الكويت - وتأمل هذه القاعدة النفسية في قول ابن الجهم :

يشتاق كلُ غريبٍ عند غربته ويذكرُ الأهل والجيران والوطنا

[تكملة الديوان ص ١٨٤]

(٤) جاء مرقوماً في مقدمة القصيدة ما نصه : ((كتبتها وأنا بعيدٌ عن أبها وخارج أرض الوطن الحبيب))

أحمد عبد الله عسيري - وهو يتشوق أبها – في قصيدته (معشوقة الشمس) أن ينصرف عن حديث الغربة وشكوى البعاد ، - وهما ما جرت عليه عادة الشعراء المغتربين - إلى استحضار صورة المكان المغيب ، وجعلها إزاء صورة المكان البديل ، لنشتم في أثناء هذا الاستحضار نوعاً من المقابلة الخفية بينهما ، والتي فرضت بدورها جماليات وميزات (المكان المغيب) لتأخذ امتداداً كبيراً في بنية النص :

من رعشة الريح في ليل الصبابات … وضحكة الصبح في ثلج احتراقاتي
قطفت من شفة الريحـــان أغنيتي … وصغت من زهرة الرمان أبياتي
حملت من سحر أبها ألف رابيـــة … وفي عيوني تعرت كل واحــــاتي

ويتوجه الخطاب إلى المكان المغيب :

معشوقة الشمس صبي في محاجرنا … ضوء القناديل في نهر الحضـــــارات
وأيقظي الفجر إذ تلهو حدائقـــــه … ويشعل (الطَرْق) أوراقي وغابـــاتي
استغفر الله يا أبهـــــا فواخجلي … إذا نكثت بعهدي للحبيبـــــــــات
بأن أغض عيوني عن مفاتنهـــــــم … في لفتة الجيد أو شهـــــد اللذاذات
جمال أبها له إيقاع ساجعـــــــــة … في هجعة الليل أو طل الصباحـــات
وفي بلادي عفافٌ جل واهبـــــــه … أنقى من العشب في حضن المساءات

لتنساب بعد ذلك بعض جمالياته الفاتنة :

قبائل الشعر من قرعائنــــا نبتت … وسودة الزهر مصباح العشيــــات
وركضة الغيم في دلغـــان تطربني … ونفحة الشيح في كف المليحـــــات
طفولة الصيف تلهو فوق مبسمـــه … سنابل الحقل أو رقص الفراشـــات
وبـــارد الغيث في الغدران يغسلني … ويزرع الشوق في حسي وفي ذاتي
قارورة العطر في (أبها) لكم وطن … وفي الحنايا لكم أبهى التحيـــات
وطائر الحب يشدو في مرابعهـــــا … عذب الأغاريد في طلح وأثلاث

يا مرحباً ألف من أهلي وديرتنا   من مهبط الوحي من أرض الرسالات [١]

ولعل الشاعر - أيضاً - رأى في استدعاء هذه الصور الجمالية الموحية إلى عالمه المغترب ما يبرد فيه لظى الغيبة ، ويستحث منه خطا الأوبة . فكان أن جعل الغاية من القصيدة هو التعزيّ بتتبع جماليات وأشياء المكان المغيب ٠

ب- الشوق إلى المكان المغيب وفي سياقه الشوق إلى إنسان المكان : (الاغتراب عن المكان وعن الإنسان)

مر بنا أن الشاعر النازح عن المكان (الوطن) لا بد أن يعاني من حالة الاغتراب ولا بد له من الوقوع في دوامته ، مما يدفع به إلى اللوذ بجناب الشعر يتسلى برسم جماليات المكان المغيب ، ويتشاغل بالارتداد إلى الماضي يستحضر صوره الحالية ، وهذا ما ارتفع عنه النظر في الصفحات السابقة ، وفي الشطر الأول من شطري الاغتراب المكاني ، التي اعتمدتها في هذا المبحث ٠

وعندما يقع النظر على الشطر الثاني ، فإنه يظل في داخل هذه الدائرة - وأعني بها دائرة الاغتراب المكاني - ولا يخرج عن فضائها ، ولكن الجديد أننا نحاول أن نتلمس في هذا الفضاء خيوط نوعٍ آخر من الاغتراب ، وهو الاغتراب العاطفي الذي توزع داخل الاغتراب المكاني ٠

وعندما يطلق مصطلح الاغتراب العاطفي فإنما يُراد به : ذلك الإحساس المؤلم الذي يعانيه الشاعر المغترب ، وهو يفقد الاتصال أو التواصل مع إنسان المكان المغيب أياً كانت صفته ، ليحاول - وهو يموج في أتون الفقد - إيجاد كوة في هذا المحيط السالب يتنفس من خلالها نسم الأمل ، لنراه يستدعي شخص هذا الإنسان المفقود من المكان المغيب ، ليقيمه في عالم اغترابه يناجيه ويستشرف معه لحظات العود ، وساعات الإياب ، وكأنه بذلك يؤكد أن حال بعده لا ينسيه أهل وده ٠

---

(١) القصيدة ضمن أوراق مخطوطة تحصّلت عليها عن طريق الشاعر والمعروف أن أحمد عبد الله عسيري لم يظهر له حتى الآن ديوان مطبوع ، رغم وفرة نتاجه ، وكثرة جياده ، ولعل ذلك يعود إلى قناعات خاصة وقد أوقفني على بعضها ٠

وسنحاول هنا أن نتمثل ذلك في قصيدة (أبها) ، وذلك من خلال ما تحصّل لنا من النصوص ، ويبدو أن صحبتنا لأحمد عبد الله التيهاني كواحدٍ من شعراء الدراسة ستمتد - بعض الشيء - امتداد الاغتراب العاطفي داخل قصائده التي تتشوق المكان وتشكو بعاده [١] ، فالتيهاني - وكما أشرنا من قبل - يكاد ينفرد بهذا البعد العاطفي المصرّح به على امتداد القصائد التي جاءت تليه بعضها في ديوانه الأول (أماريق) • فالشاعر وهو في مغتربه ، يخلص منفرداً مع ذاته التي أُفْعِمت حزناً بعثته رموز الفقد التي لا يفتأ الشاعر يذكرها ، ليرى عزاءه - وهو في داخل هذه العزلة - في حروفه الملتهبة في داخله ، ليبتنى منها سؤالاً ينفض به قتام الغربة الذي يكاد يخنقه :

كيف حالُك ؟

كيف حالُك ؟

أتناسى ..

أتوارى من حنيني

في سطوري ..

ومسائي ..

وبحوثي ..

وبطاقاتي النثيرة

أتعزّى بحروفي ..

من عيون الحزن تنساب الحروف ..

تنفض الغُربة عن صدر الغريب ..

فيموت الحزن .. أو ..

تحيا الحروف

---

(١) مما لاشك فيه أن الشعراء الذين سقنا شواهد لهم في الشطر الأول من الاغتراب المكاني كان ضمن تشوقهم المكان الشوق إلى إنسانه ، وإن لم يصرحو بذلك التصريح الذي نجده عند التيهاني •

أو يفيض الشوق من قلب كئيب [١]

ويرتد السؤال ثانية ، لتتقابل خلفه صور تحكي سوداوية البعد ، وبياض الأمل وذكريات تستجيش الحنين [٢] إلى المفقود الماثل في الوجدان بشخصه وبكل ما يذكر به ، - ولا ريب - أن الحنين إلى المفقود يرمز إلى معنى أشمل وأكمل ، وهي الحياة الاجتماعية الهادئة ، والتي تنعدم في عالم الاغتراب :

كيف حالك ؟

لا ترْيدي .. آهةً تنداح في ضيق المكان ..

تثقب الوحدة من كل الجهات ٠

فتزيح الستر عن ليلٍ كئيب ٠

شاحب الوجه قبيح اللفتات

جوفه :

بُعدٌ ..

وأشواقٌ

وحنينٌ ..... وحنين

وإرتعاشات إضاءه

في مساءات الكآبه

وجه أبها ..،

وعيونك .. ،

وصغيري ٠

وبقايا العطر في ثوب الرحيل [٣]

وهنا يتساوق المكان والإنسان في بوح الغربة عند التيهاني ، لنرى (وجه أبها .. وعيونك

---

(١) أماريق ص (١١) ٠

(٢) لا خلاف في أن الغربة رأس المحرضات التي تتدافع في جنبات النفس لتبعث نزعة الحنين الكامنة فيها ٠

(٣) أماريق ص (١٢ ، ١٣) ٠

.. وصغيري) تصطف في إطارٍ واحد لتمثل رموز الفقد المعنية التي يتشوقها الشاعر ويتلهف أن يكون في حضرتها ، ، ونستطيع أن نقف على مبلغ هذا الشوق المتلهف من خلال تأمل حال الشاعر وهو يتسلى بذُمَامَة عطرٍ يجدها في ثوب الرحيل ، الذي شهد وداع الإنسان والمكان .

ويكر السؤال أخرى لتأتي خلفه صورة التطاحن الذي تشهده مساحة النفس ، بين نوازع الطموح ، وجواذب العلاقة بالإنسان والمكان المغيَّبَيْن :

كيف حالك ؟

أتمزق .

بين أبها ..

وطموحي ...،

وحنانك . (١)

ويكفي أن نقول : إن في هذه السؤالات المستفهمة ، ما يكشف عن انفعالٍ تتخفى داخله عاطفة مغتربة ، تعاني الفقد . كما يكشف عن تصاعد عاطفة الحنين لتعدد دواعيه في النص .

ويبدو لنا هذا التساوق مرة أخرى في قصيدة (هناك) التي ارتسمت في إطارها صورتان : صورة الحبيب المتوجع من مس البعاد عن الحبيب ، وصورة المجد الذي يصنعه الطموح وركوب المشقة ، لينجح الشاعر عن طريق الصورتين في تجلية موقفه النفسي ، فهو بين سيل من الشوق يدفع به إلى هناك ، حيث المكان والإنسان ، ويدٌ من الطموح تصفع فيه شوقه ، وتستبقي منه همته ، ليظل في وسطٍ ملتهبٍ تؤججه ذكرى المكان والإنسان ويذكيه طلاب المجد ، وتأمل معي قبل أن نلقي بالنظر داخل أشطار القصيدة في عنوانها (هناك) الذي يأخذ أسلوباً إشارياً يرمز إلى اشتغال الذهن بالمكان المغيب : يقول التيهاني :

وراء بحار كثبان الجزيرة	**هنـــاك يموت لي إلْفٌ حبيبُ**
بنفسي دمعةُ من قبل بُعدي	**فكيف اليوم يسكنه النحيبُ ؟!**

---

(١) السابق ص (١٣) .

تدافعني إليه سيول شوقي | فيصفعني الطموح فـلا أجيبُ
فبين المجد والأحباب نـار | أنا فيهـا المحرَّقُ واللهيب
تؤججني نـداءات الروابي | وَطَلٌّ الليل والجَبَـلُ المهيبُ
وتحملني رماداً نحو أبهـا | فتذروني .. لتجمعني الدروبُ

لننتهي في البيت الأخير مع صيحة الحزن وصوت الذات الصارخ ، ينادي بالحقيقة التي غابت لحظة شرود ذهني ، لكنه صراخ لا يجاوز صداه جنبات النفس ، لتعالج وحدها الشوق والحنين :

بباب الذكريات يتيه حسي | ولكنيّ أفقتُ .. أنا غريبُ [(١)]

وتعاود هذه العاطفة المغتربة التيهاني ، وقد أظله رمضان في مغتربه ، ولعله الزمن الرمضاني الأول الذي يعيشه الشاعر في حال من الاغتراب المكاني ، لتصنع غربة المكان غربة الزمان ، فهو ذا في قصيدة (رمضان في الزمن الخصيب) يصور حالة نفسه وقد وافى هذه الشعيرة بعيداً عن (أبها) ، والملحوظ أن الشاعر آثر الارتداد إلى الماضي ، ليصور لنا رمضاناته الخصيبة ، وهي صورٌ تنمو وتتناسل في النص نمو وتناسل الشعور الذي يعيشه الشاعر ، والذي يختلف من زمن إلى زمن [(٢)] لتتولد في النهاية الصورة القاتمة التي فرضتها أجواء الاغتراب ، ليأخذ معها رمضان بعداً آخر ، فهو - وإن ظلّ شهراً روحانياً - يفتقد (أبها .. وعينك .. والحياة) :

ونما الشعور ..
حتى أتى زمنٌ كئيب
رمضان ..
إفطارٌ على ريح الرِّمال
رمضان ..
أشلاءٌ تفرِّقُها الفلاة ..

---

(١) السابق ص (١٧) .

(٢) انظر القصيدة بتمامها في ديوانه أماريق ص : (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) .

رمضان ..

موت وانتظار ..

فهناك في الجبل المهيب ..

أبَا .. ،

وعينك .. ،

والحياة .[1]

ولعل في المقابلة بين رمضان الماضي ، ورمضان الآني في النص ، وكذلك تحول دلالات الزمن ذاته واعتماد المفارقة التصويرية أداة لرسم المشهد النفسي المغترب ، ما يجلي حالة اغتراب ممضة ، تنكرَّت معها الأشياء ، وتغيرّت مذاقاتها .

ونقف أخيراً مع قصيدة (تقاسيم الأبوة) ، والتي تجسّد - بدورها - غربة العاطفة وغربة المكان ، لكن ظاهرة الاغتراب تأتي هنا في صورة مغايرة للصورة التي أتت عليها في النصوص التي سلفت ، من حيث توحد المفقود هنا وهو (الصغير) وإن كان هذا (الصغير) يمثل حالة الفقد العامة التي تحوي شتى المفقودات التي تعلقتها نفس الشاعر ، كما أن المغايرة تأتي - أيضاً - من حيث الطريق الذي اختاره الشاعر ليؤدي من خلاله المعنى الذي يجيش في نفسه ، وهذا الطريق اعتمد الشاعر فيه المجاورة بين إحساس الصغير الذي يحويه المكان المغيب ، وإحساسه هو في المكان البديل الذي يعاني فيه الاغتراب ، وبمعنى آخر إستطاع البث الشعري داخل النص ، أن يحمل دفق الذات الصغيرة (الطفل) التي تفتقد حنان الأب ، ودفق الذات المغتربة (الأب) التي تفتقد حنان المكان بكل معطياته ، لننتهي معهما إلى استجلاء حال الذاتين :

يا صغيري ..

لست تدري .. !!

ما تقاسيمُ الأبُوَّة

في زمانٍ ...

شانه صِدْق الطّمُوحْ

---

(١) السابق ص (٣٠) .

لست تدري

كيف يغريني الحنين ؟

باختراق الأفق عدواً للجنوب ..

كي يموت الويل في هذا المكان ،،

بهروبي من مساءات الهروب

وانتفاضات الرِّمال

لست تدري .. !!

يا صغيري ..

لست تدري .. !!

ما الحنين ؟

إنه الموت لماضينا الجميل ..

وابتسامات السعادة ..

في العيون الأهوية ..

وانسكابات المحبّة ..

من ينابيع الجمال ..

لست تدري .. !!

ياصغيري ..

جئت في عام التروح ..

عن ملاك الطهر

عن خضر السفوح ..

عن لذيذ الهمس .. والقلب السموح

كم يعذبني التروح ..

لست تدري .. !! (١)

---

(١) السابق ص (٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩)

وفي ذات النص ، وفي المقطع الأخير منه يحاول الشاعر أن يبرد الوهج المضطرم في الوجدان وذلك باللجأ إلى التنفيس والتسويف ، واستشراف المستقبل وكل ذلك توفره (سوف آتي) التي تكررت في المقطع ثلاث مرات ، ولأن سوف يتسع معها المستقبل ، فإن الشاعر - وتحت دافع الإصرار المتلهف للقاء - يقطع ذلك التسويف بالانتقال إلى (السين) التي تفيد مع الفعل معنى القرب ، وتوحي بوَشْك التلاقي وهو ما نراه في عبارة (بل سآتي) وهو انتقالٌ بديعٌ ، أوقفنا الشاعر من خلاله على إحساس هائل ، يحمل الرغبة في العود والتلاق :

يا صغيري ..

سوف آتي ..

شامخ القامة

مغسول الحنين

حاملاً تحقيق آمال السنين

فهي شحذٌ لحياتي ..

يا صغيري ..

سوف آتي ..

سوف آتي ..

بل سآتي . (١)

ومما يلزم أن نقرره هنا ، ما لحظناه في قصائد التيهاني - التي سقت شواهد منها فيما سبق - من تقابل متقاتل بين نزعة التوق ، وعزمة الطموح وهو مما يحسب للشاعر الذي استطاع توظيف هذا التقابل ، ليحكي ذات نفسه المغتربة ، والتي هي شهيدة (٢) هذا الصراع ، وقعيدة هذا الألم . إلا أن هذا البوح الذاتي ، افقدنا بوح الذوات المفقودة التي طالما أثر اغتراب الشاعر باستثناء ذلك البوح الطفولي الذي جلاه الشاعر في قصيدة (تقاسيم الأبوة) (٣) عن طريق

---

(١) السابق ص (٤٠) .

(٢) أي شاهدة عليه .

(٣) أماريق ص (٣٧) وما بعدها .

حكاية الشعور الذي تحمله النفس الصغيرة مبغومة النداء .

وإذا تركنا التيهاني إلى غيره ، فإن وهج هذه الظاهرة سيخفت ، ويفقد توهجه الذي لمسناه هناك ، إلا أن ظاهرة اغتراب العاطفة تظل قائمة ، تلقي بظلالها على معاني الشعراء ، ومنهم أحمد إبراهيم مطاعن ، الذي فارق أبها إلى الساحل الشرقي ، لنجد له في قصيدته (لوحة) أبياتاً تسير في هذا النسق وتموج فيها حركة النفس المغتربة ، لتتفجر داخلها استفهامات حائرة ، تلاحق - تارة - الأشياء المفقودة تتشبث بها ، وتارة أخرى تبحث فيما حولها من الموجودات فلا تجد ما يسكن لوعة الفراق ، فراق الإنسان والمكان ، وهما بؤرة الشوق المضطرمة في داخلها :

أقولُ إلى أين يضحي المـــدى ... وأين أغني وأين الصـــدى
وإن أقفر الروض مـــن فاتني ... فأين يكون لنـــا المنتدى
أحيث طفقنا نناجي الزهـــور ... ونرشف من وجنتيهـا المدى

وإن أسدل الليلُ حولي الستـــار ... وسارت نجوم السما في المدار
أأسري بليل بعيـــد الرؤى ... حزين المعـاني شجي الحوار
وأرعى على البعد ومضى السمير ... ولو ناء عني وامْدَى المســار
لكي أبعد القيد عن خـــاطر ... وطيف يعيش حبيس النهـار

****

أم البحرُ أفضيـــه انشودتي ... وانظم للبـــدر ترنيمتي
واكتب في ضوئه أحرفـــا ... تمد الضيـــاء إلى مهجتي
لأني برغمي ورغـــم الجوى ... ورغم عَذُولي مـــع لوعتي
تركت غزالاً بتـــلك الربا ... يحن بشوق إلى عـــودتي [1]

ونخلص - من هذا - إلى القول : بحتمية الصراع النفسي ، بين عاطفة المغترب المشحونة بحب مفقودة ، وحالة الاغتراب التي يعيشها ((فالحب التقاء وجداني ومادي ،

---

(١) دورة الأيام ص (٧٠ ، ٧١) .

والغربة افتراقٌ وجداني ومادي)) [١] وبهذا فلا توافق بينهما في طبيعة النفس ، لتضطر معهما إلى المغالبة والمعالجة .

فرحة الإياب بعد اغتراب :

كنا فيما انقلب من الصفحات ، نتقرى ونتأمل موقف الشعراء من حالة الاغتراب المكاني والعاطفي ، وقد أوقفنا ذلك على شعور متحسر ، وإحساس متألم ، وشوق متدافع بين جهات النفس ، وتوق عارم إلى الأوبة

ونريد - وقد تجلت لنا حالات النفس المغتربة تلك - أن نقف على نقيض تلك الأحاسيس والمشاعر ، لنتلمس أحاسيس الفرح ، ومشاعر المرح ، التي وافت تلك النفس ، وقد تقشع عنها قتام الاغتراب ، بنسائم الإياب .

((والواقع أن الاغتراب إذا كان داعياً من دواعي الإثارة والتهييج والتلذيع بالذكريات فإن (العودة) من الغربة ، والفرحة باللقيا بعد الغياب قد تكون داعياً آخر من دواعي المسرة والغبطة التي لا يجد الشاعر أو الكاتب مفراً من التعبير عنها)) [٢] وشواهد ذلك كثيرة في شعر العربية ونثرها ، بل نرى كثيراً من ذلك النتاج ، يؤثر عنوانات تفضي بدلالات المسطور داخل النصوص ، وتعكس زخم ما تحمله تلك النصوص من معاني البهجة والسعادة من مثل (عودة) (الإياب) (نيل المنى) (فرحة العودة) ، (لحن العودة) ، (عودة الغريب) [٣] .

ويكفينا لكي نجلي مثل هذا الشعور والإحساس المغتبط في قصيدة أبها ، أن نقدم شاهدين لشاعرين وقفنا من قبل على ألم الاغتراب ، وسعير الشوق في بعض النصوص التي تولدت عندهما ، وكانت نتاج حالة اغتراب ممضة وهما : أحمد بن يحيى بهكلي ، وأحمد بن عبد الله التيهاني .

فالبهلكلي تتحقق له أمْنِيّة العود ، وفرحة الإياب ، بعد أن استطالت عليه ليالي الغياب [٤] ، لنراه

---

(١) ماهر حسن فهمي (الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث) ص (٢٣٣) .

(٢) محمد عبد الغني حسين (جوانب مضيئة من الشعر العربي) ص (٢٠) .

(٣) هذه العنوانات لقصائد وقفت عليها وأنا أفاتش كثيراً من الدواوين الشعرية لشعراء سعوديين وغير سعوديين . ولا شك أن هذه العناوين جاءت مرهصة بدلالات النص الداخلية .

(٤) مقياس الطول هنا (حالة النفس) وليس طول الفترة فالأيام الحالية تمر خفافاً والمريره تمر ثقالاً . وممن أجاد في جلاء حالة النفس هذه أبو تمام بقوله : =

- وقد عاد - يشدو بألحان السرور ، مصوراً شوقه وتلهفه وهو في طريق العودة إلى أبها ، لتجيء في صوره (خطاه تكاد تلتهم الطريق) وصورة (الرؤى تنثال في ناظريه) متسارعة (كطيف الهوى) وصورة (غادات الحلم) التي أشرقت بإشراقة المكان ، هذا المكان الذي تموت على سدته داعيات الأسى وتحيا نبضات القلوب :

فتاك أتاك يا أبها مشوقـــــــا	تكاد خطاه تلتهم الطريقـــــــا
وتنثال الرؤى في ناظريــــــه	طيوف هوى ، وتحناناً عميقـــــا
تراقص فكره غادات حُلـــــم	نماها ربعك الأغَنى شروقـــــا
فتاك - وليس غيري يا هُيامي -	أتاك يميت فيك أسى عتيقـــــا
ويحيي خافقاً طالت عليـــــه	أماسي النأي فليرجع خفوقـــــا

ومنها :

فتاك - خضيلة الأنداء - أوفت	به ريح تجوزبه الفروقـــا ..
وها هو فيك أمسِ حنين لقيـــا	ويوم لقاً يروم غداً أنيقـــا[1]

ولعل هذا التضايف بين الإنسان والمكان في عبارة (فتاك) ، التي تكررت ثلاث مرات ما يعطي - إلى جانب ما توحي به من قوة العلاقة وشدة الارتباط - دلالة صدق عاطفة الفرح الناشئة من حالة الإياب والعودة ، وهي عاطفة امتدت امتداد النص •

أما أحمد عبد الله التيهاني ، الذي عاين لحظات الاغتراب ، وعانى لذعاتها ، فنجده في قصيدته (عودة) يستدرج ألفاظاً بعينها ، ويوزعها في نصه ، ليستطيع من خلالها الإفاضة بمشاعر الفرح التي انداحت في داخله ، تغسل حوبة الاغتراب التي ولدت الألم والترح ، وأول ما يطالعنا - من ذلك - طالع القصيدة والذي يلتقي مع طالع قصيدة البهكلي التي سلف ذكرها ، من حيث تعمد إقامة صورة (الالتهام) الذي تمارسه النفس العجلى - وليس غيرها - مع مراحل الطريق ، وتعجّل النفس للمكان عند التيهاني ، نتاج حنين مستعر

=

أعوام وصل كاد ينسي طولها	ذكر النوى فكأنها أيـــام
ثم أنبرت أيـــام هجر أردفت	بجوىً أسىً فكأنها أعوام

(ديوانه : ص ٢٦٣) .

(١) طيفان على نقطة الصفر ص (١٣٠ ، ١٣٢) .

واغتراب ممض ، بمعنى أننا نستطيع أن نستجلي للذات هنا حالتين : حالة راغبة تسعى عجلة إلى المكان الذي أسكرها حبه ، لتفرح بلقائه ، وحالة راهبة تولي هاربة من المكان (البديل) الذي أخذ بسبب عناء الغربة وشقاء البعاد طابع السلبية وأنطبعت صورته في البيت الثالث والرابع بما يوافق المناخ النفسي للشاعر :

أتيت إليك ملتهمـــاً دروبي ... لأنفض مـــا تبقى من ذنوبي
مخافة أن يذيب الإثم روحـــاً ... يعاودهـــا الحنين إلى الجنوب
أتيت إليك والدنيـــا كثيبٌ ... تلاعنـــــه أعاصير الهروب
أتيت إليك يلفظني شمــــالٌ ... سَمُوميٌّ كأنيــــاب اللهيب
وفي لغتي مســـــاءٌ أبهويٌّ ... يقبِّل رأس طمَّـــــاح مهيب
يداوي جرح سيدة الأماسى ... ويمسح حبر تاريـــخ الخطوب
أتيت إليك يسكـــرني حنينٌ ... عسيريٌّ تعتق في القلـــــوب
ففي ملهاك سيدتي جنـــونٌ ... ينادم عقـــــل أبهي غريب (١)

وأكثر ما تتمثل لنا عاطفة الفرح بحرارة بالغة ، في ذلك الأسلوب التكراري لعبارة (أتيت إليك) التي جاءت مفتتحاً لأربعة من أبيات القصيدة ، وهي عبارة تستبطن داخلها مدافعة بقايا الأسى ، ورسيس اللوعة ، بحقيقة اللقاء والرجوع ، لننتهي في آخر النص إلى حالة تشبث بالمكان ، جاءت رجعاً ومردوداً لحالة الاغتراب :

أيا أرضاً لثمت بهـــا شموساً ... يقدسن اللجوء إلى الحبيب
فديت ((الشث)) والأرجاء حتى ... أموت شهيد أبهائي وطيبي (٢)

---

(١) ديوان (فاعلاتن) مخطوط : ص (٥٧ ، ٥٨)

(٢) السابق ص (٥٩) - والشث : نوع من النبات ٠

٢- الاغتراب النفسي (غربة الواقع) ومنزع الهروب إلى الطبيعة :

((الاغتراب هنا ليس اغتراباً مادياً عن طريق الرحيل ، وإنما هو اغتراب روحي يتمثل أكثر ما يتمثل في عدم التكيف الاجتماعي والنفسي)) (١) بمعنى أن الفرد يشعر ((بالصراع القائم بينه وبين ذاته أو البيئة المحيطة به والمحبطة له ، بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء وتزايد القلق)) (٢) وهذا النوع من الاغتراب ، قائمٌ في الفكر السالف ، نجد ما ينهض بذلك في بعض نتاج الأقدمين كأبي حيان التوحيدي في أكثر تآليفه (٣) ، كما نرى ذلك بادياً في تأليف المتصوفة وفي فلسفة الحياة لديهم .

وإذا جاوزنا ذلك إلى فضاء الشعر الحديث ، وجدنا أن شعراء المهاجر الأمريكي يكادون يكونون المقدمين في هذا الجانب على غيرهم ، ليصبح الاغتراب بهذا المفهوم ظاهرة مائزة من ظواهر الشعر المهجري ، إلى جانب منزع الهروب إلى الطبيعة ، وكأن هذا الهروب - عندهم - نتيجة لذلك الاغتراب (٤) .

ولم تبق هذه الظاهرة لازمة من لوازم الشعر المهجري بل تعدته عن طريق التأثر إلى كل شعراء الاتجاه الوجداني في الشعر العربي ، أو ما يعرف بالرومانسين العرب ، ((وشيوعها في الشعر العربي ، بعد مدرسة المهجر ، يجعلها حقيقة عادية ، ومظهراً مألوفاً))(٥) فقد أصبحنا نرى تلازماً بين اغتراب الذات والطبيعة ، عند هؤلاء الشعراء المغتربين روحياً ومادياً ، ليقبلوا على الطبيعة يطلبون فيها متنفساً ، ويبحثون فيها عن ما يعوضهم عن مجتمعهم الذي ضاقوا منه ، وحياتهم التي سئموها .

---

(١) ماهر حسن فهمي (الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث) ص (١١٠) ، وانظر كذلك د. عبده بدوي (دراسات في الشعر الحديث) ص (٢١) ط / ١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ذات السلاسل للطباعة والنشر - الكويت - .

(٢) أحمد محمد (الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية) ص (٢٥) رسالة دكتوراة جامعة القاهرة ١٩٩٢ م .

(٣) انظر في ذلك د. بركات محمد مراد (أبو حيان التوحيدي مغترباً) مرجع سابق .

(٤) انظر في ذلك د. إحسان عباس و د. محمد يوسف نجم (الشعر العربي في المهجر) ط / ٣ ١٩٨٢ م دار صادر - بيروت - .

(٥) السابق ص (١٢٩) .

وحتى لا نتوسع في جنبات هذا القول - والذي ليس هذا مكان الاسترسال فيه - نتلفت ثانية إلى (قصيدة أبها) ، لنتسمّع صوت الذات المغتربة فيها ، وهو صوتٌ ينبعث من أثناء هذه القصيدة وليس من كلها ، فالقصائد التي سنجتزئ شواهد منها في هذا السبيل ، لا تأخذ سمة الاغتراب الروحي في مجملها ، وإنما هو صوتٌ نسمعه في مقدمة القصيدة ، أو في أثنائها ، أو في ختامها ، ليأخذ بذلك مساحةً ضيقة من المساحة الكبيرة التي استغرقها وصف جماليات المكان وميزاته الأخرى[1] .

ففي قصيدة (أبها) للشاعر معيض البخيتان - والتي جاءت عدة أبياتها أزيد من أربعين بيتاً - نستطيع أن نسمع في بعض هذه الأبيات ، صوت ذاتٍ تعاني اغتراباً روحياً ، وذلك من خلال التشكي الذي تحمله هذه الأبيات ، ومحاولة الشاعر إيجاد متنفس في فضاء المكان ، الذي يحمل له ذكريات حالية وسعيدة ، ولأجل إيجاد ذلك المتنفس ينصرف الشاعر في قصيدته إلى تصوير المكان أكثر من انصرافه إلى الكشف عن ذاته :

يارَوابي (أبها) ومن لي بأبها ... وهي ما بين نابضي وهتافي !!
حدثيني ففي دمائي اختناقٌ ... ووعودٌ مجنونة وتجافي !!
ودروبٌ تغوص في كل عرقٍ ... متعب الإمتداد جهم المنافي !!

ومما جاء في القصيدة :

أنت يافتنة (السراة) وروحي ... سرويٌ وغربتي واكتشافي !!
وضياعٌ يقتاتُ ذرات عمري ... آه .. من عتمة الدليل الجافي !!
أمن العدل أن أهوّمَ وحدي ... كم محبٍ مثلي مضى لم يوافي ؟!!
طوحتني الأيام واستنفدتني ... فامنحيني شيئاً من الإنصاف !!
وانفخي طينتي نقاءً وشدي ... جبهتي واعجني الثرى بالسلاف !!
واعلمي أنني أموت وأحيا ... إثر جوقات وحشةٍ وتجافي !!
فاقرئي هذه التجاعيد حولي ... تتهاوى ما بين طاوٍ وخافي !!
تترامى شفاهها مجهشات ... بالمرير المجتاح بالآلاف !!
يا ربيع السراة صدراً نضيجاً ... وسوار مجدولة الأطراف !!

---

(١) لأن ذلك هو الموضوع الشعري الأساس الذي جاءت لأجله القصيدة .

للحنين الذي فطرت عليـــه　　وخوابي الظما على الأكتاف !!
كل معنىً ومـــــا إخالك إلا　　من حنيني خبيئـــــة العراف !!
أدركيني بالحبّ شـــوقي أثيرٌ　　فانفضي مجمر الرماد الطافي !![1]

ويرتفع هذا الصوت عند خالد الحليبي في قصيدته (أبها .. حنانك) ، ولعل في العنوان ما يشي بذلك ، لتأتي طليعة الأبيات بعده ، وهي تنادي بهذا الاغتراب الذي يعيشه الشاعر والذي أشغله - كثيراً - عن وصف المكان وتصويره :

مدي لقلبي من فيض الرؤى سبباً　　فقد طغى الموج في دنياي واضطربا
أبها أبت قرية التحنـــــان تقبلني　　ضيفاً عزيزاً فجودي وامسحي التعبا
لا تنكري غربتي فهي التي بقيت　　في الروح والحب لا يعرف النسبـــا

ويزداد إحساس الذات بالاغتراب ، وهي تعيش رهبة العالم المحيط بها ، وتنكر تصرفات أفراده :

أبها حنـــانك بي لا تتركي نظري　　يهيم في عالم الاشباح مرتهبـــــا
كل الذين تداعوا نحـــو مأدبتي　　كم يشتهون عليها خافقي رطبـــا
والقوم ما بين أفاك وطاغيـــــة　　ومخلص يضرب الأخماس مكتئبــا
تناثر العقد من حولي ومـــا نهضت　　كف ولا غضبت من أجله غضبا [2]

ليتكشف لنا من خلال النص (الفاعل) الذي بعث في نفس الشاعر هذا الإحساس وصنع هذه النظرة المتذمرة من الواقع ، فما هو إلا حال الأمة المأزوم ، وواقعها الولود بالمآسي التي تأتي تباعاً[3] :

دعوى العروبة ؟ ويح القوم كم صفعت　　فما الذي من حياها بعدما سكبا
وجه الأخوة ؟ كم أدمــــوا محاجره　　لطماً وشتماً ، وما تدري له سببا

---

(١) معيض البيختان (ثرى الشوق) ص (١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨) ط / ١ (١٤١٣هـ) - (١٩٩٣ م) ٠

(٢) (ملتقى أبها الثقافي الثالث) ص (١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦) ٠

(٣) الحليبي معدودٌ في الشعراء الذين فسحو لقضايا الأمة المزمنة والآنية في شعرهم مساحات فساح يبين ذلك من خلال شعره المطبوع وكذلك شعره المنشور ٠

هناك تصنع أسباب الخلاف وفي   بلاد يعرب يجري كل ما طلبا
تناحر القوم فيما بينهم فغدت   بلادهم للأعادي مرتعاً خصبا
فلست تدري إذاقصوا مآسيهم   أأنت في حلم ؟ أم قد رووا كذبا

ولاينسى الشاعر أنه في ربى (أبها) ليتعطى المكان ما يدفع عنه رائد التعب

عفواً فمارمت أن أعدي فؤادك بل   لأطرد الهم من قلبي وما جلبا
لكن إذا اندلعت كالنار في دمه   أطياف قومي يبقى رهنها حطبا
فأسرجي الحب يا حسناء والتفتي   عما أبحت وسُلّي من دمي التعبا [1]

ومثل هذا نجده عند عبد الرحمن العشماوي في قصيدته (جنوبية العينين)[2] وعند مطلق شايع عسيري في قصيدته (بيني وبين مدينتي) [3] فالنصان يلتقيان مع نص الحليبي في تصوير واقع الأمة المأزوم . هذا الواقع الذي سلبنا نظارة المشهد الشعري في مبتدأ القصيدتين المنعكس من نظارة المكان (أبها) وانتقل بنا إلى قتامة المشهد الشعري في وسط ومنتهى القصيدتين الذي انبعث من قتامة واقع الحدث المكاني (القدس ، الأقصى ، كشمير) وواقع الحدث الزماني (واقع الأمة المعاصر) ٠

ومن ينظر ديوان الشاعر أحمد بهكلي (الأرض والحب) ، يقف فيه على مقطوعة صغيرة تحمل في أعطاف معانيها غربة روحية ، إلى جانب ما تجسده من قوة الارتباط الروحي بالمكان :

أبها ويبسم كل محروب   أبها ويفرح كل منكوب
أبها وكل الكون أبعدني   وجذبتني فرأيت تقريبي
وحضنتني وأنا الشريد فلم   أحزن لمأساتي وتعذيبي
إني انتهيت إلى حنانك يا   شجني وسعدي يا تأويبي
من أين ؟ لا أدري سوى سبب   لا زال يجذبني ويغري بي [4]

---

(١) السابق ص (١٠٦) ٠

(٢) خارطة المدى ص (٧٤) ٠

(٣) للإسلام تغريدي ص (١١٣) ٠

(٤) الأرض والحب ص (٢٢) ٠

ويختم جاسم الصحيّح قصيدته (أبها .. موعد مع الغيب) بما يوحي ببعض تفاصيل الاغتراب الروحي التي تمور في نفسه بفعل فواعل تأملية وفلسفية تجاه العالم المنظور والمغيب :

أبها .. وهذا أنا في سفح دروشتي حيران أشعل من ترتيلي القصبا
أحياك (ليلة قدر) كلّما التهبت طهراً .. سكبت على أشواقي اللهبا
لا تسألي من هُنا في أرخبيل دمي هنا الخراب بتاج الورد معتصما
صوت الدراويش صوتي ما برحت على كفيه أذرع هذا العالم الخربا
أسائل الليل عن أسباب عتمته تفلسف الليل لكن لم يجد سببا
الغيب مأساتي الكبرى يهيىء لي دفء اليقين وما أنفك مضطربا
(خربشت)فوضاي في وجه الزمان وما هدأت إلاّ ووجهي يشتكي العطبا
في جبتي نخلةٌ أمسى يؤرقها سرُّ الخليقة حتى أحرق الرطبا
فالنخلُ مثلي درويشٌ توحدبي ثم انكفأنا إلى أعماقنا هربا
ننقب الطين بحثاً عن حقيقتنا إن الحقيقة لا تستوطن القببا [1]

وتتسلل مثل هذه المعاني التي تعطي انعكاساً لغربة الذات ، إلى بعض قصائد لشعراء آخرين ، كإبراهيم صعابي الذي يقول في قصيدته (أبها هي الشعر) :

من أين أبدأ يا أبها حنين دمي وفي فمي ديمة تكتظ بالشجر
أحدث الماء عن شوق يؤرقني لخفقة الجدول المنساب في السّحر
أبها أدمت مطال الحب في زمن يضج بالحرب يرمي الزهر بالشرر
فكيف أهرب من حب يلملمني وأين أهرب من نفسي ومن قدري [2]

ومثله صالح سعيد الزهراني في قصيدته (رسالة إلى أمير الغرابة) ومما جاء فيها :

أبها رسائل حبي مالها عدد ولم يجبني على أشواقها أحد
أبها أجيبي سؤالي واذكري سبباً يغالب الشك إن القلب لا يجد

---

(١) أولمبيات الجسد ص (١٨٥ ، ١٨٦) .

(٢) وطني سيّد البقاع ص (٢٧ ، ٢٨) .

أحببت والحب في شرع الورى ترفٌ وعاشق الحرف لا تدنـــــو إليه يد
فجئت أطلب من كفيك معجـــزةً فمن صببت لهم صافي الهوى جحدوا [١]

ومما ينبغي أن نشير إليه - بعد هذه الوقفة مع النصوص السابقة - ما وجدنا فيها من منزع الهروب إلى الطبيعة ويراد بالهروب هنا ((محاولة الانفلات من الواقع المجحف ، ومن الإحساس الأليم بالغربة بالفرار إلى (الغاب) أو الانسحاب إلى داخل النفس ، أو التفكير فيما وراء الطبيعة ، أو الحديث عن أشجان غامضة ، وقلق غير مفهوم [٢] ، والمعروف أن (أبها) تحمل طابع الجمال الطبيعي بكل مجاليه على مستوى البيئة والجغرافيا السعودية ، فكأن الشعراء وجدوا أنفسهم - وهم ينزلون أبها - يمارسون مع طبيعتها ما مارسه سلفهم من الشعراء الرومانسيين مع الطبيعة الجميلة ، ليأخذوا في مناجاتها ، والبحث فيها عما ينضح أثر وسلبية الواقع والمجتمع من حولهم ، بمعنى أنهم يجعلونها مهرباً يبغون فيه البديل .

إلا أن هذا التوجه يظل في مساحة ضيقة من (قصيدة أبها) - كما أسلفنا من قبل — مقارنة بالمساحة التي أخذتها الجماليات الطبيعية ، والتشكيلات المكانية ، وصورة المدينة ذاتها ، وهذا يعود ((إلى ما عرف به هؤلاء الشعراء من عشق للجمال في جميع مظاهره))[٣] .

ويدفع بنا الحق في آخر هذا المبحث إلى القول : إن بوح الاغتراب بأنواعه ، والنزع الهروبي الذي مارسه الشعراء في قصائدهم ، لا يتعدى التنفيس عن النفس بالبوح ، ولا يجاوز الاعتراض الناقد لبعض الممارسات على أرض الواقع ، بغية التصحيح ، بعيداً عن اليأس والتشاؤم الذي يولد ظلامية الحياة ، ويفرض غروب الأمل ، ويعمد إلى السخط والتمرد المقوت ، فهم ((معتدلون في اتجاهم وفي سخطهم وفي نشدانهم)) [٤] يتعاملون مع الطبيعة التي نزلوها بوصفها مكاناً مناسباً قد يجد أحدهم في أشيائها وأفيائها ، ما يدد الأثر السالب لتلك الممارسات وذلك الواقع ، وفي هذا - وأعني به الاعتدال - ما يعطي كشفاً لسر ثنائية التأزم والانفراج التي لمحناها في تلافيف القصائد التي احتواها هذا المبحث .

---

(١) (ترابيل حارس الكلأ المباح) ص (٢٣) .

(٢) أنس داود (التجديد في شعر المهجر) ص (١٨١) .

(٣) عبد القادر القط (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر) ص (٣٠٣) .

(٤) طلعت صبح السيد (التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث) ص (٣٠٨) .

الفصل الثاني

البنية الفنية

- المبحث الأول : اللغة والأسلوب
- المبحث الثاني : الصورة الشعرية
- المبحث الثالث : الموسيقى والإيقاع

المبحث الأول

اللغة والأسلوب

((اللغة كنز الشاعر وثروته))[١] ((وهي أداة الفن الشعري ووسيلة إبرازه والمحور الذي تكاد تدور حوله معظم البحوث النقدية تنظيراً وتطبيقاً ، فهي تلعب الدور الأساسي في نقل التجربة الإنسانية وتوصيلها))[٢] بل هي ((الأداة الأم التي تخرج كل الأدوات الشعرية من تحت عباءتها وتمارس دورها في إطارها))[٣] ولهذا كان ((الشعر لغة لا العكس))[٤] ومن هنا فإنه ((إذا كانت اللغة عنصراً من عناصر الشعر المهمة ، فلا بد للشاعر أن يسلك فيها مسلكاً خاصاً ليستطيع فيها أن يؤدي معانيه بطريقة تختلف عنها فيما عدا الشعر من فنون القول ، ومعنى هذا أنّ عليه أن يختار فيتحرى الجميل المناسب والأنيق الحسن ، فلغة الشعر خاصة يبلغ إليها بالتأني والبحث والاختيار))[٥] يوازي ذلك حرصه على أن يستغل فيما يجتنيه من اللغة ((إلى أبعد حدود الاستغلال ظلال المعاني وما توحي به العبارات مع معناها من ذكريات وتجارب ذات أثر قوي في النفوس))[٦] ونريد ونحن نقلب القصيد الذي قيل في (أبها) ، أن نتبين المعجم الشعري لهذا القصيد ، ودوره في البناء الشعري ، وكذلك التعرف على مستوى هذه اللغة ، وأبرز الظواهر فيها ، وقدرة الشعراء في توظيف هذه الظواهر ٠

وقبل هذا لا بد أن أشير إلى أن القصائد المدروسة تتوزع بين الطويلة ومتوسطة الطول ، والقصيدة والمقطعات و النتف والأبيات المفردة ، فمن الطويلة قصيدة عبد الله بلخير (ملحمة عسير)[٧]

---

(١) نازك الملائكة (الشاعر واللغة) مجلة الآداب ص ١١ ع / ١ ١٩٧١م - بيروت - ٠

(٢) د . عدنان قاسم (الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر) ص ٧٥ ط / ١ ١٩٨٠م - المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا - ٠

(٣) د . علي عشري زايد (عن بناء القصيدة العربية الحديثة) ص ٤١ ط / ٤ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م مكتبة ابن سينا - القاهرة - ٠

(٤) د . لطفي عبد البديع (اللغة والشعر) ص ٤ ط / ١ ١٩٩٧ م مكتبة لبنان ناشرون - لبنان - ٠

(٥) د . إبراهيم السامرائي (لغة الشعر بين جيلين) ص ٨ د . ت دار الثقافة - بيروت - ٠

(٦) إبراهيم أنيس (من أسرار اللغة) ص ٣٣٦ ط / ١٩٧٥م مكتبة الانجلو - مصر - ٠

(٧) بيادر ص ٣٢ ع / ٤ ٠

وقصيدة محمد سعد آل حسين (أبها) [١] ومن متوسطة الطول قصيدة معيض البخيتان (أبها) [٢] وهو ممن ((تكثر القصائد المتوسطة)) [٣] عنده ((ومنها قصيدة (أبها) في ما يقارب خمسة وأربعين بيتاً)) [٤] أما القصائد القصيرة فهي الغالبة في نصوص الدراسة وأما النتف والأبيات المفردات فقد حرصت على إيرادها ، رغم أنها تدخل ضمن قصائد كان موضوعها الشعري الوطن بمفهومه العام ، أو في غرض مدح أو وصف لغير (أبها) وبعضها في (أبها) لكنه لا يجاوز الأربعة والخمسة أبيات [٥] .

١- المعجم الشعري : [٦]

نعني بالمعجم الشعري تلك المفردات والملفوظات التي انتظمتها سياقات النصوص الشعرية التي وقع عليها الاختيار لتكون في إطار هذه الدراسة ، وسنعنى هنا بما شاع حضوره وكثر استعماله وكان له أثر في بنية النص الشعري من حيث الإيحاء والدلالة من هذه المفردات مع الإشارة ما أمكن إلى مفردات أخرى ليست على هذا الشرط ، ولنا هنا أن نشير إلى أننا

---

(١) السابق ص ٤٠ .

(٢) ثرى الشوق ص ١٣٥ .

(٣) د . مسعد عيد العطوي (الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية) ص ٤٥٨ ط / ٢ ١٤١٧ هـ .

(٤) السابق ص ٤٥٨ .

(٥) انظر : عبد الرحمن العشماوي (يبادر) ص ٥٩ ع / ٢٩ ص ١١٠ من البحث (٤ أبيات) .
محمود عارف (في عيون الليل) ص ٦٥ ص ١٠٦ من البحث (بيت واحد) .
الخطراوي (صحيفة الجزيرة) ع / ١٠٦٤٢ ص ١٠٦ (بيت واحد) .
إبراهيم صعابي (وطن في الأوردة) ص ٢١ ص ١١٢ من البحث (بيت واحد) .
أحمد بهكلي (الأرض والحب) ص ٢٢ ص ٢٠١ من البحث (٥ أبيات)
أحمد بهكلي ص ٧٥ من البحث (٥ أبيات) .
هاشم سعيد النعمي (شذا العبير) ص ٣٨٤ ص ٢٥٣ من البحث (٨ أبيات) .
أحمد محمد العقيلي (ملتقى أبها الثقافي الثاني) ص ١٤ ص ١٠٠ من البحث (٣ أبيات)
وليست في مجموعته الكاملة

(٦) المعجم الشعري في اللغة العربية :((هو ذلك الرصيد الضخم من الألفاظ التي يستخدمها الشعراء الأقدمون والكلاسيكيون في العصر الحديث كل في غرضه ومقصده ، وبمعنى أوضح هو ذلك الرصيد الضخم من الكلمات الشعرية مما سلس لفظه وعذب معناه من ألفاظ السابقين وما تحتاجه لغة الشعر من الألفاظ العصرية)) د . محمد إبراهيم المطرودي (الشريف المرتضى شاعريته وخصائص شعره) ص ٢٩ .

سنلحظ ونحن نطالع هذه المفردات أنها سالت إلى النص من منابع ثلاثة هي (الموقف النفسي للشاعر ، والطبيعة ، والمرأة كدلالة جمالية) مع تباين في غزارة نبع عن آخر . إلى جانب الامتياح من معين لغة الموروث .

مفردات الطبيعة :

لا غرو أن تأتي مفردات الطبيعة في الطليعة من بين المفردات الأخرى التي شاعت في قصيدة (أبها) والتي ستأتي الإشارة إلى بعضها ، ذلك أن الشعراء انقادوا أول ما انقادوا إلى طبيعة أبها الجميلة ، بل تكاد تلك الطبيعة أن تكون الدافع الأول إن لم تكن الأوحد الذي ألهج كثيراً من الشعراء بقصائدهم ، ومن هنا شاعت مفردات الطبيعة في النص الشعري لتأخذ حيزاً كبيراً من المعجم الشعري لقصيدة (أبها) .

وقد حاولت - هنا - أن أتوافر على كثيرٍ من مفردات هذا الحقل الدلالي وليس على كلها ، لأن ذلك مما يصعب حصره هنا ، ثم إنه سيأخذ حيزاً كبيراً قد لا يكون من ورائه طائل ، فهناك قصائد تكاد تكون معجماً لأشياء الطبيعة ومسمياتها ، ومن تلك المفردات التي يصح أن يجاء بها في هذا الحقل : (النجوم ، الشمس ، القمر ، السحاب ، الثريا البرق ، الرعد ، الغيم ، المطر ، الهتان ، المزن ، الغيث ، الليل ، النهار ، الصباح ، الفجر السحر ، الريح ، الصَبا ، الأصيل ، السناء ، الضباب ، الندى ، الطل ، النسيم ، الظل الفيء ، الصيف ، الربيع ، الخمائل ، الروابي ، الرياض ، الحقول ، الغابات ، السفوح المغاني ، المروج ، الدوح ، الجبال ، التلال ، الهضاب ، البحر ، المحيط ، الغدران الجداول ، النهر ، الشلال ، الماء ، الأشجار ، الأزهار ، الأقاحي ، الأعناب ، الأغصان الورود ، العرر ، الخزامى ، النَّوار ، الكادي ، الفل ، العرار ، الشيح ، الريحان ، الشث الأثل ، الطباق ، الجرع ، الطرف ، التين ، اللوز ، الرمان ، العسل ، النحل ، الطير ، المها الضباء ، الحمام ، الشياه ، اللؤلؤ ، الدر ، المعادن النفيسة .)

والمتأمل في هذه المفردات - ما بين القوسين - يلحظ توزعها ما بين الطبيعة السماوية والطبيعة الأرضية ، والطبيعة الصامتة والطبيعة الصائتة ، وإن كانت الطبيعة الأرضية تأخذ القسط الأوفر من هذه المفردات ، وهذا يرجع إلى تعلق الإنسان بالأرض التي يعيش عليها والتي منها خلق ، وفيها يعاد ، ومنها يخرج تارة أخرى ، كما يلحظ أنها من أشياء الطبيعة

التي تكررت كثيراً في شعر العربية وإذا تأمل أخرى ، وجد أن هذه المفردات تعطي في مجموعها دلالات جمالية لها علاقة بالوجدان ، بمعنى أن الشاعر يجد فيها كثيراً من معاني الحب والجمال والإبداع ، إلى جانب كون المسمى بها يستدعي التفكير والتأمل في سره وبديع صنعته ٠

وكثيراً ما تأتي هذه المفردات في مكونات الصورة الشعرية التي يرسم أبعادها الشاعر ، عن طريق اجتلاب مشابه لها ، أو عن طريق جعلها مصدراً من مصادر تصويره ((على أن من الشعراء من تفتنه تلك الألفاظ في ذاتها ، فيسرف في استخدامها في حشد متتابع وكأنه يستعيض بها عن عناصر الصورة الشعرية الأخرى ، من مجاز وتشبيه ومقابلة ، وتركيب عبارة وغير ذلك ، ولعل مما يغريه بهذا أن تلك الألفاظ بما لها من إيحاء غامض ، ودلالات غير محددة وبما بينها من تقارب في المعاني والظلال لا تستلزم سياقاً فنياً أو لغوياً خاصاً كذلك الذي تستلزمه ألفاظ ذات معنى محدد تستعصي على الاندماج في سياق لا يناسب معناها أو مبناها . وحسب الشاعر في هذا المجال أن يبدأ بصيغة لغوية بسيطة كالإضافة مثلاً فيورد تلك الحشود اللفظية - على طريقة تداعي الألفاظ - معتمداً على إيقاع تلك الصيغة في الربط بين ألفاظه التي لا يربطها في الحقيقة إلا اشتراكها في الإيحاء بجو نفسي أو جمالي من غبطة أو حزن أو مشاهد طبيعية)) [(١)] ونجد مثل ذلك عند أحمد قران الزهراني في قصيدته (ملامح) [(٢)] وكذلك في بعض أبيات من قصيدة (أبها)[(٣)] لمعيض البيختان وقصيدة (منتدى الذكريات) [(٤)] لأحمد بهكلي وقصيدة (معشوقة الشمس)[(٥)] لأحمد عسيري وقد يأتي ذلك الحشد عن طريق أسلوب النداء المتكرر على نحو ما نرى عند أحمد بهكلي في قصيدة (نجوى على البعد) :

أنت يا أسطورة الوجد الجميل　　　يا احتواء السحر في ظل الخميل
يا انزراع الآس في شم الروابي　　　يا انسياب الماء في زاهي السهول

---

(١) (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر) ص ٣٦١ ٠

(٢) بيادر ص ١١٨ ع / ٢٨ المفتاحة ص ١٢ ع / ١ ٠

(٣) (ثرى الشوق) ص ١٩ ٠

(٤) (الأرض والحب) ص ١٩ ٠

(٥) قصيدة مخطوطة دفع بها الشاعر إليّ أنظر ص ١٨٥ - ١٨٦ من البحث ٠

يانسراب الجهد في لحظة نجوى شقها همس خليل لخليل [١]

والحق أن هذه المفردات تشي بالجمال ، وتستهوي الفؤاد وهي في حالة انفراد ، فكيف إذا استدعاها النص لتنتظم في سلكه ، ولعل هذا ما أحس به الشعراء الذين آثروا حشد هذه المفردات بعيداً عن التصوير الفني ، لأنهم وجدوا هذه المفردات ((تؤدي دورها في ترجمة جيشان العواطف الوجدانية ، والتعبير عنها بصورة دقيقة تامة ، يساعدها على ذلك ما تتمتع به من أبعاد نفسية ، وظلال موحيه ، وهالة شفافه ، تشع عما تكنه من شحنات عاطفيه وما تحمله من دلالات انفعاليه ، تجتذب إليها الشاعر ، فتصدق التعبير عن نفسه وتؤثر في سامعيه)) [٢]

مفردات المسميات المكانية :

مفردة المكان لها حضورها الملح والبارز من حيث التركيب والدلالة وذلك حين تكون وجهة النص الشعري المكان ذاته ، ليجيء في سياقه اسم المكان لمرة أو لمرتين ، أو لأكثر من ذلك ، وقد تتولد مسميات كثيرة من المكان (الأم)، وهو ما يعرف بجزيئات المكان من جبال ووديان، ومنازل وغيرها من مظاهر الطبيعة وأشياء المكان التي تأخذ لها اسماً وحيزاً في إطار المكان (الأم) •

وفي هذا الحقل أردت أن أضم هذه المسميات المكانية ، والتي جاءت في قصيدة أبها ، وأجاور بينها رغم أنه كان من الجائز أن تنضوي تحت مفردات الطبيعة التي سبقت الإشارة إليها ، لكنني رأيت مجيئها في كثير من النصوص قد جاء لمعنىً ومرتبطاً بدلالة قد تنجلى لنا ، وقد تبقى خفية وخبيئة في ذات الشاعر ، خاصة في تلك القصائد التي تولدت في حالة اغتراب عن المكان وهذا الذي أداني إلى أن أجعل لها حقلاً منفصلاً عَن غيرها من الحقول التي يمكن أن تتداخل معها •

ومن هذه المسميات : (أبها) الجنوب ، عسير ، السودة ، الفرعاء ، الدحظ ، دلغان ، المحالة حجلاء ، لبنان ، شمسان ، الحزام ،الجرة ، القرى ، الصفيح ،الخشع ، الصفرا ،جوحان نعمان ، العرين ، مناظر ، البحار ، الخالدية ، القابل ، السُّر ، اليمانية ، النصب ، البيح المفتاحه ،شدا ، سوق الثلاثاء ، شلال المَقضّي ، السد ، السروات ، تهلل ، غسان ، نهران بشار ، الحبلة رأس الخيال ، الجبل الأخضر) •

---

(١) (الأرض والحب) ص ١٥ •

(٢) د . عبد العزيز الأهواني (ابن سناء الملك ومشكلة العمق والابتكار في الشعر) ص ٢٤ ط / ١٩٦٢ م مطبعة الأنجلو – مصر – •

ومع هذا الذي أثبته فيما سبق لا أنكر أن شيئاً من هذه المسميات والملفوظات المكانية ، جاء في بعض النصوص لمجرد التحلية والذكر، وذلك عن طريق الرصف لها في أثناء أبيات القصيدة ، دون أن تعطي دلالة موحية على نحو ما نراه في قصيدة (زلة القول)[١] لزاهر الألمعي ، وقصيدة (أبها وجاراتها)[٢] لأحمد فرح عقيلان ، وقصيدة (تحية)[٣] ليحيى إبراهيم الألمعي . ولا يغيب عنا أن من النقاد من يرى في ارتصاف المسميات المكانية في النص ، ما يضعف العمل الشعري ، وذلك إذا ما خلت هذه الأماكن التي دخلت النص الشعري من وظيفة الإيحائية[٤] والدلالة النفسية والشعورية .

بقي أن نقول : إن هذه القصائد (بما تحويه من جغرافية شعرية) قد تساعد على تكوين معجم مكاني يفيد منه من له عناية بتقويم البلدان وتأريخها وأخبارها[٥] .

مفردات الصوت :

من المفردات التي تدخل في تشكيل المعجم الشعري لقصيدة أبها (مفردة الصوت) وتجيء هذه المفردة في بنية النص الشعري كون الصوت يمثل - من ناحية - شكلاً من أشكال الجمال ومن ناحية أخرى مصدراً من مصادر التلذذ الذي ينثال على النفس عن طريق حاسة السمع . وتتسرب المفردات الصوتية إلى العمل الشعري من خلال إيقاعها الدافق والمؤثر على مسرح الطبيعة وهو إيقاع عاشه الشاعر واقعاً ثم شاء سحبه من مسرح الطبيعة إلى مسرح النص الشعري ، ليشرك القارىء معه في تملي هذا الجانب الإمتاعي الذي يحمله إليه النص .

---

(١) (الألمعيات) ص ١٤٩ .

(٢) (المجموعة الكاملة) ص ١٣٦ .

(٣) (عبير من عسير) ص ٦٦ .

(٤) ((ووحي الكلمة ينبع من مصادر عدة ، ويجيء على طرق منوعة فهو مرة عن طريق مدلولالها العام اللغوي ، كما وعته كتب اللغة ، ومرة عن طريق طبيعتها الصوتية ولحنها الموسيقي ، ومرة ثالثة عن طريق استعمالها استعمالاً مجازياً ، ومرة رابعة عن طريق وضعها في التركيب ومكانها المختار فيه بما تحمل في هذا المكان من دلالة وما تؤدي من غرض)) انظر هذا الكلام عند محمد نايل في ((اتجاهات وآراء في النقد الحديث)) ص ٧٦ د.ت مطبعة الرسالة - القاهرة - .

(٥) سبقت الإشارة لمثل هذا انظر ص (٢٩ ، ٣٠) من التمهيد .

ويأتي الدال الصوتي في (قصيدة أبها) عن طريق نقل المسموع الذي تتلقفه أسماع الشعراء وهم يقلبون أنضارهم في المنظور من الطبيعة ، ليجدوا فيه خطاً من خطوط التشكيل الجمالي المكاني فينسرب إلى نصوصهم ويأخذ مكانه في بنائها اللغوي ٠

ومن تلك المفردات التي تجيء في هذا الطريق (الصدى ، أصوات الطير ، الثغاء ، غناء الرعاة الخرير ، الهدير) ٠

وثمة طريق آخر تبرز من خلاله المفردة الصوتية ، يتمثل في أنسنة الشاعر للمكان وتشخيصه له ومن ثّم استنطاقه بتعبير صوتي يناسب الصورة التي يعمد الشاعر إلى رسمها ، وهذا يعطي دليلاً على أهمية الدلالة الصوتية في اكتمال الصورة الشعرية وبراعتها ، وكذلك في عكس تأثير المنظور الذي توجه إليه التشكيل الشعري ، ويجيء في هذا الطريق من المفردات (الأغاني ، النشيد المناجاة ، الضحك ، البكاء ، المقام ، قهقهة الرعد ، الأغاريد ، الشدو ، همس الجداول الوشوشة ، الزفير ، الشهيق ، الزغاريد ، العويل ، الترنم ، الهزج ، اللحن ، الصداح ، التراتيل السجع) وكلها أصوات اسْتُنْطق بها المكان ، وأعني بالمكان - هنا - المكان الشاعري بأشيائه وجزيئاته ، والذي يتجسد في (أبها) المدينة والطبيعة ٠

وهناك بعض المفردات التي تعطي دلالة صوتية تطريبيه من مثل : (موسيقى الماء ، ومزمار الحادي ، عزف الوتر ، النغم ، الجرس) ويلحق بهذه الألفاظ لفظة القيثارة ((وهي لفظة مستحدثة تربط بين الشعر والموسيقى والغناء)) [1] ٠

وقد جاءت في هذا الإطار عند صالح سعد العمري وهو يندمج في أشياء المكان :

الشعر أبها وأبها الشعر قد مزجا — وأفرغا في قلوب نبض أجساد
أوتار قيثارتي في ليلتي عزفت — لحن الأكاليل والريحان والكادي [2]

ومثله في مباشرة هذا المعنى : محمد سعد الدبل إذ يقول :

لعل في لحن قيثاري شفا سقمي — إن كان في اللحن ما يشفي من السقمْ [3]

---

(١) (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر) ص ٣٥٠ ٠

(٢) (ريش من لهب) ص ٦٢ ٠

(٣) (في رحاب الوطن) ص ١٣ ٠

وتأتي هذه المفردة الصوتية في سياق آخر غير السياق الذي جاءت خلاله عند العمري والدبل ، فدلالاتها هنا جاءت مرتبطة بإيقاعات المكان في أشكاله المتعددة . يقول حجاب الحازمي :

ومن الحسن بأبها صـــور تعزف اللحن طروباً مسكرا
فيغني لحن أحلام الهنـــا عبر قيثارلها يسبي الورى [1]

والملاحظ لمن يتأمل المفردات الصوتية أن الشعراء زاوجوا بين الأصوات التي تعكس صوتاً مرتفعاً يمتد امتداد الفضاء المكاني ، وبين الأصوات التي تعكس صوتاً خفيضاً لا يجاوز الأذن التي تتعمد التسمّع في سكون المكان ، ويمثل هذه الأصوات الخفيضة (الهمس [2] ، والمناجاة [3] ، والوشوشة [4]) ولكل من الصوتين - وأعني بهما الجاهر والخفيض - دوره في تشكيل الصورة الصائته ، والتي بدورها تلعب دوراً مهماً في تشكيل الصورة العامة كما أسلفنا من قبل ٠

بقي أن نقول : إن هذه المفردات الصوتية تعطي في مجموعها دلالات صوتية تطريبية مرتبطة بمعنى الفرح والإعجاب والنشوة ، حتى تلك الأصوات التي تعكس حالة حزينة ، جاءت في قصيدة (أبها) لتعبر عن صورة تستحليها النفس ، كانهمار المطر الذي استحال بكاءً ، وتدافع الرياح في جنبات الجبال الذي استحال عويلاً ، بينما لم نجد ما يزاحمها من الألفاظ التي تباشر دلالة الحزن والضجر وتنبىء عن واقع مأزوم . فالألفاظ جاءت هنا وهي تساير الموقف النفسي للشاعر ٠

مفردات الغزل :

تقرر عندنا - في مبحث سالف [5] - تما هي المكان والمرأة في التأثير الجمالي والنفسي إلى درجة العلاقة الوشائجية التعادلية ، ومن — هنا - تساتلت مفردات الغزل إلى النص الشعري ليتوافر على كثير منها عند جل الشعراء ، إلى حد يدفع بنا إلى القول إن هذا الاستخدام اللغوي يعد من أبرز الظواهر في قصيدة (أبها) ، ولعل في هذا الاستخدام ما يعطي دليلاً ينهض

---

(١) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص ٣٣ ٠

(٢) (طيفان على نقطة الصفر) ص ١٣١ ٠

(٣) (قصة الطموح) ص ١٠٦ ٠ (رائحة التراب) ص ٨٣ ٠

(٤) (أنتفضي أيتها المليحة) ص ٥٨ ٠

(٥) أنظر ص (١٢٨) من البحث ٠

بالتفسير الذي يرى أن ((الحب ليس وقفاً على الغزل الجنسي كما يظن فلغته - من الناحية النفسية - هي المنفذ الصادق لكل شعور حار)) [١] ٠

وأكثر ما يتجلى هذا الاستخدام في استدعاء ألفاظ الحب والغزل من مثل (الحب ، العتاب العشق ، الجفاء ، الفراق ، الهيام ، الوصل ، الوله ، الهوى ، الملتاع ، الوجد ، الصب ، الغزل الغرام ، العناق) وغيرها من صنوف المخاطبة الحبّيّة ويدخل في ذلك الصفات الأنثوية ، والنعوت الجمالية مرتبطة بتأثيرها الروحي من مثل : (سهام الألحاظ ، حلاوة المنطق ، صباحة الوجه الدلال ، الحسن ، التيه ، الجفوة ، العفة ، الرقة ، الغنج ، الرقص ، الخضاب ، الهجر) ٠

وقد يتجلى ذلك الاستخدام - أيضاً - عن طريق نمط الخطاب الذي يستخدم ضمير المخاطب (الأنثى) [٢] وهو يتوجه إلى المكان ٠

ومما يفرضه التعادل بين المكان والمرأة ، ظهور ما يمكن أن يسمى بمعجم الإنسان في النص الشعري من خلال إسقاط مواضع الجمال في المرأة على جماليات المكان لنقف - ونحن نتملى صورة المكان - على كلمات من مثل (العين ، اللحظ ، المآقي ، القد ، الشفتان ، الشّعْر القلب ، الخد ، الأحضان ، الوجنه ، الخصر ، الطرف ، الجدائل ، الأهداب .) وغيرها ٠

ومما ينضوي تحت هذا الحقل اللغوي تلك المفردات التي جاءت في سياق الغزل الذي توجه إلى المرأة حقيقةً في أثناء بعض القصائد موضع الدراسة [٣] ٠

مفردات الحزن والشوق :

فرضت بعض المواقف الحياتية ، والانفعالات النفسية ، كالغربة عن المكان ، والنزوح عن الأحباب ، وكذلك الاغتراب النفسي استدعاء كثير من الألفاظ ذات الدلالات الموحية بالشوق والحنين وكذلك تلك التي تحمل في أعطافها معنى الكآبة والحزن ، ويطالعنا من هذه المفردات في قصيدة أبها : (الحزن ، الغربة ، الشوق ، الحنين ، الذكرى ، الانتظار ، الآمال ، الأحلام الشجن ، البوح ، الكآبة ، الوحدة ، الموت ، التشرد ، الهروب ، النزوح ، الجوى ، الضنى الومق ، النأي ، المأساة ، العذاب .)

---

(١) د . محمد مندور (في الميزان الجديد) ص ١١٠ ط / ١٩٧٣ م دار نهضة مصر - القاهرة - ٠

(٢) ، (٣) أشرنا إلى هذا في مبحث التبادل بين المرأة والطبيعة ص (١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٣) فليطالع هناك ٠

وقد استطاع الشعراء من خلال هذه المفردات وغيرها استظهار الكامن في ذواتهم وبعثه ليصبح كائناً يتلمسه ويتحسسه المتلقي من خلال النص •

ومما يميز مفردات الحزن والشوق عن سابقتها ، أنها لا تأخذ سمة الشيوع فهي تنحصر في بعض النصوص التي جاءت مردوداً لحالة اغتراب أو معاناة نفسية • كما أنها برزت عند بعض الشعراء بشكل أوسع من غيرهم ، كأحمد بهكلي ، وأحمد التيهاني ، وأحمد مطاعن ، ولعل تنامي بعض هذه المفردات عندهم يعود إلى تعاظم الشعور بالمكان وهو ما وقفنا عليه فيما سبق [١] ولعل فيما هناك ما يغني عن الاسترسال هنا •

مفردات أخرى :

هناك مفردات جاءت في أثناء بعض السطور والشطور الشعرية ، وهي قليلة ومحدودة قياساً إلى غيرها من المفردات التي حاولنا حصرها فيما سبق ومن ذلك مفردات الحضارة ومما جاء منها في شعر أبها : (الجريدة ، الجامعة ، الكهرباء ، العربات ، دكاتره ، الأرواب ، التلفريك) •

وهناك - أيضاً — مفردات المسميات المكانية من غير المكان الموصوف وقد دفع بها إلى النص الشعري الرغبة الملحة من الشعراء في إبراز محاسن المكان الموصوف ، وذلك عن طريق الصورة التشبيهية ، أو الصورة المقارنة بين المكان الموصوف وهذه المسميات ومنها : (نجد ، الرياض ، تهامة ، دبي ، لبنان ، شعب بوان ، الهند ، لوزان ، سوسيرا ، باريس ، لندن ، روما .) وبعضها - كما ترى - مسميات أعجمية •

وبعد هذا الاستعراض للحقل اللغوي في قصيدة (أبها) تجدر الإشارة إلى أن هذه المفردات وغيرها من المفردات التي لم نشر إليها والتي ارتصت في بنية النصوص الشعرية التي تناولها البحث بالدراسة ، تتوافر فيها شروط الفصاحة والبلاغة والسلامة من العيب ، فهي في مجملها مفردات سهلة ، بعيدة عن الوحشية والغرابة •

كما أنها مرتفعة عن الابتذال والعامية [٢]، تتسم بالوضوح ،الأمر الذي يجعلها مدركة ومفهومة من

---

(١) أنظر مبحث الاغتراب ص ١٧٦ وما بعدها من البحث •

(٢) يستثنى من ذلك بعض المفردات التي تصل إلى درجة الغرابة وتلك التي تنزل إلى مستوى الكلام المحكي . وستأتي الإشارة إلى مثل ذلك في الآتي من الصفحات •

قبل المتلقي دون عناء ، أو حاجة إلى تقليب أسفار المعاجم ، ثم هي مسوقة في إطار وغرض تلائمه ويلائمها •

وإذا ما شئنا معرفة أحوال الشعراء مع هذه المفردات ، وجدنا منهم من اعتمد الأداء بلغة الموروث الشعري لتجيء مفرداتهم منتزعة من قاموس شعراء سابقين لهم ، تتوزعهم عصور بني أمية وبني العباس والأندلسيين ، وبعض شعراء النهضة الحديثة •

ومن الشعراء من نحى منحى استدعاء المفردات ذات الإيحاء والتي يَستطيع الشاعر من خلالها استيلاد دلالات ومعاني جديدة يمكن لها ((أن تقوي من إيحاء الوسائل والأدوات الشعرية الأخرى وتثريه)) [١] كما يمكن لها أن تثير معاني كثيرة خبيئة في كامن النفس ، ومن الشعراء من تراه في الفريقين ، خاصة أولئك الذين تعددت قصائدهم في أبها ، لنراهم قد اهتموا بالمزاوجة بين الاستمداد من القديم ، واعتماد ألفاظ ذات دلالات متجددة تتجاوز - أحياناً - تفسيرها المعجمي لتشي بإيحاءات متعددة •

بقي أن نقول : إن هذه المفردات لا تؤدي وظيفتها الأدبية حتى تنتظم في تشكيلة سياقية من الكلمات ، لأن ((لغة الأدب في طبيعتها ليست لغة المفردات ، بل هي لغة مركبة ذات مستويات دلالية)) [٢] ثم إن ((السياق هو واهب المعنى وخالق الدلالة وليس الكلمات بحد ذاتها)) [٣] ولا شك أن طبيعة الموضوع الشعري هي التي تفرض الخصائص الدلالية لكل تركيب لغوي فهناك موضوع جمال الطبيعة ، وموضوع الانتماء المكاني ، والتأمل الوجداني الإيماني والاغتراب ولكل ما يناسبه من الألفاظ والتراكيب مما يجعل الشاعر يحرص على ((إيفاء كل معنى حظه من العبارة ، وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ)) [٤]

---

(١) علي عشري زايد (عن بناء القصيدة العربية الحديثة) ص ٥٢ •

(٢) د. أحمد يوسف (اللغة الأدبية والتعبير الاصطلاحي) ص ٣٥ ط / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م منشورات نادي القصيم الأدبي •

(٣) د . فتحي أبو مراد (شعر أمل دنقل ... دراسة أسلوبية) ص ٧٧ ط / ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م عالم الكتب الحديث - الأردن - •

(٤) ابن طباطبا (عيار الشعر) ص ٤٣ ط / ١٩٦٥م تح /طه الحاجري ومحمد زغلول سلام - القاهرة-

٢- اللغة بين السهولة والغرابة :

السهولة سمة يشترك فيها كل الشعراء في قصيدة (أبها) وإن تمايزوا في الجودة ، ولا شك أن الموضوع الشعري الذي تولدت لأجله النصوص الشعرية - وهو التغني بأبها وطناً وجمالاً وحضارةً - فرض هذه السهولة •

غير أنّا مع ذلك لا نعدم أن نقابل في أثناء بعض النصوص الشعرية ، كلمات يصح أن تنعت بالغريبة ، لحاجة المطالع لها إلى العود للقواميس المعجمية لاستظهار معانيها •

وأكثر ما تجيء هذه المفردات عند أولئك الشعراء أصحاب الثقافة التراثية العالية ، كابن خميس ، وابن إدريس ، وعبد الله بالخير ، ومحمد بن سعد بن حسين ، ومحمد سعد الدبل ، وزاهر الألمعي وغيرهم •

وقبل أن أقف مع بعض هذه المفردات في سياقها ، أرى أن أسوقها مفردة وأجاور بينها هنا ، بعد أن توزعتها النصوص ، ومن هذه المفردات :

(تنّور ، حمحم ، يلوي ، حف ، رفرف ، الخّرد، صناديد ، الضيغم ، لّعْلَعْ ، الصحصح المراع ، دَعْذَع ، نمنم ، العهاد ، الملث ، الربرب ، غضنفر ، الجلاميد ، الإرقال ، القود العرامة ، الرعابيب ، الشوس ، النشز ، المهمه ، أقعى ، الدنّ ، الغيدق ، دَعْدَع ، تفهيق الودق ، السباسب ، الديّسق) •

وأكثر هذه المفردات جاءت عند شعراء تأثروا - وكما أسلفنا - بثقافتهم التراثية العالية ، ومحصولهم اللغوي الوافر . فهذا عبد الله ابن إدريس تجتمع له بعض هذه المفردات في بيت واحد من أبيات قصيدته في أبها :

والصحصح المراع نمنم ثوبه وشي من الأزهار فاح وذعذعا [١]

ومثله عبد الله بن خميس في قصيدتيه اللتين قالهما في (أبها) والمعروف عن ابن خميس أنه شاعرٌ ((اللغة عنده لغة سلفية بكل ملامحها ، يكثر من غريب اللغة في شعره)) [٢] وترى مثل ذلك في قافيّة محمد بن سعد آل حسين [٣] وتائية زاهر الألمعي [٤] •

---

(١) (في زورقي) ص ١٠٩ وسبق تفسير هذه الكلمات في ص (٨٥) من البحث •

(٢) (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ص ٤٩٥ •

(٣) (بيادر) ص (٤١) ع / ٤ ١٤١٠ هـ •

(٤) (الألمعيات) ص ١٤٩ •

((ولم نعب من هذه الألفاظ شيئاً ، غير أنها من الغريب المصدود عنه)) [١] في زمننا هذا ((من غير أن يكون هناك عيب في بنية تلك الألفاظ يحدث ثقلاً على السمع أو يكد اللسان النطق بها بسبب مخارجها)) [٢] ، والأجدر بالشاعر أن يتخذ من الألفاظ ما يناسب لغة عصره ، وأن يحرص أن تكون دون الغرابة ، وفوق الابتذال يفهمها المتلقي دون عناء •

٣- العامية في لغة الشعراء :

يراد بالعامية تلك اللغة المحكية [٣] والمستعملة في أحاديث عامة الناس ، والتي من خلالها تدار شؤونهم الحياتية . وبمعنى آخر هي لغة الحياة اليومية للناس وهي - ولا ريب - دون اللغة الشعرية ولا تقاربها البتّه ، ولذلك فإن معظم النقاد يرى ((أن استعمال لغة الحياة اليومية ، يمثل قصوراً في القصيدة ، وانحرافاً عن اللغة الشعرية الحقيقية)) [٤] ولذلك فهي معدودة في أبرز ((عيوب الشعر المعاصر)) [٥] خاصة الشعر الحرمنه [٦] •

وقد بان لي - وأنا أطالع ما توافر لي من الشعر الذي قيل في أبها - تسرب العامية إلى مفردات وتراكيب الشعراء ، غير أن ذلك لم يصل إلى حد الظاهرة ولم يكن سمة عند كل الشعراء ، ولا بأس أن أسوق للقارئ ما وقع عليه نظري من المفردات والتي رأيت فيها هبوطاً إلى الاستعمال العامي ، والذي لا يناسب لغة الشعر الفصيح . ومن هذه الكلمات : (غلبان ، النشاما ، من بادي ، شفت ، ياما ، ديداني ، ياطاها ، مرسال ، الرتم ، خربشتُ) على أني أعرضت عن بعض الكلمات التي تأخذ طابع الكلام المحكي لسيرورتها في الخطاب العادي عند العامة •

---

(١) أبو عبد الله المرزباني (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) ص ٣١١ ط / ١٣٤٣هـ المطبعة السلفية •

(٢) د . بدوي طبانة (نظرات في أصول الأدب والنقد) ص ٧٠ ط / ١ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م عكاظ للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية •

(٣) ينعت مصطلح العامية بنعوت عدة انظر في ذلك د . أميل يعقوب (فقه اللغة العربية وخصائصها) ص ١٤٤ ط / ٢ ١٩٨٦ م دار العلم للملايين بيروت - لبنان - •

(٤) د . رمضان الصباغ (في نقد الشعر العربي المعاصر : دراسة جمالية) ص ١٤٥ ط / ١ ١٩٩٨م دار الوفاء للنشر والتوزيع - الاسكندرية - •

(٥) (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر) ص ٥٠٨ •

(٦) انظر : (في نقد الشعر العربي المعاصر : دراسة جمالية) ص ١٤٥ •

ويعود هذا الاستعمال - من قبل الشعراء - إلى الضعف اللغوي عند الشاعر [١].

وقد يكون للموضوع الشعري دوره في استدعاء بعض التراكيب العامية ، فالعلاقة المتلازمة بين المكان (أبها) والإنسان (خالد الفيصل) والتي ترسخت في فكر الوطن ، دفعت بإبراهيم صعابي إلى أن يسترفد بعض من مفردات قصيدة مشهورة للأمير خالد الفيصل [٢] يقول صعابي :

((من بادي الوقت هذا طبع)) تربتنا

تزهوا خضراراً على أنشودة المطر [٣]

ومن الشعراء من يرى في المفردة العامية قوة في أداء المعنى لا توفرها المفردة الفصيحة ، فيعمد إلى استعمالها . نجد مثل ذلك عند جاسم الصحيح وهو يستعمل كلمة (خربشت) في أحد أبيات قصيدته (أبها موعدٌ مع الغيب) يقول فيه :

(خربشت) فوضاي في وجه الزمان وما هدأت إلا ووجهي يشتكي العطبا [٤]

وقد يكون الجو العام للقصيدة دافعاً أخر لاسترفاد اللسان العامي يتكشف لنا مثل ذلك عندما نطالع قصيدة (راعية من بنات الجبال) [٥] لمحمد هاشم رشيد ، والتي صور فيها راعيةً عسيريةً لم تلبث أن تصبح طرفاً في الحوار . لتقول بعد أن استخبرت عن حاله :

فقالت : (علامك ؟ ماذا تقول ؟ ويا مرحباً ألف باللّي حضر)

ومن هنا شاء الشاعر من خلال هذا الموقف الحواري [٦] أن يستل من لسانها بعض العبارات التي رأى الشاعر فيها ما يحكي لهجتها ، قاصداً لذلك لأنه ربما يرى أن استخدام هذه العبارات ((إنما يكون مقصوداً به معنى محدد ونقل انفعالات لا تنقلها اللغة الأدبية الرصينة

---

(١) انظر : (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر) ص ٥٠٩ .

(٢) طالع نص القصيدة في (أشعار خالد الفيصل) ص ١٤ ط / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م مكتبة العبيكان - الرياض - .

(٣) (وطني سيد البقاع) ص ٣٠ .

(٤) (أولمبياد الجسد) ص ١٨٥ .

(٥) (بيادر) ص ٤٩ ع / ٤ ١٤١٠ هـ .

(٦) يغتفر النقاد استدعاء (اللسان العامي) في المواقف الحوارية في الأعمال القصصية دون غيرها .

وإفساح المجال للتعبير عن أمور لا تتسع لها تلك اللغة ، وكذلك الاقتراب من بعض المفاهيم الشعبية))[١] وقد أشرنا من قبل إلى إمكانية وافتراضية تأثر الرشيد بجنس (الشعر الرعوي pastourelle) الذي ظهر في أوروبا [٢] .

على أن كل هذا لا يبرر للشعراء مثل هذا الاستعمال للمفردة أو التركيب العامي ، لما لذلك من أثر على قداسة اللغة الفصحى ، وكذلك لدلالة ذلك الاستعمال على الضعف اللغوي وقلة المخزون من اللغة الفصيحة العالية لدى الشاعر ، مما يضطره إلى التلفت إلى الكلام المحكي ليوظفه في أدائه الشعري وكل هذا - ولا شك - مما يحذره الشعراء السعوديون ، ويتحرجون منه ، لإدراكهم أنه وسمٌ يهبط بنتاجهم لدى المتلقي الواعي .

ولا أدل على ذلك من تحرج بعضهم عند استعماله لبعض المفردات العامية ، ولذا تراه يحاول أن يتخلص ((من الحرج بالتقويس))[٣] فهذا زاهر الألمعي - وهو من عرف عنه الاهتمام بفصاحة مفرداته الشعرية والارتفاع بها عن الابتذال - يستعمل مفردة (غلبان) في أحد أبياته مقوسة :

(كأنه متعبُ الأفكار ((غلبان)))[٤]

ومثله محمد هاشم رشيد في بيته السابق ، وكذلك محمد بن سعد آل حسين في قصيدة (مني إليك) وجاءت فيها كلمة (مرسال) وتعني رسالة يقول آل حسين :

إذا انبرت من صَبا نجد مبلّلة   قد حمّلتها الرياض الخفر (مرسالا)

وإن كنت أرى أن التقويس لا يسوغ الأمر ولا يجبر الكسر .

٤- ظواهر لغوية :

لا بد - ونحن في هذا السياق - من الوقوف على بعض الظواهر اللغوية في قصيدة (أبها) لنتبين دلالات كل ظاهرة على حدة من خلال استعراض بعض النماذج .

---

(١) (في نقد الشعر العربي المعاصر : دراسة جمالية) ص ١٤٥ .

(٢) انظر هامش (٣) ص (١٦٥) من البحث .

(٣) (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر) ص ٥٠٩ .

(٤) (الألمعيات) ١٤٩ .

وسيكون وقوفنا على أبرز هذه الظواهر من حيث الدلالة ووفرة الاستعمال ولذا نقتصر على ظاهرة التكرار ، والنداء ٠

أ- التكرار :

((المراد بالتكرار هو إعادة ذكر كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها في موضع آخر أو مواضع متعددة)) [١] وهو ((من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي في القصيدة دوراً تعبيراً واضحاً ، فتكرار لفظة ما ، أو عبارة ما ، يوحيّ بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر ، وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أولا شعوره ، ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى)) [٢] ٠

وعندما نبحث عن هذه الظاهرة في شعر (أبها) نجدها عند كثير من الشعراء لكنها تبرز عند بعضهم من حيث الكثرة ، وكذلك من حيث الإيحائية التي تحملها المفردة أو العبارة المكررة ٠

فهذا أحمد بهكلي يوظف هذه الظاهرة في كثير من قصائده التي قالها في (أبها) المدينة والطبيعة ، فهو في قصيدة (بوح) يكرر اسم أبها هذا الاسم الذي ((استبدّ بالقلب ،وحفر مسارب له في النفس)) [٣] وكأنه من خلال تكرار اسم المكان [٤] يريد توسيع فضاء البوح بتكرار اسم تعلق به ، ووجد به فرجاً وملاذاً :

أبها .. ويبسم كل محروب   أبها .. ويفرح كل منكوب

أبها .. وكل الكون أبعدني   وجذبتني فرأيت تقريبي [٥]

ومن الظواهر عند بهكلي ظاهرة المزج بين أسلوب التكرار وغيره من الأساليب اللغوية ، ففي قصيدة (نجوى على البعد) يمازج بين أسلوب التكرار وأسلوب النداء ، وهو من خلال هذا المزج واستعمال أسلوب النداء مكرراً ، يعكس إيحاءً بعمق التعلق بالمكان المغيب الذي فرض حضوره غيابياً ، كما يعكس في ذات الوقت واقعاً ممضاً يعيشه الشاعر في بعد عن المكان :

---

(١) (في نقد الشعر العربي المعاصر : دراسة جمالية) ص ٢١١ ٠

(٢) (عن بناء القصيدة العربية الحديثة) ص ٥٨ ٠

(٣) عيسى علي العاكوب (العاطفة والإبداع الشعري) ص ٢٠٦ ط / ١ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م دار الفكر - دمشق - ٠

(٤) المتتبع لظاهرة التكرار في الشعر العربي يجدها أكثر ما تكون في تكرار الأماكن والأعلام ٠

(٥) (الأرض والحب) ص ٢٢ ٠

أنت يا أسطورة الوجد الجميـــل يا احتواء السحر في ظل الخميل
يا انزراع الآس في شـــم الروابي يا انسياب الماء في زاهي السهول
يا انسراب الجهْد في لحظة نجوى شقّها همس خليل لخليـــــــــل
أنت يا أبها وكـــم لازمت فكري حُلْمَ لقيا في مدى ليلي الطويل (١)

وانظر هذا المزج مرة أخرى عند بهكلي ، وهو هذه المرة يأتي عن طريق تكرار أسلوب الاستفهام التقريري . وهو تكرار يستبطن في داخله علاقة تلازم لا تنفك بين المكان والإنسان :

ألست فتاك يا أبهـــــا الذي لم يكن في ذات يـــوم بالخؤون ؟
ألست وأنت أيكة كـــل حُسْن غصيناً بين هاتيك الغصـــــون ؟
ألست مدى المدى الماضي وما قد يجيء أسيرَ سَهلك والحزون ؟(٢)

وممن وظف التكرار فنياً ، وسخره لعكس دلالات نفسيه من خلال النص أحمد التيهاني في بعض قصائده فهو في قصيدة (تقاسيم الأبوة) (٣) يكرر بعض العبارات من مثل (يا صغيري لست تدري) أكثر من مره وهذا التكرار يحمل دلالة شعورية ، تكشف عن حالة الاغتراب التي يعانيها الشاعر ، والتي وازت انتظار صغيره له ٠

ويستمر التكرار في ذات القصيدة من خلال تكرار سوف والسين في آخر القصيدة :

يا صغيري ..
سوف آتي ..
شامخ القامة
مغسول الحنين
حاملاً تحقيق السنين
فهي شحذ لحياتي
يا صغيري ..

---

(١) المصدر السابق ص ١٥ ٠

(٢) السابق ص ٢٤ ٠

(٣) (أماريق) ص ٣٧ ٠

سوف آتي ..

سوف آتي ..

بل سآتي .. [١]

والتكرار هنا يحمل إيحائية الإصرار ، التي تولدت بين ثنائية ألم الفراق وتوق التلاق ، يفضي بذلك ويؤكده تكرار عبارة (أتيت إليك) التي جاءت في قصيدة (عودة) وهي عبارة تبرز شعور الفرحة العارم بالعودة التي ستغسل آثار الحنين وحوبة الفراق :

أتيت إليك ملتهماً دروبي	لأنفض ما تبقى من ذنوبي
مخافة أن يذيب الأثم روحاً	يعاودها الحنين إلى الجنوب
أتيت إليك والدنيا كثيبٌ	تلاعنـــه أعاصير الهروب
أتيت إليك يلفظني شمـــالٌ	سمومي كأنياب اللهيب [٢]

ويجيء أسلوب التكرار عند إبراهيم مفتاح في قصيدته (أبها داخل الأسئلة) وهو يأخذ طابع الفرادة كونه يفضي بأحاسيس شعرية ترتبط ذهنياً بالمكان وهذه الأحاسيس ماضوية تتجسد في (كنت) و (كان) المتكررة في النص وآنيّه تحملها (ها هنا) و(هنا) و (أنا) و (الآن) ولا شك أن اللغة جاءت بـ ((تعبير - أنا ، هنا ، الآن - لتدل على ارتباط الحدث الإنساني بالزمان والمكان)) [٣] لنراها في النص تجلي هذا الارتباط وتساعد - من خلال تكرارها - على كشف شغف الشاعر بهذه اللحظات الآنية التي استجلبت ذكرى ماضية تؤكد امتداد العلاقة بالمكان :

ها هنا كنت .. أنا كنت هنـــا	قبل عامين أضم الوطنـــا
ها هنا كنت الضحى معتمـــراً	غيمة نشـــوى تجوبُ المنحنى
ها هنا كان صباحي موعـــداً	مطري الآه .. غيمـــيّ المنى
ومسائي كان نجوى ديمـــــة	أنبتت عشقاً وأهمت شجنـــا

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٢) (فاعلاتن) ديوان مخطوط ص (٥٧) .

(٣) د . محمد مفتاح (دينامية النص - تنظير وإنجاز) ص ٦٩ ط / ١ ١٩٨٧ م المركز الثقافي العربي - المغرب - لبنان -

ها أنا جئتك يا أبها فهل   تعرفين الآن من كنت أنا [١]

ويفرض المكان حضوره النفسي وحضوره الزماني من خلال (هنا) عندما توسل بها العشماوي مكررة ابتداءً بعنوان القصيدة (هنا أبها) وانتهاء إلى مفتتح ثلاثة أبيات توزعتها القصيدة - لتنقل ((إلى كل قلب يخفق بالحب ، على البعد والقرب))[٢] علوقه بالمكان :

هنا أبها ألست ترى بهــــاءً   تطرّز منه للحسن الثيـــــابُ

هنا أبها ألست ترى القـــوافي   تسير - بلحنها الصافي - الرِّكاب

هنا أبها ألست ترى يديهـــا   يزينها من الحنا خضـــــابُ [٣]

وتستمر ظاهرة التكرار تؤدي وظيفتها في النص الشعري ، لنجدها تأخذ شكلاً واحداً ، وتقصد دلالة واحدة ، عند الشعراء عبد الرحمن العشماوي وإبراهيم صعابي ، وأحمد الصالح .

يقول العشماوي :

أبها وتسبح في سمائي غيمـــة   ويلوح لي برقٌ ويهتف راعـــد

أبها ويزداد الغمام تجهمـــاً   عذباً يقوم إذا رآه القاعـــد

أبها وتضحك ذكريات طفولة   لقيت عسير الحب فيها غامدُ [٤]

ويقول صعابي :

أبها .. هي الورد في أزكى روائحه

أبها .. هي الشعر في أفاقه الغرر

أبها .. هي الحب في أنقى محاسنه

أبها .. هي الطير يشدو لحظة السحر [٥]

ويقول الصالح :

أبها تلفت قلبي في مرابعها   كما تلفت في أفيائها .. بصري

---

(١) (رائحة التراب) ص ٨٢ .

(٢) (خارطة المدى) ص ١٠٢ .

(٣) السابق ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٤) (السابق) ص ٥٣ .

(٥) (وطني سيد البقاع) ص ٣٠ .

أبها ارتمى الصيف في أحضانها ثملاً يهزه العشق بين الصحو والخدر
أبها اشتهتها عيون الناس مترفة وضمها الليل مثل الواله الحذر[١]

فالتكرار هنا أخذ عند كل الشعراء شكلاً رأسياً ، وأعطى - كما أرى - بعداً نستطيع من خلاله قياس المدى الذي وصل إليه الإعجاب بالمكان والانبهار به ، والاستعذاب بجمالياته . كما أنه ساعد على تدفق صور المكان في النص الشعري ، ومن الشعراء الذين تُرى عندهم هذه الظاهرة حسين سهيل ، وعلي آل عمر عسيري ، وأحمد قران الزهراني ، ويأخذ التكرار صورة تكرار العبارة أو المفردة أو الحرف وكلها صور تحمل شعور التعلق بالمكان والتأنس برؤيته والالتذاذ بترجيع اسمه ٠

بقي أن نشير إلى أن التكرار يمتد أثره إلى موسيقى وإيقاع القصيدة ويوفر هناك لحناً نغمياً آسراً [٢]

ب- النداء :

من الظواهر التي تتبدى لمن يطالع القصائد التي قيلت في (أبها) ظاهرة النداء ٠

وأكثر ما يتوجه النداء عند أهل اللغة إلى العاقل ، وقد يتوجه إلى غير العاقل ، وهو ما نراه في النصوص الشعرية التي بين أيدينا حيث تعمد الشعراء التوجه بندائهم إلى المكان عند مناجاته ، أو التوجه بالخطاب إليه ٠

وقد تعددت دوافع هذا النداء لديهم فالبهكلي في قصيدة (نجوى على البعد)[٣] يلح على استعمال أداة النداء (الياء) في مطلع القصيدة ليعكس حقيقة البعد المكاني بينه وبين المكان الذي تعلقه وشاء الله أن يبتعد عنه ، لكنه لا يلبث أن يستعمل في ذات القصيدة أداة نداء القريب مسبوقة باسم فعل الأمر ، مدفوعاً إلى ذلك بتأثير داخلي ، يمور في النفس ، وينادي بحقيقة القرب الوجداني التي يتلاشى أمامها البعد المكاني :

إيه أبها حدثي فالبعد مضنٍ والرؤى تزوَرُّ في طرف كليـــل
إيه أبها رغم ما أوسعت نأياً عنك .. إني عائدٌ بعد قليل [٤]

---

(١) (عيناك فيهما يتجلى الوطن) ص ٧٠ ٠

(٢) (الأرض والحب) ص ١٥ ٠

(٣) سيأتي مثل هذا الدور ضمن الحديث عن الموسيقى الداخلية ٠

(٤) الأرض والحب ص ١٦ ، ١٧ ٠

ومن دأب البهكلي الإكثار من استخدام أدوات النداء مذكورة أو محذوفة في بقية نصوصه ٠

وهذا القصيبي يمتد نظره وإعجابه في آن واحد امتداد ربى أبها ، التي وقف يطالعها ، يعكس لنا هذا الامتداد البصري والنفسي الامتداد الذي تحققه أداة النداء (الياء) سواء في امتدادها الصوتي أو الدلالي :

يا عروس الربى الحبيبة أبهـــا

أنت أحلى من الخيـــال وأبهى

....

يا عروس الربى الحبيبة والعشق

فنون .. وجدت عشقك أدهى (١)

وتفرض حقيقة القرب الوجداني على التيهاني ، استخدام (همزة النداء) لتناسب هذا القرب ،لنراه يكرر صيغة (أسيدة المدينة) في قصيدته (لامية الحقيقة) (٢) وكأنه يصر على هذا القرب من خلال إمعانه في تكرار النداء ٠

أما حبيب بن معلا المطيري ، فيعمد - وهو يستل خبر الجبل وخبرته من خلال الحوار - إلى تكثيف أسلوب النداء ولعله لاحظ - وإن كان إزاء هذا الجبل الذي يحاوره (٣) - البعد الواقعي الذي يعكسه جمود هذا الصلد الصموت فوظف لذلك (الياء) كأداة نداء تستطيع أن تولد هذا المعنى :

إيه

يا جبل الصمت الغامض

يا قدراً يجثم كالأسد الرابض

يا من تحمل

في جسدك آلاماً يكشفها البرق الوامض (٤)

---

(١) (المجموعة الكاملة) ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ ٠

(٢) أماريق ص ٧٩ ٠

(٣) جبل الحبلة في أبها وقد جاءت الإشارة إليه في صفحات سلفت من البحث ٠

(٤) (نوافذ الشمس) ص ٤١ ٠

وتسري ظاهرة النداء عند شعراء آخرين ، لكنها تأتي عندهم لتؤدي الوظيفة اللغوية الصرفه دون أن تستبطن إيحاءً ، أو تفضي بدلالة ٠

وإذا كانت هذه الظواهر ظواهر بارزة لا يصح تجاوزها ، فإن هناك ظواهر أخرى يستطيع إدراكها المتأمل في بعض النصوص كالأسلوب الاستفهامي ، والأسلوب الإشاري ، وكذلك تكرار بعض الحروف كحروف الجر والحروف الهامسة والجاهرة ٠

٥- ظاهرة التناص في قصيدة (أبها) :

المطالع لنصوص الدراسة سيرى تفاعلاً من قبل الشعراء مع نصوص دينية وشعرية وأدبية يحتويها التراث العربي ، وهو ما يعرف عند النقاد المعاصرين بـ (التناص Inertexuality) ويقابله عند النقاد القدامى التضمين والاقتباس وكذلك المعارضة ، وهذا اللون من التفاعل لا يمكن الاستغناء عنه في أي خطاب لغوي [1] حيث ((إن النص ليس ذاتاً مستقلة أو مادة موحدة ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى ونظامه اللغوي مع قواعده ومعجمه جميعها تسحب إليها كماً من الآثار والمقتطفات من التاريخ))[2] ولذلك ((فكل نص هو امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى))[3] وهذا يرجع إلى تأثر اللاحق بالسابق وتفاعله مع فكرته وطريقته ، وأريد هنا أن أكشف عن هذه الظاهرة في ما بين يدي من النصوص ويكون ذلك بتجلية أبرز أشكال التناص فيها ٠

ونبدأ بالتناص مع الأثر الديني لنجد أن من الشعراء من تفاعل مع النص القرآني المقدس واستجلب من آياته الكريمات لينفذها ضمن نصه ، وفي بعضها يكتفي بتوظيف اللغة القرآنية وهو الأكثر في نصوص الدراسة من الأول قول مهدي أحمد الحكمي :

إذا نثر العشاق فيها حروفهـــــــــم

نثرت حروفي فوقهم (حية تسعى)[4]

---

(١) انظر (في نقد الشعر العربي المعاصر) ص ٣٤٢ ٠

(٢) عبد الله الغذامي (الخطيئة والتكفير) ص ٣٢١ ط / ١ ١٩٨٥ م نادي جدة الأدبي ٠

(٣) مصطفى السعدني (المدخل اللغوي في نقد الشعر) ص ٢٨ د . ت منشأة المعارف - الأسكندرية - ٠

(٤) (بيادر) ص ١١٠ ع / ٣٤ - رمضان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م ٠

وهـذا اقتبـاس مـن قولـه تعـالى : ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ الآيـة [١] ومثلـه هاشـم سعيد النعمي في قوله :

تحسبها راقصـــة بحركـــــات الجرس
مثل الغواني خلتها أو كالجوار الكنس [٢]

وهذا من قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾ الآية [٣]

ومن الثاني - وهو ما اعتمد فيه الشعراء التوظيفات اللغوية القرآنية مع مقاربة شديدة للنص القرآني - قول محمد علي السنوسي :

تنورها من وراء السحاب وبي وله نحوها وانجـــــذاب
وقد طار بي نحوهــــا طائرٌ طوى الأفق طي السجل الكتاب [٤]

فهذا جاء من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ الآية [٥]

ونحوه ما جاء في قصيدة أحمد سالم باعطب :

وتسكر الديمة العذراء من يدها وترتوي رقة والصبح وسنـــــان
ترف عاطرة الأذيال ناديـــة ما مَسَّها قبلها إنس ولا جان [٦]

فالشاعر هنا استدعى ألفاظه من خلال الاتصال مع قوله تعالى :
﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾ الآية [٧] .

ومثلهما في الإفادة من اللفظ القرآني تركي مقبل العصيمي حيث أفاد من قوله تعالى :

---

(١) سورة طه الآية ٢٠ .

(٢) شذا العبير ص ٣٨٤ .

(٣) سورة التكوير الآية ١٦ .

(٤) المجموعة الكاملة ص ٥٢٤ .

(٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٤ .

(٦) أبها في مرآة الشعر المعاصر ص ١٨ .

(٧) سورة الرحمن الآية ٧٤ .

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ ﴾ الآية [١] في قوله :

ووادٍ سقاه المزن حتى أفاضه فأضحى كصرحٍ في زجاج ممرد [٢]

ومن أشكال التناص في نصوص الشعراء التناص مع النتاج الأدبي الموروث ، وتمّ ذلك للشعراء من طريقين :

الطريق الأول : تضمين أشطار أبيات من الشعر لشعراء سابقين خلال نصوصهم وهو ما يسمى عند البلاغيين بتضمين المصراع ، ويدخل معه التناص مع المثل العربي . ونبدأ بعلي عبد الله مهدي في قصيدته عن (أبها) ضمنها من شعر غيره مرتين مرة في المصراع الثاني ، ومرةً في المصراع الأول مرة من شعر ابن نباته المصري ، ومرة من شعر شوقي يقول :

إني لأشهد دنيا جل ما فيها (والدار صاحبها أدرى بما فيها)

قد أودع الله فيها كل طيبة سبحانه وتعالى جل معطيهـــا

(آمنت بالله واستثنيت جنته) لا شي يسبق أبها أو يضاهيها [٣]

فالتضمين الأول جاء به من قصيدة لابن نباتة المصري في مدح محي الدين بن فضل الله [٤] والثاني جاء به من قصيدة لأحمد شوقي في دمشق [٥] مع تغيير يسير في التضمين الأول ٠

وممن ضمن من أقوال سابقيه مطلق شايع عسيري في قوله :

وإن عثرت خطا فرسي فإني (رضيت من الغنيمة بالإياب) [٦]

فهذا الشطر لامرئ القيس [٧] وهو مما يتمثل به ٠

---

(١) سورة النمل الآية ٤٤ ٠

(٢) قلبٌ في أبها ص ١٦٦ ٠

(٣) أبها في التاريخ والأدب ص ١٣٩ ٠

(٤) (ديوانه) ص ٥٦٥ د.ت دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان - وبيته :

لم ندر ما فيه من وصف فنحصره وصاحب البيت أدرى بالذي فيه

(٥) الشوقيات ص ١٠١ ج/ ٢ ٠

(٦) للإسلام تغريدي ص ١٢ ٠ ٠

(٧) ديوانه ص ٧٣ وأصله من الأمثال يقال : (رضيت من الغنيمة بالسلامة) انظر : كتاب الأمثال (لأبي عبيد بن سلام) ص ٢٤٩ ط / ١ : ١٩٨٠م - مركز إحياء التراث - جامعة الملك عبد العزيز ٠

أما محمد سعد الدبل فيعمد إلى شطر من قصيدة للمتنبي يمدح بها كافوراً فيأخذ المصراع الثاني من طالعها :

من الجآذر في زي الأعاريب حمر الحُلىَ والمطايا والجلابيب (١)

يقول الدبل :

لو يبعث المتني عاب قولته ((حمر الحلى والمطايا والجلابيب))(٢)

واستثمار الدبل لهذا الشطر جاء وهو في حال الحديث عن فتاة المدينة والحضارة فكأنه بهذا الاستثمار يدفع نظرة المتنبي في قصيدته التي سقنا طالعها فيما سبق ، والتي فضل فيها فتاة البادية على فتاة الحاضرة .

أما التناص مع المثل العربي فليس له إلا صورة واحدة وجدناها عند علي أحمد النعمي في قصيدته (أغنية عشق لأبها) وذلك في حديثه عن تباشير النماء ، وفجر السعد الذي تعيشه (أبها) وقد أخذ بيدها الأمير خالد الفيصل ، فهذا الواقع استدعى المثل العربي المعروف (أعطى القوس باريها) (٣) وكثيراً ما يقال عندما يتحمل الأمور من يصلح لها :

لم تدر وهي الفتاة الخود حين نمت واستشرفت أن فجر السعد آتيها

وأن ليل المآسي جد مرتحل عنها فقد (أخذ الأقواس باريها)

أبها لك الفخر بالفجر الذي انبثقت أضواؤه فارقصي في ظله تيها (٤)

ويلحظ هنا تغيير يسير في صياغة المثل خلاف ما جاءت عليه في كتب الأمثال (٥) وهكذا استطاع الشعراء وهم يستدعون هذه الجمل والعبارات دمجها في نصوصهم ببراعة ،حيث تجاورت مع كلماتهم دون نفور .

أما الطريق الثاني : فهو التناص في الأوزان والقوافي وهذا النوع كثير في نصوص الدراسة وسأكتفي ببعض هذه النصوص التي تناصت مع نصوص السالفين من الشعراء في الوزن والقافية ، كمثال في هذا الإطار .

---

(١) ديوانه ص ١٥٩ ج / ١ .

(٢) في رحاب الوطن ص ٤٨ .

(٣) الميداني (مجمع الأمثال) ص ١٩ ج / ٢ تح أبو الفضل إبراهيم مطبعة الحلبي - القاهرة -

(٤) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص ٧١ ، ٧٢ .

(٥) انظر (مجمع الأمثال) ص ١٩ ج / ٢ .

ففي قصيدة محمد بن سعد آل حسين (الدالية)[١] توافق من حيث الوزن والقافية مع قصيدة ربيعة بن مقروم الضبي التي طالعها :

بانت سعاد فأمسى القلب معمودا وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا[٢]

أما أحمد فرح عقيلان في (لاميته)[٣] فقد أجراها على وزن وقافية قصيدة مصطفى صادق الرافعي التي طالعها :

حسناء خالقها أتم جمالها سألته معجزة الهوى فأنالها [٤]

وكلا القصيدتين جاءت على وزن وقافية قصيدة مروان بن أبي حفصة الشهيرة والتي أولها :

طرقتك زائرة فَحيّ خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها[٥]

ومن هذا النوع من التناص قصيدة زاهر الألمعي (زلة القول)[٦] والتي تولدت للدفاع عن (أبها) المدينة والجمال ومطلعها :

لكل قول مدى الأزمان خذلانُ إن لم يقمه على الإنصاف ميزان[٧]

فقد جاءت على نظام قصيدتين شهيرتين هما قصيدة أبي البقاء الرندي وقبلها قصيدة إبي الفتح البستي ٠

ويقوى مثل هذا التناص عند شعراء آخرين ، فإلى جانب التناص في الوزن والقافية يأتي الموضوع الشعري ليردف هذا . فقصيدة علي مهدي في (أبها) جاءت على وزن وقافية قصيدة إيليا أبو ماضي في (فلوريدا) إذاً اشتركت القصيدتان في الوزن والقافية ووصف المكان . يقول علي مهدي واصفاً (أبها) :

---

(١) ديوانه ص ٧٥ ٠

(٢) المفضل الضبي (المفضليات) ص ٢١٣ ط / ٥ د.ت تح / أحمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف - مصر - ٠

(٣) المجموعة الكاملة ص ٨٦ ٠

(٤) لم أقف عليها في (ديوانه) بتحقيق أسامة محمد السيد ط / ١ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - وهي في كتابه (رسائل الأحزان) ص ٢٧ ٠

(٥) (ديوانه) ص ٩٦ ط/ ١٩٧٣ تح حسين عطوان دار المعارف - مصر - ٠

(٦) الألمعيات ص ١٤٩ وجاء الكلام على مناسبتها ص ٧٨ من البحث ٠

(٧) السابق ص ١٤٩ ٠

أبها التي هام قلبي في مغانيها والخرد الغيد معنى من معانيها
تهدي لعاشقها الأفراح غامرة والطيب تنفحه حتى لمؤذيها [١]

ويقول إيليا أبو ماضي في زورة (لفلوريدا) :

سئلت ما راق نفسي من محاسنهـا فقلت للناس : باديها وخافيها
وما حببت من الأشجار ؟ قلت لهم إني افتتنت بكاسيها وعاريها
وما هويت من الأزهار ؟ قلت لهم الحب عندي لناميها وذاويها [٢]

ويتلفت الشاعران جاسم الصحيح وخالد الحليبي في قصيدتيهم (أبها موعد مع الغيب) و (أبها حنانك) إلى قصيدة نزار قباني في دمشق (من مفكرة عاشق دمشقي) والقصيدتان مثل قصيدة نزار قباني جواً ومناسبة، وفي قوافي القصائد الثلاث توارد كثير ٠

فمن قصيدة (أبها موعد مع الغيب) يقول الصحيح :

أنّى رحلت أرى الغابات تسبقني إلى المكان وتكسو وجهه عُشبـا
والماء أغنية تمشي على قــدم حولي وتكنس من أوداجي التعبا [٣]

ويقول خالد الحليبي في قصيدة (أبها حنانك) :

مدي لقلبي من فيض الرؤى سبباً فقد طغى الموج في دنياي واضطربا
أبها أبت قرية التحنان تقبلني ضيفاً عزيزاً فجودي وامسحي التعبا [٤]

ومن قبلهما قال نزار قباني في (من مفكرة عاشق دمشقي) :

فرشت فوق ثراك الطاهر الهدبا فيا دمشق لماذا نبدأ العتبـــا ؟
حبيبتي أنت فاستلقي كأغنية على ذراعي ولا تستوضحي السَّبَبـا
يا شام إن جراحي لا ضفاف لها فمسِّحي عن جبيني الحزن والتعبا [٥]

---

(١) (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ص ٨١ ٠
(٢) (ديوانه) ص ٨١٠ ط / ٢٠٠٢ م دار العودة - بيروت ٠
(٣) (أولمبياد الجسد) ص ١٨٣ ٠
(٤) ملتقى أبها الثالث ص ١٠٣ ٠
(٥) لم يتيسر لي الوقوف على ديوان الشاعر الذي يضم القصيدة وهي من نسخة مصورة لدي ٠

وقصيدة الحليبي أقوى في التلاقي مع قصيدة نزار قباني من حيث الأفكار ، يلحظ ذلك من يقرأ القصيدتين متجاورتين •

ونقول بعد هذا التتبع لظاهرة التناص في شعر البحث : إن ورود هذا التناص ((في قصيدة الشاعر يدل على تعلقه بالتراث القديم واستحضاره له))[1] وكذلك ((ينم بجلاء على مدى تغلغل التراث العربي العريق وأنماط التعبير التقليدية في قرائح الشعراء السعوديين المعاصرين))[2]

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

(١) (التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث ص ١٨٩ •

(٢) بكري شيخ أمين (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) ص ٣٩٩ ط / ٤ ١٩٨٥ م دار العلم للملايين - بيروت - •

المبحث الثاني
الصورة الشعرية

الصورة الشعرية :

((إن ارتباط الشعر بالصورة هو ارتباط وجودي ، وعندما توجد الصورة يوجد بالضرورة الشعر وعندما يوجد الشعر تظهر تلقائياً الصورة))[١] ولأجل ذلك فلا مَعْدَى لدارس النص الشعري عن دراستها : كونها تستوعب الواقع النفسي لقائل النص ، ومن ثمّ كان ((الاتجاه إلى دراستها يعني الاتجاه إلى روح الشعر))[٢] فـ((هي روحه وجسده))[٣] والسبيل الذي من خلاله ، يستطيع الدارس استغوار مطاوي نفس الشاعر ، لاستجلاء موقفه وعلة تفاعله ((ذلك لأن ما بداخله من مشاعر وأفكار يتحول بالصورة إلى أشكال وصفت بأنها أشكال روحية))[٤] . وبهذا يقوى القول : بأن الصورة ((ليست لغواً أو نافلة يقصد بها مجرد تجميل وزينة ، وإنما هي تعبير عن نفسية الشاعر))[٥] .

((والتعبير بالصورة خاصية الشعر منذ كان))[٦] لأنه ((يعطي العمل الفني قيمته ويهيؤه للقبول ويزيد المعنى وضوحاً))[٧] .

((وقد شغلت الصورة النقاد ، وتكاد تكون القضية الأولى في الاهتمام .... وعلى رأس المهام

---

(١) صبحي البستاني (الصورة الشعرية) ص ٣٤ ط / ١ ١٩٨٦م دار الفكر اللبناني - بيروت - .

(٢) ارشيبالد مكليش (الشعر والتجربة) ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي ص ٦٧ ط / ١٩٦٣م دار اليقظة العربية - بيروت - .

(٣) نصرت عبد الرحمن (دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية) ص ٢٦ ط / ١٩٧٩ م مكتبة الأقصى - عمان - .

(٤) د. عبد القادر الرباعي (الصورة الفنية في النقد الشعري) ص ٨٥ ط / ٢ ١٩٩٥م مكتبة الكتاني - الأردن - .

(٥) د . إحسان عباس (فن الشعر) ص ٥٧ ط / ٣ ١٩٨٧م دار الشروق - بيروت - .

(٦) د . أنس داود (التجديد في شعر المهجر) ص ٣٥٦ .

(٧) إبراهيم الغنيم (الصورة الفنية في الشعر العربي) ص ٢٠ ط / ١ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م الشركة العربية - القاهرة - .

المحورية في النقد الشعري)) [1] وإن اختلفت المفاهيم النقدية للصورة والتي هي في ((تحوير وتبديل مستمرين ، حتى أن كل مدرسة فنية تعطيه المفهوم الذي يتفق وفلسفتها العامة ، والمسألة التي تكاد تكون موضع إجماع في الدراسات النقدية الحديثة - على تباين آرائها الشديد -. هي أن الصورة بالمفهوم الفني لها تعني : أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن)) [2] ويستطيع الشاعر من خلالها تشكيل أحاسيسه المنتزعه من بواطن ذاته ، وتشكيل رؤيته لما حوله ، ليعبر عنها بدقة ٠

ومن هنا رأيت أن أجعل لها مكاناً في هذا البحث ، أجلي من خلاله أنماط الصورة في قصيدة أبها. وأرجو أن يكون في طوقي جلاء ذلك وبيانه ، على أنه ينبغي أن أشير إلى أن المباحث السابقة توزعت كثيراً من هذه الصور ، لتأخذ هناك حقها من الإشارة والإيضاح ٠

(١). أنماط الصورة :

أ- الصورة الموروثة :

وأعني بها الصورة نزعت منزع التقليد لما ورث وأثر من الصور الشعرية ، التي احتواها وخلدها ديوان شعر العربية ، على امتداد عصوره ، واختلاف اتجاهاته ٠

وعندما نتقرى شعر البحث ، نجده يتوافر على مجموع كثير من هذه الصور التقليدية الموروثة فنحن نقف فيه على تشبيهات واستعارات ، من مثل :

(فصارت ترى عيني ثراها كعسجد) ، (يا عروس الربى) ، (يا عروس الجنوب) (فوق السنام تربعت مثل المهاة) ، (كأنه أدمع في خد غانية) يشبه الطل ، (كرؤوم حضنت بالحب طفلا) ، (رأيت أبها ملاكاً في محاسنها) ، (مليحة تتثنى رقة وصبا) ، (فهذه أبها كحسناء طروب) ، (بكت السحب فوقها بزلال) ، (رأيتك مثل غيداء) ، (هي جنة في دوحها ومروجها) ، (وأطلي على السفوح عروساً) ، (رأيتك في شمس الأصيل كدرة) وما أغفلناه من هذه الشواهد كثير [3] ، والناظر في هذه الصور التي اعتمدت

---

(١) د . سمير الدليمي (الصورة في التشكيل الشعري) ص ٧٧ ط / ١ ١٩٩٠م دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - ٠

(٢) الصورة الفنية في النقد الشعري ص ٨٥ ٠

(٣) تطالع مثل هذه الشواهد في مبحث الوصف وكذلك مبحث التبادل بين الطبيعة والمرأة ٠

التشبيه والاستعارة ، يجد الشعراء لا سيما من مال منهم إلى تيار التقليد ، قد تابعوا سلفهم من الشعراء ، لتجيء هذه الصور في تلافيف قصيدة أبها ، بعدما أبلاها الشعراء - على اختلاف عصورهم - استعمالاً ، ولذلك أضحت صوراً ونعوتاً مكرورة وتقليدية •

ونحن هنا لا نعيب على الشاعر هذا الأخذ والامتياح بقدر ما نريد منه - وهو يستفيد من صور التراث - أن لا يبقى كلاً على هذا المصدر ، ينتقل بصوره دون أن يضفي عليها من روح العصر ، ودون أن ترتشف من ذوب نفسه ، وتستنير بطلائع فكره هو ، وإلا فإن الامتياح مما استقر في وجدان الشاعر من صور من تقدمه من الشعراء لا مناص منه ، وأقرب ما نستشهد به هنا هو مصادر تصوير المرأة في الغزل الذي ما يزال يقوم في معظمه على التشبيهات ، والمجازات المستمدة من عناصر ومظاهر الجمال في البيئة الطبيعية لهذه البلاد ، وفي عالم الحيوان والنبات فيها بخاصة [١] وقد يكون ذلك عكسياً فتستمد الطبيعة صورتها وملامحها من صورة المرأة ومن دلالاتها الجمالية والوجدانية •

ب- الصورة الجديدة :

لا أعني بالجديد - هنا - المنسلخ من الإبداع التراثي ، فإن الشاعر لا بد له - كما أسلفت - من التداخل مع إبداعات أسلافه ، وإنما أعني بالجديد ما تراه من حرصٍ عند بعض الشعراء ، على الاستقلال بأدائهم التعبيري ، وبروزهم الشخصي في أثناء النص، ليكون نتاج ذلك صورة تؤدي وظيفتها الجمالية ، والنفسية باقتدار •

وأكثر ما نرى ذلك في الصورة الكلية والمركبة ، حيث تتعاضد الصور الجزئية لتخلق إيحاء ومفهوم الصور الكلية ، بحيث ((تؤدي كل صورة وظيفتها في التجربة الشعرية التي تكوّن الصورة الكلية ، وذلك بأن تكون الصورة الجزئية مسايرة للفكرة العامة ، أو الشعور العام في القصيدة ، وأن تشارك في الحركة العامة للقصيدة حتى تبلغ الذروة في النماء)) [٢] وهذا يجعل الاهتمام بجزيئات الصورة والنظر إليها تكاملياً أمراً لازماً لأنه يحميها من التفتت ويجعلها تؤدي دورها كاملاً ، ذلك أن الدور يتنامى تنامي الصور، وفي قصيدة (أبها) مشاهد تصويرية ،

---

(١) انظر د . صالح جمال بدوي (في خصوصية وحدة الأدب العربي) ص ٧١ ط / ١٤١٥هـ ١٩٩٥م زهراء الشرق - القاهرة - •

(٢) د . محمد غنيمي هلال (النقد الأدبي الحديث)ص ٤٥٤ ط / ١٩٦٤ م دار مطابع الشعب - القاهرة -

تتعاضد فيها الصور الجزئية لتنتهي إلى صورة كلية تحوي داخل إطارها مجموعة من المشاهد تكاملت في رؤية الشاعر قبل إبداعها شعراً لتشكل مشهداً واحداً ، لكن سرعان ما تنبجس من هذا المشهد المتكامل في ذهن الشاعر ، صور جزئية تتوزع في النص ، ليعيد المتلقي تمليها ، فيظفر بذات المشهد الذي تكامل في ذهن الشاعر ، ولنا أن نتأمل هذا التجزؤ الذي يولد باجتماعه التكامل في الصورة في قول جاسم الصحيّح يرسم صورة المكان :

أرى الطبيعة تستجلي أساورهـــا ... في معصميك متى عصفورها طربـــا
وأقتفي موكب الأشجار في سفـــر ... ما بين زفرة سفح ، أو شهيق ربـــا
فأنثني بين أنفاس مراهقـــــة ... كأنّما عتقت في صمتها حقبـــــا
وأسأل المنحنى : كـــم عاشقين هنا ... تطارحا في الحقول الشوق والعتبـــا
أنّى رحلت أرى الغابـــات تسبقني ... إلى المكان وتكسو وجهه عُشُبـــــا
والماء أغنية تمشي على قـــــدم ... حولي ، وتكنس من أو داجي التعبا (١)

ونلحظ هذا التلاحم بين الصور في النص المفضي إلى صورة كاملة تركبت من خلال هذا التلاحم في قصيدة (السحر يلد أبها) :

حبوت وأضحى هائماً مغرماً قلبي ... وهمت فلي عذر فإدلالهــــــا يصبي
كأني مجذوب لها وهي جــــاذبٌ ... لحبل ووادي حيث قد أحكمت جذبي

وتستكمل الصورة :

وإن فؤاداً حلّ فيك ولم يهـــم ... لعمرك أقسى من مدى حجر صلب
وأيدي النسيم الغضّ تهصر غادة ... من العرر المزدان ذي الفنن الرطب
وينساب - رقراقاً - نمير مدله ... كأنّ أساه من فراق ابنـــة السحب
كـــأن لكف السحر تمريرة على ... عيون المياه الجاريات على الترب (٢)

ونستطيع أن نتمثل في قصيدة (مقعدٌ في ((أبو خيال))) للتيهاني ، مثل هذه العلاقات بين الصور الجزئية التي لا نستطيع بدون إبقاء التعالق بينها ، استكمال المشهد الشعري الذي أراد

---

(١) أولمبياد الجسد ص ١٨٣ .

(٢) الأرض والحب ص ٧ .

النص نقله إلينا ، ولطول القصيدة أجتزء مشهداً واحداً منها :

وبقية أسرار المشهد ؟
تتثاءب أمُّها ..
أو تغفو ..
تتدثر معطفها الأسود
لتذيب العاشق في ليلٍ
كالحضن الحاني للمسهد
فغفوت
وحلمي هو أمُّها ..
وحلمتُ بأني أحملها ..
تحملني ..
أو ..
ضاع المشهد
لكني أبصر آمالاً
تدخلها أمُّها في صدري
كالنار بروحي تتوقد
فإذا آمالي ..
هي أمُّها .. !! [1]

ومن هنا يمكن القول إن القصيدة يمكن أن تكون ((صورة كبرى أو بناء كلي ناتج من اندماج ذات الشاعر في الموضوع)) [2] وكما تبدى لنا التجديد في أعطاف الصورة المركبة ، فإنه يلاقينا - كذلك - ونحن نسير نحو بعض الصور المفردة ، التي جاءت في بعض النصوص

---

(١) أماريق ص ٥١ ، ٥٢ .

(٢) د . عبد القادر الرباعي (الصورة الفنية في شعر أبي تمام) ص ٢١٢ ط ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م إربد - الأردن - .

مستقلة في مدلولها الصوري ، دون أن تنعدم علاقتها بالصور الأخرى داخل النص .

ومن ذلك قول أحمد بهكلي :

أنا أسرجت أمـــــانيّ بسرج   من دجى ليلٍ تمادى في السـدول
وانتظرت الفجر طفلاً أشقر (م)   اللون يجوز الأفق في خطو ذميل (١)

وقول أحمد بيهان :

جنة فوق قمة فوق كون   من عبير به المشاعر ولهى
ترتقي الشمس تستحم بواديها   فنالت من البحيرة ملهى (٢)

ونرى مثل هذه المسحة التجديدة في صورة (المكان ينتعل السحاب) التي جاءت في قول جاسم الصحيّح :

أبها وألقاك في أحضان شاهقة   خضراء تنتعلين الغيم والسحبـا
وقد تدلت عناقيد النجوم لنا   لا نقطف النجم حتى نثني الركبا (٣)

والقصيدة تمتلىء بمثل هذه الصور الرائعة .

بقي أن نقول : إن هناك من الصور البديعة ، ما لا يعتمد على أشكال المجاز - والتي عادةً ما يتوسل بها في التصوير - بل نرى فيها ((العبارات حقيقية الاستعمال ، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير دالة على خيال خصب)) (٤) ونكتفي هنا بشاهد واحد ، نتحقق فيه مثل هذا التصوير الذي جاء ((من استخدام عبارات حقيقية لا مجاز فيها)) (٥) وهو قول أحمد مطاعن في قصيدة (لوحة) :

هناك على الربوة العالية   وفي فَيَّة العرعر الحانيـة
بظل البشام وفيء الغمام   لدى الزهر والأعين الجارية
وعند الصباح النقي الندي   مع النسمة البكر والشادية (٦)

---

(١) الأرض والحب ص ١٨ .

(٢) ملتقى أبها الثقافي ١٤١٢هـ ص ١٠١ .

(٣) أولمبياد الجسد ص ١٧٧ .

(٤) النقد الأدبي الحديث ص ٤٦٥ .

(٥) د . عبد الفتاح نافع (الصورة في شعر بشار بن برد) ص ٥٩ ط ١٩٨٣ م دار الفكر - عمان - .

(٦) دورة الأيام ص ٧٠ .

وتسير القصيدة على هذا النول إلى آخرها ، مفعمة بصور رائعة لا تقوم على أي شكل من أشكال المجاز

(٢). مقومات الصورة :

نريد هنا أن نحدد أبرز أساليب الأداء التصويري ، التي توسل بها الشعراء لإقامة البناء التصويري في قصائدهم ، وعند التأمل في نصوص البحث نجد أن من أهم تلك الأساليب :

أ- التشبيه ٠

ب- الاستعارة ٠

ج- التصوير بالمفارقة ٠

وسنقصر النظر عليها ، كونها عماد الصورة عند شعراء قصيدة أبها ٠

أ- التشبيه :

وهو واحدٌ من طرق الأداء الدلالي[١] حيث إنه يفيد ((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه))[٢] وهذه المشابهه أو العلاقة ((تستند إلى مشابهة حسية ، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين))[٣] ٠

ولكون التشبيه يؤدي دوراً مهماً في إيصال الصورة التي يريد الشاعر رسمها إلى المتلقي ، اتخذه شعراء قصيدة (أبها) سبيلاً من سبل تصويرهم ، واختلفوا في توظيفه فمنهم - وهم الأكثر - من جاء التشبيه عنده على أساس المشابهة في الشكل ، أو المقارنة في الطبيعة ، ولأجل ذلك نكاد نجد ضروب التشبيه التي حصرها ابن طباطبا ، ماثلة في كثير من نصوص الشعراء كـ ((تشبيه الشيء بالشيْ صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة وبطئاً وسرعة ، ومنها تشبيهه به لوناً ، ومنها تشبيهه به صوتاً ، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض))[٤] نرى ذلك في قول خالد الحليبي :

---

(١) د . محمود سليمان ياقوت (علم الجمال اللغوي) ص ٥٦٥ ط / ١٩٩٥ م دار المعرفة الجامعية - مصر -

(٢) د . بسيوني عبد الفتاح (علم البيان) ص ١٧ ط / ٢ ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م مؤسسة المختار - دار المعالم الثقافية - القاهرة - الأحساء - ٠

(٣) د . جابر عصفور (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي) ص ٢٠٨ ط / ١٩٧٤م دار الثقافة - القاهرة - ٠

(٤) ابن طباطبا (عيار الشعر) ص ١٧ ٠

دعي السحاب كأسراب الحمام على ... خضر الأرائك يغفو بعدما تعبا (١)

وقول عبد الله بلخير :

يتوالون كالسحاب تغشى ... ذروات الهضاب مثل السبال (٢)

ونقف على مثل ذلك عند محمد بن سعد آل حسين ، وقد اعتمد التشبيه التفصيلي في قوله :

والطل في ساعة الإصباح منتثرٌ ... تياره فوق هـــام الزهر مجراه
كأنه أدمع في خد غانيــــة ... غيداء في قلبها وجــــد تولاه
شوق إلى ذي هوى يخفى عرامته ... حياؤها ، وانبذار الدمع أفشاه (٣)

وشبيه هذا من التشبيهات كثير ، وكلها تهدف إلى الوصف والتصوير المباشر ٠

ومن الشعراء من جاءت الصورة التشبيهية عنده ، لتكشف عن موقف شعوري عاشه ويعيشه قبل وأثناء عملية الإبداع . نلحظ ذلك في قول أحمد التيهاني :

أتيت إليك يلفظني شمالٌ ... سمومي كأنياب اللهيب (٤)

فتشبيه الموجود بالمتخيل الذي يعطي إيحائية مخيفة ، جاء - ولا شك - نتيجة معاناة ذاتية لنفس تعرت ببعدها عن المكان ، ليجلدها الاغتراب بسياطه ٠

ويلجأ البهكلي إلى وسيلة التشبيه ، ليرسم بها صورة النهار لا يذكر فيه المكان على هيئة أشلاء متفرقة ، وهذا يعطي دلالة تفتت الأوقات وتناثر الساعات مثل ما تتناثر الأشلاء :

إن ليـــلاً يمر لا أتغنى ... بك فيه لموحش الأنـــاء
ونهـــاراً يجوز بي لا أزجي ... حلماً فيك لهو كالأشلاء (٥)

وهي صورة تهدينا لتلمس العلاقة بالمكان في أعماق الشاعر ، وتفضي بإيحاءٍ كئيب تولد من المشهد التصويري الذي وفره المشبه به ٠

---

(١) ملف ملتقى أبها الثقافي الثالث ١٤١٤هـ ص ١٠٤ ٠

(٢) بيادر ع / ٤ص ١١٣ ٠

(٣) أصداء و أنداء ص ٧٧ ٠

(٤) (فاعلاتن) مخطوط ص ٥٧ ٠

(٥) الأرض والحب ص ٢١ ٠

وقد يعطي الشاعر المشبه صوراً متعددة ، من خلال إفراد المشبه ، وتعدد المشبه به ، وربما كان القصد من ذلك إعطاء المشبه بعداً جديداً ، يوفر جمالاً ولطفاً جديداً ، يحدث مهزة في النفس ، ويخلق علاقة جديدة بين المشبه الثابت ، والمشبه به المتعدد ، يقول أحمد الصالح موظفاً هذا المنحى :

يا شاعري .. !!
الصيف في ..(أبها)
له طعم المطر
لون الغيوم .. البيض
رائحة السفر
كما ابتسامات الصبايا
مثل أضواء القمر (١)

ومن هنا استطاع الشعراء ، أن يفيدوا من بلاغة التشبيه التي تقوم على الإيضاح والتأثير ، من خلال استلهام التناظر بين الأشياء ، وخلق جمال فني بينها ، ومن خلال توظيف حركة النفس ، وما يمور بداخلها في إنشاء مشاهد تصويرية تشبيهية ، تعكس هذا الإحساس الداخلي المستور ، لتؤثر في المتلقين ٠

ب- الاستعارة :

وهي ((أحد فنون الأداء الدلالي وإبداعاته في اللغة العربية)) (٢) و ((الركن الرئيسي في تكوين الشعر ، وفي خلق الصور)) (٣) وتعرّف بأنها ((استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهه ، مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الأصلي)) (٤) ٠

وقد اعتمد الشعراء عليها كطريق من طرق الأداء البياني ، كما اعتمدوا على التشبيه ، وأفسحوا لها في بناء الصورة ، أكثر مما أفسحوا له . مدركين أثرها في التصوير ((خاصة

---

(١) انتفضي أيتهاالمليحة ص ٨٦ ٠
(٢) علم الجمال اللغوي ص ٦٠٣ ٠
(٣) الصورة الشعرية ص ٦٨ ٠
(٤) علم البيان ص ١٦٩ ٠

أنها تعد من أهم أدوات رسم الصورة وهي تسهم - إلى حد بعيد - في تصوير الأحاسيس والمشاعر ، ومن ثم تجسيدها وتشخيصها ، فتجعلنا ننفعل ونتأثر بما تنطوي عليه ، فهي أداة توصيل ينقل الشاعر من خلالها موقفاً أو رؤية ما)) [١] ٠

وبما أن التشخيص وسيلة ((تقوم على أساس تشخيص المعاني المجردة ومظاهر الطبيعة الجامدة في صورة كائنات حية تحس وتتحرك وتنبض بالحياة)) [٢] فقد كان من أهم صفات الاستعارة ، ولذلك طفق إليه الشعراء يتوسلون به في تجلية مشاعرهم وتفاعلهم مع المكان الطبيعة والمدينة . فهذا العشماوي - كواحدٍ منهم - اتخذ من هذا الأسلوب التصويري ، وسيلةً لتصوير إحساسه بالمكان بأشيائه المختلفة وذلك في قصيدته (جنوبية العينين) ومما جاء فيها قوله :

جنوبية العينين تهفو مشاعـري ... ويكبر في عيني الجمال ويعظـم
ويملكني الغصن الرطيب إذا انثنى ... ويأسر وجداني الحديث المنغّـمُ
وأشعر أن الأرض تصغر في يدي ... إذ ما بدا للشمس جيدٌ ومعصـمُ
ويسري إلى قلبي حنينٌ ولوعـةٌ ... إذا ابتسمت في عتمـة الليل أنجم
إذا أشرق البدر المنير على الربى ... يعبِّر عن أشواقـه ويتمتـمُ [٣]

فهنا نرى الشاعر وقد سما بهذه المنظورات ، وأسبغ الحياة عليها ، (لتتثنى ، وتتحدث وتغني ، وتبسم ، وتعبرّ)، وكل ذلك من فعل الوجدان المنفعل داخل الشاعر ، إعجاباً بهذه المنظورات من أشياء المكان والطبيعة ٠

ويتخذ معيض البخيتان من الصورة المشخصة ، فاعلاً يحرك به بعض المرائي الطبيعية ، وباعثاً يبعث فيها وقدة الحياة يقول :

يا كروم الضياء أورقت عمري ... وجفون النجـوم حولي غوافي !!
وولدت الزمان وجهاً أنيقـاً ... مشرئب العنقود والقطّـاف !!

---

(١) بو جمعه بو بعيو (النص الشعري بين التأصيل والتحليل) ص ١٣٨ ط / ١ ١٩٩٨م منشورات جامعة قاريونس - بنغازي - ٠

(٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ص ٨٦ ٠

(٣) خارطة المدى ٧٥ ، ٧٦ ٠

ونقشت الثغور لوناً وطعمـــاً جبلي المذخــــور والإختراف !!
وصعدت مراوحاً ونفوســـاً غمست خضرة السنا والنطاف !!
يا روابي أبها ومن لي بأبهـــا وانهمار الظلال في الأريــاف !!
وغناء الرعاة والغيم يحكـــي ثرثرات البذور تحت السوافي [1]

والشواهد في هذا كثيرة ، لا نستطيع حصرها وقد جاء منها الكثير في المباحث السابقة ، وفيما سبق ويلحق من مباحث الصورة الشعرية ، وهذه الكثرة تدل على احتفال الشعراء بهذه الوسيلة ، وتوظيفهم لها على اختلاف نزعاتهم ، كما تنهض بما ذهب إليه الدكتور / علي عشري زايد ، من أن التشخيص يظل وسيلة أساسية من وسائل تشكيل الصورة ، في كل شعرنا العربي الحديث بكل اتجاهاته وتياراته المختلفة ، بما في ذلك التيارات التي لم تتأثر تأثراً مباشراً بالرومانتيكية[2] والتشخيص - إلى جانب احتفال الشعراء أنفسهم به - يؤدي - كذلك - إلى إشباع رغبة المتلقي ، فـ ((الإنسان يستمتع بإسباغ الشعراء (والفنانين عامة) الحياة والعقل على أشياء الطبيعة ، عندما يأتي هذا الإشباع غير متكلف أي : يأتي فيضاً طبيعياً عن الوجدان ، لأن وجدان الإنسان المتحضر لم يتطور بل ظل (بدائياً) وسيظل))[3] .

ج- التصوير بالمفارقة :

التصوير بالمفارقة طريقٌ ومقوّم من مقومات الصورة في قصيدة (أبها) وإن كان غير بارز و ذلك إذا ما قورن بغيره من مقومات التصوير التي اعتمدها الشعراء . وهذا النوع من التصويرعبارة عن ((تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض))[4] وبهذا ندرك كيف أن المقارنة أصبحت ((تمثل آلية من آليات بناء

---

(١) ثرى الشوق ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢) انظر : (عن بناء القصيدة العربية الحديثة) ص ٧٧ .

(٣) د . عودة الله القيسي (منابع الشعر ومكانة الشاعر) ص ١٣٤ ط / ١ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م المطابع التعاونية - الأردن - .

(٤) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ص ١٣٠ .

النص الشعري ، ومن ثم تمثل دراستها آلية من آليات تحليل النص الأدبي))[١]

وعندما نصوب النظر في نصوص الدراسة نرى من الشعراء من أراد استغلال مثل هذا الأسلوب التصويري في إبراز الصورة التي يريد رسمها ، داخل القصيدة ، ومنهم التيهاني لنراه في قصيدة (رمضان في الزمن الخصيب) يعتمد هذا الأسلوب في بنية النص بعامة وهو بجلاء في قوله :

ونما الشعور ..
حتى ملكت مليكتي ..
فسكنت أحداق الغيوم
رمضان ..
حبٌ .. ،
وسموٌ .... وصلاتٌ ..
وصلاة ..
ونما الشعور ..
حتى أتى زمنٌ كئيب ٠
رمضان ..
إفطار على ريح الرِّمال
رمضان ..
أشلاءٌ تفرقها الفلاة ..
رمضان ..
موتٌ . وانتظار .. [٢]

ولهذا الأسلوب حضور في بني قصائد أخرى للتيهاني مثل قصيدة (كيف حالك ؟) و (تقاسيم الأبوة) وهذا يؤكد حرص الشاعر على الاستعانة بهذا الأسلوب في تصوير

---

(١) د . حسني عبد الجليل (المفارقة في شعر عَدِيّ بن زيد العبادي) ص ٤ ط / ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م الدار الثقافية - القاهرة - ٠

(٢) أماريق ص ٢٩ ، ٣٠ ٠

((أبعاد رؤيته المركبة لواقعه المعيش ، وإخراجها من حيز الذات المجرد إلى حيز الحس الموضوعي ، وتلح هذه المفارقة التصويرية على إبراز التناقضات المختلفة التي تتكتم في طوايا الذات أو تتراءى في أطراف الواقع المعيش للشاعر))[١] ومن نماذج التصوير بالمفارقة قصيدة علي أحمد النعمي (أغنية عشق لأبها)[٢] والتي قابلت بين وجهين زمنيين للمدينة الزمن الأول يمثل زمن الحاجة والافتقار إلى عوامل النمو ، والزمن الثاني يمثل زمن النمو وركوب راحلة التطور ، وتأخذ الصورة في الوجهين ملامح وقسمات متعددة متناقضة مناقضة حادة ((حتى لتكاد تبدو القصيدة وهي موزعة بين هذين الوجهين وكأنها قصيدتان اثنتان في خلافية زمانية ومكانية))[٣] ويقال في قصيدة عبد الله بن علي ابن حميد[٤] مثل ذلك •

(٣). مصادر الصورة :

تتعدد المنابع التي يصدر الشعراء عنها في إبداع صورهم الشعرية ، لنجدها تأخذ أشكالاً مختلفة ، تجيء تبعاً لعلاقة الشاعر بهذا المنبع وتأثره به ، سواء كان منبعاً يتعامل معه بحواسه على تنوعها ، أم كان من المنابع التي تتأتى من خلال مستفاد الشاعر من تجاربه ، وما وقع عليه إدراكه ، وما ثقفه من أنواع الثقافات ، الدينية والأدبية ((وعلى ذلك فإن مصادر الصورة هي الأشياء التي يتكىء عليها الشعراء في إبداع صورهم ، بل هي منطلقات الخلق الفني التي تعكسها مرآة وجدان الشاعر))[٥] •

وحين نبحث عن المنابع التي صدر عنها شعراء الدراسة ، نجدها تتمثل في الطبيعة ، والبيئة الاجتماعية ، والإنسان ، والتراث الثقافي ، مع تفاوت في مقدار ارتواء الصورة من هذه المنابع •

أ- البيئة الطبيعية : وتتمثل :-

في جغرافية المكان ، وما ينماز به من صفات جمالية ، يعيش الشاعر في حضرتها ، أو يأتي إليها ، أو يسمع عنها ، وهي مصدرٌ ثرٌ صدر عنه الشعراء السعوديون ، فكان أكثر تدفقاً

---

(١) شعر أمل دنقل دراسة أسلوبية ص.٢٧٦ •

(٢) أبها في مرآة الشعر المعاصر ص ٧١ ، ٧٢ وهي بأغلب أبياتها في ص (١٦٢) من البحث •

(٣) شعر أمل دنقل دراسة أسلوبية ص ٢٨٩ •

(٤) أديب من عسير ص ١١٥ ، ١١٧ وهي في ص ٨٠ ، ١٦٢ من البحث •

(٥) الصورة الفنية في الشعر العربي ص ٣٩ •

من غيره من المصادر في صورهم الشعرية ويعود ذلك إلى كون النص الشعري - في الغالب - جاء مردوداً ونتيجة للتأثر بجمال المكان ، بأشيائه المختلفة ، فأبها تنماز عن غيرها بجمال الطبيعة ، وروعة مناخها لا سيماً الصيف ، إلى جانب كون الطبيعة - في مفهومها الواسع - مستمد الشعراء الذي لا ينفد ، يردونه ويصدرون عنه في رسم صورهم الشعرية ، على اختلاف الأغراض التي تصدّوا للقول فيها •

وفي صور شعراء الدراسة ، تظهر طبيعة المكان بأشكالها المختلفة : الجبال ، والمروج والرياض ، والعيون ، والأشجار ، والأزهار ، والسحاب ، والضباب وكذلك ما صنعته يد الإنسان من منجزات حضارية ، ونستطيع أن نستظهر مثل هذا الوجود للطبيعة في جزئيات الصورة في قول ابن خميس :

فما أبهاك يا (أبها) جنابـا — وما أنداك يا (أبها) هبوبا
وما أحلى المروج الخضر تزهو — عليها برد نيسان قشيبـا
تطرزها الهضـاب كأن تبراً — ينمق ذوبه الربعَ الخصيبا [1]

وتأتي الطبيعة - أيضاً - لتغذى الصورة في قصيدة طاهر زمخشري من مثل قوله :

تعلق بالمفاتن
في هضاب .. بأبها
ما لروعتها مثيل .. !!
ففوق تلالها
يبكي سحاب
وأدمعه بواديها سيول .. !!
ويمسح أدمع
الغيمات صحوٌ
بأنسامٍ يبعثرها الخميل !! [2]

---

(١) على ربى اليمامة ص ١٤٢ •

(٢) رباعيات صبا نجد ص ٣٨ •

وتزدحم مشاهد الطبيعة في قصيدة (معشوقة الشمس) لأحمد عبد الله عسيري لتنساب من داخلها صورٌ رائعة وموحية ، يرفد انسيابها انسياب الإيقاع الذي جاءت في إطاره ، وكل ذلك أفاض إيحاءً وإشعاعاً ، يقودان إلى تنامي تفاعل المتلقي .

يقول أحمد عسيري :

من رعشة الريح في ليل الصبابات — وضحكة الصبح في ثلج احتراقاتي
قطفت من شفة الريحـــان أغنيتي — وصغت من زهرة الرمان أبيـــاتي
حملت من سحر أبها ألف رابيــــة — وفي عيوني تعرت كل واحــــاتي

ومنها :

قبائل الشعر من قرعائنـــا نبتت — وسودة الزهر مصباح العشيـــات
وركضة الغيم في دلغـــان تطربني — ونفحة الشيح في كف المليحـــات
طفولة الصيف تلهو فوق مبسمة — سنابل الحقل أو رقص الفراشـــات
وبارد الغيث في الغـــدران يغسلني — ويزرع الشوق في حسي وفي ذاتي (١)

وفي هذا المنحى ، يمكن أن نتوقف عند استغلال الشعراء للطبيعة ، بزهرها وبحيوانها وطيرها ، لتكون طرفاً من أطراف الصورة ، بغض النظر عن كونها صورة تقريرية ، ومباشرة تفتقر إلى الإيحاء . وأول ما نقف عنده قول علي حافظ يصف أهل (أبها) وقد حضروا يشهدون منجزاً حضارياً قام على أرضهم :

وقف الأهالي في الربى وكأنهم — بصفوفهم سدٌ من الكثبـــــان
بيض الوجوه كما الزهور تألقاً — في الحفل في التاريخ والأزمان (٢)

ومثله عبد الله بلخير وهو يصف أهل (أبها) وقد أبصرهم في رقصة تراثية :

يتوالون كالسحاب تغشى — ذروات الهضاب مثل السبال (٣)

أما محمد بن سعد بن حسين ، فيرسم المعنوي من صفات الإنسان ، بالمحسوس من أشياء الطبيعة :

---

(١) عسير ص ٣٢ ، ٣٣ دليل سياحي صدر عن إدارة التطوير السياحي بإمارة عسير .

(٢) نفحات من طيبة ص ١٣٤ .

(٣) بيادر ع / ٤ ص ١١٣ .

يا روضة الحسن يا أبهى مرابعنا تيهي به ، والفتى بالمجد تيـــاه
أخلاقه مثل أزهار الربا فلهـــا فيما تضمين أمثالٌ وأشباه [(١)]

ويأتي في هذا المساق قول صالح سعيد الزهراني :

أبها نموت كهذا النخل شامخة رؤوسنا ما ثنى إشراقها كمدُ [(٢)]

وقول خالد الحليبي :

دعي السحاب كأسراب الحمام على خضر الأرائك يغفو بعدما تعبا [(٣)]

ومثلهما بهاء حسين عزي وقد لبى نداء أبها :

نادت ولبيت والأشواق تسبقني كالنحل يصدى فيلفي الروضة الأزهى [(٤)]

وتأتي الغزالة كأحد أشياء الطبيعة ، لتوظف في إحدى صور الصحيّح توظيفاً بديعاً ، قاد إليه استلهام الشاعر من هذا المخلوق الرشاقة ، والسرعة لتتلاقى مع سرعة الرياح وخفتها . يقول :

غزالة الريح تهديها السلام إذا مر النسيم رشيق الخطو منسربا [(٥)]

ب- البيئة الاجتماعية :

وأعني بها المظاهر التي يعكسها المجتمع ، إنساناً ومكاناً ، ويجد فيها الشاعر ما يرفد المشهد الذي يتصدى لتصويره ، وعندما نتخير بعض الشواهد ، في هذا الجانب ، يأتي بيت أحمد حسين النجمي الذي يقول فيه :

وأصاخت القمم التي لبست له ثوب اخضرار والعقال ضباب [(٦)]

وهذه الصورة توسلت في بنيتها بمظهر اجتماعي يميز المجتمع السعودي ، وهو اتخاذ العقال فوق الرأس ، وقريب منه أعطاء السحاب والضباب - وهو يلامس رؤوس الجبال -

---

(١) أصداء وأنداء ص ٧٧ .
(٢) تراتيل حارس الكلأ المباح ص ٢٤ .
(٣) ملف ملتقى أبها الثالث ص ١٠٤ .
(٤) ذو العصف والرَّيحان ص ١٩٦ .
(٥) أولمبياد الجسد ص ١٧٨ .
(٦) بيادر ع / ٢١ ص ٧١ وجاءت ضمن ديوان (قبلة على جبين الوطن) مخطوط .

شكل العمامة ، وهو تقليد ملازم للعربي منذ كان ، ونجد ذلك عند كثير من الشعراء، ومن ذلك قول العشماوي :

أصعّد طرفي عالياً فتلوح لي   حبالٌ بأطراف السحاب تعممُ [(١)]

وتأتي في هذا السبيل بعض المظاهر الاجتماعية المتعلقة بالمرأة ، لنتقراها في صور الشعراء، كاتخاذ اللثام ، والقناع وخضب اليدين ونحوها ، ولا شك أن (المعادل الموضوعي) بين المرأة والمكان أس في أستدعاء هذه المظاهر إلى عالم الصورة . يقول منصور الحازمي مخاطباً السودة :

وأطلي على السفوح عروساً   تلبس المرج والضباب لثاما [(٢)]

ويقول العشماوي في قصيدته (هنا أبها) :

هنا أبها ألست ترى يديها   يزينها من (الحنّا) خضاب [(٣)]

ولأن المملكة العربية السعودية فسيحة الأرجاء ، مترامية الأطراف ، فقد تباينت فيها أشكال البيئة فهناك الجبلية والصحراوية ، والبحرية وقد برزت في قصيدة (أبها) البيئة الجبلية ، كنتيجة لطبيعة المكان الموصوف ، وكذلك برزت البيئة البحرية في صور وألفاظ بعض شعراء قصيدة (أبها) من جازان والساحل الشرقي ، والساحل الغربي ، كإبراهيم مفتاح ، وإبراهيم صعابي ، وحسين سهيل ، ويحيى توفيق ، وخالد الحليبي الذي يقول وهو يرسم صورة (أبها) متأثراً ببيئته الساحلية :

أبها على شفة الأحلام أمنيـــــة   عذراء تحتار في تقليدها لقبـــــا
تخالها في الدجى محـــــارة رعشت   على مشارفها أنوار حجبـــــا
حتى إذا الفجر رش النور وارتشفت   أزاهر الروض من أندائه حببـــــا
تفتقت عن محـــــار الليل لؤلؤة   وأسفر الصبح عما كان منتقبا [(٤)]

---

(١) خارطة المدى ص ٧٥ .

(٢) أشواق وحكايات ص ١١٩ .

(٣) خارطة المدى ص ١٠٤ .

(٤) ملف ملتقى أبها الثالث ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

وفي ذلك ما يعطينا الدليل على أثر البيئة على ذات الشاعر ، وانعكاسها على نماء الصورة عنده ، ويمكن أن ينضاف إلى هذا المصدر ، صورة المنجز الحضاري القائم على تضاريس المكان الموصوف ، يستوي في ذلك المنجز الحضاري الأثري ، والمنجز الحضاري العصري ٠

ج- الإنسان :

تلفت الشعراء إلى هذا المصدر ، وأخذوا يستعيرون منه صفات توافق بنية الصورة التي يريدون بنائها وصوغها ، لنجد (الضحك ،الابتسام،البكاء، الغيرة ، التناجي ، الهتاف) وغيرها من الصفات الإنسانية التي وظفت حسب سياق الصورة ومرادها داخل النص ٠
وتتسع دائرة هذا التلفت عندما يكون المصدر الإنسان / الأنثى ، ذلك أن الشاعر يكون ممتلئ الإهاب من صفات الحسن البشري الأنثوي ، ليقع نظره على الحسن المكاني الطبيعي ، فيكتشف تعدد الروابط ، وأوجه الشبه بين الحسنيين ، فيدخل المكان عنده عالم الجميلات بما يُسبغ عليه من صفات الجمال والحسن الأنثوي ، وهذا ما يظهر لنا في قصيدة (أبها) التي دخلت هذا العالم لنخرج منه بالصورة / الأنثى ، والصورة / أبها ، وقد أفضت في مبحث سابق [1] عن هذا التداخل بين الصفات الأنثوية والمكانية ، والتعادل بين الصورتين ، وسقت شواهد لذلك ، مما يفرض علي - هنا - الاكتفاء بما هنالك حتى لا أقع في أَسْرِ الكلام المعاد ٠

د- الموروث الثقافي :

نعني بالموروث ((الموروث الثقافي والديني والفكري والأدبي والفني ، وكل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة))[2] ((والشاعر حين يتوجه بوعي وصدق وإحساس لرصد تجربته ونقل موقفه إلى الآخرين لا يجد مناصاً من استرفاد محصلته الثقافيه المفعمة))[3] وهو إذ يفعل ذلك فإنه يتوسل ((بأكثر الوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفاذ))[4] وهذا حق له غير

---

(١) انظر : مبحث (التعادل بين المرأة والطبيعة) ص ١٢٨ وما بعدها ٠

(٢) في نقد الشعر العربي المعاصر ص (٣٦٨) ٠

(٣) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ص ٤٤٣ ٠

(٤) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ص ١٢١ ٠

أن عليه ((أن يضيف إليها من رؤاه وأحلامه ما يجعلنا نشعر أن له عالماً مستقلاً عالماً حلق فيه بأجنحة قوية))[1] وأنه - كذلك - يستطيع أن يحول ذخيرته الثقافية إلى ذخيرة فنية ، وذلك بتحويل عناصرها الفكرية ، إلى عناصر انفعالية [2] ٠

ولما كان الموروث الثقافي واحداً من مصادر الصورة في قصيدة (أبها) كلن لابد من الوقوف عليه ، ويمكن لنا ذلك من خلال الوقوف على أشكال استلهام التراث التالية :

1. **استلهام الموروث الديني ٠**
2. **استلهام الموروث الأدبي ٠**
3. **استدعاء الشخصية التراثية ٠**

(١). استلهام التراث الديني :[3]

من الشعراء من كانت له الثقافة الدينية مستفاداً ، استفاد منها صوره ، ويأتي في أول هذه الثقافة كتاب الله - تعالى - القرآن الكريم ، لنجد أن بعض الصور القرآنية نفذت إلى داخل الصورة الشعرية ، عند كثير من الشعراء ، رغبة منهم في أن تنعم صورهم بظلال الصورة القرآنية ، وقدرتها البارعة في أداء المعنى ٠

ومن هؤلاء الشعراء محمد علي السنوسي في قوله من قصيدة (أبها) :

تنورتها من وراء السحـــاب وبي وله نحوهـــــا وانجذاب

وقد طار بي نحـــوها طائر طوى الأفق طي السجل الكتاب[4]

فقد تلفت إلى الصورة القرآنية التي جاءت في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ الآية [5] ٠

ومثله هاشم سعيد النعمي في قوله من مقطوعة شعرية قالها في (أبها) :

---

(١) شوقي ضيف (في النقد الأدبي) ص ١٧٣ ط / ٤ ١٩٧٦م دار المعارف - مصر - ٠

(٢) انظر : (في الشعر العربي) ص ١٤٨ ٠

(٣) هناك من لا يرى إدراج الدين الإسلامي في مصطلح الموروث الثقافي ، كونه ديناً مقدساً لا يعرض له ما يعرض للتراث من تبدل واختلاف ٠

(٤) المجموعة الكاملة ص ٥٢٤ ٠

(٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٤ ٠

فلو تراهـــا إذ زهت | مجلـــوة كالنرجس
تحسبها راقصـــــة | بحركـــات الجرس
مثل الغواني خلتهـــا | أوكالجوار الكنس
قد ضربت أشجارهـــا | خيام وشي سندسي [١]

فقد أفادت صورته في البيت الثالث من الآية الكريمة :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ ﴾ الآية [٢] ويتخذ أحمد سالم باعطب من قوله تعالى : ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٧٤ ﴾ الآية [٣]. ملهماً يقيم من خلاله زاوية من زوايا التشخيص الذي توسل به ، ليصور العلاقة بين (الديمه) وهي السحابه ، وبين المكان ، وهي علاقة خاصة لم تفسد ، ولم تسبق بعلاقة أخرى ، وقد بلغ الاستمداد القرآني بهذا المعنى أوج الكمال . يقول باعطب :

وتسكر الديمة العذراء من يدها | وترتوي رقة والصبح وسنـــان
ترف عاطرة الأذيال نادیــــة | ما مَسَّها قبلها إنس ولا جان [٤]

ويستثمر مهدي أحمد الحكمي (الواقع في التصوير القراني) لقصة موسى - عليه السلام - والسحرة ، لينتقل به إلى الخيال في تصويره هو ، فيقول في قصيدته (لأبها وحدها) :

إذا نثر العشاق فيها حروفهـــــم
نثرت حروفي فوقهم (حية تسعى) [٥]

وممن أفاد من المعنى القرآني تركي العصيمي في قوله :

ووادٍ سقاه المزن حتى أفاضه | فأضحى كصرحٍ في زجاج ممرد [٦]

---

(١) شذا العبير ص ٣٨٤ .

(٢) سورة التكوير الآية ١٦ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٧٤ .

(٤) أبها في مرآة الشعر المعاصر ص ١٨ .

(٥) بيادر ص ١١٠ ع / ٣٤ رمضان ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

(٦) قلب في أبها ص ١٦٦ .

فقد نظر إلى قوله تعالى حكاية على لسان سليمان - عليه السلام - :

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾[1] الآية ٠

وفي إطار التراث الديني ، يأتي الحديث الشريف ، كمنبع آخر استفاد منه الشعراء في بناء صورهم ، وقد جاء الاستمداد من هذا المنبع غير ظاهر في السياق التصويري ، ولكن المتلقي يحس هذا الاستمداد غير الصريح ، من خلال دلالات في ثنايا الأبيات ، وتأمل هذا في قول جاسم الصحيّح :

أتيت والوله الصوفي يصعد بي — عبر السموات بالأسرار منجذبا

صبي بقايا حميّا الغيب في جسدي — قد شب نصفي .. ونصفي لم يزل حطبا

يريد كأساً / براقاً حين أسرجه — في الرأس يفتض عن مكنونها الحجبا

من أنت يا قامة تمتد في فلك — يخال للسدرة العصماء منتسبا[2]

فالألفاظ (يصعد بي عبر السموات) ، (براقاً حين أسرجه) ، (يخال للسدرة العصماء) تسارع بذهن المتلقي ، إلى قصة الإسراء والمعراج ، التي ساقتها كتب السنة بكل أدوراها بعد أن اكتفى القرآن بالإشارة إليها ٠

وشبيه بهذا ما نلحظه من استمداد للأثر النبوي في تغذيه الصورة في قول مهدي الحكمي ومراده (أبها) :

إذا ما جنان الأرض لاحت لناظر
تمنيت أني كنتُ من بابها أدعى[3]

وثمة تأثر بالتراث الديني من نوع آخر ، وهو التأثر ببعض المفاهيم والأحكام الشرعية وتوظيفها توظيفاً طريفاً . نقرأ ذلك في أبيات للعشماوي :

هنا أبها ألست ترى القوافي — تسير – بلحنها الصافي – الركاب ؟

أدر وجه القصيدة كي تراها — وفي أهدابها حُلمٌ مذاب

وحدثها حديث الحب إني — أراها لا تعيب ولا تعابُ

---

(١) سورة النمل الآية ٤٤ ٠

(٢) أولمبياد الجسد ص ١٧٦ ، ١٧٧ ٠

(٣) بيادر ص ١٠٩ ع / ٣٤ ٠

ولا تجعل زكاتك عن هواها فراقك حين يكتمل النصــــاب [(١)]

(٢). استلهام الموروث الأدبي :

دلائل استلهام الشعراء للتراث الأدبي والشعري ، والامتياح من صوره في كثير من القصائد التي قالوها في (أبها) خاصة عند بعض الشعراء ، نسمي منهم ابن خميس ومحمد ابن سعد آل حسين ، وزاهر الألمعي ، ومحمد بن سعد الدبل ، وعبد الله بن علي بن حميد وعلي حافظ وغيرهم ممن تجد في نصوصهم تشبيهات وصوراً ، تجد مثلها عند القدامى ، وقد أشرت إلى شيء منها على سبيل الاجتزاء لا الاستقصاء في إطار الصورة التقليدية ، في بداية هذا البحث ٠

وإذا خصصنا صور الطبيعة ، بدافع امتلاء القصيد الأبهاوي بها ، وجدنا نظر الشعراء ممتداً - وهم يصورنها - إلى ميراث الشعر العربي من شعر الطبيعة بحيث نستطيع أن نحيل كثيراً من صورهم ، إلى مضانها في ذلك التراث ، ولعل الموضوع الشعري ، والتجربة الشعورية ، سببٌ في هذا التعاور بين تصوير الشعراء السعوديين لطبيعة أبها ، وتصوير القدامى للطبيعة ، وسببٌ كذلك لتشابه أساليب الأداء ، ويتجلى ذلك في صور السحاب والمطر ، والبرق ، والمياه ، والطل ، والأزهار ، والجبال ، والروابي ، ومناحي الطبيعة المختلفة ، وكذلك في مقاطع تصوير المدينة ذاتها ٠

ويمكننا أن نضيّق مساحة هذا النظر ، لنقصره في أكثره على محور التفاعل والتقاطع مع شعراء الطبيعة كابن الرومي ، وابن المعتز ، والصنوبري ، وكذلك شعراء طبيعة القطر الأندلسي ، كابن خفاجة ، وابن زيدون ، والتلاقي مع هذا الأخير يكمن - إلى جانب وصف الطبيعة - في تعادل المرأة والطبيعة عنده في إطار تصويري واحد أكثر من غيره ٠

ومما يتصل بهذا الاستلهام ، استلهام الموقف والفكرة ، وأسلوب الأداء ، وأكثر ما يبين هذا في قصيدة (وقفة على شاهق الحبلة) [(٢)] لحبيب المطيري ، فقد استلهم موقف ابن خفاجة مع جبله ، وسار على سننه في إبراز أحداث الموقف التأملي ، واللحظة الشعرية التي

---

(١) خارطة المدى ص ١٠٣ ٠

(٢) نوافذ الشمس ص ٤٠ ٠

عاشها مع جبله هو ، وهو يجاوز هذا إلى إفعام النص بروح ابن خفاجة ، وطريقته الحوارية التي أسالها من لسانه ، وأستلهّا من لسان حال جبله •

وتبدو صورة هذا الاستلهام عند إبراهيم الزيد ، الذي أفسح لبعض الدلالات التراثية التي يحملها شخوص لهم ارتباط بالطبيعة ، وصفاً وتأملاً ، أو تفضي بها أمكنة غدت - كشكل من أشكال الطبيعة - رمزاً جمالياً ، والمغزى من هذا الإفساح تقريب صورة المكان الموصوف :

لو أن ((إيليا أبو ماضي)) وشيعته　　مرُّوا بها زورة في بعض أحيـــان

وطوفوا بكرة والشمس مشرقـــة　　بين المروج مليئات بقطعـــان

لأكبروا ما رأوا من فتنـــة عبقت　　فوق السفوح وضجوا (شعب بوّان)[1]

(٣). استدعاء الشخصية التراثية :

استدعاء الشخصية التراثية ، وتوظيفها في بناء الصورة ، واحدٌ من الملهمات التراثية التي أخذ بها الشعراء في تشكيل صورهم ، وربما قصدوا من وراء ذلك جعل الشخصية التراثية فاعلاً يكسب الصورة حيوية ، وإيحاءً يحقق شعريتها ، وقد يكون القصد دون هذا فلا يجاوز ابتغاء الإيضاح •

ففي قصيدة (أبها حنانك) يعمد الحليبي إلى تقديم صورة غنائية ، تعكس مشهداً تطريبياً عاشه واقعاً وخيالاً ، وحيث إن واقع الصورة يمت إلى الغنائيه والتطريب ، اجتلب له شخصية تراثية أندلسية ، شغلت موقعاً مهماً في عالم الغناء ، وهي شخصية (زرياب) المغني ، لتعطي الصورة بعداً مهماً ومكملاً لأجزائها :

هناك في قمة زرياب شادهُا　　والريح تغزل من أغصانهـــا الطربا

وحولها جوقة الغدران في دعة　　تستل من صخرها ما يذهل العجبا [2]

ويستلهم جمعٌ من الشعراء، شخصيات الموروث العشقي ، لنصادف في نصوصهم شخصية (قيس) ومعشوقته (ليلى) ، والاستحضار لهاتين الشخصيتين في نصوص

---

(١) جراح الليل ص ١٣ •

(٢) ملتقى أبها الثالث ص ١٠٤ •

الشعر المكاني ، يسهم - أولاً - في تكثيف دلالة التعالق بين الشاعر والمكان ، ويضطلع - ثانياً - بتوفير دلالة رمزية لعلاقة حبية .

ونستطيع أن نرصد مثل هذا الاستدعاء عند مطلق العسيري مرتين ، مرة وذاته هي التي تنطق بهذا الدال العشقي وتوظفه في تركيب الصورة :

لفها الغيم والضباب فماست — تختفي تارة وحينـــاً تغيب
فعلت بالقلوب فعلة ليـــلى — هام وجداً بعشقها المجنون (١)

ومرة وهو يستنطق المكان ، عن طريق الأسلوب الحواري ، لتأتي الصورة بذات النمط الذي جاءت عليه الصورة الأولى :

كم شاعر قد رآني خير ملهمة — فجـــاء يعلن لي وداً ويصفيني
تركته ساهد العينين من ولـــه — جعلتـــه يرتجي وصلي وتمكيني
عذبته بصفاء الحسن قاصـــدة — كما تعذب (ليلى) قلب مجنون (٢)

وتنفرد (ليلى) بالحضور في نداء العلاقة الحبيّه عند صالح الزهراني :

أبها تضل سواقي الحب مورقة — ويذهب الزيف (ياليلاي) والزَّبد (٣)

ويتوحد (قيس) كرمز لديمومة العلاقة ، وإخلاص الحب في بيت البهكلي :

لك مني (قيس) يا أبها وإني — لي من ربعك إشجاء الطلول (٤)

ويغاير استدعاء الشخصية التراثية عند عائض عبد الله القرني سابقيه ، ليأخذ عنده بعد الضدية بغية الإيضاح ليس إلا :

وأنا ملّكت قلبي حبهم — ويكأنّ القلب بالتمليك وي
حب من يتقي الله ومـــا — كان حبي حب غيلان لمي (٥)

---

(١) للإسلام تغريدي ص ٥٠ ، ٥١ .

(٢) السابق ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٣) تراتيل حارس الكلأ المباح ص ٢٤ .

(٤) الأرض والحب ص ١٧ .

(٥) قصة الطموح ص ١٠٦ .

وهكذا تبين لنا تنوع مصادر الصورة داخل المتن الشعري المدروس ، إلا أنه لابد لي - وبأخرة من هذا النظر في مصادر الصورة — أن أسارع فأقول :

إن الخيال كان مبسوطَ الجناح ، وهو يحُلق في أجواء هذه المصادر ، ليترك أثره في صور الشعراء ، وذلك تأكيداً لدوره في تكوين الصورة ، حيث إنها من إبداعه سواء كانت كلية أو جزئية فهو مصدر جمالها [١] وما هي إلا مولودٌ نَظِرٌ لقوة خلاقه هي الخيال الممتاز [٢]

(٤). وظائف الصورة :

لا شك أن الشاعر ، يحرص أن يوظف الصورة التي يتصدى لرسمها ، توظيفاً فاعلاً ، يؤدي دوره في الإقناع والإمتاع ، ويساعد - كذلك - على كشف المستورات التي توارت وراء حجب نفسه ، إلى جانب مرادات أخرى يرتجيها من هذه الصور .

وفي صور قصيدة (أبها) وظائف عدة ، كالوظيفة ، الإيحائية ، والاجتماعية ، والبنائية والتخيلية ، والتفسيرية ، والجمالية ، والنفسية ، وسيكون التركيز هنا على وظيفتين من هذه الوظائف ، وهما الوظيفة الجمالية والنفسية .

أ- الوظيفة الجمالية :

وهي من آكد الوظائف للصورة في قصائد البحث ، كونها . أولاً : تتداخل مع الوظائف الأخرى ، ثم لأنها جاءت لتعكس إغراء جمال المكان للشاعر ، والذي حرص على انعكاس هذا الجمال على تصويره ، لينقل هذا الإغراء والمتعة إلى المتلقي ليشبع غريزة حب الجمال لديه ، ولكي يروق للقارىء هذا الكلام ، عليه أن يتأمل معي جماليات الصورة ، النابعه من جماليات الطبيعة ، في قول أحمد الصالح :

يا شاعري .. !!
الصيف في .. أبها
له طعم المطر

---

(١) انظر : (في نقد الشعر العربي المعاصر) ص ٢٩٨ .

(٢) انظر : (الصورة الفنية في النقد الشعري) ص ٦٩ وأنظر د . الرباعي (الصورة الفنية في شعر أبي تمام) ص ١٤ .

لون الغيوم .. البيض

رائحة السفر

كما ابتسامات الصبايا

مثل أضواء القمر

****

الصيف .. فيها

زغردات طفلة

طرية لعوب

كوشوشات .. عاشق ..

كنسمة .. ندية

تضوعت طيوب [1]

ولا ريب في أن تلاقح جمال المكان مع جمال الصورة ، كفيلٌ بأن يخلق انفعالاً لدى المتلقى ، يقوده إلى مشاركة الشاعر في التأثر بهذا الجمال ولو كان ذلك غيابياً ٠

ومثل هذا التلاقح الجمالي ، المولد لانفعال المتلقي ، نجده في قصيدة (أبها ... موعد مع الغيب) لجاسم الصحيّح :

أبها وألقاك في أحضان شاهقـــة ... خضراء تنتعلين الغيم والسحبـا

وقد تدلت عنـــا قيد النجوم لنا ... لا نقطف النجم حتى نثني الركبا

أسطورة بين أكتـاف الذرى نقشت ... وشماً يخبىء من أسرارها عجبـا

غزالة الريح تهديها الســـلام إذا ... مر النسيم رشيق الخطو منسربـا

والشمس تنشر أغصان الظلال على ... مليكة رأسها بالقمة اعتصبـا [2]

وتبرز هذه الوظيفة في شواهد كثيرة من شعر البحث لا يتسع المكان لسوقها ٠

---

(١) انتفضي أيتها المليحة ص ٨٦ ، ٨٧ ٠

(٢) أولمبياد الجسد ص ١٧٧ ، ١٧٨ ٠

ب- الوظيفة النفسية :

الصورة أداة يستطيع الشاعر - من خلالها - تجسيد ما يعتمل في نفسه ، من مشاعر ، سواء أكانت مشاعر فرح أم ترح ، فمهمة الصورة توضيح حالات النفس على أي حالٍ كانت .

والناظر في قصيدة (عودة) ، وقصيدة (رمضان في الزمن الخصيب) لأحمد التيهاني يجد اتكاءً على أسلوب التصويرالتشخيصي التجسيدي الذي يبرز العواطف والانفعالات ((في رسوم وصور وتشابيه محسوسة وهي في واقعها رموزٌ معبرة عنها)) [١] يقول التيهاني في قصيدة (عودة) :

أتيت إليك والدنيا كئيبٌ — تلاعنـــه أعاصير الهروب
أتيت إليك يلفظني شمالٌ — سمومي كأنياب اللهيب [٢]

وتندلق الصورة مرة أخرى من روح الكآبة في قصيدته (رمضان في الزمن الخصيب) يقول :

ونما الشعور
حتى أتى زمن كئيب
رمضان
إفطارٌ على ريح الرمال
رمضان ..
أشلاء تفرقها الفلاة
رمضان
موت وانتظار .. [٣]

فالشاعر يقصد من خلال هذا التشكيل التصويري ، عكس حالة نفسه وهي تغلي في مراجل الاغتراب ، ومن هنا ندرك قدرة الصورة على أداء وظيفتها في جلاء ظواهر نفسية عاشها الشاعر في مغتربه ، ولذلك فحقيقة المكان والزمان - في تصوير التيهاني -

---

(١) المعجم الأدبي ص ٥٩ .
(٢) فاعلاتن ديوان مخطوط ص ٥٧ .
(٣) أماريق ص ٣٠ .

حقيقة نفسية ، وليست موضوعيه ولذلك ينبغي أن نتقرى صورة المكان والزمان في إطارها النفسي وليس المكاني و الزماني ۰

ونقيض الشعور النفسي الكئيب ، الذي نقلته لنا الصورة في أبيات التيهاني ، الشعور النفسي المنتشي ، الذي نحسه في قول أحمد بهكلي وقد ظفر بمراده وعاد إلى أبها :

فتاك أتاك يا أبها مشوقـاً … تكاد خطاه تلتهم الطريقـا

وتنثال الرؤى في ناظريـه … طيوف هوى وتحناناً عميقـا

تراقص فكره غادات حلم … نماها ربعك الأغنى شروقاً (١)

فعندما نسبر هؤلاء الأبيات بمسبار التأمل ، نجد أنها حوت صوراً ارتسمت في خيال الشاعر نتيجة دفقات الشعور المبتهج بالعودة والذي قاد إلى تصوير يحمل دلالات التعجل (خطاه تلتهم الطريقا) ،(تنثال الرؤى في ناظريه) ، (غادة حلم) فالالتهام والانثيال ، والحلم تفضي بهذه الدلالة التي من أجلها سيقت هذه الصور ۰

وكل هذه الأبعاد النفسية عند الشاعرين ، جاءت في إطار تصويري يحمل شحنات الانفعال ، التي كانت تتدافع داخل النفس ، وأراد الشاعر الإبانة عنها من خلاله ، على أن الشاعر بقدر ما قصد - من خلال البث الشعري - تصوير انفعالاته والفضفضة عن نفسه بقدر ما قصد - كذلك — الاستحواذ ((على المتلقي ووضعه في حال أشبه بحال الشاعر وهو يكابد التجربة الشعرية)) (٢) فتكون الصورة بذلك قد عكست واقع المبدع وأثرت في متلقي الإبداع ، على تفاوت في مستوى التأثر عند المتلقين ۰

(٥). **عجز الصورة :**

وهذا يتمثل في عدم التوافق النفسي بين طرفي الصورة ، حيث ينجر الشاعر - وهو يقيم صورته - إلى ما بين الطرفين من تقارب شكلي ، مهملاً التوافق النفسي ، ليقع فيما يسميه الدكتور علي عشري زايد (تنافر عناصر الصورة) والذي يتمثل ((في أن يكون الوقع النفسي لأحد طرفي الصورة مناقضاً لوقع الطرف الآخر الذي مفروض فيه أن يدعمه ويقويه ، وهذا النوع من التنافر غالباً ما يكون نتيجة لولع الشاعر برصد التشابه الحسي بين

---

(١) طفيان على نقطة الصفر ص ١٣٠ ۰

(٢) في نقد الشعر العربي المعاصر ص ٣٢٢ ۰

الأشياء دون أن يفطن إلى ما بين هذه العناصر المتشابهه في الحس ، من تنافر من ناحية إيحاءاتها النفسية)) [١] ومثل هذا نجده في قول حسين النجمي وهو يصف سقوط الندى على زهر أبها :

وسقوط الندى على الزهر يحكي أدمع الحزن في عيون اليتامى [٢]

فالشاعر هنا يتصدى لرسم صورة جميلة ، يريدها أن تنضاف إلى غيرها من صور المكان المتوزعه في النص ، حيث شبه تساقط الندى على الأزهار - وهو منظرٌ بديع - بتساقط دموع اليتامى ، وهذا تشبيه غير جميل لتناقض الجو النفسي بين طرفيه ، فليس هناك - على مستوى الإحساس النفسي - أي تناسب بين الصورتين ، فالناظر يستعذب - واقعاً - الصورة الأولى ، ويتعذب لأجل الثانية ٠

ويتمثل لنا هذا العجز في قول أحمد بيهان وهو يندب لياليه الحاليات في (أبها) :

أحن ألى أبها وأبها بعيدة على ناظري لكن قلبي لها مأوى

ندمت على الماضي فأرسلت أدمعي على صفحتيّ خديّ راقصة نشوى [٣]

فخروج الدموع أرسالاً من عينيه ، جاء نتيجة ندامة وحزن ، فأي تلاءم بين واقع الحزن ، وبين الرقص والانتشاء ونستطيع أن نستخرج مثل هذا العجز - وإن كان أخف منه - من قول أحمد الصالح في قصيدته (أبها) :

والسودة الغيم يجري في مدارجها كأنه النور يغشى عتمة السحر [٤]

فنحن نعرف أن الغيم حجابٌ تعتمره السماء ، فيحجب ضياء الشمس ونور القمر ، فلا توافق إذاً بينه وبين نور الصباح يجلي ظلمة الليل ، إلا إذا كان الشاعر يريد الفعل دون الهيئة فهذا له ٠

---

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ص ٩٥ ٠

(٢) عيناك في وقت الرحيل ص ٥٦ ٠

(٣) أبها في التاريخ والأدب ص ١٣٨ ٠

(٤) عيناك يتجلى فيهما الوطن ص ٧١ ٠

وخلاصة القول : هي أن الشاعر اعتمد الصورة كأداة أسلوبية تجاور غيرها من الأدوات الشعرية في النص الشعري ، وكان في اعتماده هذا بين التقليد والتجديد ، والاستدعاء للصور والابتداع لها ، متخذاً من مقوماتها المختلفة طريقاً لرسمها ، كالاستعارة والتشبيه ، والتصوير بالمفارقة ، إلى جانب البث المباشر المصور من غير اعتماد على المجاز ، وكان في ذلك يرد منابع عدة كالطبيعة والمجتمع ، والمثال الإنساني ، والموروث الثقافي بأنواعه ، وكانت الصورة - في كل ذلك - تنجح في جلاء مدلولها الصوري أحايين ، وتعجز حينا عندما يفشل الشاعر في مراعاة التناسب النفسي قبل التقارب الشكلي بين طرفيها ٠

❖❖❖❖❖❖❖❖

المبحث الثالث

الموسيقى والإيقاع

الإيقاع الخارجي والداخلي :

((الشعر - في جوهره - موسيقى ، لا يؤدي إلى ذلك القول التفكير النظري وحده بل التتبع التاريخي أيضاً)) [١] وهذا يعكس الأثر الفاعل للموسيقى في العمل الشعري ويعكس كذلك الاهتمام الذي يوليه دارسو الشعر لهذا المسار من مسارات الدراسة الفنية ، منطلقين من كون الموسيقى تأتي ردفاً ومساعداً للصورة الشعرية لتؤدي دورها الجمالي والتعبيري ، لأن ((الصور والعواطف لا تصبح شعرية بالمعنى الحق إلا إذا لمستها أصابع الموسيقى ونبض في عروقها الوزن)) [٢] ولا يغفل هنا دور الموسيقى كذلك في التأثير على المتلقي الذي يستقبل العمل الأدبي ، حيث إنها تؤثر عليه حتى ولو لم يدرك الأفكار التي يحملها النص ، ومرد ذلك إلى النغمات السحرية والإيقاعية التي يتوافر عليها هذا العمل الشعري [٣] ((وعلى ذلك فإننا نؤكد بأن الموسيقى في الشعر تستطيع أن تقيم بناءً متكاملاً يجمع بين التأليف القائم في أعماق الفنان والغائر في نفسه . وبين غيره من المتلقين في قدرة فنية على جعل إيقاعات النفس تجذب الآخرين بواسطة النغم الشعري الذي تعطي مذاقه موسيقى الشعر)) [٤] .

والذي يهمنا هنا هو الجانب الموسيقي في قصيدة (أبها) والمتمثل في موسيقى الإطار (الوزن والقافية) ، والموسيقى الداخلية .

(١). الإيقاع الخارجي :-

أ- الوزن :

أوعى الشعراء أكثر قصائدهم في قوالب البحور الخليلية ، طويلها وقصيرها تامها ومجزوءها مع تفاوت في استخدام هذه البحور من حيث الكثرة والقلة . وهذا التنوع ، إلى جانب تعدد الأنماط في تشكيل قصيدة (أبها) يمنع من أن نعرج على قضية العلاقة بين الوزن الشعري

---

(١) في الشعر العربي ص ٥٥ .

(٢) نازك الملائكة (قضايا الشعر المعاصر) ص ٢٢٥ ط / ٥ ١٩٧٨م دار العلم للملايين - بيروت - .

(٣) انظر : (في التراث والشعر واللغة) ص ٥٨ .

(٤) رجاء عيد (التجديد الموسيقي في الشعر العربي) ص ١٢ ط / ١ منشأة المعارف - مصر - .

والموضوع الشعري ، ويجعل من التساؤل عن مدى تعمد الشاعر لوزن معين غير مجدٍ ، ذلك أن الموضوع الشعري للقصائد واحدٌ ، وهو (أبها) المدينة والطبيعة ، وإن اختلفت الدوافع نحو هذا الموضوع الذي تولدت لأجله القصيدة ، وهذا يفضي إلى القول : بأن ((الشعر فيض تلقائي لمشاعر قوية ، والشاعر عندما تجيش نفسه بالشعر لا يضع في اعتباره بحراً أو قافية وإنما يأتي هذا طواعية ليلائم أحاسيسه وانفعالاته بحكم أن الوزن والقافية جزء لا يتجزأ من العمل الشعري وبحكم أن الصوت الموسيقي ليس لحناً خارجياً بقدر ما هو عضو متفاعل وعنصر ملتحم مع بقية عناصر النص الشعري)) [١] .

أنماط التشكيل الوزني :

١- القصيد : (شعر البيت) :

ونعني به اللون الذي جاء على الشكل الموروث الذي يلتزم الوزن والقافية بحيث تأتي القصيدة على وزن واحد ، وقافية واحدة ، وهو الذي التزم به أكثر شعراء الدراسة ، ونظموا عليه قصائدهم ، ويأتي في درج هذا النوع الأشكال العروضية المتلزمة بالوزن لكنها تأتي وفق نظام قافوي معين وهو ما عرف بالمثلث والمخمس والمسدس ونحوها من المصلحات . ومن نماذج ذلك في شعر الدراسة قصيدة (أبها) لعبد الرحمن السويداء ، والتي جاءت على لون ونمط المسدس [٢] :

يا طير أحييت في قلبي صبابتـــــه ... عزفت لحناً فأبدعت الأغاريـــدا
أنغام صوتك تدنيني وتبعـــــدني ... لذكرياتي بأحــــلاهن ترديدا
ولفظك الريش غب الطل في مهل ... نثرت درّاً بجوف البحر ما صيدا
ففي جمالك أسماط مرتبـــــــة ... زينت من نظمها زوجاً وتفريدا
يبين من نظمك المنثور أملحــــه ... أتقنت عقداً يحلي النحر والجيدا

---

(١) د . عبد الفتاح صالح نافع (عضوية الموسيقى في النص الشعري) ص ٧٤ ط / ١ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٢ م مكتبة المنار - الأردن الزرقاء -

(٢) ويأتي على ستة أقسمة على وزن واحد والسادس يكون مخالفاً للخمسة قبله في القافية ثم يأتي بعد ذلك ستة أقسمة أخرى على نفس الوزن مع اختلاف القافية إلا في السادس فيتحد مع سابقه فيها وهكذا .

في لَبَّة تتخطى بالهوى تيها [١]

ومن المخمس [٢] قصيدة (جنوبية) لزايد الكناني وفيها يقول :

فهذه أبها كحسناء طروب   قد عرفت من قبل في أرض الجنوب
ريانة تسبي بذكراها القلوب   عن حبها يا صاح قلبي لن يتـــوب
فهل ترى في حبها من عذل [٣]

وتختلف هذه عن سابقتها ، بمجيئها على هيئة أشطار لا أبيات ٠

ومن المربعات قصيدة (لوحة) لأحمد مطاعن حيث جاءت كلها على نظام مقطعي يتكون كل مقطع فيه من أربعة أبيات على وزن واحد وبقافية مختلفة نسوق منها هنا المقطع الذي يقول فيه :

هناك على الربوة العاليـــة   وفي فيّة العرعر الحانيـــــة
بظل البشام وفيء الغمـــام   لدى الزهر والأعين الجاريـــة
وعند الصبـــاح النقي الندي   مع النسمة البكر والشاديـــة
تركت فؤادي بتـــلك الربى   وأودعته الحرة الغاليـــــة

*****

هناك انطلقنا بأرواحنـــــا   نناجي الطيور وسحر الفتون ... [٤]

ومثلها في هذا النظام قصيدة (الواحة العذراء) [٥] لإبراهيم الزيد ، وقصيدة (عسير) [٦] لأحمد عبد الله عسيري وقصيدة (أين قلبي) [٧] لأحمد بيهان وتنضوي تحت هذا الإطار قصيدة (أرضنا الطيبة) لأحمد سالم باعطب وهي من الشعر المنشد ، أو الشعر الذي يميل إلى طبيعة الإنشاد

---

(١) رؤى مسافر ص ٩ . والقصيدة جاءت على ثمانية مقاطع من هذا النوع ٠

(٢) وهو أن يؤتى بخمسة أقسمة كلها من وزن واحد وخامسه بقافية مخالفة للأربعة قبله ثم بخمسة أخرى من الوزن دون القافية للأقسمة الأربعة الأولى ويتحد القسم الخامس مع الخامس من الأولى في القافية . انظر : د .صابر عبد الدايم (موسيقى الشعر العربي) ص ٢٠٦ ط / ٣ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م مكتبة الخانجي - القاهرة - ٠

(٣) تقاسيم زامر الحي ص ٣٩ وجاءت القصيدة على عشرة مقاطع سقت منها - شاهداً - المقطع الأخير ؛

(٤) دورة الأيام ص ٧٠ والقصيدة أزيد من عشرين بيتاً . (ست رباعيات)

(٥) أغنية الشمس ص ٥٥ والقصيدة أزيد من خمسة وعشرين بيتاً (ست رباعيات وثلاثية) ٠

(٦) (أبها في التاريخ والأدب ص ٧١ ولدي نسخة مخطوطة منها ٠

(٧) ملف ملتقى أبها ١٤١٢هـ ص ١٠١ ٠

بإيقاعه وجرسه وتعدد الأصوات فيه . نسوق من القصيدة ما يعنينا في بحثنا وهو قوله :

الفتيات :

أبها هنا فريدة الجمـــال بها الضباب حَلّة الجبال

والطيب من مفاتن التلال تحدثت عن سحره الليالي

الفتيان :

أبها مصيف ساحر الفتون أبها ريــاض ثرة العيون

أطيارهــا شجية اللحون أبها سنى في جبهة القرون [١]

٢- شعر التفعيلة :

وهو ذلك ((اللون الحديث من الشعر)) [٢] الذي يقوم على التفعيلة ، مع تفاوت في عدد التفعيلات في السطر الشعري ، دون التزام بالقافية ، إذ أن الشاعر مخيرٌ في الإتيان بها أو التحرر منها . ومن شعراء الدراسة من نظم قصيدته أو قصائده على الشكل التفعيلي ويبرز في هذا الاتجاه أحمد التيهاني لنجد له في ذلك قصيدة (كيف حالك ؟) و (رمضان في الزمن الخصيب) و (تقاسيم الأبوة) و (مقعدٌ في ((أبو خيال))) ومن هذه الأخيرة يقول :

وجلستُ ..

على ذ ا ا ا ك المقعدْ .

أتأمل

آ آ آ فا ا ا قاً تمتدْ

أتأمل

أبها

ما أبها؟

عشقٌ في روحي يتجددْ [٣]

---

(١) أحمد باعطب ((الروض الملتهب)) ص ١٢٩ ط / ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م النادي الأدبي - الرياض - .

(٢) محمد حماسه (البناء العروضي للقصيدة العربية) ص ١٤٥ ط / ١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م دار الشروق - القاهرة - .

(٣) أماريق ص ٤٩ .

فالشاعر في هذا المقطع وفي بقية أسطار القصيدة لم يلتزم تماثل الأسطر الشعرية فبعضها جاء على تفعيلة ، وبعضها جاوز ذلك إلى التفعيلتين ، ويظهر في القصيدة اهتمام الشاعر بالقافية واستخدام الروي المقيد ، وتكرار الحروف لتوفر امتداداً صوتياً يماثل الامتداد المكاني •

وتأتي قصيدة (أبها المعشوقة) كواحدة من قصائد أحمد الصالح في (أبها) على النظام التفعيلي ولا يلتزم الشاعر فيها كسابقه التماثل في استخدام التفعيلات داخل الأسطار الشعرية ، ويماثله في استخدام القافية المقيدة ، وإن كان يعمد إلى التنويع فيها :

يا شاعري .. ؟

من أين أبدأ الحديث .. ؟؟

أين أنتهي .. ؟؟

وكل ربوة .. حديثها يطولْ

هذي الليالي .. ؟ !

حلوة العينين ..

(أبها) .. ؟؟

في حزامها .. للذكريات أن تقولْ (١)

ويلحظ في المقطع ، وفي بقية مقاطع القصيدة توظيف النقط ، وهو ما يؤدي إلى (تنظيم الإيقاع وتحقيق كميات من التوقف يضبط بها مجرى النفس ، أو حركة الشهيق والزفير طولاً وعرضاً) (٢) ومثل هذا التوظيف نجده كذلك عند التيهاني في بعض قصائده •

ومن نماذج هذا النوع من الشعر قصيدة (وقفة على شاهق الحبلة) (٣) لحبيب بن معلا (وغزلية) (٤) علي آل عمر عسيري •

٣- المزج الإيقاعي :

ومن التجارب الشعرية الإيقاعية في قصيدة (أبها) ((ما يزاوج فيها أصحابها بين

---

(١) انتفضي أيتها المليحة ص ٨٥ •

(٢) يوسف نوفل (في الأدب السعودي) ص ١٧٩ ط / ١ ١٩٨٤م دار الأصالة - الرياض - •

(٣) نوافذ الشمس ص ٤٠ •

(٤) شذا العبير ص ٢٣٨ •

(شعر الشطرين) ، (وشعر التفعيلة) بحيث تختم القصيدة بأبيات من ((شعر الشطرين) أو تتخلل القصيدة بعض المقاطع الشعرية من (شعر الشطرين)))[١] ويمثل هذا التمازج قصيدتا (وقفة على شاهق الحبلة) و (غزلية علي آل عمر عسيري) واللتان سبقت الإشارة إليهما من قريب ، فالأولى جاءت خليطاً من الأشطار والأسطار :

أطلالٌ صامتة تتحدى الأخطار

شاهدة

ألا دائم

إلا القهار

وتمر دهور ودهـــــور   والجبل الشامخ منتصبٌ

تلطمه السنوات ولكن   تترنح منه وتضطرب [٢]

وهكذا تتبادل الأسطار والأشطار إطار النص إلى آخره ٠

والثانية ابتدأها الشاعر ببيتين من شعر الشطر واختتمهما ببيتين من ذات النوع وجاء ما بين الشطرين على نظام التفعيلة يقول علي آل عمر عسيري :

بين إيحاءات شمس غاربة   وظلال في الروابي هاربة

وأصيـــل شاعري ناطق   وعقول في المعاني ذاهبة

مربي ظبي محنى ..

حسنه يقطر حسناً

يتعالى .. يتثنى

يتهادى .. يتأنى

قلت : من أين

فدتك الروح أقبلت .. وأنّى ؟

ويجيء الختام على هذا النحو الذي يمازج بين النظامين :

---

(١) موسيقى الشعر العربي ص ٢٢٥ ٠

(٢) نوافذ الشمس ص ٤١ ٠

صمتت قيثارة الريح

وقد آثرت ألا تصمتا

كلما هبت تضوعنا أريجا

في ربيع وشتاء

كل شيء يعشق الفجر هنا ..

ومن الفجر أتى ..

الصخور السمر والأمطار والحَزْن

ومحراث .. الوتى

وأناشيد رعاة الماعز الغر

وموال الفتى

مـــا تقولين أتبقين معي ؟ أم سألقـــاك فأنّى ومتى ؟

شرد الظبي . وأبها صمتت ولساني منهما قد صمتا (١)

وأود أن أشير هنا إلى أن قصيدة طاهر زمخشري (أبها قصيدة) كتبت على شكل أسطر شعرية مما يوهم أنها من شعر التفعيلة وهي من شعر الشطر :

وراحت تسكب

الأنفاس شعراً .. يناغم

من لطافته الأصيل .. !!

تقول :

الحسن في أبها ..

قصيدٌ .. وناظمه الروابي والحقول .. ! (٢)

ولو أعدنا كتابتها وفقاً للنظام الشعري الشطري ، لجاءت على هذا النحو :

(١) شذا العبير ٢٣٨ ، ٢٤٠ .

(٢) رباعيات صبا نجد ص ٣٧ .

وراحت تسكب الأنفاس شعراً ... يناغم من لطافته الأصيل
تقول الحسن في أبها قصيـــدٌ ... وناظمه الروابي والحقولُ

ب- القافية :

سميت بهذا الاسم ((لأنها تقفو الكلام))[1] ((أي تجيء في آخره))[2] وهي في الإصطلاح العروضي ((مجموعة أصوات تكوّن مقطعاً موسيقياً واحداً يرتكز عليه الشاعر في البيت الأول فيكرره في نهايات أبيات القصيدة كلها مهما كان عددها))[3] ((وتكررها هذا يكوِّن جزءاً مهماً من الموسيقى الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها))[4] ومن هنا كان لها ((علاقة كبرى بموسيقية النص الشعري))[5] وقد أدرك الشعراء السعوديون أهمية القافية وهم يكتبون قصيدة (أبها) ولذلك جاءت القصائد ملتزمة بها ٠

وعند النظر في هذه القوافي التي التزمها الشعراء نجد أنها من الحروف شائعة الدوران في الشعر العربي[6] وهي على الترتيب في استعمال الشعراء : (النون ، واللام ، ثم الباء ، ثم الدال ثم الراء ، تليها الميم ، ثم الهاء ، فالتاء ، والقاف ، والعين) ويقل استعمال (الكاف والفاء ، والياء) وندر استعمال (الهمزة ، والسين ، والحاء) وجاء (الواو) لمرة واحدة . مع إعراض تام عن القوافي النافرة (كالصاد ، والضاد ، والطاء ، والزاي ، والغين) ٠

وعند البحث عن سر تغليب الشعراء لبعض الحروف دون غيرها ، ويتمثل ذلك في (النون ، واللام الياء ، الدال ، الراء) نجد أن ذلك يعود لكون هذه الحروف أصوات توفر - بفضل مخارجها - نغماً موسيقياً ، وإيقاعاً صوتياً معبراً ، إلى جانب كون هذه الحروف ، من الحروف السهلة

---

(١) الأخفش (كتاب القوافي) ص ١ ط / ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م تح د. عزة حسن مطابع وزارة الثقافة - دمشق - ٠

(٢) الخطيب التبريزي (الكافي في العروض والقوافي) ص ١٤٩ ط / ١٩٧٧ م تح الحساني عبد الله مكتبة الخانجي - القاهرة - ٠

(٣) د .عبد الرضا علي (موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه) ص ١٦٨ ط / ١ ١٩٩٧ م دار الشروق للنشر - الأردن - ٠

(٤) د . إبراهيم أنيس (موسيقى الشعر) ص ٢٧٣ ط / ٤ ١٩٧٢ م دار القلم بيروت - لبنان - .

(٥) (عضوية الموسيقى في النص الشعري) ص ٧٧ ٠

(٦) د . إبراهيم أنيس (موسيقى الشعر) ص ٢٧٥ ٠

في العربية ، والموسيقى بطبيعتها تستدعي ما خفّ وسهل من الأصوات ٠

ومما يتعلق بالقافية مظاهر تنوعها عند بعض الشعراء ، إلى جانب القافية الموحدة التي هي السمة الغالبة في شعر البحث ، ومن مظاهر هذا النوع السداسيات والخماسيات والمربعات ، وقد سبقت الإشارة إليها في جانب التشكيل الوزني ، وسقنا شواهد لذلك تبين من خلالها تنوع القوافي في تلك القصائد ٠

ونرى مثل هذا التنوع المقطعي للقافية في بعض قصائد التفعلية ، كـ (قصيدة أبها المعشوقة) لأحمد الصالح وقصيدة (وقفة على شاهق الحبلة) لحبيب المطيري ، وكذلك في غزلية علي آل عمر ٠

أما العيوب التي وقع فيها الشعراء والمرتبطة بالقافية ، فلا ترقى إلى أن تكون ظاهرة تستدعي النظر والبحث وذلك لقلتها ومن أظهرها :

١- **التضمين :**

وهو ((تعلق قافية البيت بما بعده بحيث لا يستقل كل واحد من البيتين بالمعنى ، بل يبقى الأول مفتقراً إلى الآخر لإتمام معناه)) [١] وانعدامه في القصيدة أفضل من وجوده [٢] ومن أمثلته في قصائد البحث قول محمد بن سعد آل حسين في قصيدته (روضة الحسن) :

ألستِ في عالم سحر الجمـــال به ... يهتاج ذا صبوة نامت ، وأنساه

حبَ الرعا بيب كتبٌ لا يزال بها ... يستنبط العلم إذ فيهن مجناه [٣]

فالمعنى لا يتم للمتلقي حتى يستتم قراءة البيت الثاني ، ومن أمثلته أيضاً قول أحمد بهكلي يخاطب (أبها) :

أحببت من قبل الجمال هنيهـــةً ... لكنني لما رأيت سنـــــــــاك

أصبحت أصبو نحو حسنك زاهداً ... في كل حسنٍ يحتويه سواك [٤]

---

(١) د . حسين نصار (القافية في العروض والأدب) ص ١١٢ ط / ١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م مكتبة الثقافة الدينية - مصر - ٠

(٢) السابق ص ١١٢ ٠

(٣) أصداء وأنداء ص ٧٧ ٠

(٤) الأرض والحب ص ١١ ٠

٢- الإيطاء :

وهو ((تكرار كلمة الروي)) [١] ومنع بعض العلماء هذا التكرار في القصيدة كلها ، وتخفف بعضهم فمنع التكرار في الأبيات المتقاربة [٢] وقد وقع فيه بعض شعراء الدراسة كمحمد آل حسين في تكريره القافية والمتمثلة في كلمة (أواه) ، في قصيدة (روضة الحسن) [٣] مرة في البيت السادس ومرة ثانية في البيت الثالث عشر ، وحدث هذا التكرار عنده في قصيدة (مني إليك) [٤] مرتين ، تمثل في الأولى في كلمة (الآل) بمعنى السراب ، وجاءت في البيت الأول من القصيدة وفي البيت السادس . وتمثل في الثانية في كلمة (زالا) التي جاءت منفية(بما) النافية في البيت الثاني ، ومجردة منها في البيت الأخير ٠

ونرى مثل هذا التكرار عند أحمد بهكلي في قصيدة (عفواً أبها) [٥] ، متمثلاً في كلمة (الفتون) التي جاءت في البيت الرابع ، وتكرر مجيئها في البيت السادس عشر ٠

وقد يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، وهو عيب عند بعض العلماء [٦] ونرى مثل هذا الاتفاق في لفظ القافية والاختلاف في معناها عند مطلق العسيري في قصيدته (أبها والعيد والمطر) في البيت الذي يقول فيه :

فالربيع المخضر فاح شذاه — جـــــاء يسعى إليك أنّى تكون
فهو يلقاك إن حللت بواد — وإذا كنت في الروابي يكـــون [٧]

ومثله ما جاء في نفس القصيدة من تكرار لكلمتي (يزين ، تزين) ، ويمكننا أن نستخرج مثل هذا من قصيدة (أين قلبي) لأحمد عبد الله بيهان يقول :

أغرم الناس بالجمال فلما — أبصروها من رائع الحسن أبهى

---

(١) (القافية في العروض والأدب) ص ١٠٨ ٠

(٢) أنظر : السابق ص ١٠٩ ٠

(٣) أصداء وأنداء ص ٧٧ ٠

(٤) السابق ص ٧٦ ٠

(٥) الأرض والحب ص ٢٣ ٠

(٦) القافية في العروض والأدب ص ١٠٩ ٠

(٧) للإسلام تغريدي ص ٥١ ٠

قارنوها به ففاقتــه حتى لقبوها فريدة الحسن أبها [١]

فاللفظ واحد والمعنى مختلف ، إلا أن المعابة هنا تقلُ ، وقد تنعدم ، كون المواطأة تمت في القافية بين اسم وفعل ، ولكل دلالة ٠

٣- **السناد :-**

ومدلوله ((أن يختلف تصريف القافيتين في الحركات والحروف)) [٢] مما يؤدي إلى ((خلل في التماثل الصوتي الذي أراد الشاعر العربي أن يحققه لقوافيه)) [٣] وهذا العيب من العيوب التي يستظهرها المطالع لنصوص الشعر المدروس ومثاله في هذا الشعر قوافي أحمد بهكلي في قصيدة (عفواً أبها) [٤] : [الغصون ، السنين ، المكين ، الجفون] وفي قصيدة (نجوى على البعد) [٥] : [الخميل ، السهول ، خليل ، طويل] وكقوافي محمد سعد الدبل في قصيدة (مغاني أبها) [٦] : [الغيد ، محدود ، تجديد ، الجود] ومن أمثلته في الحركات قوافي أحمد الصالح في قصيدة (أبها) [٧] : [ظُفُرِ ، مستتِرِ ، شجَرِ] وما سقته - هنا - جاء تمثيلاً لا حصراً وإلا ففي شعر البحث من مثله كثير ٠

٤- **لزوم ما لا يلزم :**

ويراد به أن يلتزم الشاعر في قصيدته بقافيتين ، وفي الدارسين من رأى فيه قيداً ثقيلاً للغاية قل أن تصاحبه الإجادة [٨] فلا يأتي في غالب حالاته إلا متكلفاً ، وفيهم من رأى أن الدافع إليه خفوت صوت الحرف الذي اختاره الشاعر روياً له فقاده ذلك إلى التزام الحرف الملاصق للروي تعويضاً عن هذا الخفوت [٩] ، فكأنه يريد أن يحقق لقصيدته قدراً من التنغيم والإيقاع ، وهذا

---

(١) ملف ملتقى أبها ١٤١٢هـ ص ١٠١ ٠

(٢) موسيقى الشعر العربي ص ١٨٨ ٠

(٣) القافية في العروض والأدب ص ٩٩ ٠

(٤) الأرض والحب ص ٢٣ ٠

(٥) السابق ص ١٥ ٠

(٦) خواطر شاعر ص ١٠١ ٠

(٧) عيناك يتجلى فيهما الوطن ص ٧١ ، ٧٢ ٠

(٨) انظر : د . عبد الله الطيب (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها) ص ٣٨ وما بعدها ط ١ / ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م - مصر - ٠

(٩) انظر : (القافية في العروض والأدب) ص ١٣٨ ٠

وهذا الكلام أليق - في نظري - بهذه الظاهرة ، ومتى قادت إلى التكلف والتصنع فذاك هو العيب .

ومن شواهد هذا الالتزام فيما بين يدي من القصائد قصيدة (أبها)لمعيض البخيتان . ومن أبياتها :

يارو ابي أبها ومن لي بأبهـــا وهي ما بين نابضي وهتـــافي
حدثيني ففي دمائي اختنـــاق ووعودٌ مجنونة وتجـــافي
ودروب تغوص في كـل عرقٍ متعب الامتداد جهم المنافي (١)

وهكذا إلى آخر القصيدة التزم البخيتان حرف الألف قبل الروي وذلك ليس بلازم ، ومثله أحمد بيهان . في قصيدته التي منها :

فؤادي بنار البعد محترق يكوى ونفس أسيلهـا ولم تعرف السلوى
أحن إلى أبها وأبها بعيـــدةٌ على ناظري لكن قلبي لها مأوى (٢)

فهنا لزم الواو والألف في كل قصيدته . وينطبق عليها ما قاله أبو العلاء المعري (٣) عن مثلها ((فهذه إن جُعل رويها الألف فقد لُزم فيها ما لا يلزم ، وإن جعل رويها الواو فالألف وصل وبناؤها على الواو أحسن وأقوى في النظم)) (٤)

---

(١) ثرى الشوق ص ١٣٥ .

(٢) أبها في التاريخ والأدب ص ١٣٨ .

(٣) صاحب اللزوميات وهو شيخ الشعراء في هذا المذهب .

(٤) القافية في العروض والآدب ص ١٣٨ ، ١٣٩ نقلاً عن كتاب : شرح لزوم ما لا يلزم) للمعري .

ومما تجدر الإشارة إليه ، مجيء أغلب قوافي القصائد مطلقة دون تقييد ، إلا فيما ندر ، أوفي ما يتعلق بالقصائد التي سكبت في قالب ((شعر التفعيلة)) ، في أغلبها ، خاصة عند التيهاني في قصيدتي (كيف حالك ؟) و (تقاسيم الأبوة) ولعل ذلك يرجع إلى ارتباط بين سكون القافية وبين المجرى النفسي للشاعر ، ولا ننسى كذلك سكون أجواء الاغتراب وهو سكون فيه إيحاش ويعتوره صمتٌ رهيب ٠

كل ذلك يقود إلى القول : بإهتمام الشعراء بهذه الخاصية من خصائص الشعر - وأعني بها القافية - لنراها في قصائدهم موحدة ، أو متنوعة ، يستوي في ذلك (شعر الشطرين) (وشعر التفعيلة) ٠

(٢). الإيقاع الداخلي :

وهو الرديف الثاني للإيقاع الخارجي ، ويتحقق عن طريق تخير الألفاظ واعتماد بعض الأساليب اللغوية والبلاغية ، والمحسنات البديعية ، التي تضفي إلى جانب إيحائيتها ودورها في المعنى ، تنغيماً وطرقاً إيقاعياً ، يصوّت من داخل النص ، ليلتقي بصوته مع الصوت الخارجي والذي ينادي به الوزن والقافية . وسنحاول هنا الوقوف على أساليب ومظاهر هذا الإيقاع الصوتي ، والتنغيم الموسيقي الداخلي :

١- التكرار :-

وهو أسلوب لغوي سبق أن أشرت إليه فيما سبق [١] وتضمنت تلك الإشارة دوره الإيحائي والتوكيدي ، وهو إلى جانب هذا الدور المهم يساعد الشاعر على توفير نغم موسيقي . فمن خلال تكرار حرف النداء (يا) وحرف الجر (من) استطاع معيض البخيتان أن يخلق إيقاعاً موسيقياً افتتح به قصيدته (أبها) :

يا رحاب الجمال من كل صافي   والخريف اللذيذ من كـل دافي !!

يا مسار الإلهـــام من أي فجر   صادق الذكر من جليٍّ وخافي !!

يا روابي (أبهـــا) ومن لي بأبها   وهي ما بين نابضي وهتافي !! [٢]

---

(١) أنظر ص ٢٢٠ من البحث ؛

(٢) ثرى الشوق ص ١٣٥ ٠

وقد طفق شاعرُ آخر إلى التكرار ، يريد به إثبات العلاقة بالمكان وتأكيد رسوخها ، فتكرار (ها ، هنا ، كنت ، كان ، أنا) لتتبادل هذه الأفعال والأسماء والضمائر المواقع داخل النص ، مما أحدث جرساً نغمياً هائلاً . يقول إبراهيم مفتاح في قصيدته (أبها داخل الأسئلة) :

ها هنا كنت .. أنا كنت هنا — قبل عامين أضـــم الوطنا
ها هنا كنت الضحى معتمــراً — غيمة نشوى تجــوب المنحنى
ها هنا كان صباحي موعـــداً — مطريّ الآه .. غيمـــي المنى
ها أنا جئتك يا أبها فهـــــل — تعرفين الآن من كنت أنا [1]

ويمكن أن نتسمَّع موسيقى التكرار في سيمفونية رائعة من خلال تكرار الاسم يليه الفعل محملاً هذا التكرار بشحنات داخلية تمور في النفس ، وهي خليط ما بين مشاعر الاستعذاب وأحاسيس العذاب ، كل ذلك في قصيدة (رسالة إلى أميرة الغرابة) لصالح سعيد الزهراني :

أبها أجيبي سؤالي واذكري سبباً — يغالب الشك إن القلب لا يجد
أبها يصير المدى غيماً ووشوشةً — وفي دمي يا نشيدي يغرق البلد
أبها تظل عيون الفجر ضاحكة — وأعين الليل فيها يعرك الرمدُ
أبها تظل سواقي الحب مورقةٌ — ويذهب الزيف ياليلاي والزَّبدُ
أبها نموت كهذا النخل شامخة — رؤوسنا ماثنى إشراقها كمدُ [2]

وقد تعمدت أن أسرد هذه الأبيات بعضها تلية بعض ، رغم توزعها بين غيرها من الأبيات ، ليستطيع القارىء تملي هذا الإيقاع الموسيقي ، والواقع النفسي معاً ، ومن كل هذا تبيّن لنا كيف أن التكرار أعطى القصيدة تكاملها الفني ، على المستوى النغمي والشكلي والمضموني [3] .

---

(١) رائحة التراب ص ٨٢ .

(٢) تراتيل حارس الكلأ المباح ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) سعيد الأيوبي (عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي) ص ١٠٩ ط / ١٩٨٦ م مكتبة المعارف - الرباط - .

٢- التقديم والتأخير :

إضافة إلى دور التقديم والتأخير في المعنى ، من حيث إفادة الاختصاص ، وإبراز أهمية المقدم ، فإن له كذلك دوراً في الإيقاع الموسيقي ، ولنا أن نتمثل ذلك في قول البهكلي :

لك مني قيس يا أبها وإني ... لي من ربعك إشجاء الطلول (١)

وفي قوله :

وفي صبحي أراك وفي مسائي ... وفي دعـــوات عمر مستكين
وفي شفتيَّ ترجيع ابتهـــال ... وطيفك شدّ في هدب الجفون (٢)

فإلى جانب الارتباط النفسي ، ودلالة الاختصاص ، أفاد الشاعرُ جانب التنغيم من خلال تقديم شبه الجمل هذه .

ومثله في ذلك عبد الرحمن العشماوي في قوله يريد (أبها) :

لكَ اللغةُ الفصيحة يا محباً ... حديثك عن فؤادك يستطـــاب
....
هنا أبها ألست ترى يديهـــا ... يزينها من الحنـــا خضاب
لك الأبهى من الشعر المقفى ... وللحسناء حُبُكَ والشبابُ (٣)

٣- التقسيم :

ويتحقق هذا العنصر الموسيقي من خلال اعتماد جمل متناسقة ، ووحدات متساوية ، يحدث تجانسها الصوتي إيقاعاً غنائياً ساحراً ، ومن أظهر الشواهد في هذا العنصر قصيدة علي حافظ التي يقول فيها :

لم يأت أبها قاصدٌ إلاّ غـــدا ... من حبِّها مستوثقاً بحبـــال
متطلعاً متحفزاً متولعـــاً ... مستسلماً مترقباً لوصـــال
حيث اتجهت ترى جمالاً ساحراً ... في الناس والألوان والأشكال
هم أهل فضلٍ نابع من أصلهم ... والفرع والأعمام والأخوال

---

(١) الأرض والحب ص ١٧ .

(٢) السابق ص ٢٥ .

(٣) خارطة المدى ص ١٠٢ ، ١٠٤ .

وفيها يصف السودة :

غاباها كالسحب تخفق دائماً بنسيمها وبغيثها الهطـــال

هي جنةٌ في دوحها ومروجها وعطورها وبزهرها المتـلالي

وبجوها وشموسها ونجومهـا وبطلعة الأقمار في الأطلال (١)

ومن ألوان التقسيم ما يعرف بالتصريع وهو ((اتفاق لفظين في الجزء العروضي والقافية ويكثر وروده في مطالع القصائد ، وهو فيها مستحسن ، ولكنه غير ضروري . وربما وقع في أثناء القصيدة أيضاً))(٢) وقد تبين لي من خلال الاستقراء حرص الشعراء على التزام التصريع في قصائدهم ، حيث جاءت في معظمها مصرعه ونعطي على ذلك مثالاً قول ابن خميس :

عِهَادُ الغيث منهمراً سكوبا مُلثاً يهضب الربع الحبيبا (٣)

وقول محمود عارف يشير إلى (أبها) :

ملكت زمام الحسن من كل جانب وجئت إلى الدنيا بكتر العجائب (٤)

ومن شعر الشعراء الشباب قول جاسم الصحيح :

نشوى لياليك لا كأساً ولا نخبا لغز الألوهة في آفاقها انسكبا (٥)

وقول حسين أحمد النجمي :

قطرات الندى وعطر الخزامى وفؤاد مع الجمال تسامى (٦)

وقد يتعدد التصريع داخل أبيات القصيدة الواحدة ، كما هو عند أحمد البهكلي في قصيدة (عفواً أبها) :

تحياتي ويا أبهـــا اعذريني إذا جاوزت ربعـك في سكون

وما استنحيت في تلك المغاني مكاناً فيه أنفـــذ من شجوني

---

(١) نفحات من طيبة ص ١٩٩ .

(٢) المعجم الأدبي ص ٦٨ .

(٣) على ربى اليمامه ص ١٤١ .

(٤) ترانيم الليل المجموعة الكاملة ص ٥٢٠ .

(٥) أولمبياد الجسد ص ١٧٦ .

(٦) عيناك في وقت الرحيل ص ٥٥ .

ومنها : وأقضي في جنانك بعض حين فأنت مناط فكري كل حين [١]

ويعكس هذا الحرص على التصريع من قبل الشعراء ، حرصهم ((على الجانب الإيقاعي المؤثر في النفس ، حيث تستجيب عن طريق ذلك الإيقاع الصوتي لما يريد الشاعر أن يطرحه من قضايا وأفكار ، والمستوى الدلالي مع المستوى الإيقاعي يجسدهما البناء اللغوي ، وهو ما يسمى عند القدماء بالتنسيق المخصوص)) [٢] .

٤- الجناس :

وضابطه ((اتحاد طرفين أو تشابههما في الصورة والتلفظ مع اختلاف المعنى فيهما)) [٣]
ولا شك أن تجانس الحروف أو تشابهها في كلمتين تجيء في سياق واحد مختلفت المعنى ، يُوفر تجانس في الصوت كذلك ، وهذا يولد نغماً موسيقياً ، يسارع ذهن المتلقي معه إلى البحث عن ما وراء هذه الألفاظ المتجانسة من معنى .

وبمعاينة النصوص الشعرية التي بين يدي ، وجدت أن الشعراء لم يحتفلوا بهذا النوع من البديع وما جاء منه في نصوص بعضهم ، ما هو إلا استجابة لاستدعاء اسم المدينة (أبها) ، الموضوع الشعري الذي احتفلت به القصائد مدار البحث .

وأول ما تقع عليه العين من هذا مطلع قصيدة غازي القصيبي :

يا عروس الربى الحبيبة أبها أنت أحلى من الخيال وأبهى [٤]

فالمجانسة بين (أبها) الاسم في الشطر الأول ، وبين (أبهى) الفعل في الشطر الثاني والتجانس هنا آزر التصريع في بعث النغمة الموسيقية ، التي لا تستظهر بجلاء إلا بضرب من الإلقاء والإنشاد وشبيهه أحد أبيات قصيدة (أين قلبي) لأحمد بيهان .

ويستثمر جاسم الصحيح مثل هذا التجانس في إبراز مراده الدلالي ، إلى جانب استثمار الاتحاد الصوتي بين اللفظين في إحداث إيقاع موسيقي :

---

(١) الأرض والحب . ص ٢٣ .

(٢) (موسيقى الشعر العربي) ص ٥٠ .

(٣) د . عبد العظيم المطعني (البديع من المعاني والألفاظ) ص ٩٣ ط ٣ : ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩م المكتبة الفيصلية - مكة - .

(٤) المجموعة الكاملة ص ٥٥٤ .

أبها وما خان هذا الاسم روعته منذ البهاء على أعضائك انسكبا [(١)]

ويظهر مثل هذا التجانس الصوتي في قول ابن خميس :

فما أبهاك يا (أبها) جنابا وما أنداك يا (أبها) هبوبا [(٢)]

وفي قول العشماوي :

هنا أبها ألست ترى بهاء تطرز منه للحسن الثيابُ ؟ [(٣)]

وهذا ((التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً)) [(٤)] مما يحدث طرباً للأذن ومهزة للنفس ((وهذا يؤكد بجلاء أهمية الجناس في خلق الموسيقى الداخلية في النص الأدبي وبناء ما بين ألفاظه من وشائج التنغيم)) [(٥)] .

وبعد هذا كله ، يتأكد لنا دور اللغة في صنع الإيقاع ، ليكون واحداً من طرق التعبير في النص ، وهذا بدوره يؤكد على أن توافر مثل هذا في أي لغة ، يدل على حياتها وتكاملها ((ولعل لغة لم يتكامل فيها الإيقاع الموسيقي ونسقه النغمي كما تكامل في عربيتنا العريقة)) [(٦)] .

❖❖❖❖❖❖❖

---

(١) أولمبياد الجسد ص ١٨٠ .

(٢) على ربى اليمامة ص ١٤٢ .

(٣) خارطة المدى ص ١٠٣ .

(٤) د . بسيوني عبد الفتاح (علم البديع) ص ٢٩٤ ط / ٢ : ١٤١٨هـ - ١٩٩٨مؤسسة المختار - القاهرة - .

(٥) السابق ص ٢٩٤ .

(٦) (في التراث والشعر واللغة) ص ١٣٨ .

الخاتمة

الخاتمة

أما وقد تمّ ما أردته وقصدت إليه ، من استتمام الوطر ، واستيفاء النظر في المتخير من قصيد (أبها) ، وتَبَيُّن ما فيه من الموضوعات ، وتملي ما اعتمده من الفنيات ، ، فإن من الحسن أن أختم بخلاصة نقرأ فيها إيجاز ذلك كله :

لنقول : إنّ الدراسة - في محتواها - كان شأنها المكان بوصفه مؤثراً بكل معطياته الجمالية والحضارية والنفسية ، ذلك أنها اعتمدت نموذجاً مكانياً عُرَف بجمال طبيعته وبمكانه عند ذويه ومرتاديه ، وهو ما دفع به إلى ديوان الشعر المكاني ، ليصبح قصيدة من قصائده ، ولذا كان همها البحث عن الوجود المكاني داخل الشعر المدروس ، وكذلك البحث عن الوجود الشاعري داخل المكان •

وطبعي - والحالة هذه - أن يكون المبتدأ بمهاد يعرض لموضوع (الشعر والمكان) وقد حاولت فيه - رغم شرط الإيجاز والاختصار - أن أعرض لأهم ملامح حضور المكان في النتاج الشعري ، وهو ما أوقفنا على تنوع الحضور المكاني داخل النص الشعري لتنوع الدوافع التي انتهت به إلى هناك •

ولأنّ انتقال المكان إلى النص لا يكون في كل احواله تبعاً لمؤثرٍ موجبٍ ، فقد ألمحت في التمهيد - أيضاً - إلى المكان الشاعري بين السلب والإيجاب ، وبيّنت كيف أنّ المكان ينتقل بسلبيته وقتامته من الواقع الكوني إلى الفضاء النصي ، وقد دعمت ذلك بالشاهد والمثال ، كما تعمدت الإشارة إلى أنّ المكان كما يرتسم واقعاً داخل بنية النص ، فقد يرتسم خيالاً ، وذلك عندما يبتنيه الشاعر في خياله ، ثم يفرغه داخل النص ، وقد يتداخل الخيال مع الواقع المكاني في تشكيل واحد ، وفي كل الأحوال لا بد من انعكاس الأثر النفسي لمنشىء النص على أبعاد هذه الصور المكانية ، ومما يتميز به المكان الواقعي الحاضر في النص أنه يكسب المتلقين والدارسين معجماً جغرافياً قد يفيدهم •

وحيث إن الدراسة اعتمدت نموذجاً مكانياً - كما أسلفت - فقد صار لازماً الكشف عن هوية المكان (الموضوع الشعري) حداً ، واسماً ، وتاريخاً ، وحضارة ، وثقافة وطبيعة ، ليأتي الحديث عن (أبها المدينة والطبيعة) في درج التمهيد عن طريق إشارات

أعطت - وإن كانت مختصرة ومعتصرة - صورة واضحة للمكان ، وجلت صفاته التي ينماز بها ، إلى جانب تلك التي يشارك فيها غيره من الأمكنة ، وبدافع من كون تناول المكان جاء من جهة حضوره الشعري ، فقد شئت أن أذيل التمهيد بصورة لأبها في شعر شعراء عرب يخرجون على شرطي في هذه الدراسة المقصورة على النظر في الشعر السعودي المتصل بموضوعها ، وقد ظهر من خلال النماذج التي سقتها لهؤلاء الشعراء انبهارهم وإعجابهم بالمكان وتخليدهم له في نصوص بارعة ورائعة •

ويأتي تلية التمهيد الفصل الأول من فصول الدراسة وقد عني بموضوعات النصوص وانتهى إلى استجلاء أبرز الموصوفات التي وصفها الشعراء في نصوصهم ما بين موصوفات طبيعية وأخرى صناعية ، كان للطبيعة الأرضية منها النصيب الأوفر ، وقد كشف هذا الجزء من الدراسة عن تعلق الشعراء بالرافد التراثي وكيف أنهم لم يخرجوا عنه إلا فيما ندر كما أنهم تملوا المنظور في أحيايين كثيرة - دون إمعان في التأمل الإيماني أو الفلسفي وإن كنا لا نعدم بعض اللقطات التي تعكس انفعالاً إيمانياً ، أو شعوراً رومانسياً ، يمجد الشعراء في الأول مبدع هذا المنظور الطبيعي ، ويمزجوا في الثاني بينه وبين الإنسان / الأنثى وقد أدى هذا التداخل بين الجمالين إلى تأثير بالغ في التشكيل الخطابي ، والأداء التعبيري للنص ، وهذا ما شهدناه في مبحثي التأمل الإيماني ، والتبادل بين المرأة والطبيعة •

و من الموضوعات التي تناولها هذا الفصل الموضوع المتعلق بالنفس كونه يأخذ صبغة نفسية لانبعاثه من غيابات النفس بسبب فاعل ما ، وهو في القصائد المدروسة فاعل الاغتراب بأبعاده المكاني ، والعاطفي ، والنفسي ، وقد استطاع عددٌ من شعراء الدراسة تجلية محنة الاغتراب هذه من خلال توسلهم بـ (ملفوظات ، وأساليب ، ومدلول تصويري) أعطت في مجموعها صورة النفس تعاني الاغتراب ، وأبرز هؤلاء الشعراء أحمد بهكلي وأحمد التيهاني ، وأحمد بيهان •

أما الفصل الثاني من الدراسة فقد انتهى إلى استكتشاف الحقول اللفظية التي اعتمدت عليها النصوص في بناء معمارها اللغوي ، والمجاورة بينها بعد أن توزعتها النصوص ، ليحصل لنا بذلك معرفة منابع هذه الملفوظات ودورها في المعنى الذي يهدف إليه الشاعر وهو يتخيرها دون غيرها ، وكذلك معرفة موقعها في إطار التقليد أو التجديد ، وأيضاً فيما

يتعلق بفصاحة اللفظة أو عاميتها ، كما بان من خلال مبحث اللغة أبرز الظواهر اللغوية والأسلوبية والآلّية التي شاركت غيرها من أدوات التعبير في جلاء المعنى ، وبرز من هذه الظواهر التكرار ، والنداء ، والتناص ، كما خلص هذا الفصل إلى أن الصورة الشعرية حضيت بعناية الشعراء ، فاعتمدوها كثيراً ، فمنهم من نزع منزع التقليد ، ومنهم من نزع منزع التجديد ، وكلا المنزعين عول على منابع مختلفة ، كالطبيعة ، والإنسان ، والموروث الثقافي ، كما ظهر في هذا الجانب التركيز على الاستعارة متمثلة في التشخيص كمقوم من مقومات الصورة يستطيع أكثر من غيره في تفعيل الخلق الشعري ، المؤدي إلى تأثر المتلقي وبالتالي نجاح الصورة في أداء وظيفتها النفسية والجمالية والإيحائية .

ويعني هذا الفصل - في آخره - بالموسيقى الشعرية من حيث كونها مساعداً لا يستغنى عنه في أداء المعنى وجمال المبنى . وقد خلص إلى تمسك الشعراء بهذا المقوم الفني حيث جاءت قصائدهم على أوزان وبحور الخليل ، تامة في أغلبها ومجزوءة في بعضها ، وفي الشعراء - وهم قليل - من أعتمد نظام التفعيلة أو ما يعرف بـ (الشعر الحر) فنظم قصائده في إطاره ، ويتصل بهذا الموضوع اهتمام الشعراء بالقافية كركن أساسي في الإيقاع الصوتي ، وقد لوحظ أن هذا الاهتمام كان شَرِكَةً بين قصائد البيت ، وقصائد التفعيلة ، كما لوحظ أن بعض الشعراء عمل على تنويع القوافي في القصيدة الواحدة وكان ذلك في إطار من التنوع المسموح به ، والذي لا يعد عيباً ، بل هو ظاهرة من ظواهر التشكيل الوزني والذي ظهر مرتبطاً بالشعر المحدث ، وأعني بالحداثة هنا حداثة العصر لا حداثة الشكل .

وأريد هنا أن أسرد بعض الملاحظات التي رأيت فيها نتائج متواضعة توصل إليها البحث :

- ❖ حاول بعض الشعراء أن يحكوا في قصائدهم التي وصفوا بها المكان بعض مظاهره الجمالية ، وكانوا في تناول هذه المظاهر متقاربين ، حيث جعلوا سبيلهم في ذلك واحداً وذلك أنهم كانوا ينقلون صورة المنظور كما هي دون أن يتعمقوا في التصوير ، وكأنهم أرادوا أن تظهر الصورة كما هي في المشهد الواقعي لها حتى تعطي حقيقتها بأشكالها وهيأتها .

❖ وجدنا في الشعراء من استوحى شعره وقصائده من جمال المكان ، فكان يتجاور في شعره رسم الواقع ، ورسم حالة الداخل النفسي ونزعات الضمير ، وهذا التجاور تحقق عند الشعراء الذين يتداخلون مع المكان من زوايا مختلفة كالتيهاني ، وبهكلي ، وبيهان وقد يكون ذلك بمستوى أقل عند الشعراء الذين مارسوا طريقة الهروب إلى الطبيعة .

❖ في الشعراء - كذلك - من حرص على استغلال الظاهر الجميل للطبيعة لاستجلاء الباطن الموحي فيها ، الذي يحكي عظمة المبدع وإتقانه رغبة منه في إدخال السكينة إلى نفسه ببعث الشعور الإيماني ، وتمتد هذه الرغبة إلى المتلقي حيث تعمل على إذكاء هذا الشعور في داخله أيضاً ، وهذه الميزة ظاهرة في الشعر السعودي ، وهي مما لاحظته في بعض القصائد المدروسة .

❖ ارتبط التغني بالمكان بصورة المرأة ارتباطاً شديداً يدفع به ليكون ظاهرة من أبرز ظواهر قصيدة (أبها) ، حيث غدا وصف طبيعة المكان عند بعض الشعراء مرتبطاً بجمال المرأة ، والشعراء وهم يتعمدون ذلك يقصدون الانتهاء إلى أقصى مستويات السرور الوجداني ، من خلال استحضار المثل الجمالية في كليهما . كما أن حضور المثال الأنثوي داخل وجدان الشاعر - وهو يرسم لوحة المكان ، وكذلك التعالق بين حب المكان (الوطن) وحب المرأة (الإنسان) يؤكد - دون مبالغة - حرص الشاعر دائماً أن يتخذ من المرأة كوة يبصر من خلالها كل جمال محسوس أو معنوي ، فهي - عنده - وحدها القادرة على إفعام وجدانه بكل أشكال ومعاني الجمال ، لينطلق - بعد ذلك - في تملي كل جميل مثلها من حوله ، بل يعطي دليلاً قاطعاً على مكانة المرأة وجلالها عند الشعراء ، وهذا ما جعلها تشرئب بقوامها الميّاد لتنادي (أنتم الناس أيها الشعراء)[1] .

❖ فاعل الاغتراب يأتي على رأس محرضات ومولدات العاطفة الصادقة ، والشعور الحار المتألم ، كما أنه يصنع تجربة شعرية تلقي بظلالها على كل مكونات النص دون استثناء - اللغة ، الأسلوب ، الصورة ، الإيقاع - وهذا ما لحظته في مبحث الاغتراب .

❖ تخير أدوات الأداء البياني ، ووسائل الطرق الإيقاعي المناسبة للموضوع الشعري

---

(١) شطر بيت لشوقي أنظره في ديوانه .

فعلٌ مندوبٌ إليه ، غير أنّ تعمد بعض النقاد التعويل على بعض الاستعمالات اللغوية والفنية وربطها بالموضوعات إلى حد المبالغة ، وجعلها حصراً عليها مردودٌ بكون هذه الاستعمالات مما يمكن إجراء حصرها واستقصائها واستقرائها بذات المستوى والاستعمال رغم اختلاف (الموضوع الشعري) الذي انبثق لأجله النص ، غير منكرٍ دور حالات النفس في مسار استعمال الشعراء لهذه الأدوات والوسائل ·

بقي لي - قبل أن أبرح ميدان هذه الدراسة وأرد قلمي إلى غمده - أن أوكد على أهمية الدراسات المكانية [1] وحاجة المشهد الأدبي لها كونها تكشف بعض الجوانب الفكرية والاجتماعية بل وحتى السياسية للمجتمعات . كما أوكد على أن قصيدة (أبها) يمكن أن تكون رافداً ومغذياً لدارسي الطبيعة في الشعر السعودي ، كما يمكن أن تمثل جانب من جوانب النزع الهروبي إلى الطبيعة في القصيدة السعودية كذلك ، وهذا يجعلها مصدراً مهماً لابد أن يتلفت إليه الدارسون ·

وكما كان الحمد أولى ما قدم أمام الكلام وجعل صدراً لهذه الدراسة ، فهو أقمن ما استوجبت به التمائم ، وانتهت إليه الخواتم ·

فلله الحمد من قبل ومن بعد وأولاً وأخراً

الباحث

(١) سبقني بعض الدارسين إلى الإشارة لمثل هذا أنظر بعض الدراسات التي أشرت إليها في المقدمة ·

Brief

The geographical scene appears as a nice place , beside other beautiful aspects distinguishing and increasing this enhancement .

The above incites the poet and induces him to move spontaneously to the area of poetical world .

So the geographical place has a powerful sense and influence into the poetical scenery that always the poets adopt to portrait it as effective factor in the text form. This study has taken on consideration(*ABHA CITY*) as an ideal place that combined both, the pleasure of nature and inspiration of poetry .Therefore I intended to portrait (ABHA - The Poetical Subject of Study) in different aspects , and move to the description of the place in this *(Studied Text)* and through the poet's view of it.

As well with the discussion of the presence of spiritual belief in the poetical text,which is a result of contemplation of the place components - naturally and fascinatingly - that attributed to the glory of the Greatest Creator *(ALLAH),* lead to the contemplative worship accordingly.

Thereafter to link *(The Equilibrium Subject)* between the *Place and The Woman* in the poet's text *(which represents the prettiness of a woman*) and their paralleling in spiritual sense and cordial letter as well in their similarity in *the Art of love and the descriptive Art* of nature in the text.

After that to come and discuss the emigration aspect in the text of study which reveals *(emigration of the place, sympathetic emigration and psychological emigration)* the thing that compels the poet to adopt escapism to the nature .

This study is not only confined to the subjective study but surpassed it to the artistical aspect such as the modality of language, portraiture and musical construction of the poem implicitly and formal wise .

ذيلٌ بتراجم الشعراء

اعتمدت في هذه التراجم على ما توافر لي من معاجم الشعراء وكذلك على بعض دواوين الشعراء المترجم لهم مع إضافة ما جد من خبرهم في الفترة الأخيرة سواء في النتاج النثري والشعري أو في المستوى الوظيفي وكذلك وفاة الشاعر ، كما أن هناك تراجم جاءت عن طريق المقابلة الشخصية من قبل الباحث للشاعر أو عن طريق المراسلات ، وسيقف القارئ على شعراء لم يترجم لهم ، لتعذر ذلك لسبب من الأسباب .

إبراهيم الألمعي

إبراهيم حسن إبراهيم طالع الألمعي كان مولده برجال ألمع جنوب المملكة العربية السعودية واصل تعليمه حتى حصل على الليسانس في علوم اللغة العربية اشتغل بالتعليم وأوفد ليشغل نفس المهنة في الجزائر لمدة أربع سنوات له من الدواوين :(ديوان هجير) و (سهيل اميماني) وله نتاج نثري منه (الموت إلى الداخل) .

إبراهيم صعابي : م (١٣٧٤م)

إبراهيم بن عمر بن صعابي كان مولده بجازان إحدى مدن المملكة العربية السعودية ، تلقى تعليمه الأولي بها ، ثم حصل على دبلوم المعلمين ، ثم حصل على بكالوريوس الإدارة العامة من كلية الاقتصاد والإدارة ثم على دبلوم الكليات المتوسطة تخصص [رياضيات ، لغة] ، اشتغل بتدريس اللغة العربية ويحمل عضوية نادي جازان الأدبي وعضوية شرف من نادي مكة الثقافي ، مثّل المملكة في بعض المهرجانات الشعرية .

من دواوينه (حبيبتي والبحر) ، (زورق في القلب) ، (وقفات على الماء) ، (أسئلة الريح) ، وطني سيد البقاع) ، (وطن في الأوردة) .

– أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين (١٣٠) ج/١ .

❖ معجم الشعراء (٤٦) ج/١ .

إبراهيم عبد الله مفتاح : م (١٣٥٩) هـ

إبراهيم بن عبد الله بن عمر مفتاح ، كان مولده في جزيرة فرسان إحدى جزر البحر الأحمر التابعة للمملكة العربية السعودية ، اشتغل بالتعليم وما زال ، وعمل بالصحافة كسكرتير لتحرير مجلة (الفيصل) يحمل عضوية نادي جازان الأدبي .

شارك ويشارك في الأمسيات الشعرية والملتقيات الأدبية داخل المملكة ، ألقى قصيدة الافتتاح لمهرجان الجنادرية الثامن .

من دواوينه : (عتاب إلى البحر) (احمرار الصمت) (رائحة التراب) (مقامات فرسانية) ، وله عناية بفرسان مسقط رأسه كتب عنها : (جزائر اللؤلؤ والأسماك المهاجرة) (فرسان الناس والبحر) .

– انظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين (١٤٤) ج/١ .

❖ معجم الشعراء : (٤٠) ج/١ .

إبراهيم الزيد : م (١٣٥٧هـ)

إبراهيم بن محمد الزيد كان مولده بمرات وتلقى علومه الأولية بها ، تخرج من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة وهو نواة جامعة أم القرى ، عمل بإدارة التربية والتعليم بالطائف ، فمديراً لرعاية الشباب ثم مفتشاً إدارياً ابتعث إلى بريطانيا لإكمال الدرس العالي ، وحصل من هناك على شهادة الدكتوراه ، وشغل بعد ذلك منصب وكيل إمارة الباحة وهو(أستاذ بجامعة الملك عبد العزيز حالياً) ، وهو شاعر وأديب له كتاباته بالصحف والمجلات السعودية عده بعض الدارسين من أصحاب الاتجاه الإسلامي في الشعر من دواوينه (المحراب المهجور) ، (جراح الليل) ، (أغنية الشمس) ، (مع الليل) حقق كتاب (المنتخب في ذكر قبائل العرب) وله كتاب (الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم)

– أنظر في ترجمته :

- (أدباء من الطائف) .
- الاتجاه الإسلامي السعودي الحديث ص(١٠٤)

أحمد مطاعن : م (١٣٤٣) هـ

أحمد بن إبراهيم مطاعن بن أحمد بن إبراهيم كان مولده بأبها ويرجع أصله إلى قبيلة رجال ألمع عمل رئيساً لبلدية أبها ، ثم عمل نائباً لرئيس نادي أبها الأدبي ، امتهن الأعمال الحرة ، يحمل عدد من عضويات اللجان والمجالس ، له مشاركات منها سلسلة من المقالات تحت عنوان (قطرات من عرق الماضي) التي كانت تنشرها جريدة البلاد السعودية ، وله مشاركات منبرية من خلال الأمسيات الشعرية في عدد من مناطق المملكة أنشأ في داره مكتبة خاصة عامرة بما له عناية بالتوثيق التاريخي والثقافي ولتخدم جماعة الباحثين والدراسين . من دواوينه : (دورة الأيام) ، (بصمات خالدة) ، (عطر الصلة) ، (ملحمة المجد) ، وله مؤلفات : (رجال ألمع الأرض – الإنسان – التاريخ) وله ديوان مخطوط أسماه (الشمس).

– أنظر ترجمته :

❖ غلاف ديوانه : (دورة الأيام) .

❖ شذا العبير : (ص (٣٣) .

أحمد باعطب : م (١٣٥٥) هـ

أحمد بن سالم باعطب ، كان مولده بالمكلا ، وهي مدينة ساحلية باليمن السعيد ثم انتقل مبكراً إلى المملكة العربية السعودية ، وحصل فيها على شهادة البكالوريوس من جامعة الملك سعود ، عمل في التدريس ، ثم موظفاً بالخطوط السعودية ، ثم مؤسسة النقد العربي السعودي ، ثم أحيل إلى التقاعد ، له مشاركات منبرية من خلال الأمسيات الشعرية داخل المملكة ، كتب عنه بعض دارسي الأدب العربي من داخل المملكة وخارجها وحصل على بعض الجوائز الأدبية .

من دواوينه : (الروض الملتهب) ، (قلب على الرصيف) ، (عيون تعشق السهر) ، (أسراب الطيور المهاجرة) .

– أنظر ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٢٦٦) ج/١ .

❖ معجم الشعراء : (١١٢) ج /١ .

أحمد الصالح : م (١٣٩٢) هـ

أحمد صالح الصالح كان مولده بمدينة عنيزه منطقة القصيم المملكة العربية السعودية ، وتلقى تعليمه العام بها ، ثم استكمل تعليمه الثانوي والجامعي بمدينة الرياض ، وحصل على البكالوريوس من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تخصص التاريخ ، عمل بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية ومازال ، له مشاركات عديدة في الصحف والمجلات السعودية وكثيراً ما يوقع أشعاره باسم (مسافر) له مشاركات منبرية من خلال الأمسيات داخل المملكة وخارجها ، تناول شعره كثيرون من الدراسين .

من دواوينه : (عندما يسقط العراف) ، (قصائد في زمن السفر) ، (انتفضي أيتها المليحة) ، (عيناك يتجلى فيهما الوطن) ، وغيرها من الدواوين المخطوطة .

– أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٢٧٦) ج /١ .

❖ معجم الشعراء : (١٢١) ج /١ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن (٢٩) .

أحمد التيهاني : م (١٣٩٠) هـ

أحمد بن عبد الله بن أحمد آل عبد الله التيهاني كان مولده بأبها ، وبها تقلب في مراحل التعليم المختلفة واصل درسه العالي حتى حصل على الماجستير من أحدى جامعات الرياض ، يعمل محاضراً بكلية اللغة العربية بجامعة الملك خالد ، إلى جانب كونه مذيعاً بارعاً في محطة التلفزيون السعودي بأبها ومديراً لمكتب صحيفة المدينة بأبها ، ورئيس تحرير لمجلة المفتاحة ، ومستشاراً لتحرير مجلة الجنوب ، وعضواً في هيئة تحرير مجلة بيادر التي تصدر عن نادي أبها الأدبي ، يحمل عضوية نادي أبها الأدبي ، وعدد من عضويات اللجان الثقافية والمنتديات الأدبية الأخرى له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية داخل المملكة ، حصل على جوائز تكريمية في مجال الشعر والإعلام ، وكرم في حفل جائزة المفتاحة عام ١٤٢٤ هـ كونه أحد المتميزين في الشعر الفصيح له من الدواوين : (أماريق) ، (فاعلاتن)ديوان مخطوط . يكتب في القالب العمودي ، وقالب التفعيلة . ومن مؤلفاته (ظاهرة الحنين في شعر جنوبي المملكة العربية السعودية) ،(الحياة الاقتصادية في الشعر العربي حتى نهاية عصر بني أمية دراسة موضوعية فنية) ، (ابن سحمان شاعراً) ، (وكلها ما زالت مخطوطة ومنها ما هو تحت الطباعة.

– أنظر ترجمته

❖ غلاف ديوانه (أماريق) .

أحمد بيهان (.......)

أحمد عبد الله بيهان ، كان مولده بأبها جنوب المملكة العربية السعودية ، ويعد من أبرز شعراء ، أبها ، نشر بعض إنتاجه الشعري في عدد من المجلات والصحف السعودية ، وله مشاركات منبرية من خلال الأمسيات واللقاءات الأدبية والشعرية .

من دواوينه : (هيكل الحياة) ، (نزيف المشاعر).

أحمد عسيري : م (١٣٧٣) م

أحمد بن عبد الله ناصر عسيري كان مولده بقرية (الملاحة) بني مالك عسير بالمملكة العربية السعودية ، اشتغل بالتدريس وهو من أوائل المذيعين السعوديين بمحطة التلفزيون السعودي بأبها ، أعد وقدم عداداً من البرامج الثقافية والتربوية والإعلامية رأس القسم الثقافي بجريدة (الوطن) عند صدورها ولمدة عام ، ويعمل الآن مديراً للمكتبة العامة بأبها التابعة لوزارة التربية والتعليم ومديراً لجمعية الثقافة والفنون بعسير يحمل عضوية لجنة التنشيط السياحي بمنطقة عسير ، كما كان يحمل عضوية نادي أبها الأدبي له زوايا يومية وأسبوعية في الصحافة السعودية من اشهرها (كلمات ساهرة) في الجزيرة عندما كانت تصدر أسبوعياً و (رزقي على الله) في عكاظ عام ١٤٠٠هـ و (إن صح التعبير) في البلاد عام ١٤٢٢هـ و(داخل الأقواس)في الوطن ١٤٢٣هـ ، وما زالت مشاركاته قائمة في هذا الميدان إلى جانب نشاطه المنبري من خلال عشرات الأمسيات الشعرية التي أحياها في أنحاء المملكة وخارجها.له ديوان مخطوط وكتاب نثري تحت الطبع.

- أنظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٢٩٨) ج/١ .
- ❖ معجم الشعراء : (١٤٨) ج/١ .

أحمد العسيري : م (١٣٦٦) هـ

أحمد بن علي بن سعد آل مانع عسيري ، كان مولده بقرية آل زيدي إحدى ضواحي مدينة أبها ، وتلقى تعليمه بها، فقد والديه صغيراً مما أضطره إلى مواصلة دراسته بدار الأيتام بمكة المكرمة ، وأكمل المرحلة المتوسطة والثانوية بدار التوحيد بالطائف ، التحق بكلية الامن الداخلي (الملك فهد الأمنية) وتخرج منها ضابطاً ، عمل بشرطة جدة ، وتدرج في الرتب العسكرية . تناولته بعض الدراسات الأدبية ، وقدم لديوانه الأول الأستاذ الشاعر / محمد حسن عواد ، الذي أثنى على ديوانه وبشر بشاعر واعد .

من دواوينه : (في متاهات الحياة) ، (بقايا المتاهات) .

- أنظر ترجمته :

- ❖ شذا العبير ص (٦٧) .
- ❖ المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية : ص (٢٨٧) .

أحمد عقيلان : م(١٣٤٣م) ت(١٤١٧) هـ

أحمد فرح عقيلان كان مولده بقرية الفالوجا بفلسطين ، تخرج بكلية القدس العربية ، ثم اشتغل بالتدريس في فلسطين ثم ارتحل إلى المملكة العربية السعودية وعمل في مجال التدريس فيها ، وحاز على الجنسية السعودية . شغل وظيفة مستشار ثقافي في الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، وهو شاعر وباحث وأديب له من الدواوين : (الجرح والإباء) ، (رسالة إلى ليلى)، (المجموعة الكاملة) جمعت وطبعت بعد وفاته ومن مؤلفاته (جناية الشعر الحر) أصدره نادي أبها الأدبي ، وقد أحدث جلبة في الميدان الأدبي) ،(بين الأصالة والحداثة) أصدره نادي الطائف الأدبي ، وله كتاب في التفسير.

- أنظر في ترجمته :

- ❖ إتمام الأعلام : ص (٣٣) .
- ❖ معجم الشعراء : (١٧٨) ج/١ .

أحمد قران (..........)

أحمد بن محمد آل قران الزهراني ، عمل في الصحافة السعودية ، وبالتحديد في جريدة الندوة ، مجلة استجواب ، مجلة مجلتي ، جريدة الجزيرة ، ويعمل حالياً في وزارة الثقافة والإعلام بجدة ، ويشرف على الشؤون الثقافية في مجلة الإعلام والاتصال ويحمل عضوية نادي جدة الأدبي ، ونادي أبها الأدبي ، له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية والثقافية .

من دواوينه : (دماء الثلج) ، (بياض) .

وله من المؤلفات : (امرأة من حلم) ، (الرفض والقبول) قراءة في ظواهر الشعر العربي – تحت الطبع – .

– أنظر في ترجمته :

❖ ديوانه (بياض) .

أحمد الفقيه (...............)

أحمد محمد الفقيه (لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر) .

أحمد بهكلي : م (١٣٧٤) هـ

أحمد بن يحيى محمد بهكلي كان مولده بأبي عريش جازان – المملكة العربية السعودية – تلقى تعليمه الأولي في صامتة صبيا والرياض ، والمتوسط والثانوي بأبها وحصل على شهادة البكالوريوس من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، تخصص لغة عربية ، بعدها ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية فحصل من هناك على درجة الماجستير من جامعة (إنديانا) كما حصل على الدكتوراه في الأدب من جامعة الملك سعود .

اشتغل بالتدريس في المعهد العلمي في الرياض ثم معيداً في معهد اللغة العربية بالرياض ، ثم محاضراً بكلية المعلمين بالرياض ثم عاد إلى مسقط رأسه جازان ، وشغل منصب عميد كلية المعلمين بأبها ، وهو نائب رئيس النادي الأدبي بها ، مثّل المملكة في المهرجانات الداخلية والخارجية وله نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية والثقافية في المملكة وفي خارجها ، تناول نتاجه الشعري عدد من الدراسين من الداخل والخارج .

ومن دواوينه : (الأرض والحب) ، (طفيان على نقطة الصفر) ، (أول الغيث) .

ومن مؤلفاته : (الشعر اليمني في موازين النقد الفني) .

– أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٢٣٨) ج/١ .

❖ معجم الشعراء : (٢٤٢) ج/١ .

❖ المذاهب الأدبية للشعر الحديث لجنوب المملكة : ص (٣١٧) .

بهاء عزي (............)

كان مولده بالمدينة المنورة ، تدرج في التعليم حتى حصل على درجة البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسة ، من جامعة الملك سعود ونال درجة الدكتوراة من بريطانيا في (كيفية استخدام صناعة النقل البحري الشاملة في عملية امتلاك وتطوير التقنية الصناعية) عمل في عدد من القطاعات الحكومية ويعمل حالياً رئيس مركز الدراسات الاقتصادية والصناعية .

من دواوينه : (عاشق من جبال السروات) ، (ذو العصف والريحان) .

ومن مؤلفاته : (العالم إلى أين ... والعرب إلى أين).

– أنظر في ترجمته :

❖ ديوانه (ذو العصف والريحان) ص (٢٨٦ ، ٢٨٧) .

تركي العصيمي : م (١٣٦٤هـ) ت (١٤٠٠هـ)

تركي بن صالح بن مقبل العصيمي كان مولده في مدينة الزلفي ، تلقى التعليم في جميع مراحله بأبها ثم التحق بكلية الملك عبد العزيز الحربية وتخرج منها ضابطاً وانخرط في الجيش السعودي ، حصل على درجة الماجستير في العلوم العسكرية من كلية الأركان بالأردن قضى في حادثة الحرم المكي الشريف وهو يشارك في تطهيره من اعتداء جهيمان ورجالاته وهي الحادثة المشهورة التي وقعت عام ١٤٠٠ هـ – رحمه الله – وتقبله في الشهداء . وقد رثاه عدد من الشعراء من أبرزهم الشاعر الدكتور / غازي القصيبي في قصيدته (يا ريم) .

له ديوان وحيد جمع وطبع بعد وفاته بمدة طويلة وهو (قلب في أبها) قام على طبعه نادي أبها الأدبي وفاء للرجل .

–أنظر في ترجمته :

❖ ديوانه (قلب في أبها) ص (٩) .

جاسم الصحيح : م (١٣٨٤هـ)

جاسم بن محمد بن أحمد الصحيّح ، كان مولده في مدينة الجفر بالأحساء المملكة العربية السعودية ونشأ بها تلقى تعليمه العام بالمدارس الرسمية بالمملكة ، ثم ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحصل من هناك على درجة البكالوريوس في هندسة الآلات ، ويعمل حالياً بشركة أرامكو السعودية ، له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية والثقافية ونشر كثيراً من شعره في الصحف والمجلات له من الدواوين : (ظلي خليفتي عليكم) ، (عناق الشموع والدموع) ، (خميرة الغضب) ، (سهام إليفة) ، (أولمبياد الجسد) ، (نحيب الأبجدية) .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم الشعراء : (٣٨٩) ج/١ .

جمعان عطية (.......)

جمعان عبد الكريم عطيه (لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من المصادر) .

حبيب المطيري : (١٣٨٨هـ)

حبيب بن معلا بن معيض المطيري كان مولده بمدينة الرياض - المملكةالعربية السعودية - حصل على ليسانس في اللغة العربية ، ثم حصل على درجة الماجستير في الأدب العربي ، وكذلك الدكتوراه ، اشتغل بالتدريس حصل على بعض جوائز الإبداع الادبي والشعري ، ونشر أكثر انتاجه الشعري في عدد من الصحف والمجلات السعودية .

له من الدواوين : (نوافذ على الشمس) ، (نيث السقاء) .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين (٣٦) ج/٢ .

❖ معجم الشعراء (٢٠) ج/٢ .

حجاب الحازمي : م (١٣٦٤هـ)

حجاب بن يحي بن موسى الحازمي ، كان مولده بمدينة ضمد - جازان - المملكة العربية السعودية - حاصلا على ليسانس اللغة العربية من جامعة الإمام ، اشتغل بالتدريس ، ويرأس حالياً نادي جازان الأدبي ، مثل المملكة في بعض المهرجانات الشعرية في الداخل والخارج من خلال الأمسيات الشعرية والأدبية نشر شيئاً من شعره في بعض المجلات والصحف السعودية ، تناول دارسوا الأدب شخصيته وشعره وقصصه بالدرس .

من نتاجه : (وجوه من الريف) مجموعة قصصية ، (أبجديات في النقد والادب) ، (ابن هميتل الضمدي) وليس له ديوان مطبوع .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين (٤٠) ج/٢ .

❖ معجم الشعراء (٢١ ، ٢٢) ج/٢ .

حسين النجمي : م (١٣٨١هـ)

حسين بن أحمد بن يحي بن محمد النجمي ، كان مولده بقرية النجامية - منطقة جازان - المملكة العربية السعودية - وإليها ينتسب نشأ في كنف والده وكان لذلك أثر حيث أن والده يعتبر من علماء جازان تلقى مراحل التعليم العام في مدينة سامطة ثم انتقل إلى مدينة أبها حاضرة منطقة عسير والتحق بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها سابقاً (الملك خالد حالياً) وتخرج من كلية أصول الدين ، اشتغل بالتدريس ويحمل عضوية النادي الأدبي بها ، له نشاط منبري من خلال بعض الأمسيات الشعرية ونشر بعض شعره في الصحف والمجلات السعودية ، وحصل على بعض الجوائز الإبداعية والأدبية ، أوفد للتدريس إلى دولة الإمارات العربية المتحدة وخلال مدة الإيفاد أحيا عدداً من الأمسيات والمناسبات الثقافية والشعرية وصدرت هناك الطبعة الثانية لديوانه (عيناك في وقت الرحيل) ، كتب عنه بعض دراسي الأدب ، له من الدواوين : (ألم وأمل) ، (عيناك في وقت الرحيل) ، تأملات على مرافئ الغربة) ،(باقة من فل جازان) ، وله ديوان مخطوط هو (قبلة على جبين الوطن) يحوي قصائد وطنية .

-أنظر في ترجمته :

❖معجم البابطين (١٠٨) ج/٢ .

❖ معجم الشعراء : (٨٩) ج /٢ .

حسين سهيل : م (١٣٨٠هـ)

حسين بن محمد أحمد سهيل ، كان مولده في جزيرة فرسان بالمملكة العربية السعودية درس مراحل التعليم الأولى بها وحصل على دبلوم معهد إعداد المعلمين بجيزان التحق بالكلية المتوسطة وحصل على دبلومها ، اشتغل بالتدريس ويحمل عضوية نادي جيزان الأدبي ، له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية ، ونشر كثيراً من نتاجه الشعري في بعض الصحف والمجلات السعودية ، فاز ببعض الجوائز الإبداعية والأدبية ، وكتب عنه بعض النقاد .

له من الدواوين : (أشرعة الصمت) .

- أنظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين (١٤٦) ج / ٢ .
- ❖ معجم الشعراء (١٢٤) ج/٢ .

خالد الحليبي : م (١٣٨٣هـ)

خالد بن سعود بن عبد العزيز آل زيد الحليبي كان مولده بالإحساء – المملكة العربية السعودية وتلقى تعليمه بجميع مراحله بها إلى أن حصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية بالرياض ثم الدكتوراه ، عمل معيداً بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء في تخصص الأدب عمل محرراً متعاوناً في جريدة اليوم نشر عشرات القصائد ، والموضوعات النقدية والمتنوعة في عدد من صحف المملكة والخليج .

من دواوينه : (قلبي بين يديك) ومن مؤلفاته : (هذه وصيتي) ، (الشعر في الإحساء في العصر الحديث) ،(روميات أبي فراس الحمداني) ،(عمر بهاء الدين الأميري : حياته وشعره) تناول شعره بعض الدارسين من أدباء الإحساء .

- أنظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٢٢٠) ج/٢ .
- ❖ مغجم الشعراء : (١٧٢) ج/٢ .

زاهر الألمعي : م (١٣٥٤هـ)

زاهر بن عواض الألمعي ، كان مولده بظهرة آل بريد بمنطقة عسير – المملكة العربية السعودية – ونشأ بها ، التحق بالسلك العسكري ، وواصل أثناء ذلك دراسته ، وحصل على الثانوية العامة من معهد شقراء العلمي ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرج منها ، ثم سافر إلى مصر والتحق بكلية أصول الدين ، بجامعة الأزهر وحصل منها على درجة الماجستير ، وكان أول سعودي يحصل على الدكتوراه من جامعة الأزهر ، اشتغل بالتدريس بالمعاهد العلمية ، ثم مدرساً بكلية الشريعة بالرياض ، ثم عميداً لشؤون المكتبات لمدة ست سنوات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ثم أستاذاً للدراسات العليا بكلية أصول الدين ، ثم عميد كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود بأبها وهو عضو بمجلس الشورى ، وعضو بلجنة الشؤون الإسلامية بمجلس الشورى ، وعضو برابطة الأدب الإسلامي العالمية شارك في الكثير من المؤتمرات المحلية والعربية أحيا عدداً من الأمسيات الشعرية في عدد من المدن السعودية ، وكذلك في عدد من المدن العربية والعالمية . له شعر منشور في عدد من الصحف والمجلات السعودية ، وله نشاط منبري من خلال المحاضرات والندوات واللقاءات والمؤتمرات داخل المملكة وخارجها . وله عدد من البحوث المنشورة والدراسات من دواوينه : •على درب الجهاد)، (الألمعيات) ، (نفحات الصبا) ،(نزيف الشهداء) ، (أسمار الوطن) . وله من المؤلفات (مناهج الجدل في القرآن الكريم) ، (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم) ، وحقق كتاب (استخراج من القرآن لابن الحنبلي) ، وله (رحلة الثلاثين عاماً) سيرة ذاتية وغيرها من المؤلفات ، كتب عنه الكثير من دراسي الأدب.

- أنظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٣٧٢) ج/٢ .
- ❖معجم الشعراء : (٢٧٣) ج /٢ .
- ❖ شخصيات في ذاكرة الوطن :(١٤٨) .

زايد الكناني : م (١٣٩٣) هـ

زايد محمد حاشد كناني ، كان مولده بأبها حصل على درجة البكالوريوس في تخصص القرآن وعلومه من جامعة الملك خالد يعمل بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منطقة عسير ، يحمل عضوية نادي أبها الأدبي ، له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية ، والمناسبات الوطنية ، وله مشاركات في إحدى الملتقيات الطلابية لجامعات دول مجلس التعاون الخليجي له ديوان : (تقاسيم زامر الحي) من إصدارات نادي أبها الأدبي.

صالح العمري : م (...............)

صالح سعد العمري له (نغم الأرض) و (ريش من لهب) ولم أقف على ترجمته فيما بين يدي من المصادر .

صالح الزهراني : م (...............)

صالح سعيد الزهراني ، كان مولده بمنطقة الباحة ، حصل على درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه من جامعة أم القرى ، ويعمل بها الآن بدرجة أستاذ في كلية اللغة العربية ، إلى جانب كونه مديراً لمركز إحياء التراث الإسلامي بالجامعة له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية والثقافية ، وينشر بعض قصائده في الصحف والمجلات له من الدواوين) ، (تراتيل حارس الكلأ المباح) ، (فستذكرون ما أقول لكم) .

ومن مؤلفاته : (اللغة الكونية في جماليات الفكر الشعري في بائية ذي الرمة) ، (المصباح والصولجان دراسة في نقد الأكاديميين السعوديين للشعر السعودي) ، وله مؤلفات مخطوطة أخرى .

صالح الغامدي : م (١٣٧٦هـ)

صالح عون هاشم عدنان الغامدي كان مولده في رغدان بمنطقة الباحة بالمملكة العربية ا لسعودية وتلقى تعليمه بها ، ارتحل إلى الرياض والتحق بالجامعة وحصل على درجة البكالوريوس في تخصص العلوم الاجتماعية ، واصل درسه العالي وحصل على درجة الماجستير ، ثم ابتعث إلى بريطانيا وحصل من هناك على درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث السياسي ، اشتغل بالتدريس في جامعة الملك خالد ، ورأس لجنة الشعر بنادي أبها الادبي ويحمل عدداً من عضويات الهيئات واللجان الثقافية ، وله نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية ، نشر شعره في عدد من المجلات والصحف ، وله عدد من الأبحاث المنشورة .

له من الدواوين : (آلام وآمال) ، (إلى حبيبتي وفاء) ، ومن مؤلفاته : (العلاقة السعودية اليمنية) ، (موقف المملكة من أحداث الخليج) ، (الباحة) ، (علم من عسير) .

– أنظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٣٧٤ ج /٢ .
- ❖ معجم الشعراء : (٤٤٠) ج / ٢ .
- ❖ شذا العبير : (١٣٨) .

طاهر زمخشري م (١٣٣٢) ت(١٤٠٧هـ)

طاهر بن عبد الرحمن زمخشري كان مولده بمكة المكرمة ،وتلقى تعليمه بها ، اشتغل بالتدريس في دار الأيتام في المدينة المنورة ، وتقلب بعد ذلك في عدد من الوظائف الحكومية ، كان له عناية بشأن الطفل ، وذلك من خلال برنامجه (بابا طاهر) والمجلة التي أصدرها للطفل باسم (الروضة) ، والشاعر من الشعراء الذين اشتغلوا بالصحافة ردحاً طويلاً ، كتب إلى جانب الشعر القصة بنوعيها الطويل والقصير ، وله كتابات اجتماعية وأدبية ، قضى بعض سنيه في مصر وتونس ، يعد من الشعراء المكثرين له أكثر من عشرين ديواناً حوت معظمها المجموعتين الشعريتين (مجموعة الخضراء) و (مجموعة النيل) وله بعض المؤلفات ، تناول شخصيته وشعره ومذهبه الأدبي عدد كبير من دراسي الأدب ونقاده في الداخل والخارج وقد نال الشاعر جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٧ هـ وهو العام الذي مات فيه .

- أنظر في ترجمته :

❖ إتمام الأعلام : (١٣٨) .

❖ شعراء العصر الحديث (١٠٩) ج/ ١ .

❖ معجم الشعراء (٨) ج /٣ .

عائض القرني : م (١٣٧٩ هـ)

عائض بن عبد الله بن عائض القرني كان مولده ببلاد بلقرن جنوب المملكة العربية السعودية ، وتلقى تعليمه الأولي بها ، والمتوسط في الرياض والثانوي في أبها ، وحصل على درجة البكالوريوس من فرع جامعة الإمام محمد بن سعود بأبها وعين معيداً في الفرع ، وحصل على درجة الماجستير ، ثم انقطع إلى الدعوة وإلقاء المحاضرات ، ثم تفرغ إلى التأليف وفي أثناء ذلك حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود بمدينة الرياض يمارس الآن العمل الدعوي كمفكر إسلامي له أثره في الوسط الإسلامي ، له نشاط منبري من خلال المحاضرات والندوات والدروس والأمسيات الشعرية . ويعد القرني من المكثرين في جانب التأليف ، وهو في تأليفه ينزع إلى موضوع وفكر واحد . له من الدواوين : (تاج المدايح)، (لحن الخلود) ، (نفحات من الجنوب) ، (أبو ذر في القرن الخامس عشر) ،(قصة الطموح) ،(وله من الاعمال الأدبية (مقامات القرني) ،(قصائد قتلت أصحابها) .

من مؤلفاته : (لاتحزن) ، (البدعة وأثرها في الدراية والرواية) ،(كتب في الساحة الإسلامية) وغيرها كثير .

عبد الرحمن السويداء : م (١٣٥٨هـ)

عبد الرحمن بن زيد بن عبد الرحمن السويداء الخالدي ، كان مولده ببلدة المستجدة بمنطقة حائل بالمملكة العربية السعودية ، التحق بجامعة الملك سعود وحصل منها على درجة البكالوريوس في التاريخ اشتغل بالتدريس ، وتنقل بين مناصب التعليم وغيره من جهات العمل إلى أن طلب التفرغ المباشر ليتفرغ لأعماله الخاصة ومنها قيامه على شأن دار السويداء للنشر والتوزيع ، له نشاط منبري من خلال المهرجانات والأمسيات الشعرية والثقافية ، وله كتابات في الصحف والمجلات ، كما أن له شعر منشور فيها .

له من الدواوين : (رؤى مسافر) ، (لواعج) ، (هواجس) ، (أشجان) ، وله بعض الروايات منها (رائد) ، (العزوف) ، (فالح) ، وغيرها وله من التأليف : (نجد في الامس القريب) ، (الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد) ، (جذوع وفروع) ، وغيرها .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (١٢٤) ج / ٣ .

❖ معجم الشعراء : (١١٠) ج/ ٣ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن : (٢١٥) .

عبد الرحمن العشماوي : (١٣٧٦ هـ)

عبد الرحمن بن صالح العشماوي كان مولده بقرية عرا إحدى قرى بني ظبيان منطقة الباحة المملكة العربية السعودية ،وتلقى مراحل تعليمه الأولي بالباحة ثم انتقل إلى الرياض والتحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتخرج منها في كلية اللغة العربية ، ثم واصل الدرس العالي بنفس الجامعة وحصل منها على درجة الماجستير ، ثم حصل على الدكتوراه واشتغل في ذات الوقت بالتدريس في الجامعة له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية والندوات الثقافية ، وله حضور إعلامي من خلال الصحافة وغيرها ، يعد من الشعراء المكثيرين ، ويعرف عند الدارسين بتوجهه الإسلامي ، واهتمامه من خلال شعره بقضايا الأمة الإسلامية .

له من الدواوين : (إلى أمتي) ، (صراع مع النفس) ، (قصائد إلى لبنان) ، (بائعة الريحان) ، (مأساة التاريخ) ، (عندما تشرق الشمس) ، (خارطة المدى) وغيرها كثير .

وله من المؤلفات : (الاتجاه الإسلامي في أثار علي أحمد باكثير) ، (بلادنا والتميز) ،(إسلامية الأدب) ، (من ذاكرة التاريخ الإسلامي) .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم الباطين : (١٢٦) ج / ٣ .

❖ معجم الشعراء : (١١٣) ج / ٣ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن (٢١٣) .

عبد العزيز النقيدان م (١٣٥٨م)

عبد العزيز بن محمد النقيدان ، كان مولده بمدينة بريده إحدى مدن المملكة العربية السعودية ، حصل على ليسانس في اللغة العربية من جامعة أم القرى ، اشتغل بالتدريس وترقى في مناصب التعليم ، له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية والأدبية . وله من الدواوين : (ترانيم الرمال) ، (عواطف ومشاعر) ، (أنات في هزيع الليل) .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٢٠٨) ج / ٣ .

❖ معجم الشعراء : (١٨٦) ج /٣ .

عبد الله الصيخان : م (١٣٧٥هـ)

عبد الله بن حمد الصيخان كان مولده بتبوك شمال المملكة العربية السعودية اشتغل مبكراً بالعمل الصحفي كمحرر ثقافي ثم سكرتير فمدير لتحرير مجلة اليمامة ثم تحول إلى العمل الإداري في نفس المؤسسة تناول بعض الدراسين أعماله الشعرية له من الدواوين : (هواجس فس طقس الوطن) .

- أنظر ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٣٣٦) ج/٣ .

❖ معجم الشعراء : (٢٤٥) ج/٢ .

عبد الله الحميد : م (١٣٧١م)

عبد الله سالم حميد الحميد ، كان مولده في مدينة الرياض — المملكة العربية السعودية — بدأ دراسته بتعلم القرآن الكريم والتردد على الكتاتيب وواصل دراسته حتى تخرج في كلية الشريعة ، وبدأ دراسة الماجستير في الأزهر الشريف ثم انقطع عنها لظروف خاصة ، عمل مستشاراً بأمارة منطقة الرياض ، كان عضواً في رابطة الأدب الحديث بالقاهرة) ويحمل عضوية نادي الرياض الأدبي ، له مشاركات كتابية في عدد من الصحف العربية وله اسهامات في البرامج الثقافية والادبية .

له من الدواوين : (أمل جريح) ، (لقاء لم يتم) ، (ايقاعات الطين والحزن والسراب) ، (والسفر في ذاكرة الوطن) .

ومن مؤلفاته (رحيل الموسم الوردي) قصص ، (التهلكة) قصص ، (شعراء من الجزيرة العربية) ، (من ألق المعاناة) ، (الأمة وجذور المعاناة) .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٣١٤) ج / ٣ .

❖ معجم الشعراء : (٢٥١) ج / ٣ .

عبد الله العثيمين : م (١٣٥٥هـ)

عبد الله صالح العثيمين كان مولده في عنيزه إحدى مدن القصيم — المملكة العربية السعودية — تخرج في قسم التاريخ ، بجامعة الملك سعود وحصل على الدكتوراه من جامعة (أدنبرا) .

اشتغل بالتدريس في الجامعة إلى جانب كونه الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية ، يحمل عضوية هيئة تحرير مجلة الدارة ، ورسالة وحوليات كلية الآداب بجامعة الكويت تناولت بعض الدراسات أعماله الشعرية ولشاعر شقيق العلامة الكبير محمد بن صالح العثيمين —رحمه الله — .

له من الدواوين : (عودة الغائب) ، (بوح الشباب) ، (لا تسلني) ، وله من المؤلفات (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ، (تاريخ المملكة العربية السعودية) ، وغيرها من المؤلفات إلى جانب تحقيقاته وترجماته عن الإنجليزية ، وله مشاركات في الصحافة ، وكذلك في الأمسيات الثقافية .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٣٣٤) ج /٣ .

❖ معجم الشعراء (٢٥٦) ج /٣ .

عبد الله الشهري : م (...................)

عبد الله عبد الرحمن الشهري ، كان مولده بتنومة بني شهر جنوب المملكة العربية السعودية ، حاصل على بكالوريوس علوم وتربية من جامعة الملك سعود يشتغل بالتدريس ، أشرف على الملحق الثقافي والأدبي لمجلة الدعوة ، ويحمل عضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية وعضوية رابطة نادي أبها الأدبي ، شارك في إعداد بعض البرامج الإذاعية ، وله مساهمات في الصحافة ، ومن دواوينه : (زورق الأحلام) ، وله مؤلفات : (نوافذ أدبية) ، (تنومة الزهراء) .

- أنظر في ترجمته :

❖ ديوانه (زورق الأحلام) .

عبد الله بن إدريس : م (١٣٤٩ هـ)

عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس كان مولده ببلدة حرمه من منطقة سدير – المملكة العربية السعودية – جلس للشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ – مفتي الديار السعودية في زمانه وتلقى العلم على يده ، التحق بالمعهد العلمي وحصل على الثانوية العامة منه ، ثم التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتخرج من كلية الشريعة ، اشتغل بالتدريس ثم موجهاً للعلوم الدينية في المعاهد العلمية ، ثم مديراً للتعليم الفني بوزارة المعارف (التربية والتعليم) أصدر مجلة (الدعوة) ورأس تحريرها فترة من الزمن عمل أميناً عاماً لجامعة الإمام محمد بن سعود ثم مديرا عاماً للثقافة والنشر بها ، رأس النادي الأدبي بالرياض فترة طويلة ، ويحمل عدد من العضويات حصل على جوائز وأوسمة تقديرية ، ينشر مقالاته وأشعاره عبر الصحف والمجلات وقد تناول عدد من الدارسين والنقاد شخصيته الأدبية وأعماله الشعرية .

له من الدواوين : (في زورقي) ومن مؤلفاته (شعراء نجد المعاصرون) ،(كلام في أحلى الكلام) ،(عزف أقلام) ،(الشعر في الجزيرة العربية) وغيرها .

–أنظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٣٦٤) ج/٣ .
- ❖ معجم الشعراء : (٢٦٢) ج/٣ .
- ❖ شخصيات في ذاكرة الوطن : (٢٨٧) .

عبد الله الحميّد : م(١٣٢٦هـ) : ت(١٣٩٩هـ)

عبد الله بن علي بن حُميّد كان مولده في قرية (سبل) إحدى قرى بني مالك عسير – المملكة العربية السعودية – ، تلقى تعليمه على أيدي بعض المشايخ ، ثم انتقل إلى الرياض ودرس بها عمل وكيلاً لإمارة بيشة ، ثم عمل بإمارة القنفذة ثم انتقل إلى نجران مسؤولاً عن أعمال الجمرك والمالية ثم عاد إلى أبها ليعمل رئيساً لديوان إمارة أبها ، ثم رئيساً لبلديتها ، رأس نادي أبها الأدبي ، كانت له مشاركات في الصحف والمجلات ، ونال بعض الجوائز التقديرية .

صدر بعد وفاته كتاب (أديب من عسير) يحوي مقالاته وقصائده قام على جمعه ابنه الأستاذ/ محمد بن عبد الله بن علي الحميد رئيس نادي أبها الأدبي .

–أنظر في ترجمته :

- ❖ شذا العبير : (١٨٤) .
- ❖ علم من عسير : (٤) .
- ❖ معجم الشعراء : (٢٧٢) ج /٣ .

عبد الله بالخير : م (١٣٣٣)هـ) ت (١٤٢٣هـ)

عبد الله عمر بالخير ، كان مولده بالمملكة العربية السعودية ، التحق بمدرسة الفلاح وتخرج منها ، ثم أكمل دراسته بالجامعة الأمريكية ، تولى عدة مناصب في عهد الملك عبد العزيز – رحمه الله – إلى جانب كونه مترجماً مرافقاً له ، كما عين رئيساً لديوان إمارة الرياض ، ثم مسؤولاً عن المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر ثم وزير دولة لشؤون الإذاعة والصحافة والنشر ، قال الشعر مبكراً وحمل لقب (شاعر الشباب) ، تفرغ للكتابة والشعر وكتب عدداً من الملاحم الشعرية ، نشر شعره في كثير من الصحف والمجلات ، تناول شخصه وشعره بعض الدارسين. ليس له ديوان مطبوع إلى حين وفاته .

–أنظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٣٦٢) ج/٣ .
- ❖ معجم الشعراء : (٢٧٥) ج /٣ .
- ❖ شخصيات في ذاكرة الوطن : (٢٧٧) .

عبد الله بن خميس : م (١٣٣٩) هـ

عبد الله بن محمد بن راشد بن خميس ، كان مولده بقرية الملقى من ضواحي الدرعية بالمملكة العربية السعودية ، التحق بكليتي الشريعة واللغة العربية بمكة المكرمة بعد أن أنهى الثانوية ، وحصل على شهادتيهما ، عمل مديراً لمعهد الإحساء العلمي ، ثم مديراً لكليتي الشريعة واللغة بالرياض ، ثم مديراً عاماً لرئاسة القضاء ثم وكيلاً لوزارة المواصلات ، أصدر مجلة الجزيرة ثم تحولت إلى جريدة يومية ، يحمل عضوية المجمع اللغوي في القاهرة ، ودمشق والمجمع العلمي بالعراق ، وعدد من العضويات الأخرى له مشاركات أدبية من خلال المهرجانات والأمسيات الشعرية والمؤتمرات . نشر مقالاته وقصائده في عدد من الصحف والمجلات ، نال عدداً من الجوائز التقديرية وتناول بعض الدارسين أعماله الشعرية له من الدواوين : (على ربى اليمامة) ، (وأهازيج الحرب) و(الديوان الثاني)وله من المؤلفات :(الشوارد) ، (المجاز بين اليمامة والحجاز) ، (شهر في دمشق) ، (بلادنا والزيت) ، (جبال الجزيرة) .

–أنظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٣٧٦) ج/٣ .
- ❖ معجم الشعراء : (٢٨٥) ج/٣ .
- ❖ شخصيات في ذاكرة الوطن : (٢٨٥) .

عبد الله الحميد : م (١٣٧٦هـ)

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي حميّد كان مولده في مدينة أبها بالمملكة العربية السعودية ، وتلقى مراحل تعليمه الأولى بها ، وحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية من كلية الشريعة واللغة العربية بأبها .

وعمل معيداً بالكلية ، ثم حصل على الماجستير في الأدب من كلية اللغة العربية بالرياض ، وكذلك حصل من ذات الكلية على درجة الدكتوراه يعمل عضواً في هيئة التدريس بجامعة الملك خالد ، ويحمل عضوية اللجنة العلمية بنادي أبها ، له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية .

- انظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين (٣٧٤) ج / ٣ .
- ❖ شذا العبير : (٢١١) .
- ❖ معجم الشعراء : (٢٨٨) ج /٣ .

على التركي : (.........................)

شاعر سعودي ولد في مدينة أبها ونشأ وتعلم بها ونشر العديد من انتاجه الشعري في بعض الصحف والمجلات له مشاركة في الأمسيات الثقافية والشعرية وله مجموعة شعرية .

- أنظر في ترجمته :

- ❖ أبها في مرآة الشعر المعاصر ص ٦٩ .

علي النعمي م : (١٣٥٦هـ)

على أحمد علي النعمي كان مولده في ضمد بجازان – المملكة العربية السعودية – حاصل على ليسانس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، اشتغل بالصحافة بضع سنوات ويعمل بالتدريس يحمل عضوية نادي جازان الأدبي ، ويرأس لجنة الشعر به ، له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية والثقافية ، حصل على بعض الجوائز التقديرية من الداخل والخارج ، وتناول بعض الدارسين أعماله الشعرية .

له من الدواوين : (عن الحب ومني الحلم) ،(الرحيل إلى الأعماق) ، (الأرض والعشق) ،(جراح قلب) ،(لعيني لؤلؤة الخليج).

- أنظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٥٣٤) ج / ٣ .
- ❖ معجم الشعراء : (٤٠٤) ج / ٣ .

علي عسيري : م (١٣٧٢هـ)

علي بن أحمد آل عمرعسيري كان مولده بقرية الشبارقة ضواحي مدينة أبها – المملكة العربية السعودية – حاصل على بكالوريوس لغة عربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية اشتغل بالتدريس ، ثم انتقل إلى وزارة الإعلام مديراً للمركز الإعلامي بأبها ، ثم مديراً لمحطة تلفزيون مدينة أبها ، وهو عضو مؤسس بنادي أبها الأدبي ،وعضو بلجنة التنشيط السياحي ، رأس تحرير مجلة الجنوب لمدة ست سنوات ، وهو أمين عام جائزة أبها ورئيس لعدد من اللجان الإعلامية بالمنطقة ، له نشاط منبري من خلال الأمسيات الشعرية والثقافية والأدبية ،ونشر نتاجه عبر الصحف والمجلات السعودية وبعض الصحف العربية ، كتب عنه بعض دراسي الأدب .

له من الدواوين : (قصائد من الجبل) بالاشتراك ، (رماد الوجه الحنظي) ، (قصائد غاضبة) ، وله من المؤلفات : (أبها في الأدب والتاريخ) ، (مكة في رياض الشعر) .

- انظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين (٥٣٨) ج / ٣ .
- ❖ شذا العبير : (٢٣٣) .
- ❖ معجم الشعراء : (٤٠٤) ج /٣ .

علي القرني : م (١٣٥٨هـ)

علي خضران القرني كان مولده بالعرضية الجنوبية (تهامة بالقرن) وتلقى تعليمه بمكة المكرمة والرياض والطائف .

له مشاركات كتابية في الصحف والمجلات المحلية ، وهو نائب مجلس الإدارة بنادي الطائف الأدبي ، وعضو بارز فيه .

نشر بعض شعره في الصحف والمجلات وليس له ديوان مطبوع .

له من المؤلفات : (موسوعة أدباء الطائف المعاصرين) ، (أبها في مرآة الشعر المعاصر) .

- أنظر في ترجمته :

❖ أدباء من الطائف .

علي حافظ : م (١٣٢٧) ت (١٤٠٨هـ)

علي عبد القادر حافظ ، كان مولده بالمدينة المنورة ، ودرس في مدارسها ، ثم التحق بالدراسة في المسجد النبوي ، حصل بعدها على شهادة التدريس ، شغل في حياته بعض الأعمال الوظيفية في مجالات متعددة ، تفرغ بعده لأعماله الخاصة ، أسس مع أخيه / عثمان جريدة المدينة المنورة ، واشتركا في إدارتها قرابة الثلاثين عاماً ، كان له ولأخيه جهود في نشر التعليم في ضواحي المدينة قبل انتشاره من قبل وزارة المعارف ، له مشاركات في اللجان الاجتماعية والأدبية والتعاونية ، اختير في مؤتمر الأدباء السعوديين المنعقد بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٣٩٤ هـ ومنح لقب رائد ، والميدالية الذهبية للمؤتمر ، كذلك اختير عضواً في المؤتمر الصحفي العالمي في طوكيو وعضو في مؤتمر الصحافة الإسلامية الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي الذي انعقد في جاكرتا نشر شعره في كثير من الصحف والمجلات ، له ديوان : (نفحات من طيبة) ، (أولادنا) ، وله من المؤلفات : (فصول من تاريخ المدينة المنورة) ، (سوق عكاظ) ، (رحلة قلم).

- انظر في ترجمته :

❖ إتمام الأعلام : (١٨٨) .

❖ معجم الشعراء : (٦) ج/٤ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن : (٣٥٠) .

علي الألمعي : م (١٣٦٨هـ)

علي بن عبد الله بن مهدي الألمعي كان مولده في رجال ألمع جنوب المملكة العربية السعودية تلقى تعليمه الأولي في قريته رجال ثم في أبها والتحق بعدها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية اللغة العربية ، وتخرج منها ، اشتغل بالتدريس بالمعهد العلمي بالباحة ثم في معهد أبها العلمي ثم تفرغ ليتجر في الذهب والمجوهرات يحمل عضوية نادي أبها الأدبي وغيرها من العضويات ، له نشاط منبري من خلال المشاركة في الأمسيات الشعرية والمهرجانات الثقافية داخل المملكة وخارجها ، نشر بعض شعره في المجلات والصحف المحلية ، وليس له ديوان مطبوع إشترك في ديوان (قصائد من الجبل) .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٦٤٠) ج/٣ .

❖ شذا العبير : (٢٤٦) .

❖ معجم الشعراء : (١٠) ج/٤ .

علي الثوابي : م (...................)

علي مفرح محمد الثوابي ، كان مولده برجال ألمع قرية غُنْمَه ، ودرس بها الابتدائية ثم انتقل إلى أبها وأكمل بها الدراسة المرحلة المتوسطة والثانوي ، ثم التحق بجامعة الملك سعود وحصل منها على درجة البكالوريوس في تخصص التاريخ ، تم قبوله لمرحلة الماجستير في جامعة عين شمس بالقاهرة ، لكنه انقطع عن الدراسة لظروف خاصة ، عاد بعدها ليشتغل بالعمل التربوي ، يحمل عضوية نادي أبها الأدبي ، وعضوية لجنة التنشيط السياحي الفرعية برجال ألمع ، له نشاط منبري فاعل من خلال الأمسيات الشعرية داخل المملكة وخارجها ، وله أيضاً مشاركات ثقافية وأدبية من خلال الإذاعة والفعاليات الثقافية نال جائزة (الإبداع الشعري) من نادي أبها الأدبي لهه ديوان (وميض الأفق) وثلاثة أخرى مخطوطة ، وله شعر منشور في الصحف والمجلات .

- أنظر ترجمته :

❖ ديوان وميض الأفق .

عيسى جرابا : م (١٣٨٩هـ)

عيسى بن علي بن محمد جرابا ، كان مولده في قرية الخضراء الشمالية ، جنوب المملكة العربية السعودية ، تلقى تعليمه الأولي بها ، ثم أكمل المرحلة الثانوية بالمعهد العلمي في ضمد ، ثم التحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وتخرج من كلية اللغة العربية ، اشتغل بالتدريس في معهد صبيا العلمي ، ثم معهد إمام الدعوة العلمي بالرياض ، ثم عاد إلى معهد صبيا العلمي. نشر شعره في بعض الصحف ، والمجلات وله نشاط منبري من خلال بعض الأمسيات الشعرية ، يحمل عضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، نال مراكز متقدمة في عدد من المسابقات الشعرية ، كتب عنه بعض المهتمين بالأدب . له دواوين : (لا تقولي وداعاً) ، (وطني والفجرالباسم).

- انظر في ترجمته :

- معجم البابطين : (٧٠٠) ج/٣ .
- معجم الشعراء : (١٢١) ج /٤ .

غازي القصيبي : م (١٣٥٩هـ)

غازي بن عبد الرحمن القصيبي كان مولده بالإحساء شرقي المملكة العربية السعودية تلقى تعليمه الأولي بالبحرين ثم ارتحل إلى مصر ودرس الحقوق في جامعة القاهرة واستمر في طريق الطلب والدرس إلى أن نال الماجستير من جامعة كاليفورنيا الأمريكية ثم الدكتوراه في العلاقات الدولية من لندن اشتغل بالتدريس في جامعة الملك سعود وترقى في مناصبها الإدارية حتى شغل منصب عميد كلية التجارة بالجامعة ، بعدها عين مديراً عاماً لمؤسسة الخطوط الحديدية بالمملكة ثم وزر للحكومة السعودية حيث اختير وزيراً للصناعة والكهرباء فوزيراً للصحة بعدها انتدبته الحكومة السعودية سفيراً لها في البحرين فسفيراً لها في بريطانيا بعدها عاد أخرى إلى عضوية مجلس الوزراء السعودي كوزير للمياه والكهرباء فوزير للعمل ومازال شغل إلى جانب هذه الأعمال الجسام كثيراً من المهام الإدارية والقانونية كما كان له إسهام في اللجان والمجالس الاجتماعية ، يعد القصيبي من أبرز شعراء المملكة العربية السعودية في شعره رقة وجزالة ومعاناة وطنية ، وله تجربة متواضعة في العمل الروائي ، كما أن له نشاط كتابي وتأليفي كبير ، وقد شارك في كثير من المناشط الثقافية والأمسيات الشعرية في داخل المملكة وخارجها من أبرز نتاجه الشعري : (المجموعة الشعرية الكاملة)(سحيم)، وله في العمل الروائي :(شقة الحرية) (العصفورية)(أوب شلاح البرمائي) (رجل جاء وذهب) ، وغيرها ، ومن شهير مؤلفاته : (التنمية والأسئلة الكبرى) ،(حياة في الإدارة)،(سيرة شعرية) ، (استراحة الخميس) ، وهناك الكثير وقد تناول الدارسون شخصيته ونتاجه بالدرس والنقد ، كما نال عدد من الجوائز التقديرية .

- انظر في ترجمته :

- معجم البابطين : (٧٠٠) ج/٣ .
- معجم الشعراء : (١٢١) ج /٤ .
- شخصيات في ذاكرة الوطن ص (٣٦٧) .

فهد العبودي : (..............)

فهد بن علي العبودي ، لم أقف على ترجمته فيما بين يدي من المصادر .

محمد الشنقيطي : (..............)

محمد أحمد الشنقيطي حصل على الثانوية العامة من المدرسة العزيزية بمكة المكرمة ، كما حصل على البكالوريوس والماجستير من جامعة (شفيلد) بانجلترا في الهندسة المدنية والإنشائية .

بعدها عاد إلى وطنه وعمل مديراً لإدارة المشاريع المدنية بوزارة الإعلام ، ثم رئيساً لبلدية جازان ، ثم وكيلاً لمدير عام وزارة الشؤون البلدية والقروية بالمنطقة الغربية من نتاجه الشعري : (دموع المعاناة) ، (المنتحب) ، (قلب يتنفس) .

- انظر في ترجمته :

- ديوان (دموع المعاناة) .

محمد العقيلي : م (١٣٣٦هـ - ١٤٢٣هـ)

محمد بن أحمد عيسى العقيلي كان مولده بمدينة صبيا بمنطقة جازان جنوبي المملكة العربية السعودية تلقى تعليمه على أيدي علماء بلده ثم التحق بالسلك الوظيفي ، حمل عدداً من عضويات المجالس والجمعيات ، كما كان أول رئيس لنادي جازان الأدبي ، حاضر في جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك عبد العزيز وضمها في كتابه (محاضرات في الجامعات والمؤتمرات السعودية) ، نشر كثيراً من نتاجه الشعري في الدوريات السعودية واللبنانية ، له (المجموعة الكاملة) وقد حوت كل دواوينه .

وله تآليف كثيرة منها (التصوف في تهامة) ، (الأدب الشعبي في الجنوب) ، (المخلاف السليماني) ، (معجم اللهجات المحلية) ، نال الميدالية الذهبية من جامعة الملك عبد العزيز عام ١٩٧٤م .

- انظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٣١٦) ج/٤ .

❖ معجم الشعراء : (٣١٠) ج /٤ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن : (٣٩٩) .

محمد العمري : م (١٣٦١هـ)

محمد بن حسن بن عبد الله العمري كان مولده بقرية آل عليان ببلاد بني عمرو جنوبي المملكة العربية السعودية ، نشأ في كنف والده وواصل تعليمه حتى التحق بجامعة الملك سعود بالرياض فنال الشهادة الجامعية (البكالوريوس) في الأدب، التحق بعدها بقوى الأمن الداخلي ، نشر له شعر كثير في مجلة الأمن العام وجريدة عكاظ وجريدة الرياض.

من نتاجه الشعري : (شروق الشوق) :

- أنظر ترجمته :

❖ شذا العبير : (٣٠٧) .

محمد الدبل : م (١٣٦٣هـ)

محمد بن سعد بن حسن الدبل كان مولده في بلدة الحريق بالمملكة العربية السعودية حصل على الليسانس في اللغة العربية من كلية الرياض عمل بعدها معلماً في المرحلة المتوسطة والثانوية ثم انتقل ليعمل معيداً في جامعة الإمام محمد بن سعود ومنها تحصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في البلاغة والنقد . يحمل عضوية رابطة الأدب الإسلامي وله مشاركات في المناشط الثقافية والأمسيات الشعرية داخل المملكة وخارجها .

من نتاجه الشعري : (إسلاميات) ،(معاناة شاعر) ،(خواطر شاعر)، (رحاب الوطن) ،وله ملحمة (نور الإسلام) ، وله من التآليف : (النظم القرآني في سورة الرعد)،(الخصائص الفنية في الأدب النبوي)،(من بدائع الأدب الإسلامي) .

- أنظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين (٣٢٨) ج/٤ .

❖ معجم الشعراء (٢٢) ج /٥ .

محمد آل حسين : م (١٣٥٠هـ)

محمد بن سعد بن محمد آل حسين كان مولده في بلدة العودة بالمملكة العربية السعودية واصل تعليمه في مراحله الأولى والتحق بكلية اللغة العربية بالرياض أتم بعد ذلك درسه العالي في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر وهذا يدل على الهمة التي يمتلكها هذا الرجل رغم أنه كفيف البصر.

يعمل الآن أستاذاً بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية له مشاركات في المناشط الثقافية والأدبية ويحمل عضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، له ديوان شعر وحيد وهو (أصداء وأنداء) وله كثير من المؤلفات الأدبية من أبرزها (الشعر السعودي بين التقليد والتجديد) ،(الالتزام الإسلامي في الأدب) ،(المعارضات في الشعر العربي) وغيرها كتب عنه كثير من الدراسين ومن أشهر من كتب عنه الدكتور طلعت صبح السيد في كتابه (ابن حسين بين التراث والمعاصرة)

- انظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٣٣٤) ج/٤ .

❖ معجم الشعراء : (٢٣) ج /٥ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن ٤١٥ .

محمد الفتحي : (..............)

محمد العامر الفتحي من شعراء الجنوب له ديوان (قُبلة أولى على وجنة الليل) طبع نادي أبها الأدبي ١٤٢٤هـ ولم أقف على ترجمته فيما بين يدي من المصادر .

محمد السنوسي : م (١٣٤٢هـ) : ت (١٤٠٧هـ)

محمد بن علي السنوسي كان مولده بمدينة جازان جنوبي المملكة العربية السعودية تلقى مبادئ القراءة والكتابة في مدرسة أهلية سلفية وقرأ على بعض أهل العلم في بلده بعدها اعتمد على المطالعة الذاتية في فنون الأدب ، قرض الشعر وبرع فيه ليحتل مكانة مرموقة بين شعراء المملكة العربية وكذلك شعراء العالم العربي ، ولقب بشاعر الجنوب ، شغل العديد من الأعمال الحكومية ورأس النادي الأدبي بجازان ثم تفرغ آخر حياته للأدب نال العديد من الجوائز ، وحاز على ميداليات تقديرية من داخل المملكة وخارجها ، تناول شعره الكثير من الدارسين ، وترجم له إلى اللغة الإيطالية له دواوين شعرية ضمتها المجموعة الكاملة التي طبعها نادي جازان الأدبي وله كتاب (مع الشعراء : دراسات وخواطر أدبية)

- انظر في ترجمته :

- ❖ إتمام الأعلام : ٢٥٨ .
- ❖ معجم الشعراء : ١٥٩ ج/٥ .
- ❖ شخصيات في ذاكرة الوطن ص (٤٢٥) .

محمد العيد الخطراوي : م (١٣٥٤هـ)

محمد العيد فرج الخطراوي كان مولده بمدينة رسول الله ﷺ حصل على الليسانس في الشريعة من جامعة الزيتونة وبكالوريوس اللغة العربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وبكالوريوس التاريخ من جامعة الملك سعود واصل دراسته العالية فحصل على الماجستير في الأدب والنقد وكذلك الدكتوراه في نفس التخصص من جامعة الأزهر ، تنقل في الوظائف التعليمية ويعمل حالياً أستاذاً للأدب والنقد بكلية التربية بالمدينة المنورة .

شارك في العديد من المناشط الثقافية والأدبية له من الدواوين : (غناء الجرح)، (همسات في أذن الليل) ، (تفاصيل من خارطة الطقس)، وله (ملحمة أمجاد الرياض) ، ومن مؤلفاته : (شعراء من أرض عبقر)، (شعر الحرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج) .

- انظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٢٦٦) ج/٤ .
- ❖ معجم الشعراء : (١٩٣) ج /٥ .
- ❖ شخصيات في ذاكرة الوطن (٤٠٥) .

محمد هاشم رشيد : م (١٣٤٩هـ) : ت (١٤٢٤هـ)

محمد هاشم رشيد كان مولده بمدينة رسول الله ﷺ درس في القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعية كما حصل عن طريق الانتساب على دبلوم من كلية الصحافة المصرية شغل العديد من الأعمال الإدارية والثقافية رأس النادي الأدبي بالمدينة إلى أن توفي، له مجموعة من الدواوين ضمتها مجموعته الكاملة (الأعمال الشعرية الكاملة) وله ملحمة (على إطلال إرم) حصل على عدد من الجوائز والميداليات التقديرية من داخل المملكة وخارجها ، وشارك في العديد من المناشط الثقافية والمنبرية ، تناول شعره بعض الدارسين والنقاد .

- انظر في ترجمته :

- ❖ معجم البابطين : (٦١٠) ج/٤ .
- ❖ معجم الشعراء : (٣٠١) ج /٥ .
- ❖ شخصيات في ذاكرة الوطن (٤٣٣) .

محمود عارف : م (١٣٣٠هـ)

محمود أبو الخير عارف كان مولده بجدة غربي المملكة العربية السعودية تلقى تعليمه بمدرسة الفلاح ثم اشتغل بالتدريس فيها شغل عدداً من الاعمال الحكومية الأخرى كان آخرها عضوية مجلس الشورى له مشاركات أدبية وثقافية ويحمل عضوية النادي الأدبي بجدة .

له من الدواوين الكثير تضمها المجموعة الشعرية الكاملة ، وله من المؤلفات (أصداء قلم) ، (ليل ونهار) ، (وأكثر من فكرة)، ٠ حصاد الأقلام)، (أوراق نثرية) ، عرج على شعره بعض دراسي الأدب السعودي.

- انظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٦٧٤) ج/٤ .

❖ معجم الشعراء : (٣٣٢) ج /٥ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن (٤٧٠) .

مقبل العيسى : م (١٣٤٦هـ)

مقبل عبد العزيز العيسى كان مولده بمدينة عنيزة القصيم بالمملكة العربية السعودية حاصل على ليسانس الحقوق من جامعة الإسكندرية التحق بوزارة الخارجية وعمل موظفاً في البعثات الدبلوماسية في عدد من الدول العربية والعالمية ، تدرج في السلك الدبلوماسي حتى أصبح وزيراً مفوضاً إلى أن تقاعد ، شارك في العديد من المؤتمرات الدولية وحضر بعض الدورات في هيئة الأمم وجامعة الدول العربية يجيد الإنجليزية والفرنسية وله مشاركات شعرية ونثرية في الصحف والمجلات العربية ، له من الدواوين : ٠قصائد من مقبل العيسى) ، (الهروب من حاضر)

- انظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٨١٦) ج/٤ .

❖ معجم الشعراء : (٤٢٩) ج /٥ .

مطلق عسيري : م (١٣٨٢هـ)

مطلق بن محمد سعيد شايع عسيري كان مولده بمدينة أبها جنوبي المملكة العربية السعودية التحق بالمعهد العلمي وحصل على الثانوية العامة منه ثم حصل على ليسانس في اللغة العربية من كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب واصل درسه العالي فحصل على الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وكذلك الدكتوراه من نفس الجامعة في تخصص النقد الأدبي يعمل حالياً أستاذاً بجامعة الملك خالد بأبها ، وله مشاركات في المناشط الثقافية والشعرية ويحمل عدداً من العضويات في اللجان الأدبية ، وله كذلك مشاركات كتابية في بعض الصحف المحلية نال جائزة أبها في الشعر عام ١٤١٣ هـ ، أصدر ديوانه الوحيد (للإسلام تغريدي) ومن مؤلفاته : (القيم الخلقية في النقد العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري) ، (الاتجاه الإسلامي في الشعر في العهد الاموي وقيمه الفنية في موازين النقد).

- انظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٧٩٦) ج/٤ .

❖ معجم الشعراء : (٤١٠) ج /٥ .

❖ شذا العبير ص (٣٥٩) .

منصور الحازمي : م (١٣٥٤هـ)

منصور بن إبراهيم الحازمي كان مولده بمكة المكرمة حصل على ليسانس اللغة العربية من جامعة القاهرة واصل درسه العالي إلى أن حصل على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة لندن ، اشتغل بالتدريس في جامعة الملك سعود إلى أن وصل إلى رتبة أستاذ وشغل عدة مناصب في نفس الجامعة شغل عضوية مجلس الشورى في أحد فتراته ، يحمل عضويات بعض اللجان والهيئات الثقافية والأدبية وهو عضو في النادي الأدبي بالرياض ، وله مشاركات ثقافية وأدبية له ديوان وحيد وهو (أشواق وحكايات) وبه مؤلفات وبحوث كثيرة في مجال تخصصه من أبرزها : (فن القصة في الأدب السعودي)، (محمد أبو حديد كاتب الرواية)، (معجم المصادر الصحفية)، (مواقف نقدية) نال جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون وهي عبارة عن ميدالية ذهبية ، تناول شعره بعض النقاد من داخل المملكة وخارجها

- انظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٨٤٠) ج/٤ .

❖ معجم الشعراء : (٤٤٠) ج /٥ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن (٤٨٣) .

مهدي الحكمي : (١٣٨٦هـ)

مهدي بن أحمد محمد الحكمي كان مولده بجازان جنوب المملكة العربية السعودية حصل على الثانوية العامة من المعهد العلمي بجازان ثم التحق بجامعة الإمام وتخرج منها في تخصص اللغة العربية ثم عاد إلى المعهد العلمي ليعمل به معلماً للأدب العربي له مشاركات في الأمسيات الثقافية والشعرية.

- انظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٨٥٨) ج/٤ .

❖ معجم الشعراء : (٤٥١) ج /٥ .

هاشم النعمي : م (١٣٤٠هـ)

هاشم بن سعيد بن علي النعمي كان مولده بضاحية من ضواحي أبها جنوب المملكة العربية السعودية نشأ في حجر والده القاضي / سعيد بن علي النعمي تلقى تعليمه في الكتّاب بقريته حصّل تعليمه الابتدائي في أول مدرسة حكومية بأبها ثم انتقل إلى مكة وواصل تعليمه على أيدي مشايخها جلس لبعض علماء مدينة أبها ، اشتغل بعد ذلك بالتدريس لمدة ثلاث سنوات ثم انتقل ليشتغل بالقضاء لمدة خمسة وأربعين عاماً إلى أن أحيل إلى التقاعد له شعر قليل منشور في بعض كتبه ، وله اهتمام بتاريخ منطقة عسير ومدينة(أبها) يحمل عضوية النادي الأدبي بأبها وله مشاركات في المناشط الثقافية المختلفة من أبرز مؤلفاته (عسير في الماضي والحاضر) ، (شذا العبير في تراجم علماء وأدباء منطقة عسير) ، (مدينة أبها).

- انظر في ترجمته :

❖ شذا العبير : ٣٨٠ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن (٤٩٩) .

يحيى الألمعي : م (١٣٥٦هـ)

يحيى بن إبراهيم الألمعي كان مولده برجال ألمع تلقى تعليمه الإبتدائي واشتغل بالتجارة مبكراً ، مارس العمل الوظيفي فعمل في وزارة الصحة بمدينة جدة ، وعمل موظفاً بديوان إمارة عسير وكذلك في الجوازات له مشاركات في المناشط الثقافية والأدبية بمنطقة عسير له من الدواوين (عبير من عسير) ، (من روابي عسير) ، ومن مؤلفاته (رحلات في عسير).

- انظر في ترجمته :

❖ شذا العبير : ٣٨٨ .

يحيى توفيق : م (١٣٥٢هـ)

يحيى توفيق حسن كان مولده بمدينة جده غربي المملكة العربية السعودية وبها نشأ وتلقى تعليمه إلى أن حصل على الثانوية العامة بمدرسة الفلاح ولم يستطع مواصلة الدراسة الجامعية لظروفه الخاصة لكنه ثابر وتحصل على دورات متعددة في اللغة الإنجليزية خارج المملكة وأنهى دراسة بعض البرامج في إدارة الأعمال في بريطانيا ، عمل موظفاً في شركة الحاج عبد الله علي رضا ، ثم عمل مديراً لشركة فورد في ليبيا ثم عاد ليصبح مديراً عاماً لشركة الحاج عبد الله علي رضا ، يحمل عضوية نادي جدة الأدبي وله مشاركة في المناشط الأدبية والثقافية يمتاز بكثرة غزلياته ويشعره الرقيق أصدر عدد من الدواوين الشعرية منها : (أودية الضياع) ،(سمراء) ،(حبيبتي أنت) ، (والمجموعة الكاملة) ى، وله من المؤلفات (الموسيقى الداخلية في نقد الشعر) ، ومارس إلى جانب ذلك كتابة القصة والرواية تناول شعره بعض طلاب الدراسات العليا .

- انظر في ترجمته :

❖ معجم البابطين : (٢١٤) ج/٤ .

❖ معجم الشعراء : (١٢٤) ج /٥ .

❖ شخصيات في ذاكرة الوطن (٥١٢) .

يعقوب عقيل : م (....................)

يعقوب علي عقيل من شعراء جازان ، لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

مسرد بالمراجع والمصادر

أولاً : المصادر والمراجع العربية .

ثانياً : المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة .

ثالثاً : المخطوطات .

رابعاً : الرسائل العلمية .

خامساً : المجلات والدوريات .

سادساً : الصحف .

أولاً : المصادر والمراجع العربية

❖ **القرآن الكريم**

١٠ **إبراهيم أنيس** : ❖ (المعجم الوسيط) ط / ٢ - دار الفكر ٠

❖ (موسيقى الشعر) ط / ٤ ١٩٧٢م دار القلم - بيروت

❖ (من أسرار اللغة) ط ١٩٧٥م مكتبة الانجلو - مصر ٠

٢٠ **إبراهيم السامرائي** : (لغة الشعر بين جيلين) دار الثقافة - بيروت ٠

٣٠ **إبراهيم صعابي** : ❖ (وطني سيد البقاع) ط / ١ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م نادي أبها الأدبي ٠

❖ (وطنٌ في الأوردة) ط / ١٤٢١هـ وزارة المعارف - المملكة العربية السعودية ٠

٤٠ **إبراهيم طالع الألمعي**: ❖ (سهيل أميماني) ط / ١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م نادي أبها الأدبي

❖ (هجير) ط / ١ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م دار البلاد — جدة ٠

٥٠ **إبراهيم عبد الله مفتاح** : (رائحة التراب) ط / ١ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م منشورات نادي جازان الأدبي ٠

٦٠ **إبراهيم الغنيم** : (الصورة الفنية في الشعر العربي) ط / ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م الشركة العربية - القاهرة ٠

٧٠ **إبراهيم محمد الزيد** : ❖ (أغنية الشمس) ط /١ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م — نادي الطائف الأدبي ٠

❖ (جراح الليل) ط / ١ ١٤٠٢هـ نادي الطائف الأدبي

٨٠ **أبو تمام** : (ديوان أبي تمام) ضبطه وشرحه : شاهين عطية د . ت دار الكتب العلمية — بيروت ٠

٩٠ **أبو عبد الله المرزباني** : (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) ط / ١٣٤٣هـ المطبعة السلفية ٠

١٠٠ **إحسان عباس** :❖ (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) ط/ ٢ : ١٩٩٢م دار الشروق - بيروت ٠

❖ (فن الشعر) ط / ٣ - ١٩٨٧ م دار الشروق - بيروت - ٠

١١٠ **أحمد إبراهيم مطاعن** : ❖ (دورة الأيام) د . ت نادي أبها الأدبي ٠

❖ (بصمات خالدة) ط ١٤١٧ هـ مطابع مازن - أبها ٠

٠١٢ **أحمد باعطب** :(الروض الملتهب) ط / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م النادي الأدبي - الرياض •

٠١٣ **أحمد بسام ساعي** : (**الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد**) ط / ١ ١٤٠٥هـ دار المنارة - جدة - •

٠١٤ **أحمد حسين (المتنبي)** : (**ديوان المتنبي**) بشرح العكبري تح مصطفى السقا وآخرون ، دار المعرفة - بيروت •

٠١٥ **أحمد شوقي** : (الشوقيات) ط / ١ د.ت دار الكتاب العربي •

٠١٦ **أحمد الصالح** : (انتفضي أيتها المليحة) ط / ١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م دار العلوم - الرياض -

٠١٧ **أحمد عبد الله بيهان** : (نزيف المشاعر) ط / ١ ١٤٠٤ هـ نادي أبها الأدبي •

٠١٨ **أحمد عبد الله التيهاني** : (أماريق) ط / ١ ١٤٢٠هـ نادي أبها الأدبي •

٠١٩ **أحمد علي سعد عسيري** : (بقايا المتاهات) ط /١ ١٤١٧ هـ مطابع سحر — جدة

٠٢٠ **أحمد فرح عقيلان** : (الأعمال الكاملة) د.ت بيت الأفكار الدولية - الرياض - عمان -

٠٢١ **أحمد محمد الحوفي** : (المرأة في الشعر الجاهلي) ط / ٢ د.ت دار الفكر العربي •

٠٢٢ **أحمد محمد الشامي** : (ديوان الشامي) ط / ٢ ١٤١٣هـ - الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة - جدة - •

٠٢٣ **أحمد يحيى بهكلي** : ❖ (طفيان على نقطة الصفر) ط / ٢ ١٤٠١ - ١٩٨١م دار الهلال - الرياض •

❖ (الأرض والحب) ط / ٢ - ١٤٠٠ — ١٩٨٠م نادي جازان الأدبي

٠٢٤ **أحمد يوسف** : (اللغة الأدبية والتعبير الاصطلاحي) ط / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م منشورات نادي القصيم الأدبي •

٠٢٥ **إسماعيل بن حماد الجوهري** : (الصحاح) تح أحمد عبد الغفور عطار ١٩٩٠ م دار العلم للملايين — بيروت •

٠٢٦ **أميل يعقوب :** (فقه اللغة العربية وخصائصها) ط / ٢ ١٩٨٦م دار العلم للملايين - بيروت -

٠٢٧ **أنس داود** :(التجديد في شعر المهجر) د . ت دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة٠

٠٢٨ **أنور عليان أبو سليم :** (الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول) ط / ١ ١٤٠٣ هـ - دار العلوم - الرياض ٠

٠٢٩ **إيليا أبو ماضي** : (ديوان إيليا أبو ماضي) ط / ٢٠٠٢م دار العودة - بيروت -

٠٣٠ **ابن الأبار الأندلسي** : (ديوان ابن الأبار الأندلسي) قراءة وتعليق / عبد السلام الهراس ط / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف - المغرب ٠

٠٣١ **ابن خفاجة الأندلسي :** (ديوان ابن خفاجة الأندلسي) ط / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م دار بيروت للطباعة والنشر ٠

٠٣٢ **ابن الدمينة :** (ديوان ابن الدمينة) تح أحمد راتب النفاخ ط / ١٣٧٩م مطبعة المدني - القاهرة - ٠

٠٣٣ **ابن رشيق القيرواني :** (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) ط / ٥ ١٤٠١هـ ١٩٨١م تح محمد محي الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت ٠

٠٣٤ **ابن الرومي** : (ديوان ابن الرومي) تح حسين نصار ط / ١٩٧٤م دار الكتب العلمية - مصر -

٠٣٥ **ابن زيدون** : (ديوان ابن زيدون) تح وشرح : كرم البستاني د . ت دار صادر - بيروت ٠

٠٣٦ **ابن طباطبا** :(عيار الشعر) ط / ١٩٥٦م تح طه الحاجري ومحمد زغلول المكتبة التجارية - القاهرة -

٠٣٧ **امرىء القيس** :(ديوان امرىء القيس) ط/ ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م دار بيروت للطباعة والنشر ٠

٠٣٨ **البحتري :** (ديوان البحتري) ط / ٢ د . ت تح حسن كامل دار المعارف - مصر ٠

٠٣٩ **د /بدوي طبانة :** (نظريات في أصول الأدب والنقد) ط / ١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م عكاظ للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ٠

٠٤٠ **د /بسيوني عبد الفتاح :** ❖(علم البيان) ط / ٢ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م مؤسسة المختار - دار المعالم الثقافية - القاهرة - الإحساء ٠

❖ (علم البديع) ط / ٢ : ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م مؤسسة المختار - القاهرة -

٠٤١ **د / بكري شيخ أمين :** ❖ (مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني) ط / ٢ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت -

❖ (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) ط / ٤ ١٩٨٥م دار العلم للملايين - بيروت -

٠٤٢ **بهاء حسين عزي :** (ذو العصف والريحان) ط / ١ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م نادي الطائف الأدبي ٠

٠٤٣ **تركي صالح العصيمي :** (قلب في أبها) ط / ١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م نادي أبها الأدبي ٠

٠٤٤ **ثامر محمد الميمان :** (شخصيات في ذاكرة الوطن) ط /١ ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م دار المرسى - جدة -

٠٤٥ **د / جابر عصفور :** (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي) ط / ١٩٧٤ م دار الثقافة - القاهرة -

٠٤٦ **جاسم الصحيّح :** (أولمبياد الجسد) ط / ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م مطابع الابتكار - الدمام -

٠٤٧ **جبور عبد النور :** (المعجم الأدبي) ط / ٢ / ١٩٨٤ - دار العلم للملايين - بيروت ٠

٠٤٨ **جريدي المنصوري :** (شاعرية المكان) ط / ١ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م دار العلم للطباعة والنشر - جدة ٠

٠٤٩ **جرير الخطفى :** (ديوان جرير) بشرح محمد بن حبيب ط / ٢ ١٩٧٦م تح د . نعمان محمد طه دار المعارف - مصر -

٠٥٠ **جمال الدين السيوطي :** (نزهة الجلساء في أشعار النساء) تح عبد اللطيف عاشور د . ت مكتبة القرآن - القاهرة -

٠٥١ **جمال الدين ابن منظور :** (لسان العرب) ط / ١٩٩٠م دار حداد - بيروت -

٠٥٢ **جمال الدين ابن نباته :** (ديوان ابن نباته) د . ت دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ٠

٠٥٣ **د / جودت الركابي :** ❖ (الطبيعة في الشعر الأندلسي) ط / ٢ مكتبة الترقي - دمشق ٠

❖ (في الأدب الأندلسي) د . ت دار المعارف - مصر -

٠٥٤ **حافظ إبراهيم** : (ديوان حافظ إبراهيم) ط ١٩٦٩م ضبط وشرح أحمد أمين دمج - بيروت -

٠٥٥ **حبيب بن معلا اللويحق المطيري** : (نوافذ الشمس) ط / ١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م دار القاسم - الرياض -

٠٥٦ **الحسن بن أحمد الهمداني** : (صفة جريزة العرب) ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة - الرياض -

٠٥٧ **حسن بن فهد الهويمل** : (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر) ط / ١٤١٩هـ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - الرياض -

٠٥٨ **حسن كامل الصيرفي** : (نوافذ الضياء) ط ١٩٨٠ م دار المعارف - مصر -

٠٥٩ **د / حسني عبد الجليل يوسف** : (المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي) ط / ١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م الدار الثقافية للنشر - القاهرة -

٠٦٠ **حسين أحمد النجمي** : (عيناك في وقت الرحيل) ط / ٢ : ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م دار البلاد - جدة -

٠٦١ **حسين سهيل** : (أشرعة الصمت) ط / ١ : ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م منشورات نادي جازان الأدبي ٠

٠٦٢ **د / حسين نصار** : ❖ (القافية في العروض والأدب) ط / ١ : ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م مكتبة الثقافة الدينية - مصر -

❖ (في الشعر العربي) ط / ١ : ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الثقافة الدينية - بور سعيد - مصر ٠

٠٦٣ **خالد الفيصل** : (أشعار خالد الفيصل) ط / ١ : ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م مكتبة العبيكان - الرياض -

٠٦٤ **خالد بن محمد القاسمي** : (عالم الأمير خالد الفيصل الشعري) ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م دار الثقافة العربية - الشارقة -

٠٦٥ **الخطيب التبريزي** : (الكافي في العروض والقوافي) ط / ١٩٧٧م تح الحساني عبد الله - مكتبة الخانجي - القاهرة ٠

٠٦٦ **ذو الرمة** : (ديوان ذي الرمة) صنعة أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي ٠
تح / عبد القدوس أبو صالح ط / ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ٠

٠٦٧ **الراغب الأصفهاني** : (محاضرات الأدباء) تح عمر الصباغ ط / ١ : ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م دار الأرقم بن أبي الأرقم ٠

٠٦٨ **رجاء عيد** : (التجديد الموسيقي في الشعر العربي) ط / ١ - منشأة المعارف - مصر -

٠٦٩ **رشدي علي حسن** : (شعر الطبيعة في العصر العباسي الثاني) د . ت مؤسسة الرسالة - مصر -

٠٧٠ **د / رمضان الصباغ** : (في نقد الشعر العربي المعاصر :- دراسة جمالية) ط / ١ : ١٩٩٨م دار الوفاء للنشر والتوزيع - الإسكندرية ٠

٠٧١ **زاهر الألمعي** : ❖ (الألمعيات) ط / ٣ : ١٤٠٣هـ مطابع الفرزدق - الرياض ٠
❖ (على درب الجهاد) ط / ٣ : ١٤٠٤هـ - مطابع الفرزق - الرياض
❖ (أسمار الوطن) ط / ١ : ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م مطبعة النرجس ٠

٠٧٢ **زايد محمد الكناني** : (تقاسيم زامر الحي) ط / ١ : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م نادي أبها الأدبي ٠

٠٧٣ **السباعي بيومي وآخرون** : (وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي) د . ت

٠٧٤ **سعيد الأيوبي** : (عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي) ط : ١٩٨٦م مكتبة المعارف - الرباط ٠

٠٧٥ **سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط** : (كتاب القوافي) تح / عزة حسن ط / ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م مطابع وزارة الثقافة - دمشق -

٠٧٦ **سمير الدليمي** : (الصورة في التشكيل الشعري) ط / ١ : ١٩٩٠م دار الشؤون الثقافية العلمية - بغداد -

٠٧٧ **سيد قطب** : (النقد الأدبي أصوله ومناهجه) د . ت دار الشروق - بيروت -

٠٧٨ **سيد نوفل** : (شعر الطبيعة في الأدب العربي) ط / ٢ : دار المعارف - مصر -

٠٧٩ **شوقي ضيف** : ❖ (شوقي شاعر العصر الحديث) ط / ٦ : ١٩٧٥م - دار المعارف مصر ٠

❖ (العصر العباسي الثاني) ط / ٢ د . ت دار المعارف - مصر ٠

❖ (في النقد الأدبي) ط / ٤ : ١٩٧٤م دار المعارف - مصر ٠

٠٨٠ **صالح جمال بدوي** : (في خصوصية وحدة الأدب العربي) ط / ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م زهراء الشرق - القاهرة -

٠٨١ **صالح سعد العمري** : (ريش من لهب) د . ت ٠

٠٨٢ **صالح سعيد الزهراني** : ❖ (تراتيل حارس الكلأ المباح) ط / ١ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م منشورات نادي الباحة الأدبي ٠

❖ (اللغة الكونية في جماليات الفكر الشعري في بائية ذي الرمة)

ط / ١ : ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م معهد البحوث العلمية - جامعة أم القرى ٠

٠٨٣ **صالح عون هاشم الغامدي** : ❖ (ديوان آلام وآمال) ط / ١ : ١٤٠٩هـ - دار البلاد - جدة ٠

❖ (عَلَمٌ من عسير) ط / ١ : ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م نادي أبها الأدبي ٠

٠٨٤ **صبحي البستاني** : (الصورة الشعرية) ط / ١ : ١٩٨٦م دار الفكر اللبناني - بيروت ٠

٠٨٥ **طاهر زمخشري** : (رباعيات صبا نجد) ط / ٢ : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م الشركة التونسية للتوزيع ٠

٠٨٦ **طلعت صبح السيد** : (التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث) ط / ١ : ١٤٢٠هـ دار عبد العزيز آل حسين - الرياض -

٠٨٧ **د / عائض القرني** : (قصة الطموح) ط / ١ : ١٤٢٢هـ دار ابن حزم - بيروت -

٠٨٨ **عبد الرحمن رأفت الباشا** : (شعر علي بن الجهم) ط / ١٩٧٩م مطابع الشروق - القاهرة -

٠٨٩ **عبد الرحمن زيد السويداء** : (رؤى مسافر) ط / ١ : ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م دار السويداء - الرياض -

٠٩٠ **عبد الرحمن العشماوي** : (خارطة المدى) ط / ١ : ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مكتبة العبيكان — الرياض -

٠٩١ **عبد الرضا علي** : (موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه) ط / ١٩٩٧م دار الشروق للنشر - الأردن -

٠٩٢ **عبد العزيز الأهواني** : (ابن سناء الملك ومشكلة العمق والابتكار في الشعر) ط /٢ : ١٩٦٢م مطبعة الانجلو - مصر -

٠٩٣ **عبد العزيز محمد النقيدان** : (عواطف ومشاعر) ط / ١٤١٠هـ دار الجسر - الرياض -

٠٩٤ **عبد العظيم المطعني** : (البديع من المعاني والألفاظ) ط / ٣ : ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م المكتبة الفيصلية - مكة -

٠٩٥ **عبد الفتاح صالح نافع** : ❖ (الصورة في شعر بشار بن برد) ط / ١ : ١٩٨٣ م - دار الفكر - عمان -

❖ (عضوية الموسيقى في النص الشعري) ط / ١ : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م مكتبة المنار - الأردن -

٠٩٦ **عبد القادر الرباعي** : ❖ (الصورة الفنية في النقد الشعري) ط / ٢ : ١٩٩٥م مكتبة الكتاني - الأردن -

❖ (الصورة الفنية في شعر أبي تمام) ط / ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م إربد الأردن -

٠٩٧ **عبد القادر القط** : (الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر) ط / ٢ : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت -

٠٩٨ **عبد الكريم حمد العقيل** : (شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب) ط / ٢ : ١٤١٣هـ مطابع الفرزدق - الرياض -

٠٩٩ **عبد الكريم اليافي** : (دراسات فنية في الأدب العربي) ط / ١ : ١٤١٦ هـ - ١٦٩٦م مكتبة لبنان - بيروت -

٠١٠٠ **عبد الملك بن محمد الثعالبي** : (التمثيل والمحاضرة) تح عبد الفتاح الحلو ط / ٢ : ١٩٨٣م الدار العربية للكتاب .

٠١٠١ **عبد الله بن إدريس** : (في زورقي) ط / ٢ : ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م العبيكان للطباعة والنشر - الرياض - .

٠١٠٢ **عبد الله بن خميس** : (على ربى اليمامة) د.ت دار الكتب .

٠١٠٣ **عبد الله سالم الحميد** : (السفر في ذاكرة الـوطن) ط / ١ : ١٤٢٠هـ دار طويق للنشر والتوزيع - الرياض -

٠١٠٤ **عبد الله الصالح العثيمين** : (لا تسلني) ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض -

٠١٠٥ **عبد الله الطيب** : (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها) ط / ١ : ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م - مصر -

٠١٠٦ **عبد الله عبد الرحمن الشهري** : (زورق الأحلام) ط / ١ : ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م مطابع الحميضي - الرياض -

٠١٠٧ **عبد الله بن علي الحميد** : (أديب من عسير) ط / ١ : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٩م مطابع عسير - أبها -

٠١٠٨ **عبد الله الغذامي** : (الخطيئة والتكفير) ط / ١ : ١٩٨٥م نادي جدة الأدبي ٠

٠١٠٩ **عبده بدوي** : (دراسات في الشعر الحديث) ط / ١ : ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ذات السلاسل للطباعة والنشر - الكويت -

٠١١٠ **علي أحمد سعيد (أدونيس)** : (ديوان الشعر العربي) ط / ١ : ١٩٦٤م المكتبة العصرية - بيروت -

٠١١١ **علي أحمد عمر عسيري** : (أبها في التاريخ والأدب) ط / ١ : ١٤٠٣هـ نادي أبها الأدبي ٠

(قصائد للوطن) ط / ١ : ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م نادي أبها الأدبي ٠

٠١١٢ **علي بن الجهم** : (ديوان علي ابن الجهم) تح خليل مردم بك ط / ٢ : ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م دار الآفاق - بيروت -

٠١١٣ **علي حافظ** : (نفحات من طيبة) ط / ١ : ١٤٠٤هـ مطبوعات - تهامة - جدة -

٠١١٤ **علي خضران القرني** : (أبها في مرآة الشعر المعاصر) ط / ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ٠

٠١١٥ **علي بن سليمان / الأخفش الأصغر** : (الاختيارين) تح فخر الدين قباوة ط / ٢ : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م مؤسسة الرسالة - بيروت -

٠١١٦ **علي شلق** : (ابن الرومي في الصورة والوجود)ط / ١٩٦١دار النشر للجامعيين - بيروت -

١١٧• **علي مفرح الثوابي** : (ديوان وميض الأفق) ط / ١ : ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م نادي أبها الأدبي •

١١٨• **عمر الدسوقي** : (في الأدب الحديث) ط / ٨ : ١٩٧٣م دار الفكر - مصر -

١١٩• **عودة الله القيسي** : (منابع الشعر ومكانة الشاعر) ط / ١ : ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٠م المطابع التعاونية - عمان - الأردن •

١٢٠• **عيسى علي جرابا** : (وطني والفجر الباسم) ط / ١ : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م نادي جازان الأدبي •

١٢١• **عيسى علي العاكوب** : (العاطفة والإبداع الشعري) ط / ١: ١٤٠٣هـ- ٢٠٠٢م دار الفكر - دمشق -

١٢٢• **د / غازي القصيبي** : ❖ (المجموعة الشعرية الكاملة) ط / ٢ : ١٤٠٨هـ - مطابع تهامة - جدة -

❖ (سيرة شعرية) ط / ٢ : ١٤٠٨هـ - مطابع تهامة - جدة •

١٢٣• **د / غيثان علي جريسي** : (صفحات من تاريخ عسير) ط / ١ : ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م مطابع البلاد - جدة •

١٢٤• **فتحي أبو مراد** : (شعر أمل دنقل .. دراسة أسلوبية) ط / ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م - عالم الكتب الحديثة - الأردن -

١٢٥• **قيس بن الملوح** : (ديوان قيس بن الملوح) ط / ٢ : ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م شرح ، يوسف فرحات دار الكتاب العربي - بيروت -

١٢٦• **كامل سلمان الجبوري** : (معجم الشعراء) ط / ١ : ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية - بيروت -

١٢٧• **د / كمال اليازجي** : (حول الأدب العربي) ط / ١ : ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م دار الجيل - بيروت -

١٢٨• **لطفي عبد البديع** : (اللغة والشعر) ط / ١: ١٩٩٧م مكتبة لبنان ناشرون - لبنان -

١٢٩• **لطيفة بنت عبد العزيز المخضوب** : (المرأة في الشعر السعودي قبل النهضة وبعدها)ط / ١ : ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م •

١٣٠ - **ماهر حسن فهمي** : (الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث) ط / ٢ : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م . دار القلم - الكويت -

١٣١ - **مجدي وهبة وكامل المهندس** : (معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب) ط / ١٩٧٩م مكتبة لبنان - بيروت -

١٣٢ - **محمد أحمد الشنقيطي** : (قلب يتنفس) ط / ١ : ١٤١١هـ - ١٩٩١م ٠

١٣٣ - **محمد حسن علي مجيد** : (فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث) ط / ١٩٨٨م - دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام - بغداد -

١٣٤ - **محمد حماسة** : (البناء العروضي للقصيدة العربية) ط / ١ : ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م دار الشروق - القاهرة ٠

١٣٥ - **محمد رضا مروة** : (الصعاليك في العصر الأموي : أخبارهم وأشعارهم) ط / ١ ١٤١١هـ - ١٩٩٠م - دار الكتب العلمية - بيروت -

١٣٦ - **محمد بن سعد بن حسين** : (أصداء وأنداء) ط / ١ : ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م مطابع الفرزدق - الرياض -

١٣٧ - **محمد سعد الدبل** : ❖ (في رحاب الوطن) ط / ١ : ١٤٠٧هـ مكتبة العبيكان الرياض ٠

❖ (خواطر شاعر) ط / ٢ : ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م مكتبة العبيكان - الرياض ٠

١٣٨ - **محمد سليمان ياقوت** :(علم الجمال اللغوي) ط / ١٩٩٥م دار المعرفة الجامعية - مصر ٠

١٣٩ - **محمد شرارة** : (نظرات في تراثنا القومي) تح د / حياة شرارة ط / ١ : ١٩٨٢م المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٠

١٤٠ - **محمد صالح الشنطي** : (في الأدب العربي السعودي) ط / ٢ : ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م دار الأندلس للنشر والتوزيع - حائل -

١٤١ - **محمد عبد الغني حسين** : (جوانب مضيئة من الشعر العربي) د . ت مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ٠

١٤٢ - **محمد علي هاشمي** : (ومضات الخاطر - بحوث ودراسات) ط / ١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م - دار البشائر الإسلامية بيروت - لبنان -

١٤٣٠ **محمد غنيمي هلال** : (النقد الأدبي الحديث) ط / ١٩٦٤م دار مطابع الشعب - القاهرة -

١٤٤٠ **محمد قطب** : (منهج الفن الإسلامي) ط / ١٩٧١م دار القلم - مصر -

١٤٥٠ **محمد الكتاني** : (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) تح إحسان عباس ط / دار الثقافة - بيروت - لبنان ٠

١٤٦٠ **محمد مفتاح** : (دينامية النص - تنظير وإنجاز) ط / ١ : ١٩٨٧م المركز الثقافي العربي - المغرب -

١٤٧٠ **محمد المنتصر الريسوني** : (الشعر النسوي في الأندلس) د . ت منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان -

١٤٨٠ **محمد مندور** : (في الميزان الجديد) ط / ١٩٧٣م دار النهضة - مصر -

١٤٩٠ **محمد نايل** : (اتجاهات وآراء في النقد الحديث) د. ت مطبعة الرسالة - القاهرة -

١٥٠٠ **محمود أبو الخير عارف** : ❖ (في عيون الليل) ط / ١ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م مطابع الروضة - جدة -

❖ (ترانيم الليل) ط / ١ : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م نادي جدة الأدبي ٠

١٥١٠ **محمد تيمور** : (اتجاهات الأدب العربي) ط / ١٩٧٠م مكتبة الآداب المصرية - مصر -

١٥٢٠ **محمود رداوي** : (الحب والغزل في الشعر السعودي المعاصر) ط / ١ : ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م - دار الوطن - الرياض -

١٥٣٠ **مروان ابن أبي حفصة** : (شعر مروان ابن أبي حفصة) ط / ١٩٧٣م تح حسين عطوان - دار المعارف - مصر -

١٥٤٠ **مسعد بن عيد العطوي** : (الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية) د . ت ٠

١٥٥٠ **مصطفى حلوة** : (حدائق الشعراء) ط / ١ ١٤٠٩هـ دار القلم - الكويت -

١٥٦٠ **مصطفى السعدني** : (المدخل اللغوي في نقد الشعر) د . ت منشأة المعارف - الإسكندرية -

١٥٧ ـ **مصطفى الشكعة** : (الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه) ط / ٩ : ١٩٩٧م دار العلم للملايين - بيروت -

١٥٨ ـ **مصطفى صادق الرافعي** : ❖ (رسائل الأحزان) ط / ١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م المكتبة العصرية - بيروت -

❖ (تاريخ آداب العرب) ط / ١ : ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م المكتبة العصرية - بيروت -

١٥٩ ـ **مطلق محمد عسيري** : (للإسلام تغريدي) ط / ١ : ١٤٢٤هـ نادي أبها الأدبي ٠

١٦٠ ـ **معروف الرصافي** : (ديوان معروف الرصافي) ط / ١٩٧٢ م - دار العودة - بيروت ٠

١٦١ ـ **معيض البخيتان** : (ثرى الشوق) ط / ١ : ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م مطابع الشرق الأوسط ٠

١٦٢ ـ **المفضل الضبي** : (المفضليات) ط / ٥ د . ت تح / احمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف - مصر ٠

١٦٣ ـ **مقبل عبد العزيز العيسى** : (الهروب من حاضر) ط / ١ : ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م شركة المدينة للطباعة والنشر - جدة -

١٦٤ ـ **منصور الحازمي** : (أشواق وحكايات) ط / ١ : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م دار العلوم للنشر والتوزيع - الرياض -

١٦٥ ـ **مؤسسة عبد العزيز البابطين** : (معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين) إعداد هيئة المعجم ط / ١٩٩٥م مطابع القبس - الكويت -

١٦٦ ـ **الموسوعة العربية** : ط / ١ : ١٩٩٨م الجمهورية العربية السورية ٠

١٦٧ ـ **الموسوعة العربية العالمية** : ط / ٢ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع - الرياض -

١٦٨ ـ **الميداني** : (مجمع الأمثال) تح أبو الفضل إبراهيم مطبعة الحلبي - القاهرة -

١٦٩ ـ **نازك الملائكة** : (قضايا الشعر المعاصر) ط / ٥ : ١٩٧٨م دار العلم للملايين - بيروت -

١٧٠ ـ **نجيب الكيلاني** : (الإسلامية والمذاهب الأدبية) ط / ١٤٠٧هـ - مؤسسة الرسالة -

١٧١ • **نزار أباظة** : (إتمام الأعلام) ط / ١ : ١٩٩٩م دار صادر - بيروت •

١٧٢ • **نصرت عبد الرحمن** : (دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية) ط / ١٩٧٩م مكتبة الأقصى - عمان -

١٧٣ • **نوري حمودي القيسي** : (الطبيعة في الشعر الجاهلي) ط / ١ : ١٩٧٠م دار الإرشاد - بيروت -

١٧٤ • **هاشم سعيد النعمي** :❖ (تاريخ عسير في الماضي والحاضر) ط / ٢ : ١٤١٩هـ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - الرياض -

❖ (شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير) ط / ١ : ١٤١٥هـ نادي أبها الأدبي •

١٧٥ • **همام بن غالب (الفرزدق)** : (ديوان الفرزدق) ط / : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م دار بيروت للطباعة والنشر •

١٧٦ • **ياقوت الحموي** : (معجم البلدان) ط : ١٤٠٠هـ دار بيروت للطباعة والنشر •

١٧٧ • **يحيى إبراهيم الألمعي** : (من روابي عسير) ط / ١ : ١٤٠٦هـ •

١٧٨ • **يحيى توفيق** : (شعري وحواء : المجموعة الشعرية الكاملة) ط / ١٤١٤هـ مؤسسة المدينة للصحافة دار العلم - جدة -

١٧٩ • **يحيى السماوي** : (من أغاني المشرد) ط / ١ : ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م نادي أبها الأدبي •

١٨٠ • **يوسف خليف** : (ذو الرمة شاعر الحب والصحراء) ط / ٢ : ١٩٧٧ - دار المعارف - مصر -

١٨١ • **يوسف مراد** : (مبادئ علم النفس العام) :ط/ ١٩٥٤م دار المعارف - مصر - •

١٨٢ • **يوسف نوفل** : (في الأدب السعودي) ط / ١ : ١٩٨٤م دار الأصالة - الرياض •

ثانياً : (الكتب الأجنبية المترجمة)

١٨٣ • **ارشيالد مكليش** : (الشعر والتجربة) ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي ط / ١٩٦٣م دار اليقظة العربية - بيروت -

١٨٤· **غاستون باشلار :** (جماليات المكان) ترجمة غالب هلسا ط / ٣ : ١٩٨٧م المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت -

١٨٥· **كارل فييتور وآخرون :** (نظرية الأجناس الأدبية) تعريب عبد العزيز شبيل ط / ١ : ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م مطبوعات النادي الأدبي - جدة -

١٨٦· **ماريا لويزا برنيري :** (المدينة الفاضلة عبر التاريخ) ترجمة : د / عطيات أبو السعود ربيع الثاني ١٤١٨هـ - سبتمبر / أيلول ١٩٩٧م المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب - الكويت - سلسلة المعرفة ·

ثالثاً : المخطوطات

٠١ **أحمد التيهاني :** (فاعلاتن) ديوان مخطوط ·

٠٢ **حسين النجمي :** (قبلة على جبين الوطن) ديوان مخطوط ·

٠٣ **قصائد متفرقة :** مخطوطة ·

رابعاً : الرسائل العلمية

١. **أحمد محمد الجرموزي :** (الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية لدى الطلاب اليمنيين في جمهورية مصر العربية) رسالة دكتوراه - ١٩٩٢م - جامعة القاهرة ·

٢. **إنصاف بخاري :** (مكة والمدينة في الشعر في المملكة العربية السعودية) رسالة دكتوراه مخطوطة (١٤٢٠هـ) . أم القرى - مكة المكرمة - كلية التربية للبنات - الأقسام الأدبية

٣. **حزام سعد الغامدي :** (شعر أحمد يحيى البهكلي : دراسة تحليلية) رسالة ماجستير - مخطوطة - ١٤٢٢هـ جامعة أم القرى — مكة المكرمة -

٤. **سليمان بن سالم الجهني :** (صورة المدينة المنورة في الشعر السعودي الحديث) رسالة ماجستير - مخطوطة - جامعة أم القرى - مكة المكرمة -

خامساً : الدوريات والمجلات

٠١ (**بيادر**) أعداد مختلفة مجلة دورية تصدر عن نادي أبها الأدبي ·

٠٢ (**حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**) الحولية الحادية والعشرون : ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت .

٠٣ (**علامات في النقد**) ج / ٣٤ مج / ٩ : ١٤٢٠هـ نادي جدة الأدبي .

٠٤ (**مجلة الآداب**) ع / ١ : ١٩٧١م - بيروت -

٠٥ (**مجلة آفاق الثقافة والتراث**) ع / ٣٦ / شوال : ١٤٢٢هـ - مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - الإمارات .

٠٦ (**مجلة جامعة أم القرى**) ع / ١٨ اللغة العربية وآدابها (١) ١٤١٩هـ .

٠٧ (**مجلة عالم الفكر**) ع / ١ م ١٠ ١٩٧٩م الكويت .

٠٨ (**المجلة العربية**) أعداد مختلفة السعودية .

٠٩ (**مجلة الفيصل**) أعداد مختلفة السعودية .

٠١٠ (**مجلة المفتاحة**) ع / ١ مركز الملك فهد الثقافي - أبها .

٠١١ (**مجلة المملكة**) الإصدار السادس ١٤٢٥هـ الخاصة بمدينة أبها الناشر شركة زووم المتحدة للإعلام والتخصص .

٠١٢ (**ملتقى أبها الثاني**) ١٤١٢هـ نادي أبها الأدبي .

٠١٣ (**ملتقى أبها الثالث**) ١٤١٣هـ نادي أبها الأدبي .

٠١٤ (**ملف عسير ومضات على الدرب**) صدر عن إدارة التطوير السياحي بإمارة منطقة عسير عام : ١٤٢٠هـ - مطابع دار العلم — جدة .

سادساً : الصحف

٠١ **جريدة الجزيرة** : ع / ٢ ١٠٦٤ رمضان ١٤٢٢هـ (السعودية)

٠٢ **جريدة الوطن** : ع / ١٥٠٩ ع / ١٠ / ١٤٢٥هـ ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤م (السعودية)

❖❖❖❖❖❖❖❖

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص الرسالة باللغة العربية	٣
الإهداء	٤
المقدمة	٥
التمهيد	١٢
المكان والشعر :	١٢
ملامح حضور المكان :	١٢
ملمح الوطن	١٣
ملمح المكان المقدس	١٤
ملمح المكان منزل للمحبوب	١٦
ملمح المكان جميل الطبيعة	١٨
ملمح المكان له مكانة في التاريخ والتراث	٢١
ملامح وعواطف مختلفة	٢٤
المكان بين دلالة الإيجاب ودلالة السلب	٢٥
المكان بين الواقعية والتخيل	٢٨
الشعر معجم مكاني	٢٩
أبها في رحاب التاريخ والجمال والشعر :	٣١
حد المكان	٣١
أصل التسمية	٣٢
وقفة تاريخية	٣٣
جمال المكان وآثار الإنسان	٣٤
الدور الحضاري والثقافي	٣٦
أبها في عيون الشعراء العرب	٣٨

الموضوع	رقم الصفحة

الفصل الأول ٤٥ - ٢٠٣

البنية الموضوعيه

المبحث الأول : بين الوصف والتأمل : ٤٦

❖ وصف السحاب والبرق والرعد والمطر ٤٨

❖ وصف الغدران والجداول والندى ٥٩

❖ وصف النسيم والصيف والضباب ٦٦

❖ وصف الروابي والرياض والجبال ٧٣

❖ وصف الأزهار والأشجار ٨٤

❖ وصف مظاهر الحضارة والعمران ٩٩

❖ صورة أبها ١٠٦

المبحث الثاني : التأمل الإيماني والوجداني : ١١٩

مدخل ١١٩

.شواهد إيمانية ومسبحة في قصيدة أبها ١٢١

المبحث الثالث : التبادل بين الطبيعة والمرأة : ١٢٨

مدخل ١٢٨

مسارات التبادل بين الطبيعة والمرأة في الشعر الواصف لأبها :........................ ١٣٨

❖ اقتراض الشعراء لجماليات المرأة ١٣٩

❖ توازن المكان الوطن والمرأة الحبيبة في الشعور الوجداني عند الشعراء ١٤٧

❖ تداخل الغزل مع فن الوصف ١٦٢

المبحث الرابع : مظاهر الاغتراب : ١٧٢

مدخل ١٧٢

الاغتراب في قصيدة أبها : ١٧٥

❖ الاغتراب المكاني ١٧٥

الموضوع	رقم الصفحة
❖ الشوق إلى المكان منفرداً	١٧٧
❖ الشوق إلى المكان وفي سياقه الشوق إلى إنسان المكان	١٨٦
❖ فرحة الإياب بعد اغتراب	١٩٥
الاغتراب النفسي ومنزع الهروب إلى الطيعة	١٩٨
الفصل الثاني	٢٠٤ - ٢٨٠
البنية الفنية	
المبحث الأول : اللغة والأسلوب :	٢٠٥
مدخل	٢٠٥
المعجم الشعري :	٢٠٦
❖ مفردات الطبيعة	٢٠٧
❖ مفردات المسميات المكانية	٢٠٩
❖ مفردات الصوت	٢١٠
❖ مفردات الغزل	٢١٢
❖ مفردات الحزن والشوق	٢١٣
❖ مفردات أخرى	٢١٤
اللغة بين السهولة والغرابة	٢١٦
العامية في لغة الشعراء	٢١٧
ظواهر لغوية :	٢١٩
❖ التكرار	٢٢٠
❖ النداء	٢٢٤
ظاهرة التناص في قصيدة أبها	٢٢٦
المبحث الثاني : الصورة الشعرية :	٢٣٣
مدخل	٢٣٣
أنماط الصورة :	٢٣٤

الموضوع	رقم الصفحة
❖ الصورة الموروثه	٢٣٤
❖ الصورة الجديدة	٢٣٥
مقومات الصورة :	٢٣٩
❖ التشبيه	٢٣٩
❖ الاستعارة	٢٤١
❖ التصوير بالمفارقة	٢٤٣
مصادر الصورة :	٢٤٥
❖ البيئة الطبيعية	٢٤٥
❖ البيئة الاجتماعية	٢٤٨
❖ الإنسان	٢٥٠
الموروث الثقافي :	٢٥٠
❖ استلهام التراث الديني	٢٥١
❖ استلهام الموروث الأدبي	٢٥٤
❖ استدعاء الشخصية التراثية	٢٥٥
وظائف الصورة :	٢٥٧
❖ الوظيفة الجمالية	٢٥٧
❖ الوظيفة النفسية	٢٥٩
❖ عجز الصورة	٢٦٠
المبحث الثالث : الموسيقى والإيقاع :	٢٦٣
مدخل	٢٦٣
الإيقاع الخارجي :	٢٦٣
الوزن	٢٦٣
أنماط التشكيل الوزني :	٢٦٤
القصيد (شعر البيت)	٢٦٤

الموضوع	رقم الصفحة
شعر التفعيلة	٢٦٦
المزج الإيقاعي	٢٦٧
القافية :	٢٧٠
عيوب القافية :	٢٧١
❖ التضمين	٢٧١
❖ الإيطاء	٢٧٢
❖ السناد	٢٧٣
❖ لزوم ما لا يلزم	٢٧٣
الإيقاع الداخلي :	٢٧٥
❖ التكرار	٢٧٥
❖ التقديم والتأخير	٢٧٧
❖ التقسيم	٢٧٧
❖ الجناس	٢٧٩
الخاتمة	٢٨١
ملخص باللغة الإنجليزية	٢٨٧
ذيلٌ بتراجم الشعراء	٢٨٨
مسرد بالمراجع والمصادر	٣٠٦
الفهرس	٣٢٣

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖